

المكتبة

أمير سلطان

كتبة الآذان - جامعة دمشق

تاريخ

الحضر العسلي

الطبعة الرابعة

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق

١٤١٧ - ١٤١٦

١٩٩٧ - ١٩٩٦



Bibliotheca Alexandrina

مكتبة الإسكندرية



الدكتورة

أمينة بطيار

٩٥٨.٦٩٧

٤٩٢٧٠١

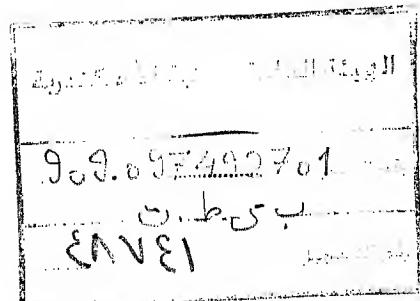
بـ١ طـ

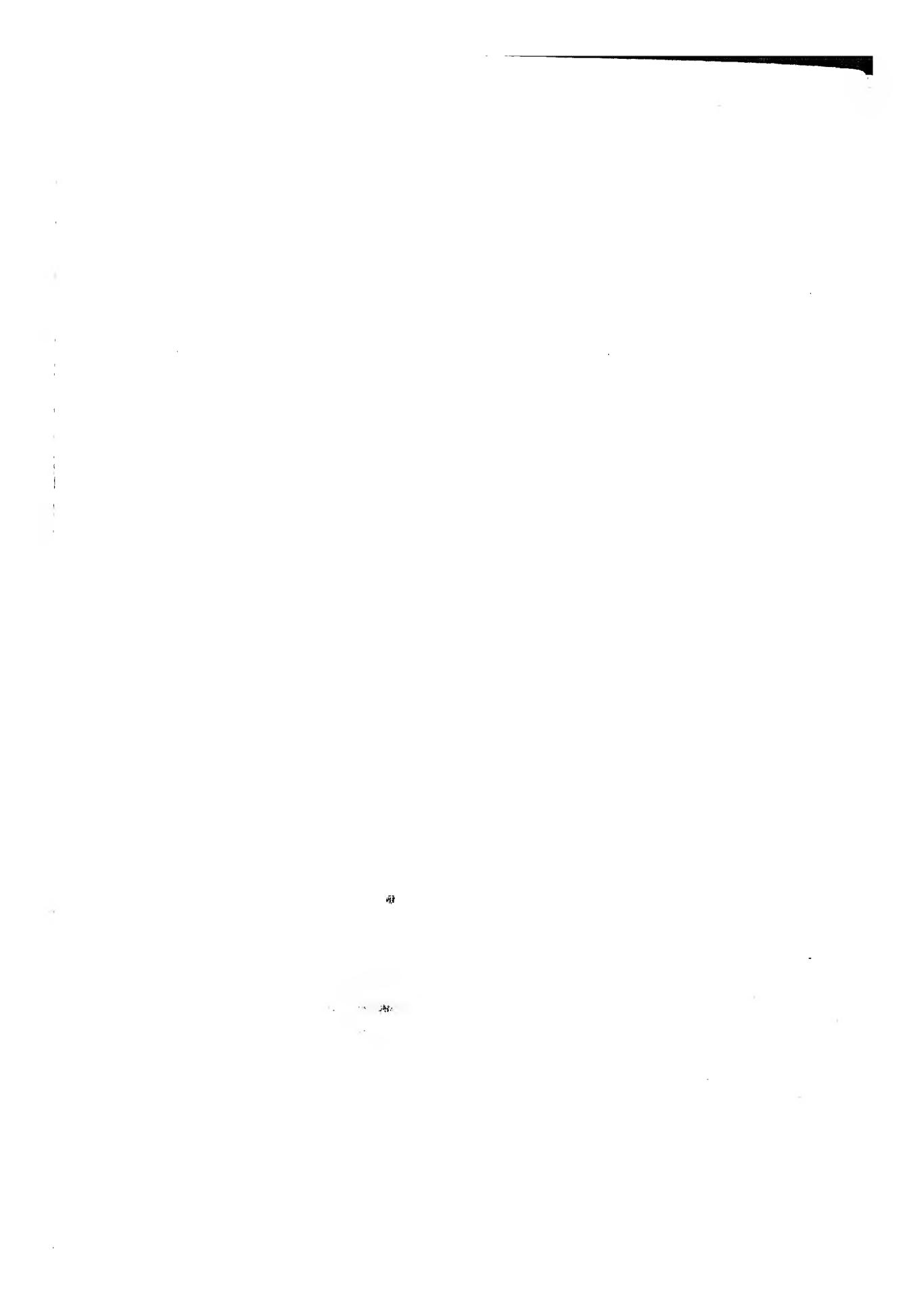
تـ

تاريخ

الحضر العبيدي

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق





مقدمة

العصر العباسي هو العصر الذهبي للخلافة العربية الإسلامية ، العصر الذي اكتملت فيه حضارتها ونضجت ، عصر يشمل حقبة زمنية تزيد على خمسة قرون ، ويشمل اراضٍ واسعة تمتد من بلاد ماوراء النهر والسودان شرقاً حتى ساحل المحيط الأطلسي غرباً ، ومن جبال طوروس وارمينية شمالاً حتى المحيط الهندي جنوباً .

ينتسب العباسيون خلفاء هذه الدولة الى العباس بن عبد المطلب عم الرسول الكريم ، الذي كان على قيد الحياة حين توفى الرسول . فقد تسلم احفاده حكم الخلافة العربية الإسلامية اثر قيامهم بثورتهم التي اعدوا لها اعداداً كبيرة . واستطاعوا بذلك ان يطيحوا بالخلافة الاموية ، وان يرسو قواعد الخلافة العباسية على انقضائها .

اهتم عدد من المؤرخين من عرب ومستشرقين بدراسة العصر العباسي ، واستطاع بعضهم ان يصل الى نتائج قيمة في هذا المجال ، ولكن بعض مناحي الحياة في الخلافة العباسية ، مازالت تحتاج الى دراسة وافية ، يبذل فيها الباحثون جهدهم وامكاناتهم ، ويستقصون المصادر الاصلية للوصول الى نتائج صحيحة . وقد بذلك جهدي ان اكون في عداد هؤلاء الباحثين ، وان يكون بحثي هذا عملاً علمياً بكل ما في هذه الكلمة من معنى . وسيراً مع الخطة المرسومة للبحث ، فاني قسمته الى خمسة أبواب . ومهدت له في مطلع الباب الاول بدراسة الظروف العامة التي ادت الى قيام الخلافة العباسية ، ثم تناولت بالبحث والاستقصاء الدعوة العباسية ، فطرحت جانباً تكون الدعوة العباسية حركة قومية فارسية ، وثبتت انها حركة عربية اصلية ، ساهم فيها الفرس مساهمة جادة للاطاحة بالامويين ، وللوصول الى حقوقهم التي منحهم ايها الاسلام عن طريق نجاح الاسرة الجديدة في الوصول الى الحكم ، التي اتخذت من شعار المساواة بين العناصر الاسلامية المختلفة شعاراً لها ، دون ان ادعى بأنني اول من

أثبت ذلك . وقسمت هذا الباب الى قسمين ، تناولت في القسم الاول الحديث عن المرحلة السرية للدعوة العباسية ، كما تناولت في القسم الثاني المرحلة العلنية ومراحل حروب المعاوحة حتى اعلان الخلافة العباسية .

اما الباب الثاني ، فقد خصصته لدراسة الاوضاع العامة في الدور العباسى الاول ، وب戴اته بالبحث في مميزات هذا الدور العامة، ثم تحدث عن الاوضاع السياسية للخلافة العباسية في هذا الدور ، واوضحت ما بذله خلفاء العباسيين من جهد لتوطيد وثبيت اركان الحكم العباسى ، وعن القوى المناهضة التي قامت في وجههم ، ثم انتقلت للحديث عن الاوضاع العامة في كل قطر من الاقطار التي شملتها اراضي الخلافة ، وبعد ذلك تحدثت عن العلاقات الخارجية بين العباسيين والدول المعاصرة .

اما الباب الثالث فقد خصصته لدراسة عصر سيطرة قادة الاتراك ، وبحثت قضية الصراع حول السلطة ، وبذلت اهتماما كبيرا في الحديث عن الصراع الاجتماعي والسياسي الذي ساد هذا العصر ، مع التركيز الشديد على الاسباب التي أدت اليه ، والنتائج التي اسفرت عنه .

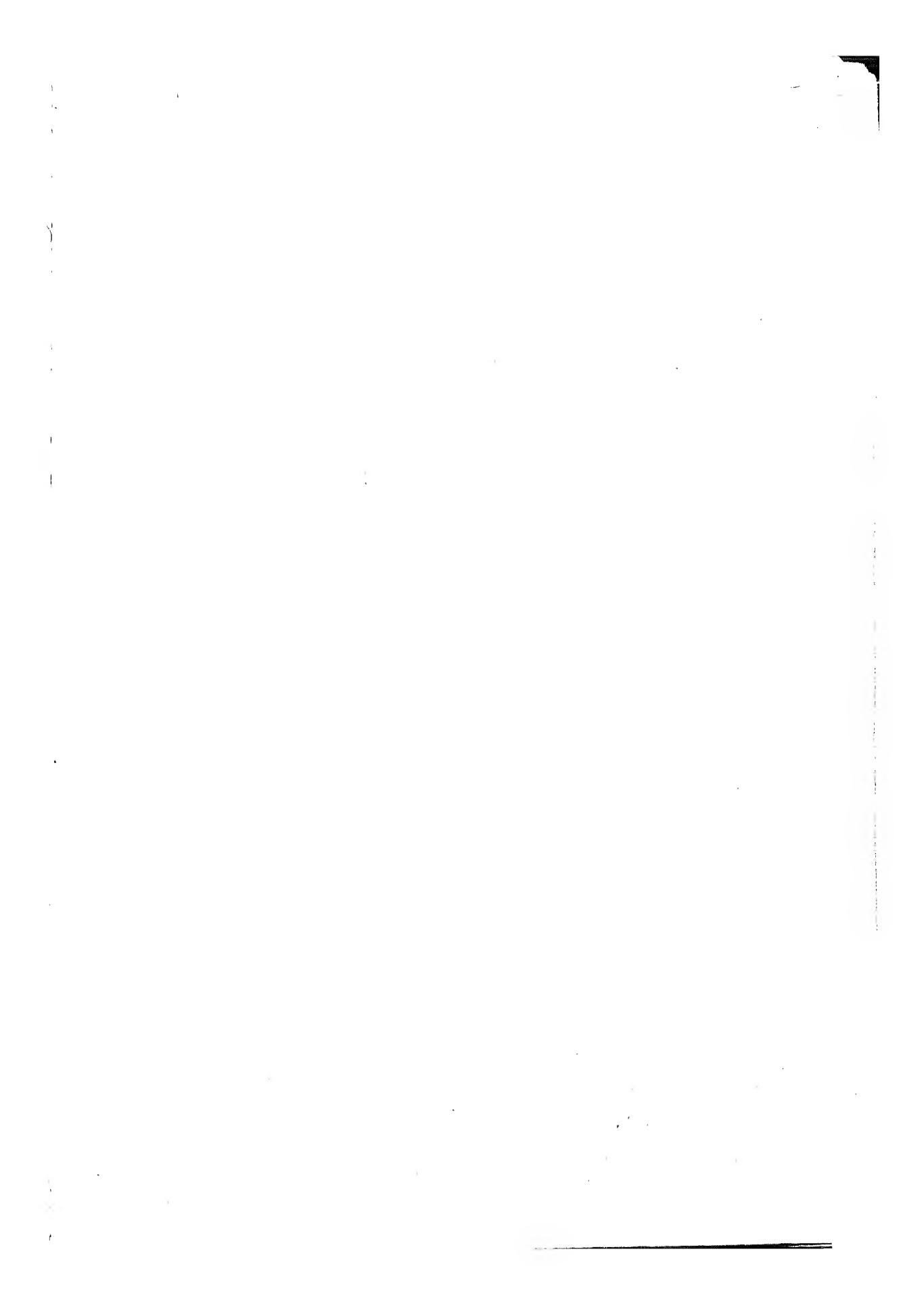
اما الباب الرابع وهو بنظري اهم الابواب جميعا ، فقد خصصته للحديث عن اهم مظاهر الحضارة العربية الاسلامية في فترة البحث ، ودراسة الحضارة في هذه الفترة ، لها أهمية خاصة لأن العصر العباسى كان يمثل نسيجا وحدة من حيث سمات الخلافة وبروز وظائف جديدة في الدولة لم تكن معروفة في الفترات السابقة ، كما ان هذه الفترة كانت فترة نضوج للوظائف التي وجدت قبل هذا العصر ، يضاف الى ذلك عملية الاختلاط والتمازج بين الشعوب التي كان يتألف منها المجتمع في ذلك الحين ، ذلك التمازج الذي ادى الى جانب اسباب هامة اخرى متعددة ، الى نضوج الحضارة العربية الاسلامية التي بدأها شمس بين كواكب صفيرة جدا ، اخذت تبث اشعاعها في عالم العصور الوسطى على من يحيط بها . فأصبحت بغداد وغيرها من المدن كعبة للعلم ، وملتقى للعلماء في مجالات العلوم المختلفة .

وقد اقتصرت في دراستي في هذا الكتاب على البحث في الخلافة العباسية في الفترة المتدة من سنة ١٣٢ - ٣٤٠ هـ ، وهي فترة تشمل ما يمكن ان يسمى بالعصر الذهبي للخلافة العباسية ، وفترة عصر سيطرة قادة الاتراك ، وهذه الدراسة تغطي ساعتين من مقرر تاريخ العصر العباسى الذي خُصص له اربع ساعات اسبوعية .

وأود أن أذكر بأن بحثي لا ينطوي على إثبات الخلافة العباسية في هذه الفترة ، لم يكن الهدف منه استقصاء جميع أحداث فترة الحكم العباسى ، لأن ذلك تعجز عن استيعابه الصفحات القليلة المخصصة ، ولذلك قاتى حاولت قدر جهدي رسم الخطوط العريضة لفهم هذه الأحداث ، بما يتفق ومفردات منهج المقرر ، بحيث تكون الصورة أقرب إلى الواقع ، وقد استخدمت من أجل ذلك أهم المصادر والمراجع العامة والتخصصية استخداماً مفيدة بعد دراسة واستقصاء للمتحيز منها ، والتي تميز بالحياد التام والنظرية الموضوعية الخالصة .

وبعد فاني أرجو أن أكون قد وفقت بما بذلته من جهد لخروج هذا البحث على وجه مرض ، وإن كان فيه ما يقصر عن الهدف ، فأرجو أن يكون في محاولاتي القادمة ما يعوضه ، والله ولي التوفيق .

أمينة بيطار



مفردات مقرر تاريخ العصر العباسي

السنة الثالثة - قسم التاريخ

- ١ - الاوضاع العامة للخلافة والعالم المحيط بها اثر قيام الخلافة العباسية .
والعوامل التي ادت الى سقوط الخلافة الاموية .
- ٢ - الثورة العباسية عوامل نجاحها ، الفترة السرية ، النقباء والدعاة وأعمالهم .
الفترة العلنية والتصدي للثورة . حروب الدعوة ، اعلان الخلافة العباسية . دور
العناصر المختلفة في الدعوة . سمات الخلافة العباسية . وأدوارها .
- ٣ - الدور العباسي الاول ، خلفاء هذا الدور ، ومميزات هذا الدور .
 - توطيد وثبت حكم بنى العباس ، الموقف العدائي المتبدل بين العباسين
وبني أمية وانصارهم ، سياسة العباسيين تجاه القبائل العربية والمدن الشامية، ثورة
نصر بن شبيث العقيلي ، ثورات اجناد الشام و موقف العباسيين منها ، الصراع بين
أفراد الاسرة العباسية ، موقف العباسيين من الخارج ، حركات الشيعة في الدور
العباسي الاول ، الصراع بين العرب والموالي : الصراع السلمي، الشعوبية ، الزندقة ،
الصراع بين الخلفاء والوزراء . الصراعسلح : الرواندية ، المتنمية ، البابكية .
الاوضاع في مصر وبلاد النوبة . الاوضاع العامة في بلاد المغرب . الاوضاع في الاندلس .
 - العلاقات الخارجية : مع البيزنطيين ، الكارولنجيين ، الهند ، الصين .
 - أهم مظاهر الحضارة :
 - نظام الحكم : النظام السياسي ، الخلافة ، الوزارة ، الكتابة والمحاجة .
 - النظام الاداري ، النظام العسكري ، النظام المالي ، النظام القضائي ، الحياة
الاقتصادية ،
 - الحياة العلمية وال عمرانية . الاوضاع الاجتماعية .
- ٤ - الدور العباسي الثاني :

- ف -

- طور النفوذ التركي : خلفاء هذا الطور ، الاعتماد على الاتراك في الجيش ونتائجها ، أمراء الامراء .

الاوضاع العامة ، الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ونتائجها ، الدول المستقلة في هذا الدور .

- الدور البوبي : ببلاد الدليم وشعبها، شعب الدليم والاسلام، الدليم والتشيع، ظهور الاسرة البوبيه ، استيلاء اولاد بوبيه على بغداد ، معز الدولة، عز الدولة بختيار، عضد الدولة ، تمزق الدولة البوبيه بعد عضد الدولة ، انحدار الحكم البوبي ، التحولات الاقتصادية والاجتماعية .

- الدور السلجوقي : هجرة التركمان الى خراسان . التركمان والدولة الفزنويه ، الصراع على خراسان حتى معركة دانداقان ، قيام السلطنة السلجوقية ، سلطنة طغرل بك الزحف السلجوقي على بغداد ، حركة البساسيي ، هجرة التركمان نشاطهم في العراق والجزيرة واسمية الصفرى وارمينية وبلاط الشام ، التركمان العراقية ، سلطنة الب ارسلان ، معركة منازكرب ، الانقطاع العسكري ، سلطنة ملك شاه ، الصراع بين السلطنة والخلافة ، استيلاء التركمان على بلاط الشام ، الزحف نحو مصر ، بركياروق وتمزق الامبراطورية السلجوقية ، سلطنة محمد ، سلطنة سنجر ، الخلافة وصراعها مع السلطنة ، الخليفة الناصر وحركة الفتوة ، ظهور المغول وذبحهم على بلاد الاسلام حتى سقوط بغداد .

- الدول المستقلة عن الخلافة العباسية :

الطاوئية - السامانية - الصفاوية ، دولة طبرستان ، الدولة الفزنوية ، القراخانية ، الحمدانية في الموصل ثم حلب ، العقيلية ، المردايسية ، بنو مزيد ، الطولونية ، الاخشيدية ، الخلافة الفاطمية(طور المصري) ، دول شبه الجزيرة العربية .

الباب الأول

تمهيد

آ - الاوضاع العامة للخلافة الاسلامية ، والعالم المحيط بها ، اثر قيام الخلافة العباسية :

يطلق اسم العصر العباسي على الفترة الزمنية التي تمتد من ١٣٢ - ٦٥٦ / ٥٧٠ - ١٢٥٨ م^(١) . وينتسب العباسيون مؤسسيو هذه الخلافة والقائمون بأمرها إلى العباس بن عبد المطلب ، عم الرسول الذي كان على قيد الحياة عند وفاة الرسول .

حكمت الاسرة العباسية في مطلع عهدها ، العالم الاسلامي ، بحدوده التي ورثتها عن الاسرة الاموية . (انظر خريطة رقم ١) وضمت تحت جناحيها اسبانيا والبرتغال في اوربا – عدا الزاوية الشمالية الغربية منها المسماة اوشتوريش – ، وشمال افريقيا ، وجنوب غربي قارة آسية ، فضلت بالتالي :

١ - في قارة آسية المنطقة التي يحدها شمالاً حوض نهر سيحون^(٢) والسوائل الجنوبيّة لبحر الغزير (قزوين) ومرتفعات القفقاس وأرمينية وجبال

(١) يمكن ان تسمى الفترة المذكورة في المتن والممتدّة من سنة ١٣٢ - ٦٥٦ هـ العصر العباسي العراقي وذلك انه بعد سقوط الخلافة على يد الفاطميين سنة ١٤٩ هـ / ١٢٥٨ م ، عادت السلالة ثانية الى تسلّم الحكم في مصر سنة ١٥٦ هـ ، ولم يكن للخليفة العباسي فيها امر ولا ذمي سوي ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة ، والامر كله للهاليلك . واستمررت الخلافة العباسية الشبكية قائمة يستمد منها سلاطين المماليك وبعض القوى الاسلامية شرعية حكمهم ، حتى دخول العثمانيين الى مصر . وابصاد الخليفة العباسي المتوكّل على الله عنهما سنة ٩٢٣ - ١٥١٧ هـ / ١٢٥٨ م .

(٢) - نهر مشهور كبير بما وراء النهر بعد سيره قليلاً في حدود بلاد الترك . انظر يالقوت الحموي : مجمع البلدان ، جزء ٣ ، ص ٢٩٤ .

طوروس ، وشرقاً حوض نهر السندي ، ومن الجنوب الشرقي الخليج العربي ، ومن الجنوب بحر العرب ، ومن الغرب البحر المتوسط والبحر الأحمر .

٢ - في إفريقية ، المنطقة الشمالية بكمالها المطلة على البحر الأبيض المتوسط شمالاً ، والبحر الأحمر شرقاً ، وشمالى السودان حتى الشلال الثالث للنيل والصحراء الإفريقية الكبرى جنوباً ، والمحيط الأطلسي غرباً .

٣ - في قارة أوروبا إسبانيا والبرتغال عدا شمالها الغربي (٣) .

لا ان خلفاء العباسين لم يستطيعوا الحفاظ على وحدة اراضي الدولة العربية الإسلامية ، بل كان الامتداد المكاني لهذه الدولة بين مد وجزر .

وان نظرة متحضصة لهذه الرقعة المكانية التي كان يضمها العالم العربي الإسلامي تحت جناحيه في مطلع العصر العباسي، لتدل على سعة هذه الدولة العربية الإسلامية ، وإذا شملت هذه النظرة العالم المعروف آنذاك . لاتضيق عظمتها بشكل أكبر . ومكانتها في عالم العصور الوسطى . ففي شرق هذه الدولة بلاد الهند التي تفتقر إلى الوحدة السياسية ، فقد كانت موزعة إلى ممالك متعددة تحكمها أسر محلية . وفي الشمال الشرقي من الخلافة العربية الإسلامية تمتد الصين وعلى رأسها اسرة تانغ (٦١٨ - ٩٠٧ م) . وقد احست بالخطر العربي الإسلامي ، وقوة الخلافة في المناطق الشرقية ، فجمعت قوتها الكاملة ، حيث واجهت جيوش العباسين في معركة ظلس سنة ١٣٣ هـ / ٧٥١ م بعد فترة وجيزة من استلامهم الحكم (٤) .

اما شرق بلاد ما وراء النهر (ترانس أو كسانيا) فقد كانت متراجعاً للقبائل التركية التي تجوب السهوب المتعددة بين شمال البحر الأسود والخزر (قوروين) وبحر آرال . ولم تكن هذه القبائل التركية قد نالت شيئاً من الحضارة بل كانت تعيش عيشة بدوية خالصة تنتقل طلباً للكلأ والماء ، وكثيراً ما دفعتها الظروف

(٣) - للنعرف على الأراضي التابعة للخلافة العربية الإسلامية في العهد الراشدي والأموي انظر اطلس التاريخ الإسلامي هارى وهازارد : ترجمة وتحقيق خورشيد وزيادة وغيرهم ، ص ٨ .

(٤) - ليلي صباح : عالم العصر العباسي ، اهلية طلاب اللغة العربية ، سنة ثلاثة ص ٤٢ .

الطبيعية ، ومطالب الحياة الى اجتياز مناطقها الى بلاد ما وراء النهر حيث تستقر هناك ، وتتصل بالقبائل المستقرة قبلها والمعتنقة للديانة الاسلامية ، فتتأثر بها .

وفي شمال الخلافة العربية الاسلامية ، تقوم الامبراطورية البيزنطية التي تسسيطر على آسية الصغرى ، والبلقان وعلى جنوب شبه جزيرة ايطاليا ، كما يمتد تفوذهما على الجزر المنتشرة شرقي المتوسط وجنوبه ، وكانت هذه الدولة قد ارتطمت بصدامات كبيرة وقاسية قد افقدتها صوابها اثر انسحابها من بلاد الشام ومصر ، وشمال افريقيا ، وتبعية هذه المناطق للخلافة العربية . ثم مشاركة العرب لها في السيادة على البحر المتوسط منذ معركة ذات الصواري^(٥) . وكانت اوضاع هذه الدولة سيئة في هذه الفترة فقد وقعت في عداء مع العرب المسلمين فأخذوا في غزو أراضيها ومحاولة فتح عاصمتها القدسية^(٦) . كما اصطدمت بمعظم القبائل السلافية والبلغارية في أراضيها ، ومحاولاتهم المتكررة للاستقرار في شبه جزيرة البلقان^(٧) .

ولم تكن المنطقة جنوب الخلافة الاسلامية في افريقيا تشكل دولة موحدة ، عدا غالبا التي كانت قد أسست دولة منذ القرن الرابع الميلادي . وكانت علاقة العرب المسلمين مع هذه البقاع تقتصر على المبادرات التجارية .

اما اوروبا فكانت على الشكل الاتي :

القبائل المتر Burke التي مزقت الامبراطورية الرومانية قد توضعت في البقاع التي وفدت اليها ، وكانت ممالك اقطاعية متميزة ، منها دولة القوط في اسبانيا التي قضى عليها العرب المسلمون سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م^(٨) . ودولة الفرنجة في بلاد الغال التي كانت تحكم من قبل الاسرة الكارولنجية وكان على رأسها عند قيام

(٥) - انظر ابراهيم احمد العدوبي : الامويون والبيزنطيون ، الدار القومية للطباعة والنشر ، طبعة ثانية ص ١٠٠ - ١١٦ .

(٦) - Bury : A History of the later Roman Empire 1931., P II., PP 312-313.

(٧) - ابراهيم احمد العدوبي : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٨) - انظر احمد بدر : دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، ص ١٧٦ - ١٩ .

الخلافة العباسية بيان الثالث ١٢٩ - ١٥٠ هـ / ٧٦٨ - ٧٤٧ م والد شارلمازن^(٩) ، ولا يوضح مدى تأخر هذه الدولة قاساً لحضارة الخلافة العربية الإسلامية في ذلك العين ، يمكننا ذكر موقف شارلمازن من الهدية التي وصلته من الخليفة العباسى هارون الرشيد وبشكل خاص حين تفحص الساعة الدقاقة ، والتي ظن ان بها شياطين^(١٠) .

اما القبائل المtribرة التي استقرت في إنكلترا على انقاض الحكم الروماني فيها فقد شكلت سبع ممالك تتنافس فيما بينها ، كما كانت ايطاليا موزعة بين قوى رئيسية ثلاث : القوة اللومباردية في الشمال ، والبابوية في الوسط ، والبيزنطية في الجنوب ، الشمام الشرقي . وفي شرقى أوروبا فان القبائل السلافية كانت تسعى لتبسيط ذاتها على ارض شبه جزيرة البلقان منذ القرن السابع الميلادي^(١١) . في حين لا يرى في موقع روسيا وبولونيا في تلك الفترة سوى قبائل جوابية^(١٢) .

وهكذا فاننا نجد بناء على هذه اللحمة السريعة ، او النظرة الشاملة للعالم المعروف آنذاك ، أنه لم تكن هناك دولة تضاهي حضارة واتساع الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسى . وقد كانت هذه الدولة تضم شعوباً عديدة ، والكثير منها يحمل حضارات غنية . وعلى الرغم من أن الحكم العربي الإسلامي لهذه المناطق كان قد استقر فيها لمدة قرن تقريباً منذ أن تم فتحها ، فإن هذا المجتمع لم يكن عند استلام العباسيين السلطة قد اصطبغ في جميع بقاعه بالصبغة العربية الإسلامية . فالدين الإسلامي لم يصبح دين الغالبية العظمى ، على الرغم من اعتناق الكثيرين له ، ولا سيما في مصر وشمال إفريقيا وبلاد فارس وما وراء النهر . فقد ظلت الشام محافظة على صبغتها النصرانية حتى القرن الثالث للهجرة ، وكذلك إيريا (الأندلس) . أما اللغة العربية فهي كذلك لم تتبع اللغات السائدة بين الأقوام

Muir : the Caliphate., Its Rise Decline and Fall., Beirut 1963., P. 464. - (٩)

(١٠) - خاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسى ، ص ١٩٥ - العباسيون الأوائل ، جزء ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ - زعدي الدایة : هارون الرشيد وشارلمازن ، مجلة الهلال ١٩٤٢ ، ص ٩٦٨ - ٩٦٩ .

(١١) - صباح : المرجع السابق ، ص ٤٢ - ٤٤ .

(١٢) - عن روسيا وسكانها في العصر العباسى - النظر رسالة ابن فضلان ، تحقيق سامي الدهان الطبعة الثانية من ص ١٧٥ - ١٩٤ .

التي صممتها وخاصة تلك التي تختلف لغاتها اختلافاً جذرياً عن اللغة العربية التي كان لها حضارة سالفة راقية كالقرن . فاللغة العربية لاقت قبولاً وتدالياً في مصر والشام والعراق ، والى حد ما في شمالي افريقيا لاتشار الآرامية فيها وتشابه جذور لغاتها معها . ويعود هذا الامر الى سماحة الاسلام وحكامه الذين تركوا حرية المعتقدات لسكان البلاد المفتوحة ، وبحين فرضوا عليهم الجزية تكفلوا بحمايتهم والدفاع عنهم ، ولا يعني هذا أن خلفاء العرب المسلمين لم يبذلوا جهوداً لاجل نشر الاسلام واللغة العربية ، بل كانت الامثلة على نشاطهم في هذا المجال كثيرة ومتعددة ، ومن قبيل ذلك بناء المساجد العديدة في المناطق المفتوحة حديثاً وبث دعاه الاسلام بين صفوف عناصر السكان في هذه البلاد لنشر الدين . ويمكن ان نجعل ما فعله الخليفة عبد الملك بن مروان من تعريب للدواوين ، وما فعله عمر بن عبد العزيز تجاه المسلمين الجدد من حيث اعفائهم من ضريبة الجزية من قبيل نشر الاسلام واللغة العربية بطريقة غير مباشرة ، فاعتنق الكثيرون منهم الاسلام .

ب - عوامل سقوط الخلافة الاموية :

قبل ان نستعرض الدعوة العباسية ، لا بد لنا من ذكر العوامل التي أدت الى سقوط الخلافة الاموية ، لأن العباسيين استغلوا بعض عوامل الضعف هذه لصالحهم ، فكانت عوامل سقوط الخلافة الاموية من عوامل نجاح الدعوة العباسية ، وأول هذه العوامل :

- انهيار القاعدة العريضة التي كان يعتمد عليها خلفاء الامويين . وهي وحدة البيت الاموي ، ووحدة عرب الشام ، اثر الثورة التي اطاحت بالوليد الثاني ، نتيجة مؤامرة اشتراك فيها بعض رجالات البيت الاموي كيزيد بن الوليد الاول ، وسادات قبيلة كلب مثل منصور بن جمهور الكلبي . لقد كان مقتل الوليد نديراً بانهيار الاسرة الاموية ، وعلى ايدي رجال من بني أمية افسهم ، فالوليد الثاني لم يكن خارحاً او مادوسساً على السلطان ، وإنما خليفة له بيعة في الاعناق ، وقد استخلف من قبل هشام بن عبد الملك . لذا فان مقتله كان نقطه البدء في تحدي فكرة الشرعية ومسماراً ضخماً في نعش الخلافة ، كمنصب له قدسيته وهيبته (١٣) .

(١٣) - د . نبيه العاقل : دراسات في تاريخ بنى امية ، من ٢٩٨ .

لقد اعتمد الامويون منذ أن قامت خلافتهم في بلاد الشام على أهله كمجموعة واحدة تؤيد البيت الاموي بكل ما تستطيع ، وتنمجه ثقتها ، وكان بنو كلب العنصر البارز في هذا التجمع الشامي المساند للبيت الاموي . ففرقـت الاحداث الاخيرة هذه الجماعة الموحدة ، وخلقت بينها تيارات عديدة يرتبط كل منها بفئة وجد أن مصالحـه معها . وقد أدى تصدع القاعدة التي يعتمد عليها البناء الاموي الى تصدع البناء الاموي بكامله . وقد هـذا الـبيـت هـيـته في جـمـيع الـاطـراف ، وـشـعـرـ النـاقـمـونـ والـثـائـرـونـ الـذـينـ يـعـمـلـونـ فـيـ الخـفـاءـ ، وـالـتـأـمـرـونـ الـذـينـ يـعـدـونـ الـعـدـةـ لـاـسـتـلـابـ السـلـطـةـ أـنـ فـرـصـةـ ذـهـبـيـةـ قـدـ سـنـحتـ ، وـأـنـ هـذـهـ فـرـصـةـ يـجـبـ أـنـ تـسـتـغـلـ وـأـنـ تـكـوـنـ الـضـرـيـةـ قـاضـيـةـ . لـاـنـ الـبـيـتـ الـحاـكـمـ لـاـيـسـتـطـيـعـ الرـدـ عـلـيـهـ . وـهـكـذـاـ كـثـرـ الـشـاغـبـونـ وـعـمـتـ الـفـتـنـ الـاطـرافـ ، وـظـاهـرـ عـلـىـ مـسـرـحـ الـاحـدـاثـ مـعـاـمـرـونـ وـطلـابـ ثـرـوـةـ وـجـاهـ ، يـرـيـدونـ أـنـ يـحـقـقـواـ لـاـنـسـهـمـ فـيـ هـذـاـ الـظـرفـ مـاـ عـجـزـوـاـ عـنـ تـحـقـيقـهـ حـيـنـ كـانـ الـجـسـدـ الـاـمـوـيـ صـلـبـاـ مـتـمـاسـكـاـ (١٤) .

ـ عـاـيـشـتـ الـخـلـافـةـ الـاـمـوـيـةـ الـاـحـزـابـ السـيـاسـيـةـ وـالـدـيـنـيـةـ فـيـ بـدـاـيـةـ نـسـائـهـاـ وـتـطـوـرـهـاـ ، تـلـكـ الـاـحـزـابـ الـتـيـ أـدـىـ صـرـاعـهـاـ عـلـىـ مـنـصـبـ الـخـلـافـةـ إـلـىـ اـضـعـافـ الـخـلـافـةـ الـاـمـوـيـةـ وـمـنـ ثـمـ إـلـىـ سـقـوـطـهـاـ . وـكـانـ هـذـهـ الـاـحـزـابـ فـيـ الـبـدـاـيـةـ عـرـبـيـةـ الـمـحـتـدـ ، إـلـاـ اـنـ لـمـ يـلـبـثـ أـنـ تـسـلـلـ إـلـيـاـ عـنـاصـرـ أـخـرـىـ غـيرـ عـرـبـيـةـ مـنـ الـعـنـاصـرـ الـتـيـ كـانـتـ تـشـكـلـ الـخـلـافـةـ الـاسـلـامـيـةـ . وـقـدـ دـانـتـ بـعـضـ هـذـهـ الـعـنـاصـرـ بـالـاسـلـامـ لـاستـغـالـهـ وـالـاسـتـفـادـةـ مـنـهـ لـتـحـقـيقـ مـأـربـ شـتـىـ . فـاسـتـغـلـتـ الـوـضـعـ وـرـفـدـتـ الـاـحـزـابـ النـاشـئـةـ بـمـفـهـومـاتـ مـتـوـعـةـ . وـمـنـ هـذـهـ الـاـحـزـابـ حـزـبـ الـخـوارـجـ وـالـشـيـعـةـ وـالـمـرـجـعـةـ (١٥) .

ـ وـالـشـيـعـةـ وـالـخـوارـجـ اـقـدـمـ الـفـرـقـ السـيـاسـيـةـ وـالـدـيـنـيـةـ فـيـ الـاسـلـامـ . تـفـرـعـاـ مـنـ شـجـرـةـ وـاحـدةـ (ـاـنـصـارـ عـلـيـ بـنـ اـبـيـ طـالـبـ)ـ . كـانـ السـبـبـ الـمـباـشـرـ لـنـشـأـةـ الـخـوارـجـ

(١٤) - عـاـقـلـ : الـمـرـجـعـ السـابـقـ صـ ٢١٩ـ ، وـمـنـ اـجـلـ الـثـورـاتـ الـتـيـ قـامـتـ فـيـ بـلـادـ الشـامـ ، فـيـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ انـظـرـ السـعـودـيـ : التـبـيـهـ وـالـاـشـرـافـ ، صـ ٣٢٥ـ - ٣٢٦ـ - وـمـرـوجـ الـلـذـهـبـ ، جـزـءـ ٢ـ ، صـ ١٥٩ـ حتـىـ : تـارـيخـ سـوـرـيـةـ وـلـبـانـ وـفـلـسـطـيـنـ ، جـزـءـ ٢١ـ ، صـ ١٥٣ـ . Muir : OP-cit., P. 418 .

(١٥) - عمرـ فـروـخـ : تـارـيخـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ إـلـىـ اـيـامـ اـبـيـ خـلـسـوـنـ ، دـارـ الـعـلـمـ الـلـمـلـاـبـيـنـ ، بـيـرـوـتـ ١٩٧٧ـ ، صـ ٢١ـ . وـمـاـ بـعـدـهـ .

مسألة التحكيم ابان معركة صفين ٠ فثار قسم من شيعته عليه لقبوله بالتحكيم ٠ وتنادوا أن لا حكم الا لله ، وقد ترعم هذه الفرقة الشقيقة ثبت بن ربعي الرياحي ، وعبد الله بن الكواء اليشكري ، ويزيد بن قيس الارجبي ^(١٦) ٠ وكان الخوارج في عاليتهم من تميم وبكر وهمدان وغيرها من قبائل الكوفة ^(١٧) ٠

وقد خرج علي الى المنشقين وجادلهم في رأيهم ، واقنعهم بالعودة الى صفه ٠ فاقتعوا ودخلوا معه الكوفة وانضموا اليه ٠ وقد سميت هذه الجماعة الاولى باسم الحرورية لاجتماعهم في حرورة ٠ ولكنهم ما بشوا ان تقضوا عهدهم وعادوا الى العصيان ، بحجة ان عليا وعدهم أن يسير بهم دون ابطاء لمحاربة أهل الشام ، فلما لم يفعل ، وأرسل ابا موسى الاشعري لحضور جلسة التحكيم ، اعتبروا أنفسهم في حل من طاعته ، وخرجوا عليه من جديد ، حتى اضطر الى قتالهم في النهر وان ^(١٨) ٠

وهكذا كان نشوء هذه الفرقة التي استمرت طوال العصر الاموي ، ومن بعده العباسى ^(١٩) ، شوكة في حلقة الدولة العربية الاسلامية ، وأبدت رأيها في الخلافة ، ومن يستحقها ٠ فقالت بأن الخلافة حق لكل عربي مسلم حر ٠ ثم تطور هذا الرأي بعد دخول اعداد وفيرة من الموالي ضمن صفوفها ، فجعلت الخلافة حقا لكل مسلم شرط العدل ، وبذلك فان هذه الفرقة مثلت الديمقراطية في الاسلام ٠

وتشدد هؤلاء في آرائهم ، فجعلوا الجهاد فرضا لقتال اعدائهم من معتصبي الخلافة ^(٢٠) ٠ وقد رأت بعض فرقهم قتال كل من لم يقل برأيهم ٠ وقالوا بأن

(١٦) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ من ٥ ، ٤ ٠

(١٧) - يرى بعض مؤرخيانا بأن الخوارج من عرب الرادة ، الذين خرجن اثناء الفتوح وبعدها عن شبه الجزيرة العربية ، ليستوطنوا الكوفة والبصرة ، وممن آمن بحرفية الدين وضرورة اخضاع السياسة له ٠

(١٨) - عاقل : عصر الرسول والراشدين ، ص ٣١٨ ٠

(١٩) - مازالت بعض فرقهم موجودة ٠

(٢٠) - لم يكن الخوارج فرقا واحدة ، بل انضموا الى فرق متعددة ، اختلفت في درجة تشديدها في آرائها . انظر من اجل ذلك ابن خلدون : الغير ، مؤسسة الاعلمي بيروت ، جزء ٣ ، ص ١٤١ وما بعدها وانظر يوليوبن فلهاؤن : احزاب المعارضة في صدر الاسلام ، ترجمة بدوي ، الطبعة الثانية ص ٤٢ - ٤٣ . وانظر عمر فروخ : المراجع السابق ، اص ٢١٠ ٠

العمل جزء من الایمان ، وجعلوا مرتکب الكبیره کافرا ، وغير ذلك من آمور (٢١) .
وقد وجد هؤلاء بين الموالي والاغرب المماثلين لهم اجتماعيا بيئه صالحة .
فانتشرت آراؤهم في منطقة الجزيرة ، وفي جنوب العراق ، وفارس ، وسواحل
شبه الجزيرة الشرقية ، واليمن ، وفي شمالي افريقيا .

حارب الخوارج أعداءهم حربا لا هوادة فيها ، ووقفوا موقفا حازما من علي
ابن ابي طالب ومن الامويين . واضطرب الاخرون الى تجهيز الجيوش لقتالهم
باستمرار . وكانوا بذلك سببا من اسباب اضعاف الامويين واسغالهم . وتعطيل
الجزء الاكبر من قوتهم . ففسحوا المجال بذلك واسعوا امام القوى المعادية
للامويين (٢٢) .

اما الشيعة شيعة علي ، فقد رأوا أنه أحق من كل الذين تولوا الخلافة قبله ،
لقرباته من الرسول وفضله (٢٣) ولأن الرسول أوصى له بها ، كما رأوا أن الامامة
(الخلافة) ليست قضية مصلحية يمكن أن تفوض الى نظر المسلمين ، فينتخبون
من شاؤوا لتوليهما ، بل هي قضية اصولية ، وهي ركن الدين (٢٤) . فأيدوه
وناصروه ، وقاتلوا معه الاعداء ، وعلى الرغم من تمسك علي بأصول الدين وفقه
الاسلام (٢٥) ، فقد فشل أمام دعاء وسياسة معاوية ، وبالتالي فقد ارتفع شأن
معاوية وأهالي الشام أنصاره . وانخفض رصيد علي وأنصاره في العراق ، واتهى
الامر بقتله على يد الخوارج (٢٦) .

وعلى حين قتل علي ، فان أنصاره التفوا حول أبنائه الحسن (٢٧) .

(٢١) - انظر عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٢٢) - انظر عن حركاتهم في العصر الاموي : كتاب الدكتور نبيه عاقل : دراسات في تاريخ بنى
امية ، صفحة ١١٥ - ١٢٤ .

(٢٣) - فلهونز : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٢٤) - ابن خلدون : مقدمة ، دار الشعب ، ص ١٧٥ .

(٢٥) - عن صفات دلي انظر ما قاله خرداد بن ضمرة لمعاوية في المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ،
ص ٤٣ " .

(٢٦) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٤٣ وما بعدها - نبيه عاقل : تاريخ عمر
الرسول ، ص ٣٢٤ .

(٢٧) - نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

والحسين (٢٨) اولاً ، ثم خلف ابنه محمد بن الحنفية (٢٩) . ووقع هؤلاء الشيعة في عداء مع الامويين ، وزاد هذا العداء احياناً موقف الامويين من هذه الفرقه . واستخدامهم القسوة والشدة في القضاء على ثوراتهم . وكمثال على ذلك فاجعة كربلاء ، تلك الفاجعة التي أدت الى ازدياد ترابط الشيعة ، وكثرة المتعاطفين معهم ، وبشكل خاص الموالي . وقد أدت سياسة الشدة التي اتبعها الامويون معهم الى اقلاب حركتهم الى عقيدة دينية مطبوعة بطابع الحزن والالم والتوبة والندم . وتكررت حركات الشيعة وكثرت فرقهم حتى أصبحوا أخطر الاحزاب علىبني أمية ، وكان لهم دور اساسي في القضاء على حكمهم (٣٠) .

— واذا عدنا الى نهاية فترة حكم الخليفة الاموية ، لوجدنا بأن مروان بن محمد آخر خلفائهم لم يتول الخلافة بتفويض ولاية العهد . ولم تكن له بيعة في الاعناق من قبل من سبقه من الخلفاء . بل اعتلى المنصب بقوة السلاح . وبالتالي فان الامويين لم يجتمعوا حوله ، كما لم يجتمع عرب الشام على خلافته . وقد أدى ذلك الى ثورات كثيرة قامت في وجهه . منها ثورة سليمان بن هشام الذي اتخذ موقعها مؤيداً لبيزيد الثالث . كما ثار ضده عرب اليمن في كل مناطق الشام في فلسطين والاردن وحمص وتدمير (٣١) .

— ويضيف المؤرخون ان مروان بن محمد ابن أمة كردية ، ولم يكن من عادة الامويين تولية ابناء الاماء ، وهذا السبب هو الذي أبعد مسلمة بن عبد الملك عن الخليفة ، على الرغم من انه كان أهلاً لذلك . واذا كان هذا رأي بعض المؤرخين ، فان بعضهم الآخر وعلى رأسهم المسعودي (٣٢) كان يرى بأن بيزيده بن الويلد هو ابن أمة فارسية ، ومع ذلك فقد تولى الحكم . وبالتالي فان توليه أبناء الاماء كان نادراً ولكنه عرف قبل خلافة مروان بن محمد .

(٢٨) — المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، من ص ٦٤ - ٧٢ - نبيه عاقل : دراسات في تاريخ بيبي ، ص ٥٢ وما بعدها .

(٢٩) — المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٨٧ - نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٣٠) — عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٣١) — نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ وما بعدها .

(٣٢) — مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٣٩ .

— فشل الامويون بتنظيم حكومة مركزية قوية ، واعتمدوا على ولادة أعطوهن صلاحيات واسعة ، وأن بعض ولاياتهم — وان كانوا على درجة عالية من قوة الشخصية والاخلاص للامويين — الا أنهم تصرفوا كحكام مستقلين ، وفعلوا ما رأوه صالحًا في رأيهم . كما أن الامويين لم يقووا مركزهم في مدينة دمشق لأنهم في أغلبهم لم يستقروا بها ، بل قضوا معظم أوقاتهم في مدن على أطراف الصحراء . وفي المدة الاخيرة ترکت اقامتهم في مناطق الشام الشمالية .

— لم يكن للخلافة الاموية جيش نظامي ، وكانوا يدعون الجنود حين الضرورة ^(٣٣) . أما الفرق العسكرية التي عرفت ، مثل فرقه الذكوانية وغيرها ، فقد ظهرت في نهاية فترة الغصر الاموي ^(٣٤) . أما تنظيمات الشرطة والامن الداخلي — ان استطعنا استخدام هذا التعبير — فلم تكن على درجة متقدمة ، كما ان اعدادها لم تكن كافية ، بدليل انتشار التنظيمات السرية دون وصول خبرها الى الخليفة .

— واذا اضفنا الى ذلك أن الامويين جعلوا من خراسان ولاية تابعة لولاية العراق — ماعدا فترات بسيطة تمثلت في عهد عمر بن عبد العزيز والفترقة الاولى من حكم يزيد بن عبد الملك — وان ولاية العراق لم يكن يهمهم الا أن تكون هذه المنطقة خزينة لهم . واذا استرجعنا وضع العراق في العصر الاموي ، وما نشب فيه من ثورات معادية للامويين ، لادركتنا مدى ما كان يكلف به أهالي المناطق الشرقية من أعباء مادية ، وبالتالي لادركتنا سبب ابعاد قلوب هؤلاء عن الامويين ، واستعدادهم للانضمام الى الدعوات المضادة ، وبالتالي لادركتنا سبب انضمامهم الى الدعوة للرضا من آل البيت .

(٣٤) — من المعروف ان الامويين كانوا يخونون الرجال حين الحاجة . ومثالنا على ذلك الجيش الذي وجهه يزيد بن معاوية الى المدينة حيث دعا مسلم بن عقبة الناس للسير معه : انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٨٥ . وكذلك دعوة المحجاج الناس للحاق بجيش المطلب للقتال الخواج . كما ان المطلب جمع جيشا من اهل البصرة القتال الخواج . انظر الدينسوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٧٢ .

(٣٥) — انظر عاقد : المراجع السابق ص ٣٠٢ .

— أما ما يذكره المؤرخون عن وصول حكام ضعاف إلى سدة الخلافة ، فهو سبب وضع دون دراسة علمية للعصر الاموي . ولتوسيع ذلك وتفكي فكرة وصول حكام ضعاف أثروا على مجرى الخلافة وكانوا سببا من الاسباب التي أدت إلى سقوطها ، لابد من استرجاع الاوضاع الخلافية منذ خلافة هشام بن عبد الملك . ويعتبر الخليفة هشام بن عبد الملك مثال الخلفاء من حيث المقدرة السياسية والادارية ، ويمكن مقارنته بالوليد بن عبد الملك ، ومعاوية بن أبي سفيان . استمر في حكمه حتى سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م ، وتولى مروان بن محمد الخلافة في سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م وكان على درجة كبيرة من المقدرة السياسية والعسكرية . والدليل على ذلك ما قام به من أعمال عسكرية بطيئة وتهافتته لثورات متعددة ، وذلك بالإضافة للتنظيمات العسكرية التي أجرتها (٣٥) . ولم يحكم الوليد بن يزيد — اذا كان هو المقصود بالخلفاء الضعاف — فترة تجعل هذا الضعف يؤثر على سير الخلافة الاموية . فحكمه وحكم يزيد الثالث لم يتجاوز الستين ، وبالتالي فاز ضعفهما مهما بلغت درجته فلن يؤدي إلى سقوط الخلافة الاموية . وإذا كان الوليد الثاني ضعيفاً فأن أحواله لم يكونوا كذلك . فقد كان عامله على المدينة يوسف بن محمد الثقفي . وفي دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج الثقفي ، وفي خراسان نصر بن سيار ، كما استبقى الابرش الكلبي مستشاراً له في منصبه (٣٦) .

— استيقاظ روح العصبية القبلية بين عرب الشمال والجنوب . وتفضيل الخلفاء الامويين لقبيلة أو لآخر حسب الظروف كان له اثره في ثور القبائل من القتال ، وفتور حماسها للذود عن الخلافة الاموية . ومما لا شك فيه ان استيقاظ روح العصبية القبلية ، كان بسبب السياسة التي سار عليها خلفاءبني أمية . فقد عمل «عظام» هؤلاء الخلفاء على تقويب أحد فرعى القبائل العربية اليهم دون الأخرى الا من عمل منهم على حفظ التوازن القبلي وكانوا قلائل (٣٧) .

و نتيجة لهذه السياسة التي سار عليها الخلفاء الامويون فقد التهبت نار الاحن

(٣٥) — عاقل : الرجع السابق ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٣٦) — عاقل : الرجع السابق ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٣٧) — نظر عمر رضا كحاله : معجم القبائل العربية ، ٣ اجزاء ، طبعة دار العلم للملائين ، بيروت ١٩٦٨ ، جزء ٣ ، صفحة وحاشية ص ٩٩١ .

والاحقاد بين الفرعين ، اندلع لهبها أول الامر في بلاد الشام مركز الخلافة الاموية • وأسفر ذلك عن حروب كثيرة بين هذه القبائل كادت تخرق بلاد الشام • ثم مالت بعدها إلى غيرها من الولايات الإسلامية • وغدت بقاع كثيرة من الدولة مسرحاً للاصطدام بين هذه القبائل • فقد نشبت ثورة يزيد بن المهلب في العراق ، واتخذت طابع العصبية ، وإن لم تكن العصبية هي السبب في خروج ابن المهلب عن الطاعة^(٣٨) • واتقللت العصبية إلى خراسان ونشب فيها التزاع بين فرعي قبائل "عرب بسبب تعارض مصالحهما^(٣٩)" • وقد استغل دعاة العباسين هذه الفوضى السياسية ، وقاموا بنشر دعوتهما • ومما لا شك فيه أنه كان يزيد في إضرام نار المنافسة بين هذه القبائل ، ما كان يحدث من تناحر بين ابنائها حتى أمام الخلفاء القسمهم ، إلى جانب هجاء الشعراء وتفاخرهم^(٤٠) .

وبعد القبائل العربية وكأنها أنهكت لهذا التذبذب بينها من قبل خلفاء الامويين • حتى أنها انبرت عن مساعدة مروان بن محمد في محنته • بما ذلك واضحًا في معركة الزاب • فكان مروان بن محمد كلما نادى على قبيلة من القبائل لنصرته ، تبتعد منه وتطلب منه أن ينادي على القبيلة الأخرى قبلها^(٤١) • فلم يتحمس العرب القيسيية للقتال مع مروان ، بل انهم على العكس وثروا عليه في دمشق • كذلك يُنس العرب اليمينية من الامويين عامة ، وانقلبوا إلى حزب معاد ، وانضموا للدعوة العباسية ، وكانوا من أكبر انصارها^(٤٢) • وهكذا يبدو انه على الرغم من أن الاحداث هي التي كانت تفرض على الخلفاء الامويين الانحياز لأحد

(٣٨) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٧٢ - ثابت اسماعيل الرواوي : العراق في العصر الاموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية ، مطبعة الارشاد بغداد ١٩٦٥ ، ص ١٨٤ .
احمد ذكي صفتون : عمر بن عبد العزيز ، من سلسلة اقرأ ، طبع ونشر دار المعرفة القاهرة ٦٣ ، ص ٦٩ .

(٣٩) - افان فلوتن : السيادة العربية في عهد بشي امية ، مطبعة السعادة ١٩٣٤ ، ص ٦٢ - ٦٣ .
(٤٠) - عن اسباب العصبية القبيلية ودورها في سقوط الخلافة الاموية : انظر المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، من ص ٢٤٢ - ٢٤٦ - وانظر سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٤٦-١٤٨ .
(٤١) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٣٤ .

(٤٢) - فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية الطبعة الاولى ، طبعة دار الارشاد بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٢٤ نقلًا عن الامامة والسياسة .

الفرعين التبليين . فان هدا الانحياز أدى الى استيقاظ روح الغصبية القبلية بينهما . وادى الى تقوير الفرعين عن مساندتهما وانحياز العرب اليمنية الى العباسيين . وكان لهذا ما كان من دور بارز في انهزام مروان بن محمد في معركة الزاب . ثم اضطراره الى الانسحاب من بلاد الشام ومقتله . وسقوط الخلافة الاموية .

— وقد أجمل أحد شيوخبني أمية أسباب سقوط الخلافة الاموية فقال :

(انا شغلنا بالذاتنا عن فقد ما كان فقده يلزمنا ، فظلمتنا رعيتنا فيلسوا من انصافنا ، وتنموا الراحة علينا ، وتحومل على اهل خراجنا فتخلوا عنا ، وخربت ضياعنا فخلت بيوت اموالنا ، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقيهم على منافعنا ، وأمضوا أمورا دوننا أخروا علينا ، وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا ، واستدعاهم أعادينا فتضافروا معهم على حربنا ، وطلبنا اعداؤنا فعجزنا لقلة أنصارنا ، وكان استئثار الاخبار عنا من أو كد أسباب زوال ملوكنا)^(٤٣) .

— لقد أدت هذه الحركات المتعددة الى اضطراب حبل الامن ، فهاجمت الفتنة وانداعت الثورات في كل مكان . ومع كل ذلك فقد تمكّن مروان من القضاء على حركات العرب اليمنية في الشام .^(٤٤) كما استطاع القضاء على حركة عبد الله بن معاوية في العراق ، ففر الى خراسان^(٤٥) . وكذلك فإنه تسكن من القضاء على ثورات الخوارج . وقام بكل ذلك بكفاية ومقدرة^(٤٦) . ولكنه حين تمكّن من القضاء على هذه الحركات كان مشرق الخلافة الاسلامية يشتعل نارا . فقد قامت حركة تطالب باصلاح الاوضاع الاجتماعية ، وهي حركة الحارث بن سريج^(٤٧) ،

(٤٣) - المسعودي : هروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٤١ .

(٤٤) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٤٥) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١١٥ .

(٤٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٤٤ - ٣٤٧ و ص ٣٤٨ و ص ٣٤٩ - ٣٥٣ .

ص ٣٧٤ - ٣٧٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٦٤ وما بعدها حتى ص ١٦٩ .

(٤٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٥ و ص ٣٠٩ - ٣١٠ ، وص ٣٣٠ .

٣٣٤ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١١٥ - ١١٧ .

كما اندلعت ثورات قبلية قام بها جديع بن علي الكرماني . ولما قتل قاد ابنه علي الشورة (٤٨) .

— كان التذمر يعم المنطقة الشرقية ، فخراسان ومنطقة ما وراء النهر بعنابرها العربية المسلمة التي استوطنتها بعد الفتح والفارسية المسلمة منذ انتشار الاسلام ، وفي الفرات التالية ، والتركية المسلمة حديثاً كانت في حالة تذمر . فقد ابى امويون ضريبة الجزية والخروج على المسلمين الجدد ، اللهم ماعدا عمر بن عبد العزيز . كما اشتروا كاهل الاهالي بضرائب اضافية كضريبة المهرجان والنوروز ، وغيرهما .

وفوق كل هذا وذاك فان هذه الفئة حرمت من العطاء ، ويتبين ذلك مما قاله أحدهم لخليقته عمر بن عبد العزيز حين قابله (يا أمير المؤمنين عشرون الفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من اهل الذمة يؤخذون بالخروج) . وكان جواب عمر الى واليه (انظر من صلی قبلك الى القبلة فضع عنه الجزية) (٤٩) .

وعلى هذا الشكل فقد تذمر الموالي من الظروف السيئة التي عاشوها ، ولم تكن هذه الظروف وقعا عليهم ، بل ساعت حال الكثرين من العرب . فقد تسلطت الاستقرارية العربية التي برزت زمن الحكم الاموي ، وفترة الدهاقين (٥٠) من رجالات الاقطاع الفارسي — التي استمر تفوذهما في ظل البيت الحاكم — على الفئات الاخرى من الموالي والعرب وعلى فئات الشعب فتذمرت منهم ، وبيوبيه تذمر بعض

(٤٨) — الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٨٥ - ٢٩٣ ، و ص ٣٦٧ - ٣٧١ و ص ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(٤٩) — الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٥٩ . ويلاحظ أن عامة المسلمين خلطوا بين الجزية والخرج ، فعلى حين يذكر الرجل لعمر بن جماعته اسلموا ويؤخذون بالخرج على ما يرفع عن النبي حين يسلم ضريبة الجزية . وقد اندرك عمر بن عبد العزيز موقفه وخاطب عامله بوضوح الجزية عن الناس .

(٥٠) — الدهاقين / هم طبقة النبلاء من الفرس المظليين وكانتوا في العهد الساساني مسؤولين عن تنظيم الفرائب وجبايتها . وكانت الدولة تعفيهم من الفرائب ، بينما يقع عبئها على كاهل الفلاحين .

فئات العرب من الأوضاع في خراسان ما أورده الدكتور فاروق عمر^(٥١) حيث يقول :

(ان المتذمرين من العرب المستقررين ، التابعين لقبائل متباعدة الذين حرموا من العطاء ، والذين نظروا بعين الحسد الى اخوانهم المقاتلة من أصحاب الامتيازات ، كان هؤلاء العرب المستقررين يأملون تغيرا في الطبقة الحاكمة ، ان هذا يفسر حقيقة كسب الدعوة العباسية لا لليمانية وخلفائهم الربعية فحسب ، بل وحتى المضرية الذين كانوا يشعرون بخيبة أمل)

ويتضح من هذا بأن قسمًا من العرب الذين لم يكن لهم شرف الاتصال بالطبقة الحاكمة وأولئك الذين هاجروا الى خراسان لمساكنهم للدولة الاموية كانوا يعيشون كغيرهم على هامش الاحداث ، ويشعرون باهمال السلطة الاموية لشؤونهم ، كما كانوا يخضعون لنظام الضرائب القاسي ، وجور الدهاقين المكلفين بجباية الضرائب في المقاطعات الشرقية ، فتعصبوا بعضهم البعض ، وتكتلوا ضمن عصبيات وأحلاف جديدة ، وانضموا الى صفوف التائرين على الدولة الاموية ، وأيدوا الثورة العباسية ، ووقفوا صفا واحدا مع الموالي ضد الفئة العربية الأخرى التي تتمتع بالامتيازات وتنقسمها مع فئة الدهاقين مثلي الارستقراطية الفارسية^(٥٢) . وفوق هذا وذاك ، فان العرب المقاتلة ، كان لهم ما يدعوهم الى التذمر والشكوى ، فقد كانوا يوجهون بين الفينة والفينة لاخضاع البقاع الثائرة والمتمردة فيما وراء النهر ، ولما كانت الثورات متكررة فقد جمد المقاتلة بانغماسه وفي خطوط القتال ، ولم يسمح لهم بالعودة الى أهلهم وذويهم لقضاء فصل الشتاء . يضاف ، الى اسباب تذمرهم شعورهم بالغبن المادي ، اذ أن حكام الامويين لم يكونوا يعطونهم حقهم من الفيء والغنائم . فالنفائس يحتفظون بها لأنفسهم أو

٥١) - الدعوة العباسية ، ص ٨٣ .

٥٢) - ان استمرار نفوذ الدهاقين في المهد الاسلامي نتج عن بنود المعاهدة التي عقدت بين المسلمين ومرزبان جرو حين فتحت خراسان ، وقتل يزدجرد الثالث آخر اكاسرة الفرس وكان من بنود هذه المعاهدة انه ليس للMuslimين شأن بتقدير الضرائب ، بل عليهم ان يتسللوا مقدارها من الدهاقين . الذين تركت ادارة خراسان بيدهم . انظر فاروق عمر : الرجع السابق ، ص ١٣٦ .

يرسلونها الى الخليفة ، ليكتسبوا مكانة في البلاط . بينما يصر شيوخ القبائل المقاتلة على الاحتفاظ بأربعة اخemas الغنية وهي حقهم الشرعي .



وهكذا تضافرت عوامل متعددة ، أدت الى سقوط الخلافة الاموية وقيام العباسية ، وأصبح مروان بن محمد غير قادر على الصمود أمام جميع القوى التي تضافرت ضده ، ولا سيما الدعوة العباسية التي استغلت اضطراب الوضع في أرجاء مناطق الخلافة غاية الاستغلال . وخرجت من السرية طارحة شعاراتها التي رأت أنها ستكون الدواء لمعظم أدواء المجتمع . وعاش الناس هذه الفترة المضطربة من تاريخ الخلافة الاموية عيشة يسودها التشاؤم . وانبىء بعض الشعراء يصفون الوضع العام ، فهذا أحدهم يقول :

أبيت أرعى النجوم مرتفقا
إذا استقلت تجرى أوائلهما
من فتنة أصبحت مجلدة
فدعهم أهل الصلاة شاملهما
من بخارasan وال伊拉克 ومن
بالشام كل شجاه شاغلها^(٥٣)

وقال نصر بن سيار مخاطباً مروان بن محمد ، واصفاً الحالة المتردية في البلاد والعواقب التي ستنتهي إليها فقال :

كالثور اذا قرب للناخس
عذراء بكرا وهي في الثالث
واسع الخرق على الراقع
اعيا على ذي الحيلة الصانع^(٥٤)
انا وما نستكم من أمرنا
او كالي يحسبها أهلها
كنا نفيها فقد مزقت
كالثوب اذا أنهى في البلى

(٥٣) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٨٦ .

(٥٤) - المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٥٨ .

الدعوة العباسية

واجه خلفاء بني أمية ، كما مر معنا عددا من حركات المعارضة ، وعلى رأسها حركات الشيعة ، التي تدعوا فيما تدعوا اليه ، لبني هاشم (اهل البيت) بصفة عامة ولعلي وأبنائه من بعده بصفة خاصة . وقد قام اتباع تلك الحركة الاخيرة ، بثورات عديدة في العصر الاموي باعت جميعها بالفشل . بينما لم يرفع أبناء وأحفاد العباس سلاحا في وجه الامويين . وكل ما قاموا به هو اثمار تأييدهم لبني عمومتهم وتعاطفهم مع حركاتهم . ويفاجأ المرء بهذه الفواهر بنجاح العباسيين في تأسيس خلافتهم اثر سقوط خلافة الامويين ، فكيف تم هذا الامر ؟ أو بصيغة اخرى كيف اتقلست الدعوة من الهاشميين الى العباسيين ؟ . يبدو أن طموح العباسيين للوصول لمنصب الخلافة ظهر متأخرا وبعد انقسام شيعة علي اثر الضربات العديدة التي تلقوها . وان كان الغموض يكتنف بداية ظهور هذا الطموح والظروف التي بدأ فيها أول مطالب بالخلافة لآل العباس ، وهو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس^(١) .

وللتوضيح ذلك لا بد من ذكر الروايات المتعددة في هذا المجال ، والتعليق عليها .

تذكّر بعض المصادر أن محمد بن علي بيع بالامامة من قبل أبي هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ، وكان الاخير قد ذهب الى دمشق بناء على دعوة من الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك . وعلم سليمان اثناء هذه المقابلة بأنّ لابي هاشم دعوة سرية وأنّ له انصاراً يطیعونه . فأحب أن يتخلص منه ، فأوعز

(١) - المعروف بان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان يقيم في بلدة العجمية جنوب البحر الميت ، وكانت هذه اقطعت لابيه علي بن عبد الله .

بدس السم له عقب مغادرته لدمشق ^(٢) . وحين شعر أبو هاشم بتردي حالته بعد أخذنه للطعام المسموم ، وهو في منطقة قرية من الحميّة ، أدرك بأنه لا مجال للتتردد ، وأن عليه أن يدخل الحميّة ، وفيها قام بمبایعه محمد بن علي قائلا له : أنا كنا نظن أن الإمام والامر فينا ، فقد زالت الشبهة ، وصرح اليقين ، فانك الإمام ، وإن الخلافة في ولدك فعليك بالكونفة ، فان فيها شيعتك وأهل مودتك ، واجتنب الشام فليس محتملا دعاتك ، ولا يصلح لهم . وعليك بخراسان ، فوجه إلى خراسان رجلا ، وأمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد ولا يسمى أحدا . كما سلمه وصيحة أبيه ^(٣) ، التي فيها ان الامر صائر إليه ، والى ولده ، وأعلمته الوقت الذي يكون فيه والعلامات وكل ما ينبغي أن يعمل به . كما أعلمته ماروي عن أبيه علي بن أبي طالب ، بأن الامر لعبد الله بن الحارثية ثم عبد الله اخوه ^(٤) . وأضاف إلى ذلك فقد أعلمته أن له دعاء وكشف له عنهم . وأعطاه العلامات وسلم له خاتما كان في اصبعه يختتم به الكتب إلى الدعاة ، ^(٥) وكتب يعلم شيعته من أهل خراسان والعراق أن الامر صائر إلى ولد محمد بن علي ، وأمرهم بقصده من بعده ، فرضوا به وسلموا الامر إلىبني العباس ^(٦) . ويثير موضوع هذا التنازل شكوكا وتساؤلات يصعب القطع بها . فمن المعروف أن آل العباس لم يظهروا في أي فترة سابقة ادعاء أو طموحا في موضوع الخلافة ، لأن جدهم العباس أسلم متأخرا ، وإن كان يظهر عطفه على ابن أخيه ^(٧) . وكان موقف أبناء العباس في الصراع بين العلوين والأمويين ، ولاسيما بعد مقتل علي أشبه بموقف العباس ، يؤيدون أبناء عمومتهم دون أن يقتوا موقعا عدائيا صريحا من الأمويين . ما عدا ما ذكر عن العذاب

(١) - عن تفاصيل هذه الرواية ، انظر العيون والحدائق : مؤلف مجهول ص ١٨١ .

(٢) - قد تكون هي الصحيفة الصفراء التي يذكرها المؤلف المجهول في مخطوطة أخبار العباس ووالده .

(٣) - المقريزي : مخطوطة المقني في تاريخ مصر والواردين إليها . نسخة مصورة عن مجلدة باريس في مكتبة الدكتور سهيل زكار ، ورقة ٧٦ وجه وظهر .

(٤) - العيون والحدائق : ص ١٧١ - وانظر المعارف لابن قتيبة ، تحقيق ثروت عكاشه العلية الثانية . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ، ص ٢١٧ فهو يذكر هذه الرواية باختصار .

(٥) - المقريزي : المصدر المسبق ، ورقة ٦٤ وجه وظهر - العيون والحدائق ، ص ١٧١ .

(٦) - انظر فيما سبق .

الذى ناله عبد الله بن علي العباسي على يد الامويين من ضربه بالشمس ، وصب
الزيت فوق رأسه ونفه الى جزيرة دهلك ^(٨) . كما أنه من المعروف أن آل علي
وشيونهم يتمسكون بحقهم في الخلافة تمسكا وصل بالكثيرين الى حد الغلو
والتلغرف ، ومن هؤلاء الكيسانية ، وأبو هاشم زعيمهم ، وإذا قرأت الرواية نفسها
كما أوردها ابن طباطبا ، ^(٩) لوجدنا أن هناك خلافا بين الروايتين ، فابن طباطبا يرى
أن آبا هاشم لم يتنازل عن الامامة لمحمد بن علي ، بل يذكر بالحرف الواحد :
(۰۰۰) فأعلم أنه ميت وأوصى إليه ، وكان بصحته جماعة من الشيعة فسلمتهم إليه
أوصاه فيهم . ثم مات رضي الله عنه ، فتهوس محمد بن علي بن عبد الله بالخلافة
منذ يومئذ) . وقد يأخذ المرء الكلمة أوصى إليه ، بأن آبا هاشم أوصى إليه بالخلافة ،
ولكن تتمة الرواية توضح المقصود .

والى جانب هذه الرواية ، فإن هناك روايات أخرى جاءت في متن كتب التاريخ
معايرة لهذه الرواية ، منها ما ذكره صاحب كتاب العيون والحدائق أيضا
ومقرizi ^(١٠) ، عن بيعة محمد بن علي فقال (لما اراد الخراسانيون القيام في أمر
الدعوة لواحد من آل رسول الله (ص) ، قالوا لا يصلح هذا الامر الا لرجل من
هؤلاء القوم ، ولا يصلح الا لرجل يجمع الناس على أن فيه ثلات خصال يكون
أعظمهم شرفا وأفضلهم في نفسه دينا وأسخاهم كفا ، فيكون قوم يتبعونه لشرفه
وموضعه ، وقوم يتبعونه لبراعته وفضله ، وقوم يتبعونه لشجاعته وكرمه) . فقدموا
المدينة . فدلوا لهم على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فمضوا إليه ^(۰۰) وتدل
هذه الرواية دلالة صريحة على أن الفضل في البيعة لحسد بن علي يعود للخراسانيين .
 وأن هؤلاء كانوا يريدون رجالا من أهل البيت سواء أكان علويا أم عباسي أم جعفريا .

(٨) - المقرizi : المصدر السابق ، ورقة ٦٤ ظهر وقد وردت برواية أخرى في ورقة ٦٥ ظهر
من محمد بن علي وأضاف إلى ذلك انه أخذ منه ماله .

(٩) - ابن طباطبا : التغريبي في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار بيروت ١٩٦٦ ، ص ١٤٣ .

(١٠) - العيون والحدائق ، ص ١٧٩ - المقرizi المصدر السابق ، ٦٥ وجه .

وورد في الكتاب نفسه رواية أخرى فحرواها أن رسول الله (ص) أعلم عمه العباس أن الخلافة تؤول إلى ولده . ويقول هذا الحديث المنسوب للرسول أنه عليه السلام قال لعمه العباس رضي الله عنه : إنها ستكون في ولده . وأنه حين أتاه بابنه عبد الله أذن في أذنه ، وتنقل في فيه ، وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ثم دفعه إلى أبيه وقال له : خذ اليك أبا الاملاك⁽¹¹⁾ .

ويرى ابن خلدون بأن الدولة العباسية من دول الشيعة ، وأن العباسين من فرق الكيسانية وهؤلاء — كما هو معروف — يقولون بامامة محمد بن علي بن الحنفية بعد علي بن أبي طالب ، ثم من بعده إلى ابنه أبي هاشم عبد الله ثم إلى محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس⁽¹²⁾ .

ويذكر ابن خلدون أيضاً رأى الرواوندية من أهل خراسان في خلافة العباسين .
ويرى أن هؤلاء يزعمون بأن العباس أحق الناس بالامامة بعد النبي (ص) لأنه وارثه وعاصره لقوله تعالى في كتابه الكريم (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، وإن الناس متّعوه من ذلك وظلموه إلى أن رده إلى ولده . ويذهبون إلى البراءة من الشيختين وعثمان ، ويجيزون بيعة علي لأن العباس قال له : يا ابن أخي هلم أبايعك فلا يختلف عليك اثنان⁽¹³⁾ . ومهمماً اختفت الروايات ، فيمكن القول بأن الدعوة العباسية كانت دعوة سياسية ، اخذت عن الشيعة دعوتهم إلى حرق آل البيت في الخلافة دون حصرها في آل علي وفيما عدا ذلك فإن العباسين ظلوا من أهل السنة كالأمويين .

بدأ محمد بن علي بتنظيم أمور الدعوة منذ سنة ١٠٠ - ١٠١ / ٧١٩ - ٧٢٠ م مستفيداً من التسامح الذي طبع به عهد عمر بن عبد العزيز ، ومستفيداً من

(11) - المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٢٠١ وجه وظاهر . كما أورد روايات أخرى كثيرة موضوعة على النسق نفسه لتقوية مركز العباسين وبيان أحقيتهم بالخلافة ، إلى جانب روايات أخرى تدل على مركز عبد الله بن عباس العلمي الكبير . انظر ورقة ٢٠٢ وجه وظاهر .

(12) - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر ، جزء ٣ ، ص ١٧٣ .

(13) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٣ .

النسق العام الذي وضعه ابو هاشم قبله . وقد يكون هذا النسق العام للدعوة العباسية ، مبنيا على ما جاء في الصحيفة الصفراء (١٤) . والتي تذكر ان أبو هاشم ورثها عن أبيه محمد بن الحنفية ، وبدوره ورثها عن أبيه علي بن أبي طالب . وتتضمن هذه الصحيفة أخبار ريات خراسان السود متى تكون ؟ وكيف تكون ؟ ومتى تقوم ؟ ومتى زمانها ؟ وعلماتها وآياتها ، وأي أحیاء العرب أنصارها ، وأسماء رجال يقومون بذلك وصفتهم . وإذا صح ما جاء في هذه الصحيفة ، وصح اعتماد أصحاب الدعوة عليها . فان التنسيق يكون أسبق من أبي هاشم ، وأن محمد ابن علي حين أخذ الدعوة سار على هديه وأخذ الخمس والهدايا من أتباعه ، كما كان يفعل أبو هاشم .

— رکز محمد بن علي على نقاط كان لها دور كبير في نجاح الدعوة العباسية ، فعلى حين اتخاذ الحمية مرکزا له ، فانه بث دعاته في العراق وخراسان ، حيث اتخذوا من الكوفة ومرو مرکزين لنشاطهم كما عمل :

— على نشر الدعوة برفق وتنستر ، وأخذ يبعث رجاله على تطبيق ذلك ويقول لهم (فانطلقو أيها النفر ، فادعوا الناس في رفق وتنستر ، فاني أرجو الله أن يتم أمركم ويظهر دعوتكم ولا قوة الا بالله) .

— بث الثقة في نفوس أتباعه . وروج بينهم وعن طريقهم احاديث نسبت الى الرسول الكريم (ص) ، تؤكّد نجاح الدعوة التي يدعون اليها (١٥) . وقد كان أبوه عبد الله بن علي فعل ذلك قبله . فقد تنبأ لابنائه بالنجاح بالشرق ، ولابناء عمومته بالغرب (١٦) . كما أشعر انصاره بأنه قد آن آوان ظهور الحق . ومن أقواله في ذلك :

(١٤) — وهي صحيفة ترد في مخطوطة أخبار العباس وولده المؤلف مجهول انظر فاروق عمر : (طبيعة الدعوة العباسية) ص ١١٣ .

(١٥) — انظر فيما سبق .

(١٦) — المقرizi : المصدر السابق ، ورقة ٦٥ وجه .

(هذا أوان ما نأمل ونرجو من ذلك ، لانقضاض مائة من التاريخ . فانه لم تنقض مائة سنة على امة فقط الا أظهر الله حق المحقين ، وأبطل بطل المبطلين لقول الله جل اسمه « أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه »)

— تخفي الدعاة بزي التجار ، محافظة على الدعاوة واصحابها ، وزيادة في سرتتها ، فقد كان الدعاة يتعاطون مع أهالى البلاد التي يدخلونها على أساس أنهم تجار ، فيبيعون ويشترون ، وكلما وثقوا بأحد دعوه الى دعوتهم . وليس معنى ذلك أنهم امتنعوا بذلك عن المخاطر ، فقد كانوا يتقدون في أيدي أصحاب السلطة ، ولذلك انهم وبراعتهم كانوا يتذكرون من الخروج بضمان أو سواه ، ويتلقون في القطر بحرية بعد خروجهم . وربما كان ولادة العراق وخراسان يخرجونهم من السجن ، لأنهم لم يدركوا خطراً الحركة التي يدعون إليها على أسيادهم خلفاء دمشق . ومن الأمثلة على ذلك أنه سنة ١٠٢ هـ / ٧٢١ م أرسل ميسرة النبال بعض رسله من العراق الى محمد بن علي ، فسعى بهؤلاء بعضهم الى والي العراق الذي قبض عليهم ، الا انهم احتجووا بأنهم من التجار ، وخرجوا من السجن بضمانة بعض رجال من ربيعة واليمين ^(١٧) .

— ولم تكن النجاة دائمًا نصيب هؤلاء الدعاة الذين يقعون في قبضة ولادة الامويين ، فقد تعرض بعضهم للجلد وأحياناً للموت . وخاصة بعد ان أدرك الامويون كنه هذه الدعاة الجديدة ، ففي سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٨ م أرسل محمد بن علي أبو محمد زياد مولى همدان الى خراسان ، فسعى به بعضهم الى والي المنطقة أسد بن عبد الله ، فاعتذر اليه بالتجارة ، وتمكن من النجاة في المرة الاولى ، الا انه بعد ان عاد الى امره ، احضره والي خراسان وقتله في عشرة من أهل الكوفة ^(١٨) .

(١٧) — الطبرى : المصادر السابق ، جزء ٦ ، ص ٦١٦ - ٦١٧ - ابن خلدون : المصادر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٠١

(١٨) — الطبرى : المصادر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٩ - ٥٠ - ابن خلدون : المصادر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٠١

وكذلك فان أسد بن عبد الله تمكן في ولادته الثانية سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م من القبض على سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وموسى بن كعب ، ولاهز بن قريظ فعاقبهم بالضرب ثم أطلقهم بعد أن شهد بعض رجال الأزد ببراءتهم (١٩) .

— حادث محمد بن علي للأصحاب أسماء القبائل والمدن التي يمكن الاعتماد عليها . فقد نسب إليه أنه قال (أما الكوفة وسواها فشيعة علي ، وأما البصرة فعشمنية تدين بالكف (٢٠) ، وأما الجزيرة فحروبية وأعراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بنى أمية عداوة راسخة وجهل متراكم . وأما مكة والمدينة فقد غالب عليهم أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكبير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتنفسها الاهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدح فيها فساد ، وهم جند لهم آبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحمي وشوارب وأصوات هائلة ولعات فخمة تخرج من أجسام منكرة . وبعد فاني اتفاءل الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصبح الخلق (٢١) . وقد عمل كثير من المؤرخين على تحليل هذا الكتاب ، فاجاد بعضهم تحليل سبب اختيار خراسان ، ومن هؤلاء ابن طباطبا (٢٢) فأوضح بأن أهالي الحجاز قليلون ، وأما أهل الكوفة والبصرة ، فقد سبق أن فشل أهل البيت حين اعتمدوا عليهم ايمان علي بن أبي طالب والحسن والحسين . وأما أهل الشام ومصر فهو لهم مع بنى أمية ، ولذلك فان محمد بن علي قد ركنا الى أهل خراسان .

(١٩) — ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٠١ .

(٢٠) — الكفية ، صفة لفترة من الناس كانوا يكتفون من الرزق بكف من الحنطة ، وأنهم لا ياخذون ملا ، ويقدمون ما لهم يكتفون به الخير مقابل الجنحة . ويفهم من ذلك انهم جماعة لا تهمهم أمور الدنيا ، النظر المقربي : المصدر السابق ، ورقة ٨٠ وجه — وانظر شاكر مصطفى : في الدعوة العباسية ، ص ٨٤ .

(٢١) — الهمداني : مختصر تاريخ البلدان ص ٣١٥ — المقتصي : احسن التقسيم في معرفة الاقاليم ، جزء ٣ ، ص ٢٩٣ — وقد اورد المقربي : المصدر السابق ، ورقة ٦٥ ظهر رواية مشابهة في معناتها لهذه الرواية .

(٢٢) — المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

ولابد لنا ونحن في خضم بحث الدعوة العباسية ، من متابعة تحليل سبب اختيار محمد بن علي لخراسان كمركز للدعوة ، بعد أن استعرضنا تحليل ابن طباطبا لها ، وسنعتمد في عملنا هذا على كتاب محمد بن علي السالف الذكر ، وعلى ما عرفناه عن أوضاع وتاريخ تلك المنطقة في فترة بدء الدعوة العباسية ومن خلال ذلك يتضح لنا ما يلي :

* استعرض محمد بن علي مناطق الخلافة الإسلامية ، لاختيار مركز للدعوة فوجد أن الكوفة وسواتها شيعة علي بن أبي طالب ، وأهالي مكة والمدينة رأوا أن الخلافة شورى بين المسلمين ، وأهالي الجزيرة من الغوارج يرون أن الخلافة حق لكل مسلم ، وأهالي الشام غارقون في حببني أمية وطاعتهم ، وأهالي البصرة لا يهمهم الخوض في المنازعات السياسية دون طائل . أما خراسان فأصلاح المناطق لنشر الدعوة ، لميزاتها المتعددة التي يمكن تلخيصها بما يلي :

أ— أن أهالي خراسان كثيرون في أعدادهم ، أقوياء في أجسادهم ، صابرون على المكاره (فهم جند لهم أجذان وأجسام ، ومناكب ، وكواهل ، وهامات ، ولحى ، وشوارب ، وأصوات هائلة ولغات فخمة) .

ب— نقوسهم وصدورهم سليمة ، لم تتوزعهم النحل ، ولم يقدح فيهم الفساد .

ج— فوق هذا وذاك فهم ينکرون على الاميين كثيراً من الامور ، وبشكل خاص التفرقة بين فئات المجتمع .

د— ثقاؤله بالشرق حيث مطلع النور الذي يضيء الدنيا .

هـ— كان العباسيون يرون بل يعتقدون أن صحة التعبير ، أن الرؤى السود المؤازرة لأهل البيت تخرج من خراسان (٢٣) .

(٢٣) — ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٤٤

* ويكن أن نضيف إلى هذه الميزات ما يلي :

أ - بعد خراسان عن مركز الخلافة الاموية *

ب - انتشار التشيع بين الفرس ، وتأييدهم لأهل البيت في الخلافة ، وانتشار فكرة المهدى المنقذ بينهم . وميل هؤلاء إلى إعادة الحق الالهى إلى أصحابه ، لاعتقادهم بهذه النظرية *

ج - شعور أهالى خراسان بالحيف الاجتماعى الواقع عليهم . ورغبتهم بالطالية بتحسين أوضاعهم ، وتحقيق مبدأ المساواة الذى دخلوا في الإسلام مطمئنين إلى تحقيقه ، وبالتالي فإنهم مستعدون لتأييد أي حركة تهدف إلى القضاء على الحكم الاموى *

استغل دعاة العباسين العصبية القبلية استغلالاً مكنتهم من النجاة من الاخطار والمازق حين ينكشف أمرهم . ففي سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م قبض أسد ابن عبد الله على جماعة من دعاة بني العباس بخراسان ، فقتل بعضهم ومثل الآخرين ، وسجن فريقاً منهم . وكان من هؤلاء سليمان بن كثير ، وممالك بن الهيثم وأخرون ، فخاطبهم أسد بقوله (يافسة ألم يقل الله . عفا الله عما سلف ومن عاد فيتقم منه ، والله عزيز ذو انتقام) *

فقال سليمان نحن والله كما قال الشاعر :

لـو بغير الماء حلقي شرق
كـنت كالغصان بـماء اعتصاري

تدري ما قصتنا ؟ صدت والله العقارب بـسـدـكـ اـيـهاـ الـامـيرـ . اـنـاـ اـنـاسـ منـ مـكـ ، وـاـنـ هـؤـلـاءـ المـضـرـيـةـ اـنـماـ رـفـعـواـ اـلـيـكـ هـذـاـ لـاـنـاـ كـنـاـ اـشـدـ النـاسـ عـلـىـ قـتـيـةـ بـنـ مـكـ . وـاـنـماـ طـالـبـواـ بـثـأـرـهـ . وـقـدـ نـجـحـ هـؤـلـاءـ الـيـمنـيـةـ وـالـرـبـعـيـةـ بـهـذـهـ الـجـيلـةـ (٢٤) *

الثوري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ - المقتضي : المصدر السابق ، والله

شاهر *

— وفوق هذا وذاك فقد كان اخفاء اسم الامام المدعو اليه من أكبر عوامل نجاح الدعوة . فلم يكن يعرف اسم الامام الا المقربون جدا . ولم يكن يسمح لسوادهم بذلك . ويدل على ذلك ما ورد على لسان محمد بن علي الى كبير دعاته فقال : (ول يكن اسمي مستورا من كل أحد الا عن رجل عدلك في نفسك وتوثقت منه ، وأخذت بيته) ^(٢٥) .

— قلم محمد بن علي الدعوة تنظيما جيدا ، فاختار اثنى عشر نقيبا من سبعين داعيا ، وجعل على رأسهم نقيب النقباء بالإضافة الى نظراء النقباء ودعاة الدعوة ^(٢٦) . وأما النقباء فهم : سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وزياد بن صالح ، وطلحة بن رزيق ، وعمر بن أعين من خزانة ، وقطيبة واسمه زياد بن شبيب ابن خالد بن معدان من طيء ، وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ ، والقاسم بن مجاشع ، وأسلم بن سلام من تميم ، وابو داود خالد بن ابراهيم من بكر بن وائل منبني عمر بن شبيان أخي سلوس وأبو علي الهروي ^(٢٧) . وكان هؤلاء النقباء يأخذون البيعة من الناس على كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه (ص) ، والطاعة للرضا من أهل بيته رسول الله (ص) .

جعل اجتماعه بالنقباء في موسم الحج ، حيث يأتون اليه بالمال ، ويأخذون منه الاوامر ويتشاورون معه بشؤون الدعوة ، وما استجد من أمور . ومن أمثلة اجتماعهم به الاجتماع الذي تم سنة ١٢٥هـ / ٧٣٤م ، اذ قدم سليمان بن كثير، ومالك ابن الهيثم ، ولاهز بن قريظ ، وقطيبة بن شبيب ، وهم أعيان الدعوة في خراسان الى مكة ، حيث اجتمعوا بمحمد بن علي ، وقد تحدثوا في هذا اللقاء عن أبي مسلم

(٢٥) - فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٥٥ نقلًا عن مخطوطة اخبار العباس وولده .

(٢٦) - المقرئي : المصدر السابق ، ورقة ٦٥ وجه - فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ٢٣ عن اخبار العباس .

(٢٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٦٢ وجزء ٧ ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ - المقرئي : المصدر السابق ، ورقة ٦٤ ظهر بخلاف بسيط

الخراساني (٢٨) . وما رأوا من جرأته وحسن كلامه . فطلب منهم أن يجندوه للدعوة ، كما أعلمهم محمد بن علي ، بأن خلفه بعد وفاته ابنه ابراهيم لثقته به . وقد أحضر هؤلاء الدعاة معهم إلى محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسي بثلاثين الف درهم . وهذه المبالغ قد اختلف المؤرخون في قيمتها ، ولا ضير في ذلك . مما يهمنا من الأمر هو معرفة أن انصار العباسين كانوا يؤدون إليهم مبالغ مالية سنوية (٢٩) ، تزيد بازدياد هؤلاء الانصار ومقدرتهم .

جعل محمد بن علي للدعوة شعارات مختلفة تناسب مع المنطقة التي يدعى فيها ، وكانت شعارات الدعوة العامة الدعوة للرضا من آل محمد دون تعين اسم الإمام . (٣٠) والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والقضاء على أهل الجور ، والثار لأهل البيت . وعلى الرغم من ذلك فقد اتخدت الدعوة العباسية واجهة متطرفة أخفقت عن العرب بالذات ، بينما طرحت هذه الواجهة على العناصر الحديثة الاسلام من الاعاجم ، ملونة بعض المعتقدات السائدة بينهم كالمزدكية . وهذا يفسر ماقام به عمار بن يزيد (خداش) رئيس الدعوة في خراسان سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦ م من نشر مبادئه لاتمت الى الاسلام بصلة ، من دعوة الى الاشتراكية بالمال

(٢٨) - لا يعرف الكثير عن الأصل أينها مسلم . وقد أرجعه كل مؤرخ الى مكان وعنصر . فاعتبره بعضهم من الأصل عربي مردود الىبني عجل او الىبني العباس انفسهم ، وبهجهوه أبو دلامة فيصفه بأنه كردي الأصل ومهما يكن الأمر فإنه عرف بأنه كان مولى مرافقا للعجلين المؤدين للدعوة ، وإنه تعرف وهو معهم على بعض الدعاة العباسيين الذين توسموا فيه النجابة فحملوه الى محمد الإمام ليستفيد منه . فاعطاه أسم عبد الرحمن بن مسلم وكتاه بابي مسلم . والتكتن حكر على الصرب قبيل الدعوة العباسية واستخدمه وسيطاً بينه وبين كبار العاملين في الدعوة . وبذلك تعرف على مناطق الدعوة واعصانها وأجوائها قبل أن يكل بالجهة بها وإعلان الثورة . انظر السعودي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٥٤ - وانظر المريزي : المصدر السابق ، ورقة ٦٦ - ٦٥ - ٦٦ وجه وظاهر - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٢٩) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٢٩ - العيون والحدائق ، ١٢٨ - ابن خلدون :

المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٠٢

٢ - تبيشورى في كتابه الامامة والسياسة ، طبعة القاهرة ١٣٢٢ هـ ، جزء ٢ ، صفحة ١٤٣ -

٣ - يذكر ابن هؤلاء اجتمعوا بمحمد بن علي بمكة المشرفة ومعهم شرين ألف دينار ومائتي ألف

درهم . وحيثك ومتاع المقربين ، ورقة ٦٦ وجه .

٤ - : المصدر السابق ، ورقة ٦٥ وجه .

والنساء^(٣١) . وحين افتضح أمره قبض عليه والي خراسان الاموي وصلبه
ويرى المقريري ان خداش تصرف هذا التصرف بنفسه ، فغير بذلك سنن الامام ،
وبدل مكان من سيرة قبله^(٣٢) . مما اضطر الامام الى أن يتبرأ منه برسالة عامة
وجهها الى الدعاة أكد فيها على ضرورة الالتزام بكتاب الله وسنة نبيه . وببدأ بالتالي
الابتعاد عن مبادئ الغلو التي ورثتها الدعوة العباسية عن الكيسانية ، واقتصرها
على ماجاء في الكتاب والسنن^(٣٣) .

وتوفي محمد بن علي الامام بعد ذلك بفترة بسيطة ، وصار الامر لولده
ابراهيم الذي سمي باسم ابراهيم الامام^(٣٤) . ووجه الاخير بكير بن ماهان الى
خراسان ، وبعث معه بالوصية . فقدم مرو حيث جمع النقباء والدعاة ، فنفع اليهم
محمد بن علي بن عبد الله ، ودعاهم الى ابراهيم ، فقبلوا ودفعوا اليه ما اجتمع
عنه من النفقات^(٣٥) . واخذ الدعاة ورؤسهم يترددون الى الامام الجديد ،
ويعلمونه كل ما يتعلق بشؤون الدعوة^(٣٦) .

عمل ابراهيم الامام على دفع الدعوة قدما ، وساعدته على ذلك عدد من رجاله
من امثال أبي سلمة الخلال^(٣٧) الذي تسلم رئاسة الدعوة في الكوفة بعد وفاة بكير
ابن ماهان . ثم ما لبث أن ارتفع شأن أبي سلم الخراساني منذ سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م . حتى أن ابراهيم الامام أمره في السنة المذكورة على خراسان ، وما غلب
عليه ، وجعله مثلا له في المنطقة حين طلب منه ارسال من ينوب عنه لاعلان الثورة .

(٣١) - انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٠٩ .

(٣٢) - المقريري : المصدر السابق ، ورقه ٦٦ وجه .

(٣٣) - انظر مخطوطة اخبار العباس ، ص ١٠٠ ب و ١٠١ تصدیر فاروق عمر .

(٣٤) - السيوطي : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، طبعة مصر ١٣٥٥ ، جزء ١ ، ص ١٠٠ .

(٣٥) - السيوطي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠٠ - العيون والحدائق : ص ١٨٣ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، طبعة بيروت ١٨٩٠ ، جزء ١ ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٣٦) - العيون والحدائق : ص ١٨٣ - ١٨٤ - ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٩١ .

(٣٧) - هو مولىبني الحارث بن كعب تعود صلته بالعباسيين الى كونه صهراً لباكيير بن ماهان ، فلما ادركت باكيير الوفاة اخذ مواتفته الامام على ان يقوم ابو سلمة باشر الدعوة . انظر العيون والحدائق ، ص ١٨١ .

وكتب الى أصحابه أن يسمعوا منه ويقبلوا قوله . ويدو أن الامام أعطى أبا مسلم رئاسة الدعوة بعد ان عرضها على سليمان بن كثير الغزاعي فرفضها . كما عرضها على ابراهيم بن سلمة فأبى ، وحين رفض هؤلاء تسلم رئاسة الدعوة في اخرج أوقاتها ، كانوا يطمدون في أن يتسللها أحد أهل البيت . الا أن الامام لم يفعل ذلك خشية انكشاف أمر صاحب الدعوة ، فأعطتها لأبي مسلم . وحين آلت الى الآخر رفض العرب ذلك واضطربوا . ولم تهدأ ثائرتهم حتى اجتمعوا مع الامام وأبدوا له امتعاضهم ، فأمرهم بالسمع والطاعة له ^(٣٨) ، وأوصى أبا مسلم وصيه جاءت في بعض بنودها مشابهة للوصايا التي نسبت الى أبيه محمد بن علي . فقد امره بالاعتماد على العرب اليمنية ، والتفاهم مع ربيعة ، وحذر من الاعتماد على مصر ، وقتل كل من يشك في أمره ، كما أمره بمشورة واعتماد رأي سليمان بن كثير . فقال له : (يعبد الرحمن ، انك رجل من أهل البيت ، فاحفظ وصيتي ، وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمنهم وحل بين أظهرهم ، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم ، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحي من مصر ، فانهم العدو القريب الدار ، فاقتلت من شُكِّت في أمره ومن كان في أمره شبهة ، ومن وقع في نفسك منه شيء ، وان استطعت لا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ، فاما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ - يعني سليمان ابن كثير - ولا تعصه واذا أشكل عليك أمر فاكتف به عنني) ^(٣٩) .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الوصية غير موضوع بها ، وبها بعض فقرات متناقضة ، فكيف يجمع بين سياسة التقرب من العرب وقتلهم !! ويمكن القول بأن عبارة قتل العرب التي وردت فيها من صيغ المبالغة التي لا يقصد بها حرفيّة مضمونها . أما ما ورد في بداية هذه الوصية من قول الامام انك رجل من اهل البيت ، فهو تشبه بما كان من الرسول حين خطّب سلمان الفارسي بقوله : سلمان

(٣٨) - انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٤٤ . وانظر القرىزى : المصدر السابق ، ونفقه ٦٦ وجه .

(٣٩) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، صفحة ٢٤٤ - ابن العميد : تاريخ المسلمين ، صفحه ٩٢ - المقرىزى : المصدر السابق ، ٦٧ وجه

من أهل البيت . ومهما بلغ الشك في هذه الوصية ، فانها تصور تصرفات أبي مسلم عند ذهابه إلى خراسان وتصرفاته بعد دخوله مرو ، ثم اتصاره على نصر بن سيار ، ومن العجائز أنها وضعت كرد على موقف التململ الذي اتخذه العرب من الحركة العباسية بعد تكليف أبي مسلم بالأمرة ، لتفويته موقفه ازائهم^(٤٠) . ويمكن أن تكون قد وضعت لتلخص موقف أبي مسلم من العرب بعد اتصاره على الاميين . ويتلخص هذا الموقف بمحالفة العرب اليونية ، والتفاهم مع ربيعة وكانتا هما ساخطة على سياسة مروان بن محمد ، وعلى واليه نصر بن سيار^(٤١) ، الذي اعتمد على المضرة وحدهم .

وحقيقة الوضع أن الامور لم تكن على ما يرام بين أبي مسلم وسليمان بن كثير ، وأن عرب مصر كانوا على العموم مع والي خراسان نصر بن سيار . ووقف هؤلاء موقعا عدائيا من عرب اليمن ومن الأزد منهم خاصة ، ودخلت ربيعة في هذا الصراع إلى جانب الأزد . ومهما يكن الأمر ، فإن أبا مسلم لذكائه وحذقه ، تمكّن من أن يستغل ظروف الاميين بشكل عام وخراسان بشكل خاص^(٤٢) ، فقد استغل اضطراب جبل الامن في خراسان ، فأخذ يتوسّع في نشر الدعوة . كما انه استغل العداء بين القبائل العربية لمصلحته ، وتمكن في فترة من الفترات من أن يهدّم التحالف الذي حدث بين القبائل للتخلص منه . اذ انه أخذ يرسل كتاباً مشيرة إلى الطرفين ، ويتعمّد اطلاع الاطراف المتنازعة عما يكتبه في خصومها . حتى صار هو الفريقين معه . وأخذ يكتب إلى نصر بن سيار والي الكرمانى يعلّمهم بأن الإمام أوصاه بهم ، وأنه لن يعدو رأيه فيهم^(٤٣) .

(٤٠) - انظر فيما سبق

(٤١) - تولى نصر بن سيار بن أبي رافع خراسان من قبل الخليفة بن عبد الملك بعد وفاة أميرها أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله ، وهو منبني جندع بن ليث بن كنانة ، وكان نصر يكتن أباً ليث . انظر ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤٩ . - الجهشياري : الوزراء والكتاب ، حفظه وضع فهرسه مصطفى السقا وابراهيم الابيساوي والشلبي ، مطبعة البابي القاهرة ، ١٣٥٧ھ ، ص ٦٦ .

(٤٢) - عن هذه الظرف انظر فيما سبق .

(٤٣) - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٢٥ - وانظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٦٧ - ٣٦٩ .

ويبدو أن إبراهيم الإمام شعر بأن الدعوة وصلت إلى مرحلة متقدمة ، وأنه بالامكان اعلانها . كما أن الاحوال في كل من مركز الخلافة الاموية ، وفي مناطق الخلافة الشرقية يساعد على ذلك . وإن الناس قد اصيوا بما يشبه الذهول لتابع الشورات . فارسل في سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م كتاباً إلى أبي مسلم مع رايتين ، أحدهما سمي اللواء والآخر الطل أو الظل في روایات أخرى^(٤٤) . وأمره أن يظهر الدعوة ، وأن يوجه إليه قحطبة بن شبيب بمن معه في الموسم ، كما اتخذ العاملون في الدعوة اللون الاسود كشعار لهم^(٤٥) . بناءً على توجيهات الإمام . وبدأ أبو مسلم بتنفيذ ماكلف به فبث دعاته في الناس وأمرهم أن يظهروا الدعوة ، وإن يدافعوا عن انفسهم بقوة السلاح اذا تعرضوا للخطر . فقال : إن عارضكم معارض فقد حل لكم الان ان تدافعوا عن انفسكم ، وأن تظهروا السيف وتجروها من اغمادها وتجاهدوها اعداء الله^(٤٦) . وتذكر الروایات بداية الدعوة فتذكر ان ابا

(٤٤) - الطل يرمي الى ان الدعوة العباسية تبقى بقاء الثقل في الارض والصحاب يرمي الى عالية الدعوة التي مستطيق على الارض كالصحاب : الطبرى : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ٣٥٦ وانظر العيون والحدائق ص ١٨٦ - ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ - ماجد : التاريخ السياسي ، ص ٢٢٢ اما الطل فقد اوردتها المقريزى المصدر السابق ، ص ٦٨ ظهر ، ويعتقد ان الارض لا تخلو من خليفة عباسي الى آخر الدهر .

وقد وردت كلمة الطل في سورة البقرة آية / ٢٦٥ / بمعنى نفسه . قال تعالى « ومثل الذين ينفرون اهواهم ابتلاء مرضاعة الله وتشبيتاً من انفسهم كمثل حبة بربوة اصابها وابل فانت اكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل والله بما تحملون بصير ». أما كلمة الصحاب فقد اوردت بمعنى نفسه في سورة الاعراف آية / ٩ / قال الله تعالى « وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا اقتل سحابة ثقالاً سقطناه ببلد ميت ، فائزنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلمكم انذكون » وقال ايضاً (والله الذي ارسل الرياح فتشير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فاحتسينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) .

(٤٥) - ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٩ ويوضح سبب اتخاذهم للسوداد بقوله بان سواد راياتهم كان حزناً على شهدائهم منبني هاشم وتعينا علىبني امية في قتلهم . وهناك اراء اخرى في سبب اتخاذهم للسوداد منها ما اورده شاكر مصطفى : الرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ وهو بان ذلك كان تشبيهاً برأية الرسول عند فتح مكة . وانظر عن ذلك فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسى ، دار القلم للطباعة بيروت ، ص ٢٤٣ - ٢٤٧ .

(٤٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، من ص ٣٥٣ - ٣٦٣ - العيون والحدائق ، ص ١٨٧ .

مسلم خندق في ٢٥ رمضان سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م في سيفيذنج ، واعلن الجهر بالدعوة باشعاله النار لاصحابه للتجمع والمناداة يا محمد يا منصور ، ولبس السواد ، ورفع الراية ، وحين تجمع اليه اصحابه من أجاب الدعوة ، تلا عليهم (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدر) . وتجمع شيعته حوله حتى زاد تعدادهم عن عشرة الاف بين راجل وفارس (٤٧) ، وكذلك فانه كتب الى نصر بن سيار يوضح له ان الامر صائر الى من يدعوه وأنه لن يجد لسنة الله تبديلا (٤٨) .

ولما ادرك نصر بأنه وأعوانه أقل من أن يقف في وجه أصحاب الدعوة ، أرسل الى الخليفة الاموي مروان بن محمد يعلمه بما يجري حوله وينذره بالخطر . ويوضح له حال أبي مسلم وكثرة من معه ، وأن أمره قد ظهر ، وأنه يدعى إلى ابراهيم بن محمد (٤٩) وصور له الوضع في رسالة شعرية ناطقة جاء فيها :

ويوشك أن يكون له ضرام وان الحرب أولها كلام فقل هبوا فقد حان القيام (٥٠) أليقاظ أمينة أم نیام (٥١)	أرى خلل الرماد وميض جمر فان النار بالعوديين تزكي فان يك قومنا أمسوا رقدا أقول من التعجب : ليت شعري
--	---

(٤٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٥٥ وما بعدها - العيون والحدائق ، ص ١٨٧ .

(٤٨) - أبو الفداء : اثاريه ، جزء ١ ، صفحة ٢٢ - ابن الوردي : تاريخته ، جزء ١ ، ص ١٨٨ - العيون والحدائق ، ص ١٨٨ .

(٤٩) - اليعقوبي : تاريخته ، جزء ٣ ، ص ٧٩ - ابن قتيبة : عيون الاخبار ، ص ١٢٨ - أبو الفداء : تاريخته ، جزء ١ ، ص ٢٢٠ - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٩ - المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٥٥ .

(٥٠) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٥٥ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٢٥ - المتنسى : البدء والتاريخ ، جزء ٦ ، ص ٦٤-٦٦ - ابن الفسكري : الآثار الاولى ترتيب الدول ، وهو بهامش تاريخ السيوطي ، طبعة مصر ١٩٥٥ ، ص ١٠٠ - ابا ابن المميد : فيذكر ص ٩٢ ان نصر بن سيار كتب هذه الآيات الى الوليد بن زييد وقبل قتوم ابى مسلم الى مرو .

(٥١) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٦٩ - ٣٨٠ .

كانت الامور في غاية التعقيد في مركز الخلافة نفسها ، وكان موقف الخليفة حرجاً . ولذلك فانه أرسل الى نصر بن سيار يطلب منه أن يستعين بقوات يزيد بن عمر بن هبيرة في العراق .

حاول نصر أن يجمع شمل العرب المنقسمين تحت قيادته لمقاومة هذه الحركة ، ووصف الدعوة الجديدة بأنها لقوم لا دين لهم ، وأن غاية العرفة قتل العرب ، الا أن خطة نصر هذه لم تنجح ، وفشل في جمع العرب تحت لوائه . وازداد مركز نصر ضعفاً في حين كانت قوات أبي مسلم تتزايد ، وخاصة بعد أن انضم إليه علي الكرماني . وتوجه أبو مسلم بمن تجمع له إلى نصر بن سيار ، فأخرجته من دار الامارة في مرو ، ودخلها في ٩ جمادى الثانية ١٣٠ هـ / ١٤ شباط فبراير ٧٤٨ م ، وفر نصر بن سيار منها ^(٥٢) .

علم مروان بن محمد ، بطريق أو باخر ، بأن ابراهيم الامام هو صاحب الدعوة ، فأرسل إلى عامله على البلقاء يطلب منه سرعة القبض عليه ، فأرسله إلى حيث أودعه السجن ^(٥٣) . ولما علم ابراهيم بما سيؤول إليه مصيره نهى نفسه لأهل بيته ، وأوصى إلى أخيه أبي العباس بالأمامنة ، وأمر أهله بالرحيل من الحميضة

(٥٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٧٨ . على حين يورد المقرىزى : المصدر السابق ، ص ٦٩ ظهر ، انه دخلها في ربیع الاول سنة ثلاثين ومائة .

(٥٣) - المقرىزى : المصدر السابق ، ورقة ٦٧ - وجه - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٧٧ - وهناك رواية أخرى للطبرى الذكر بأن اكتاباً لابراهيم بن محمد موجوداً في مكتبة الغرسانى وقع في يد مروان بن محمد ، الكتاب مروان إلى ظالمه بدمشق يأمره بالكتابة إلى صاحبه بالبلقاء أن يسير إلى الحميضة ، ويأخذ ابراهيم بن محمد ويوجه به إليه بينما سار بقية أهله وشيعته إلى الكوفة ، انظر الطبرى جزء ٧ ، ص ٤٢٤ . أما المسعودى : المصدر السابق ، جزء ٣ ص ٢٥٨ اليذكر وقوع الكتاب الصادر من ابنه مسلم إلى ابراهيم يزيد .

الى الكوفة^(٤) . وأن يكونوا في طاعة أبي العباس^(٥) . واتتهت بعد ذلك حياة ابراهيم وهو في سجنبني أمية بحران سنة ١٣٠ هـ ٧٤٧ م . وخالف في سبب موته^(٦) .

كان قتل مروان بن محمد لابراهيم الامام سبباً في اسراع العباسيين بالقضاء على الخلافة الاموية ، واعلان العباسية . فقد أوصى ابراهيم الامام عندما قبض عليه في جملة ما أوصى ، بالاسراع باعلان تأسيس الدولة ، وبالجذ والحركة . وبدأت حروب الدعوه التي يمكن تقسيمها الى أربع مراحل . المرحلة الاولى هي مرحلة فتح خراسان ، والثانية فتح العراق والثالثة معركة الزاب ، والرابعة فتح الشام وسقوط الخلافة الاموية .

(٤) - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٤ جزء ٢ ، ص ١٣٩ - المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٢١ - ٢٦٧ .
- ابو الفداء : تاريخه ، جزء ١ ، ص ٦٥ - ٦٦ .
المقدسی : البدء والتاريخ ، جزء ٦ - اما ابن الساعي البغدادي : في كتابه مختصر اخبار الخلفاء ، المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣٩ ، ص ٤ فيذكر انه اخبرهم بالسير الى خراسان .

Gibbon : The History of the Decline and Fall of the Roman empire, vol II.
P 17.

(٥) - المقرئي : المصدر السابق ، ص ٦٨ - وجه كرد علي : اخطط الشام ، دمشق ١٩٢٥ جزء ١ ،
ص ١٦١ - ١٧٢ .
Gibbon op . cit . , P 17.

(٦) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٦٧ - المقرئي : المصدر السابق ، ص ٦٧ - ظهر ابن الوردي : تاريخه ، جزء ١ ، ص ١٨٨ - احمد فريد الرفاعي : عصر المؤمنون ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٦ ، مجلد ١ ، ص ٨٦ بينما يذكر ابن السعري : في كتابه مختصر الدول ،
ص ٢٠٦ ان موته سنة ١٣١ هـ .

حروب الدعوة

مراحل حروب الدعوة :

آ - فتح خراسان :

بدأت الجولات العسكرية بين دعاة العباسين وولاة الامويين منذ ان بدأت الدعوة العلانية ، فقد وضع جيش كبير تحت تصرف قحطبة بن شبيب الطائي . وكف بضم بلاد خراسان كافة .

تمكن انصار العباسين من دخول مدينة مرو مركز الامارة ، فقر نصرين سيار منها والتجأ الى بيسابور ، فتابعته القوات العباسية اليها ، واستولت في طريقها على مدينة طوس وسوزقان . وعلم نصر بما حل بقواته ، ومدى استعداد القوة الجديدة فارتاحل فارا الى جرجان حيث وصلته امدادات العراق ^(٥٧) ، بقيادة نباتة بن حنظلة . وتوجه قحطبه الى جرجان حيث التقى بقوات الامويين في معركة شديدة اضطرته الى دف الحمام في نفوس جنوده بتذكيرهم باعمال الامويين التخريبية ضد الاسلام . فقال : (يا قوم استتصروا فانكم تقاتلون قوما حرقوا بيت الله) ^(٥٨) . كما حرض رجاله من خراسان بقوله : (يا أهل خراسان ان هذه البلاد كانت لا يائكم الاولين ، وكانوا ينصرون على اعدائهم بعد لهم وحسن سيرتهم . فلما بدلاوا وظلموا سخط الله عليهم فانتزع سلطانهم . ثم غيروا وجاروا في الحكم واخافوا أهل الدين من عترة الرسول فسلطكم عليهم) ^(٥٩) . وبتلك العبارات الحماسية ابتدأ القتال فاتصر جيش العباسين وقتل نباتة بن حنظلة ، وفر نصر ، وما لبث

(٥٧) - انظر الطبرى : المصادر الساقية ، جزء ٧ ، ص ٣٨١ وما بعدها .

(٥٨) - حتى : لبنان في التاريخ ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ٣٢٤ .

(٥٩) - العيون والحدائق : ص ١٩٢ - ١٩٣ - المقدسي : البدء والتاريخ ، جزء ١ ، ص ٦٦ - ٦٧ .

أن توفي (٦٠) . واخذت مدن خراسان تتوى بالتساقط في ايدي العباسيين فسقطت قومس وهمدان واصبهان ونهاوند وشهر زور وبحركة جا بلق قرب اصفهان التي جرت في رجب سنة ١٣١ هـ / ٧٤٨ م سيطر العباسيون على كل الجناح الشرقي للخلافة الاسلامية ، وانساح الجيش العباسي الى العراق . واخذ قائد العباسيين العسكري قحطبة بن شبيب يتقدم بسرعة في اراضيها (٦١) .

ب - مرحلة فتح العراق :

كان والي الامويين على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يستعد لقتال جيوش العباسيين ، وقد وصلته امدادات الخلافة الاموية وتقدر بخمسة عشر الفا ، بينما تجمع الجيش العباسي بقيادة قحطبة بن شبيب ، وانضم اليه ابنه الحسن ، والتقي الجيشان قرب الفلوجة على الفرات ، فانهزم الجيش الاموي باتجاه واسط حيث عسكر فيها (٦٢) . ونحضر الى ما بعد مقتل مروان بن محمد ، وبذلك سانحت الفرصة للعباسيين بدخول الكوفة في ١١ محرم سنة ١٣٢ هـ / ٣١ اغسطس اب ٧٤٩ م واحتضنت الغنائم وكل ما وجد في معسكر ابن هبيرة حيث حفظت بالكوفة باشراف ابي سلمه الخلال ، بينما لحق قحطبة بابن هبيرة ، وعبر بجيشه الفرات سحرا في ايام المد ففرق (٦٣) . فتولى ابنه الحسن قيادة الجيش الذي زحف الى واسط لمحارب ابن هبيرة حيث استمر الحصار ستة اشهر . ولم تفتح ابوابها الا في شوال سنة ١٣٢ هـ / مايو مايس ٧٥٠ م . وكانت الخلافة العباسية قد اعلنت اثناء ذلك (٦٤) .

(٦٠) - انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٦١) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٠٤ وما بعدها .

(٦٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤١٢ - ٤١٣ ، ابن قتيبة : المصدر السابق ، ص ٣٧١ . - المقرئي : المصدر السابق ، ورقة ٧١ ظهر .

(٦٣) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤١٤ .

(٦٤) - ابن المعيد : تاريخ المسلمين ، ص ٩٣ . ابن قتيبة : المصدر السابق ، ص ٣٧٢ ولكن يجمل مدة الحصار اسعة اشهر وبذلك يكون سقوط واسط بعد مقتل مروان بن محمد - اما المقرئي : المصدر السابق ، ورقة ٧٣ ظهر ، و ٨٤ ظهر ، فيجمل مدة الحصار احد عشر شهرا .

وفي صفر ١٣٣ هـ / سبتمبر ايلول ٧٤٠ م ، قدم ابو العباس ومن معه من أهل بيته الى الكوفة فانزلهم ابو سلمه بقصر ابن مقاتل على مرحلتين منها ، وكتم امرهم عن جميع القواد والشيعة نحووا من اربعين ليلة ، ولا تستطيع تحديد السبب الذي دعا ابا سلمه لهذا الفعل بدقة ، وقد ذكر ابو سلمه بأنهم خاطروا باقسمهم بهذا المجيء المبكر ، وانه انما ابقاهم خارج الكوفة خشية على حياتهم ، ويرى اخرون بأنه كتم امرهم لانه كان يود مبايعة ابناء علي بن ابي طالب ^(١٥) . ومهمما يكن من أمر فان أبو العباس بُويع خليفة في ربيع الاول سنة ١٣٣ هـ / اكتوبر تشرين الاول ٧٤٩ م ولا يعني ذلك سقوط الخلافة الاموية ، اذ ان مروان بن محمد كان لايزال خليفة ويعمل على تجميع قواه في شمال العراق .

ج — المرحلة الثالثة معركة الزاب

تألم الخليفة الاموي مروان بن محمد من مسيرة الاحداث ، واعلان الخلافة العباسية ، فقرر أن يخوض بنفسه قتالا ضد العباسين ، وان يصمد حتى النهاية ، فجهز جيشا كبيرا تحت قيادته سار به من حران متوجهًا الى الشرق ، حيث نزل على نهر الزاب الاعلى ، والتقي بجيوش العباسين المناوئة ^(١٦) .

قام مروان بن محمد بتنظيم جيشه . والقيام بالاستعدادات للقتال والمجابهة ^(١٧) . وحضر خندقا ليحتمي به وجنوده ^(١٨) . ثم ان الخليفة ابا العباس رأى ان يقوى مركز جيشه بان يجعل قيادته لأحد أفراد الاسرة العباسية باعتبار ان الجيوش الاموية يقودها مروان بن محمد بنفسه . ففقط عَبد الله بن علي عم الخليفة للقيام بهذا الامر ، وتحمل هذه المسؤولية الجسيمة . فنظم جيشه ، واخذ

^(١٥) - اليعقوبي : تاريخه ، طبعة النجف ، جزء ٣ ، ص ٨٢ - ٨٣ - الجهشياري : « المصادر السابقة » ص ٨٥ - ٨٦

^(١٦) - اللسمودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ - العيون والحدائق ، ص ١٩٨ . - فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٥٩ م جزء ٢ ص ١٥٤

^(١٧) - اللسمودي : مروج الذهب ومعاذن الجوهر ، جزء ٣ ، ص ٣١٠ .
^(١٨) - ابن الوردي : اثاريه ، المطبعة الوعبية ١٢٨٥ هـ ، ص ١٩٠

موقع في مواجهة خصمه . و تذكر المصادر العربية أن جيش العباسين كان يتألف من عشرين ألف مقاتل ، على حين ان تعداد الجيش الاموي كان يبلغ مائة وعشرين ألفا (٦١) . وقد يكون تعداد الجيش الاموي مبالغ فيه ، لابراز قيمة نصر العباسين على الامويين ، لأن كل المصادر التي تأخذ عنها مكتوبة في العصر العباسي أو بعده أو نقلت عن مصادر عباسية .

اشتد القتال بين الطرفين وانتهى بهزيمة ساحقة للامويين بعد قتال دام تسعة ايام . كتب الله النصر للعباسين في يوم السبت ١١ جمادى الثانية سنة ١٣٣ هـ / ٢٦ يناير كانوان الثاني ٧٥٠ م (٧٠) . وكتب عبد الله بن علي الى الخليفة أبي العباس يبشره بالفتح والنصر .

كانت هزيمة الامويين في الزاب قاسية حتى ان مروان بن محمد فكر - بعد ان رأى ادباء أمره - في ان يحمل امواله ويرتحل الى البيزنطيين مع مواليه وعياله . ليجمع شمله هناك ، ثم يعود لقتال العباسين . وكاد ينفذ ذلك لو لا نصيحة احد اصحابه الذي وضح له سوء هذه الفكرة . فالتجاءه الى البيزنطيين يعني تحكيم اهل الشرك في بناته وحرمه . وفي هذا ما فيه من مخاطر عليهم في المستقبل عند البيزنطيين الذين لا وفاء لهم ، ونصحه بان يقطع الفرات ويسير حتى يصل الى مصر . فيجمع الجيوش ويقاتل بها اعداءه (٧١) .

كانت لهزيمة الامويين في هذه المعركة الحاسمة اسباب عميقة الى جانب اخطاء حرية ، ومن الاخطاء التي تسببت بالهزيمة ، ان مروان بن محمد كان يلمس عدم الحماس للقتال من قبل جنوده ، فاراد ان يدفعهم اليه ويحمسهم ، فظن ان الذهب يكفي لتحقيق ذلك ، فوضع اكياسا منه امامهم واعلمهم ان كل هذا لهم

(٦١) - الاذدي : تاريخ الوصول ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٩٦٧ ، ص ١٤٣

(٧٠) - الطبراني : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ٤٤ - ابن دجيه المكبي : النبران في تاريخ خلفاءبني العباس ، مطبعة المعارف بغداد سنة ١٣٦٥ هـ ، ص ٢١

(٧١) - ابن قتيبة الدينوري : الامامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٤٠ - المسعودي : المصدر السابق جزء ٣ ص ٢٦٤

مقابل استماتتهم في قتال عدوهم وتحقيق النصر ، ولكن جنوده ومحاربيه تركوا القتال ومالوا إلى الأموال .

واتخذ مروان خطوة أخرى مرتقبتها ، وكان يظن بأنها ستساعده على دفع الجنود إلى القتال . فأمر ابنه أن يتخذ مكانه خلف الجيش ، ومن وجد معه شيئاً من الذهب قلبه . ولما توجه للتنفيذ وكان يحمل الراية ظن الجنود أن جيشه في حالة تراجع فتنادوا بالهزيمة ، وعبر الجنود دجلة بشكل فوضوي فكان من غرق أكثر من قتل^(٧٢) .

إلى جانب ذلك فإن بعض قادة مروان لم يكونوا ليثقو به وبتصرفاته ولم يعودوا يحترمونه الاحترام الكافي الذي يدعوه إلى الطاعة وتنفيذ الأوامر ، وهي أمور ضرورية لحسن سير النظم ، وخاصة في المعارك العسكرية . فقد أصدر مروان أوامره إلى رئيس شرطته بالنزول والاستئذن في القتال مع جنوده ، إلا أن الأخير كان يخشى أن يعرض نفسه للتلهك . ولما هدده مروان كان جوابه بأنه يتمنى أن يستطيع مروان تنفيذ تهديده^(٧٣) .

هذه هي أسباب هزيمة مروان في معركة الزاب ، وخلف هذه الأسباب تكمن أسباب أقوى ، لم يكن مروان صانعها بنفسه ، بل كانت جذورها تضرب إلى عهد أسلافه من الخلفاء الامويين^(٧٤) .

د — فتح بلاد الشام

كانت معركة الزاب حاسمة نشست بها جيش الامويين وفر مروان باتجاه بلاد الشام

(٧٢) — ابن خلدون : العبر واديوان المبتدأ والخبر ، جزء ٣ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٧٣) — من آجل تفاصيل معركة الزاب انظر الاندي : تاريخ الموصل ، من ص ١٢٥ - ١٣٠ .

— الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٣٢ - ٤٣٥ — ابن خلدون : المصدر السابق ،

جزء ٣ ، ص ١٣٠ .

(٧٤) — انظر فيما سبق أسباب سقوط الخلافة الاموية .

رغبة في تجهيز جيش جديد يستطيع بواسطته الوقوف امام اعدائه في جولة اخرى اذا ستحت له الظروف . بينما كانت معركة الزاب بالنسبة للعباسيين دعامة قوية في ثبيت خلافتهم وفتحا مبينا ، فامر ابو العباس ان يعطى كل من شهد المعركة خمسماة درهم . واصدر اوامره بمتابعة مروان بن محمد وفتح بلاد الشام .

سار مروان بن محمد الى الموصل حيث كانت بيوت امواله وخزائنه . ولكنه لم يستطع دخولها لان أهاليها بقيادة واليهم لم يفتحوا له بابها ، بل انهم قطعوا الجسر ومنعوه من العبور ، فقد استبشروا بنجاح العباسيين ورجوا الخير في خلافتهم (٧٥) ، بعد ان سئموا كثرة الاضطرابات في البلاد وضعف الامويين عن السيطرة عليها . بالإضافة الى اقسام الامويين على انفسهم واقتتالهم من اجل الوصول الى العرش .

اضطر مروان الى عبور دجلة باتجاه حران . فاقام بها ما يزيد عن عشرين يوما الا انه اضطر الى تركها تحت وطأة الجيوش العباسية الزاحفة وانهزم باهله وخيله الى حمص (٧٦) . وعلى الرغم من أنه كان يأمل في مساعدة أهل الشام ودعمهم له ، والتغاضي عن الاخطاء التي ارتكبها في حقهم الا انه وجد نفسه غريبا بينهم ، بعيدا عن قلوبهم . فلم يمر بمنطقة من مناطقها الا و تعرضت مؤخرته للنهب والقتل . فقد ناهضه العرب بزعيمهم اليمني والقيسي . فاما العرب اليمنية لاته كان قد أساء اليهم ، وأبعدهم ، وقتل أشهر رجالهم (٧٧) . فانضم هؤلاء الى الدعوة العباسية واتقموا منه حين ستحت لهم الفرصة بتراجعه امام العباسيين . واخذوا يعتدون على مؤخرته كلما مر من مناطقهم ، فقد أوقعت طيء وتروخ في قنرين بساقته ،

(٧٥) - الاىذى : المصدر السابق ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٧٦) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٦١ - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٣٨
- ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، الطبعة التבירية ، جزء ٤ ، ص ٣٣٠ - ابن خلدون : المصدر
السابق ، جزء ٣ ، ص ١٣١ .

(٧٧) - ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٤٠ .

واقتطعوا! مؤخرة عسکره ونهبوه انتقاما لقتله جماعة منهم^(٧٨) . وكذلك وثب عليه يمنيو حصن ، وفي الأردن وثب به المذحجيون جميعا . وفي فلسطين وثب عليه الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع^(٧٩) . وأما العرب القيسية فان تأخرهم عن مساعدته كان بسبب كثرة الحروب التي خاضوها معه طوال فترة حكمه والتبني ذهب ضحيتها عدد كبير منهم . ومما يدعم ذلك ويؤكده ان مروان بن محمد اراد حين خرج من فلسطين وبرفقة ثعلبة بن سلامة العامري ان يستعين بقوم الاخير . فسأله عنهم فأجابه بما لا يدع مجالا للشك ان اكثر هؤلاء قتلوا في فرض طاعة مروان على مناهضيه^(٨٠) .

ومما هو جدير بالذكر ان المصادر العربية ذكرت انه لم يتبع مروان بن محمد من العرب اليمنية احد لانه كان قد اساء اليهم ، ولم يتبعه من العرب القيسية حين خرج من الجزيرة الا ابن حيدر السليمي ، وهو اخوه في الرضاعة ، والكوثير بن الاسود الفنوبي صاحب شرطته^(٨١) . ثم تذكر المصادر ان جيش مروان بن محمد كان يتأنف في مجوعته من مائة وعشرين الفا من عشائر معروفة وفرسان العرب قاطبة^(٨٢) . وبضوء هذين القولين فانه يمكننا ان نقول انه لم يكن مع مروان من رؤساء العرب القيسية المعروفين الا اثنان ، وان جيشه كان يضم عشائر عربية متنوعة غير مشهورة . وقد ندم مروان بن محمد لما فعله من الاعتماد على القيسية لعدم وفائهم في وقت الشدة حين لا ينفع الندم^(٨٣) . كما انهم ونبوا عليه

(٧٨) - الاذدي : المصدر السابق ، ص ١٢٦ - بيتشوف الجرماني : تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء ،
بيروت ١٨٨٠ ص ١٥ .

(٧٩) -.. المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ص ٢٦٥ .

(٨٠) - الاذدي : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٨١) - الاذدي : المصدر السابق ، ص ١٣٦ - المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٤ ولكنه لم يورد الاسم كما ورد في المتن بل اورده ابن حمزه السلمي .

(٨٢) - الاذدي : المصدر السابق ص ١٣٢ .

(٨٣) - ينسحب ندم مروان لاعتماده على القيسية من قوله : (انفرجت عني قيس النراج الرأس ، ما انتبه ، منهم أحد وذلك انا وضعننا الامر في غير موضعه واخرجناه من قوم ايدنا الله بهم ، انسئلنا به اقوما والله ما رأينا لهم وفاء ولا شكر) . انظر ابن قتيبة : المصدر السابق ،
جزء ٣ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ .

في دمشق^(٨٤) ، فاضطر إلى تركها بعد أن جعل الوليد بن معاوية على إمارتها وأوصاه بقتال جيوش العباسين كي تنسح له الفرصة لتجميع قوات من أهل الشام ، ومضى متوجهًا نحو فلسطين حتى نزل نهر أبي فطروس^(٨٥) .

وببدأ العباسيون يفتحون مدن الشام واحدة تلو الأخرى دون مقاومة تذكر . ولم تُنفرد بمدافعتهم إلا مدينة دمشق . وقد فتحت لهم الموصل أبوابها بمجرد وصول طلائعهم إليها . واستقبلتهم أهاليها بالرایات السوداء ، ودخلها عبد الله بن علي فاستولى على خزائن مروان ، وفيها بيت من دنانير ، وبيت من دراهم وغير ذلك من أموال والامتعة والخرائب^(٨٦) .

وبعد أن نظم عبد الله بن علي أمره في الموصل توجه نحو حزان . فاضطر مروان بن محمد إلى الفرار منها . ودخلها عبد الله بن علي بعد أن رفع أهاليها الرایات السوداء ؛ وبايعوه فأمنهم ، كما أنه أصدر الامان لكل من بحران والجزيرة وهدم الدار التي حبس فيها أخوه إبراهيم الإمام ، كما هدم قصر مروان بن محمد بها^(٨٧) . واستولى على اغلب أموال الدولة الاموية تقربياً . ثم سار إلى منبع فباعه أهاليها ورفعوا الأعلام السوداء . وارسل أهالي قنسرين إليه في منبع يعلنون البيعة والطاعة^(٨٨) . وقد وصل إليه مدد من الخليفة أبي العباس بقيادة عمه عبد الصمد بن علي في أربعة الآف رجل . وسار برفقته إلى حلب ، وهناك بايعه أبو

(٨٤) - اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٨٣ .

(٨٥) - ابن قتيبة الدينوري : المغارف ، ص ١٦٣ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٣٠ -

أبو الفداء : تاريخه ، جزء ١ ، ص ٢٢٣ .

(٨٦) - الإزدي : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٨٧) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ - الطبرى : المصدر السابق جزء ٧٦ ص ٤٢٨ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٠ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٢١ .

(٨٨) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٠ .

الورد مجراة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي ، وهو من اصحاب مروان ،
ثم سار عبد الله الى حمص واقام بها حتى بايعه اهلها^(٨٩)

بعد ان اتم عبد الله بن علي فتح شمال بلاد الشام دون عقبة تذكر . توجه
نحو اواسطها . فسار نحو بعلبك ، ثم نزل مزة دمشق حيث جاءه مدد اخر
من الخليفة ابي العباس بقيادة صالح بن علي ، فنزل مرج عذراء في ثمانية الاف^(٩٠) .

عمل عبد الله بن علي جادا لاجل فتح عاصمة الامويين . فوزع اصحابه على
ابوابها . وفي أثناء الحصار حدث خلاف داخل مدينة دمشق بين العرب القيسية
واليمانية ، واقتتل الفريقان^(٩١) . فاستغل عبد الله بن علي الفرصة ، وقرب اليه عرب
اليمن . فضعف المحاصرون وقرروا طلب الامان ، وأرسلوا مندوبهم يحيى بن بحر .
وفي أثناء المفاوضات وقبل كتابة شروط الامان دخلت الجيوش العباسية فرفض عبد
الله منح الامان ، الا انه قدر موقف يحيى بن بحر وموذته لاهل البيت ، فاعلن ان
من دخل دار يحيى فهو آمن^(٩٢) .

كان دخول العباسيين مدينة دمشق يوم الاربعاء ٥ رمضان سنة ١٣٢ هـ / ١٨ م
ابril نيسان ٧٥٠ م^(٩٣) . وما ان دخلها عبد الله حتى اباها لجنوده ثلاثة ساعات .
وقيل انها ثلاثة ايام^(٩٤) . وتبع ذلك اعلان اهالي الاردن الطاعة للعباسيين .
فتفرغ عبد الله لمواجهة مروان بن محمد على نهر ابي فطرس . الا انه لم يصطدم

(٨٩) - العيون والحدائق ، ص ٢٠٣ - بيتسوف : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٥

(٩٠) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٠ .

(٩١) - كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٧٤ .

(٩٢) - اليعقوبي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٩٢ - ٩٣ - كرد علي : خطط الشام جزء ١ ، ص ١٧٤ اتشبها
باترسون التكريم حين فتح مكه ، حيث اعلن ان من دخل دار ابي سفيان فهو آمن .

(٩٣) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ - ابن الوردي (تاریخه) ، جزء ١ ، ص ١٩١ .
(٩٤) - كرد علي : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٣ .

معه في معركة حقيقة . اذ فر مروان باتجاه مصر ، فبقي عبد الله في فلسطين ووجه اخاه صالحها في طلبه ^(٩٥) .

على هذا الشكل كان مروان يفر من وجه الجيوش العباسية الزاحفة في اثره . وينتقل من بلد الى آخر ، وكان كلما وصل الى مكان لقيه اهله شر لقاء . وهكذا تتبعه العباسيون وهو يفر امامهم من بلد الى آخر حتى وصل الى مصر ^(٩٦) . فتبعه - لاج إليها حتى الجاء إلى قرية بوصير من كورة اشمون من الصعيد . فقتل فيها في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ / ٧ آب ٧٥٠ م ^(٩٧) .

ارسل صالح بن علي الى أبي العباس مبشرًا اياه بالنصر . كما ارسل له شارات الخلافة وهي قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخصفته . وكان مروان قد دفنتها في الرمل لثلاث تصل الى ايدي العباسيين فدلهم على موضعها احد غلامان مروان بعد أن أمنوه على حياته ^(٩٨) .

و قبل ان نختتم حديثنا عن نجاح الدعوة العباسية لابد لنا ان نناقش دور العناصر التي قامت في الدعوة وتفسيرات المؤرخين لكنه هذه الدعوة .

لقد رأى كثير من المؤرخين المسلمين ، بأن الحركة العباسية لم تكن سوى حركة قامت لتطهير باسرة حاكمة وتقليم أسرة حاكمة أخرى من اهل بيت الرسول اصحاب الحق في الخلافة . بينما رأى بعضهم من امثال المسعودي والجاحظ وغيرهم ، بأن الحركة العباسية حركة قومية ، قام بها الفرس ضد السيادة العربية في الدولة الإسلامية . فقد قال الجاحظ في المقارنة بين الدولة الاموية والعباسية دولة

(٩٥) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ، ص ٤٣١ - العيون والحدائق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
- بيتشوف : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٩٦) - الكلبي : الولاة والقضاء ، مطبعة الآباء الباليوسعيين بيروت ١٩٠٨ ، ص ٩٥ .

(٩٧) - البيعوبوي : تاريخه ، جزء ، ص ٨٣ - العيون والحدائق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٩٨) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ، ص ٣ - ١٦٤ - الكلبي : الولاة والقضاء ، ص ٩٧ .
- المقدسى : البدء والثانى ، جزء ، ص ٧٣ - حتى : تاريخ سوريا ولبنان والفلسطين ، جزء ،
ص ١٥٤ .

بني مروان عربية أعرابية ، ودولة بني العباس اعجمية فارسية . وقد تبنت هذان التفسير القومي عدد كبير من المستشرقين في القرن التاسع عشر . من أمثال فان فلوتن وفلهاوزن ، وغيرهم من المؤرخين العرب المعاصرين الذين نسجوا على منوالهم .

الآن لن نتوقف لترجيع رأي على آخر دون دلائل تاريخية ثابتة ، ولكننا سنورد نصوصاً تتوصل عن طريقها إلى إثبات دور العرب في الدعوة العباسية . ولن ننكر دور الفرس في مساعدتهم للحصول على حقوقهم في الإسلام ، لا لاسقاط دولة العرب ، وإقامة دولة أعجمية مكانها .

نادت الحركة العباسية بالدعوة للرضا من آل محمد ، ولم تتم بتمليك الفرس ، كما ثعب العرب فيها دوراً بارزاً . وقد أكد إبراهيم الأمام على دور العرب اليمينية في الدعوة العباسية ، حين أوصى أبي مسلم الخراساني بالاعتماد عليهم قائلاً له (انظر هذا الحي من اليمن فاكرمهم ، واسكن بين أظهرهم فأن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم) (٩٩) .

وبذا اعتمد العباسين واضطروا على العرب اليمينية خاصة حيث فتح عبد الله ابن علي مدينة دمشق ، فقد خاطبهم بقوله (اتموا علينا قوماً فانصرفوا وخلوا بيننا وبين مصر) .

وكان لهذه السياسة ثمارها . فقد ترك العرب اليمينية الذين كانوا في دمشق قاتلهم ، مما اضطر فرع العرب الآخر إلى الرحيل عنها ، وفتحت دمشق أبوابها للعباسيين . وقد اعترف الخليفة المنصور بالدور الكبير الذي لعبه العرب اليمينية في نجاح الدعوة العباسية ، فقد صرحت بان الدعوة قامت على اكتافهم . وان النقباء

(٩٩) - انظر فيما سبق ، وانظر المقربي : المزارع وانتظام فيما بين بنى امية وبني هاشم المطبعة الابراهيمية ١٩٣٧ ، ص ٦٦ - ٦٧ - محمد جواد مغنية : الشيعة والحاكمون ، منشورات المكتبة الاهلية بيروت ، ص ١٣١ .

كلهم منهم و اضاف قائلاً بان على العباسين (ان يعترفوا لهؤلاء بحق نصرهم وقيامهم بالدعوة ، ونهوضهم بالدولة)^(١٠٠)

كما ان الخليفة المنصور خاطب العرب اليمنية اثناء حصار واسط قائلاً لهم :
 (السلطان سلطانكم والدولة دولتكم) . كما يتضح دور العرب والجيش العباسي اثناء قتال الاميين حين نطلع على ما كتبه صاحب كتاب الامامة والسياسة عن هذا الموضوع . حين يفرق بين أهل خراسان من العرب وبين الفرس منهم . فيذكر ان تعداد الجيش كان اثني عشر الفا من اهل خراسان سوى الاعاجم^(١٠١) .

وقد ترك لنا الجاحظ نصاً اوضح فيه دور العرب البارز في الدعوة العباسية بشكل لا يدع مجالاً للشك فقال (وهل أكثر النقباء إلا من صميم العرب ومن صلبيه هذا النسب ، كأبي عبد الحميد قحطبة بن شبيب الطائي ، وأبي معد سليمان ابن تثير الخزاعي ، وأبي نصر مالك بن الهيثم الخزاعي ، وأبي داود خالد بن ابراهيم الذهلي وكأبي عمرو لاهز بن قريظ المزنوي ، ومن كان يجري مجرى النقباء ولم يدخل فيهم مالك بن الطواف المزنوي . وبعد فمن هذا الذي باشر قتل مروان ، ومن هزم ابن هبيرة ومن قتل ابن ضباره ومن قبل نباته بن حنظله ، الا عرب الدعوة والصميم من أهل الدولة)^(١٠٢) .

واخيراً يمكن القول بأن الثورة العباسية كانت ثورة مركبة في بنيتها البشرية والفكرية والسياسية قامت بها عناصر ناقمة على الحكم الأموي من عرب وموالي بقيادة آل محمد الذين تبنوا السير بالمجتمع في الطريق القوي . وتأسيس دولة بكل مافي هذه الكلمة من معنى .

(١٠٠) - فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

(١٠١) - فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٩٥ وص ١٢٤ .

(١٠٢) - الجاحظ : فضائل الاتراك وما اختصوا به من الشجاعة وعلو الهمة وحسن البناء في خدمـة الاسلام ، المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨ ، ص ١٥ - ١٦ .

٣ - اعلان الخلافة العباسية ومميزاتها :

على اثر وصول الاسرة العباسية برئاسة ابي العباس الى الكوفة ، وعلى الرغم من كتم ابي سلمة لامر وصون لهم اليها عن جميع القواد والشيعة فان هذا الامر قد عرفه . وقام القواد والشيعة بمعرفة المكان الذي كان فيه أبو العباس وبايضوه بالخلافة ، فبایع ابو سلمه له .

خرج ابو العباس في يوم الجمعة ١٣٢ هـ / اكتوبر تشرين الاول ٧٤٩ م وصعد المنبر وهو يرتدي دراعة سوداء وكساء اسود . وخطب الناس خطبة اظهر فيها مكانة آل الرسول وما خصهم به القرآن من آيات ، ثم ذكر جوربني أمية وظلمتهم ، ووعد الناس خيرا وزادهم في اعطياتهم مائة درهم ، وخصص أهل الكوفة بالجزء الاخير من خطبته قائلا لهم : (يا اهل الكوفة اتم محل محبتنا ، ومنزل موذتنا ، اتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم ينكروا عن ذلك تعامل اهل الجور عليكم ، حتى ادركتم زماننا ، واتاكم الله بدولتنا ، فاتم اسعد الناس بنا ، واكرمهم علينا . وقد زدتكم في اعطياتكم مائة درهم فاستعدوا ، فانا السفاح المبيح والثائر المبير) (١٣) . وعلى هذا فان ابا العباس اشاد في خطبته باهل الكوفة ، وبأن حالهم ستكون حسنة في خلافة العباسين . ثم طلب منهم ان يستعدوا للعمل معه ، وذكر زيادة اعطياتهم ثم قال لهم استعدوا فانا السفاح المبيح والثائر المبير . وتذكر المصادر التاريخية (١٤) ان ابا العباس سمي بالسفاح منذ ئذ ، واختلف في شرح هذه العبارة فرأى بعضهم ان هذا اللقب اطلق عليه لكرمه ، وطول باعه ، وترى اخرى بأنه اتخذه لکثرة سفكه للدماء . وتجعل بعض المصادر هذا اللقب لعبد الله

(١٣) - انظر الطبری : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ - المقریزی : المصدر السابق ، ورقه ٧٢ وجه وظہر

(١٤) - الطبری : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ - ابن الساعي البغدادی : مختصر اخبار الخلفاء ، ص ٦ - انظر فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسی ، ص ٢٠١ فقد جمع الفوالي المؤرخین حول هذا اللقب .

اما ابن اقتنیبه : في كتابه الامامة والسياسة ، جزء ٢ ص ١٣٢ وبعض المؤرخین الذين اخلوا عنه فيذكرون ان السفاح هو عبد الله بن علي الكثرة ما قتل من الامويين .

ابن علي ، ومهمما تعددت التفسيرات فان مابدا ظاهرا للعيان بعد ذلك ان الاسرة العباسية التي سلمت الحكم ، قد وطدت العزم على استخدام القوة لثبت مركزها مهما كلفها ذلك ٠

وبهذا الشكل فقد حكم الخلافة الاسلامية بعد ١٣٢ هـ ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ وحتى مقتل مروان بن محمد في نهاية السنة ، خليفتان في آن واحد عباسي واموي ٠ وكان لا بد لاحدهما من ان ينتصر على الآخر نصرا حاسما ، ويقضي عليه ، لتصفو له امور الخلافة ٠ وهذا ما جرى اثر معركة الزاب وفتح الشام ٠ وملاحقة مروان ابن محمد في مصر وقتله في بوصير (١٥) وبهذا سقطت الخلافة الاموية وحلت مكانها العباسية ٠

حكم خلفاء العباسين في العراق زهاء خمسة قرون من سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م حتى ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وهي السنة التي سقطت فيها عاصمة العباسين بيد التتار ، هذا وقد اتسمت الخلافة العباسية بسمات ميزتها عن ساحتها الاموية ومن ابرز هذه السمات :

— تركزها على التخوم الشرقية بالنسبة للاراضي الاسلامية التي حكمتها ٠ فالدعوة العباسية تركزت في شرقى الخلافة ، وحين اعلنت الخلافة العباسية انتقلت العاصمة من دمشق الى المشرق ٠ فكانت الهاشمية ببغداد فسامراء وبغداد ، وفوق كل ذلك نجد ان نشاط واهتمام العباسين قد وجه الى القسم الشرقي من العالم الاسلامي ، مما ادى الى اتسام الخلافة بسمات لازمتها ٠ تحتاج منا الى وقفة قصيرة لشرحها وتوضيحها ، يمكن اجمالها بما يلي :

١ - ضعف قبضة العباسين على المغرب العربي ، مما ادى الى اقصال هذا الجزء تدريجيا عنهم ٠ فقد تمكן عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك من

(١٥) - اليعقوبي ، تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٨٣ - العيون والحدائق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

Le Strange : Bagdad during the Abbasside caliphate; P4

دخول الاندلس والاستقلال بشؤونها واعلان الامارة الاموية ثم الخلافة الاموية .
حدث هذا بعد فترة وجيزة من قيام الخلافة العباسية ، وفي سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م
ولم يكن هذا فحسب بل ان اجزاء كبيرة من الشمال الافريقي اتصل تدريجياً
عنها . وتأسست دويلات مختلفة منها الدولة الرستمية والمداراوية الخارجيتان ودولة
الادارسة الشيعية ودولة الاغالة ، وتلا ذلك نشوء الخلافة الفاطمية ودولات
اخري مختلفة .

٢ - تأثر الخلافة العباسية بالحضارات الشرقية السابقة ، وقد بدا ذلك في
النظم السياسية والادارية التي اقتبسها العباسيون عن الفرس بشكل خاص . فقد
احتجب الخليفة عن رعيته . واتخذ الوزير والسياف . وعاش عيشة الاكاسرة ،
تحوطه الابهة والعظمة . كما احاط شخصه بالقداسة ، فأخذ الداخل اليه ينحي
امامه ويقبل الارض بين يديه اذا قرب منه قبل رداءه ، وقبل الارض بين يديه .
ولم يكن ينال شرف الدخول والاقتراب من الخلفاء وتقبيل ارديتهم الا رجال الدولة
البارزين (١٠٦) . وقد امتد التأثر بالفرس الى الحياة الاجتماعية . ففي باب
الملابس ، انتشر لبس القلنس الطويلة (١٠٧) في ارجاء الخلافة وهي من لباس
الفرس . وذلك منذ ان امر ابو جعفر المنصور في سنة ١٥٣ هـ / ٧٧٠ م
بلبسها (١٠٨) . وقد اتخد الخلفاء افسهم قلنس ، وكذلك كبار رجال الدولة .

(١٠٦) - انظر ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٤١ - حسن ابراهيم حسن : الرجع السابق ج ٢ ،
ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(١٠٧) - جاء قرار المنصور بلبس القلنس الطوال التي تدغم بعيدان من داخلها . ولم يكن هارون الرشيد
راضيا عن هذه القلنس الطويلة . الا ان المفترض اعاد لبسها تشبيها بملك الاعاجم بلبسها
الناس اقتداء به وسميت بالمعتصميات . انظر ادم ميتز : الرجع السابق ، ج ٢ ، حاشية رقم
٩ ، ص ٢٢٠ .

- حورية عبدة سلام : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط منذ الفتح العربي حتى
قيام الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير ، ص ١٨٩ .

(١٠٨) - ادم ميتز : الرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ - حورية عبدة سلام : الرجع السابق ، ص
١٨٩ . ويبعدو ان لبس القلنسوة التي عمت في العصر العباسي كانت معروفة ويلبسها الناس هي
والتياب الفارسية منذ المصر الاموي : انظر شاكر مصطفى في التاريخ العباسي ، ص ٧٤ .

وكان الخلفاء يتخذون على قلansهم العماائم . وإذا كانت مكسوفة فانهم يزيدون في طولها وحدة رؤوسها حتى تكون فوق قلans جميع الامة^(١٠٩) .

٣ - ابعاد مركز الخلافة عن خط الحدود مع البيزنطيين ، مما ادى الى ضرورة تنظيم منطقة الشعور تنظيما جديدا ، واقامة مناطق دفاعية قوية لتعويض هذا الابعاد^(١١٠) . فجعلت منطقة العاصم والشعور منطقة ادارية قائمة بذاتها . ونهض العباسيون بقتال البيزنطيين في الدور الاول بشكل خاص بالشدة والقوة نفسها التي وقفها الامويون^(١١١) . الا ان حملات العباسيين ضد البيزنطيين كانت بحرية وتناقضت الحملات البحرية نتيجة تناقص اهتمام العباسيين بشؤون الاسطول في المتوسط عامه^(١١٢) . ولقد عرض هذا النقص في القوة البحرية ، الدول الاسلامية التي افضلت عن الخلافة العباسية كالدولة الاموية في الاندلس ، والفااطمية في شمال افريقيا ، ثم في مصر وجنوب الشام ، ودولة الاغالبة . وقد تتج عن كون الخلافة العباسية خلافة بحرية اهتمام العباسيين بطرق التجارة البرية مع شرق اسيا . فنشط طريق الحرير والتوابل البري القديم .

- لم يعد العالم الاسلامي - كما كان في عصر الراشدين والامويين - موحدا تحت سلطة خلافة اسلامية واحدة . بل تعدد منصب الخلافة وظهرت الى الوجود خلافة فاطمية في شمال افريقيا منذ نهاية القرن الثالث الهجري ، ثم في مصر وجنوبي الشام . وخلافة ثالثة في القرن الرابع الهجري ، تلك هي الخلافة الاموية في الاندلس .

- ساست الخلافة العباسية العالم الاسلامي سياسة ممزوجة بالدين والملك .

(١٠٩) - اتخاذ اصحاب المراكز الكبيرة العماائم الا انها كانت تختلف من شخص لاخر بحسب هرتزه الاجتماعي . انظر الجاحظ : البيان والتبيين : جزء ١ ، ص ٦٠ - ٦١ .

(١١٠) - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٦٣ - رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، المقدمة م .

(١١١) - حول تنظيم الشعور : انظر بيطار : الحياة السياسية في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية حتى الفتح الفاطمي ، ص ٣٢٨ وما بعدها .

(١١٢) - ارشيبالد : الرجع السابق ، ص ١٦٨ .

وقد عبر ابن طباطبا (١١٣) عن ذلك تعبيراً جيداً فقال : اعلم - علمت الخير - ان هذه دولة من كبار الدول . ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك . فقد كان اختيار الناس وصلاحهم يطیعونها تدینا ، والباقون يطیعونهارهبة او رغبة . فقد اعتبر العباسيون انفسهم وارثي بيت الرسول . وان سلطتهم مستمدۃ من الله لامن الشعب . فالخليفة هو خلیفة الله في الارض لا خلیفة رسول الله فحسب . ومثالنا على ذلك ما قاله الخليفة المنصور في خطبته (انا انا سلطان الله في ارضه) (١١٤) . واستمرت سلطة خلفاء العباسيين الدينية طوال فترة حکمهم ، بل يمكن القول انها كانت تزداد قوة كلما ضعف شأن العباسيين الدینیوی . وبهذا نرى ان الخليفة العباسي خالق الخلفاء الراشدين الذين كانوا يرون انهم يستمدون سلطتهم من الشعب . ويؤكّد ذلك ما قاله الخليفة ابو بکر بعد تولیته الخلافة فان احسنت فاعینوني ، وان أساءت فقوموني . كما خالفوا بذلك خلفاء الامویین الذين كانوا اشبه برؤساء قبائل يستمد الخليفة سلطته الفعلية من زعماء القبائل المتخالفين معه ، ويستشيرهم في الامور الخطيرة . ويتضح هذا الامر بشكل جلي من قول عمر بن عبد العزیز مخاطباً شعبه : لست بخیر من احدكم ولكنی انقلکم حملـا (١١٥) .

وقد برزت سلطة العباسيين الدينية بالظاهر التي احاطوا انفسهم بها . فقد انخدوا القابا ذات طابع دینی مثل المنصور ، المهدی ، الهادی ، الرشید ، الامین ، المأمون (١١٦) ، المتوكّل على الله ، المستعصم بالله ، الواثق بالله ، الناصر لدین الله ، وما لا شك فيه ان الالقاب الرسمية الخاصة باوائل خلفاء العباسيين اختارها العباسيون عن قصد وهدف . ذلك ان القابهم كانت تمس أكثر الامور حساسية في مشاعر الجماهير ، وخاصة أولئك الذين كانوا يأملون في وضع افضل . وكان المهدی او المنفذ المنتظر امل الجماهير الذي سينقذهم من الظلم والشقاء ، الى العدالة

(١١٣) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(١١٤) - المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٠٨ وجہ

- الطبری : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٨٩ حيث تجد نص الخطبة كاملة .

(١١٥) - حسن ابراهیم حسن : الرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٥٣ .

(١١٦) - انظر فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، بحث القاب الخلفاء العباسيين ودلائلها الدينية والسياسية ، ص ١٩٨ وما بعدها .

والرفاهية^(١١٧) . كما تلقب الخليفة العباسي بلقب امام توكيدا للمعنى الديني في الخلافة . وفي الاصل اطلق هذا اللقب على من يؤمن الناس في الصلاة ، ويعني اتخاذ هذا اللقب ان خلفاء العباسيين أصبحوا ائمة للناس . وقد استعمل الشيعة هذا اللقب واطلقوه على افراد البيت العلوي ، الذين كانوا يعتقدون انهم احق الناس بالخلافة^(١١٨) . وقد حرصوا كل الحرص على هذا المظهر فقربوا اليهم العلماء ورجال الدين^(١١٩) . كما عملوا على ان لا يخرجوا في المناسبات الرسمية الا وهم يحملون شارات الخلافة المتوارثة من النبي^(١٢٠) .

وكان مظاهر الخلفاء العباسيين الخاصة التي تدل على سيادتهم الروحية تتجلى في مواكبهم التي تميزت بروعتها . فيتقدم موكبهم ايام الجمع والاعياد رجال الحرس على اختلاف طبقاتهم يحملون الاعلام ، ويليهم امراء البيت العباسي ، راكبين الخيول المطهمة ، ثم الخليفة ممتظيا جوادا ناصعا البياض ، وبين يديه كبار رجال الدولة . وكان الخليفة في تلك المواكب يلبس القباء الاسود ويتنقل بم المنطقة مرصعة بالجوواهر . ويتسلح بعباءة سوداء ، ويلبس قلنسوة مدبية مزينة بجوهرة ، ويتقد سيف رسول الله (ص) وفي يده اليمنى الخاتم^(١٢١) .

كما عمل خلفاء العباسيين على الوقوف بحزم في وجه الحركات اللادينية كافة التي يرزت في عصرهم كالراوندية والمنقنية والزنندة^(١٢٢) . وقد اشيع بين العامة الكثير عن قدسيّة الخليفة وعن ما يجري في الكون اذا قتل من احتجاب الشمس وامتناع المطر . وقد صور ابن طباطبا^(١٢٣) الوضع اصدق تصوير حيث قال : (ولم تقو دولة على ازالة ملوكهم ومحواتهم ، بل كان من هؤلاء المذكورين) ويقصد

(١١٧) - فاروق عمر : الرجع السابق ، ص ٢٤ - ٣٥ .

(١١٨) - حول هذا اللقب انظر فاروق عمر : الرجع السابق ، ص ٢٢ .

(١١٩) - حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ، ص ٥٠ - ٥١ .

(١٢٠) - محمد جمال الدين سرور : تاریخ الحضارة الاسلامية في الشرق ، ص ١٩٢ .

(١٢١) - انظر فيما بعد ، وانظر فاروق عمر : الرجع السابق ، ص ١٦٨ وما بعدها .

(١٢٢) - المصدر السابق ، ص ١٤١ وما بعدها .

الدول المنفصلة عن الخلافة) من يجمع ويحشد ويجر العساكر حتى يصل الى بغداد فإذا وصل التمس البخسor بين يدي الخليفة . فإذا حضر قبل الارض بين يديه ، وكان قصارى ما يتمناه ان يوليه الخليفة ويعقد له لواء ويخلع عليه . فإذا فعل الخليفة ذلك ، قبل الملك الارض بين يديه ، ومشى في ركباه راجلا ، والغاشية تحت ابطه . وكانت لهم في نفوس الناس منزلة لاتدانيها منزلة أحد آخر من العالم حتى ان السلطان هولاكو لما فتح بغداد وارد قتل الخليفة ابي لحمد عبد الله المستعصم ، القوا الى سمعه أنه متى قتل الخليفة اختزل نظام العالم ، واحتجبت الشمس وامتنع المطر والنبات) . وكان لهذه السلطة الدينية التي كانت خلفاء العباسيين اهمية كبيرة في العصور العباسية المتأخرة حين فقد الخليفة العباسي سلطته الزمانية ولم يبق له سوى هذه السلطة الدينية ، فقد حرص جميع من تولوا امرة الديويلات الاسلامية التي انفصلت عن الخلافة العباسية ، على الحصول على موافقة الخليفة العباسي على امارتهم ، لأن سلطة الامير لا تصبح شرعية الا بحصوله على هذه الموافقة .

وليس معنى هذه السلطة الدينية التي تتمتع بها خلفاء العباسيين انهم كانوا اكثراً تدينوا من الامويين ، بل يمكن القول انه كان فيهم الصالح والطالع . والمتمسك بأهداب الدين ، والغارق في لذاته . ومن الامثلة على ذلك الخليفة المهدي الذي حكم في الدور العباسي الاول وعاش حياته الخاصة كما يحب ويشتهي ، وسلم امور الدولة لوزرائه ، وقد عبر الشاعر بشار بن برد عن ذلك افضل تعبير فقال :

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسو^١ خليفة الله بين الناي والعمود

وإذا كانت الخلافة العباسية حوت الصالح والطالع من الخلفاء فلم تعدم الخلافة الاموية وجود خلفاء صالحين امثال الوليد بن عبد الملك . وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك وغيرهم . وقد ذكر ابن خلدون^(١٢٣) في جملة ماذكره

^١ (١٢٣) - مقتنية ، ص ٢٠٦

عن خلفاء العباسين انهم كانوا - من العدالة بمكان ، وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه فاستطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالع ثم أفضى الامر الى بنיהם فأعطوا الملك والترف حقه وانعموا في الدنيا ، فتأذن الله بحرفهم . ويبدو أن ابن خلدون بالغ في جعل كل خلفاء الرشيد ممن الطالحين . لانه ظهر منهم خلفاء صالحون . ويمكن القول اخيرا بأن خلفاء العباسين تفاوتوا في تمسكهم بالدين والتقاليف ، أو انصرافهم الى متاع الدنيا . ولكنهم عملوا جاهدين حتى في احلك الظروف على التمسك بسلطتهم الدينية . وبقاء هذه السلطة واضحة في اعين الجماهير لتبقى الجماهير مرتبطة بالخلافة الاسلامية العباسية .

- اعطت الخلافة العباسية للعناصر الاسلامية المختلفة دورا جيدا ، وتمت هذه العناصر بميزات واضحة في العصر العباسي ، استغلته للسيطرة على الخلافة فيما بعد . وبالتالي فان العناصر الاسلامية غير العربية وصلت الى مناصب قيادية كمنصب الوزارة وقيادة الجيوش وحكم الولايات، بينما لم تحصل العناصر الاسلامية على مثل ذلك في العصر الاموي ، مما جعل المؤرخين يرون في قيام الخلافة العباسية نهاية للحكم العربي ، وببداية لحكم الاعاجم . وهذا قول مبالغ فيه لأن سلطان العرب بقي واضحًا . فالخلافة مازالت في ايديهم وللغة العربية لغة الدولة الرسمية ، وفرق الجيش العربية عملت مع الفرق الأخرى ، وكان خلفاء العباسين في الفترة الاولى على درجة من القوة استطاعوا أن يكتبوا جمامح هذه العناصر اذا اشتغلت في استخدام سلطانها . وواكب دليل على ذلك نكبة البرامكة ، تلك الاسرة التي تمنتت بنفوذ كبير منذ عهد المنصور وبلغ ذروته في عهد الرشيد .

- نشوء ارستقراطية جديدة مؤلفة من العناصر المتنفذة من الشعوب الاسلامية المختلفة من عرب وفرس وترك . حل محل الارستقراطية العربية التي كانت صاحبة النفوذ في العصر الاموي . ويضاف الى هؤلاء الاقطاعية العسكرية التي كانت تضم قادة الجيوش من الفرس والاتراك .

— نضوج الحضارة العربية في هذا العصر وتألقها في المجالات كافة ، ونشوء مراكز حضارية متعددة في بغداد وحلب والقطائع والقاهرة وفاس والقيروان وقرطبة وبخارى وغيرها^(١٢٤) .

— كان الحكم العباسي حكماً ملكيّاً ورائياً . فولاية العهد استمرت من الناحية العسلية لحصر الخلافة في البيت العباسي . كما سار العباسيون على نظام تولية العهد لاكثر من واحد . وكان الخليفة يحاول عزل ولی عهده وتولية ابنه مكانه ، وتشيراً ماحدث خلافات بين افراد الاسرة الحاكمة من أجل ذلك ، وتطورت في أحياناً كثيرة الى امتشاق السيف^(١٢٥) .

— كانت الدولة العباسية دولة ذات خدع ودهاء وغدر . وكان قسم التحيل والخداع فيها اوفر من قسم الثورة والشدة ، خصوصاً في أواخرها . فان المتأخرین منهم بطلوا قوة الشدة والنجد ورکنوا الى الجيل والخدع . وفي مثل ذلك يقول الشاعر كشاجم مشيراً الى موادعة اصحاب السيف وعداؤه اصحاب الاقلام ، ومقاتلة بعضهم مع بعض .

هنيئاً لاصحاب السيف بطالة
تفضي بها اوقاتهم في التنعم
فكم فيهم من وادع العيش لم يهج
لحرب ولم ينهد لقرن مصم
حساماً سليم الحد لم يتلثم
يروح ويغدو في نجادة
ولكن ذوو الاقلام في كل ساعة
سيوفهم ليست تجف من الدم^(١٢٦)

وحقيقة الامر ان خلفاء العباسين ، وعملاً على توطيد اركان دولتهم ، كانوا في بعض الاحيان ، يلجؤون الى عدم الوفاء بأمانهم ، كما يلتجؤن الى سفك

(١٢٤) — احمد امين : ضمخت الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٧٣ وما بعدها .

(١٢٥) — انظر فيما بعد الخلاف بين افراد الاسرة العباسية .

(١٢٦) — ابن طباطبا : المصادر السابق ، ص ١٤٩ . ان هذا يصح القول به عن الدولة العباسية في دورها الثاني . ولا يمكن أن يكون صفة عامة في الدور العباسي الاول .

الدماء . فقد اعطوا يزيد بن عمر بن هبيرة الامان ولكنهم تخلصوا منه في الوقت المناسب . وكذلك الامر مع عبد الله بن علي ، ويحيى بن عبد الله وغيرهم . ولكن ذلك لا يجعل صفة الغدر عندهم صفة عامة ودائمة . وكذلك فان خلفاء العباسين لم يتورعوا عن استخدام العنف لاستئصال البيت الاموي كما كانوا متشددين مع أبناء عمومتهم ، ومع الخارجين عليهم مهما كانت هويتهم .

وقد ادى ذلك الى شعور الكثيرين بخيبة امل . فقد كانوا يأملون ان تكون الخلافة العباسية اكثر عدلا من الاموية وأقل منها سفكاء للدماء . فانشد شعراؤهم معبريين تعبيرا واضحا عن هذا الشعور المزير ، فقال ابو العطاء السندي :

ياليت جوربني مروان عاد لنا وليت عدلبني العباس في النار (١٢٧)

كما عبر شريك التأثر على أبي العباس في خراسان بقوله : ما على هذا اتبعنا آل محمد ، على ان نسفك الدماء ، ونعمل بغير الحق .

واخيرا يمكننا ان نجمل القول مع ابن طباطبا (١٢٨) ، ان الخلافة العباسية كانت دولة كثيرة المحسن ، جمة المكارم . اسواق العلوم فيها قائمة ، وبضائع الآداب فيها نافقة ، وشعائر الدين فيها معظمة ، والخيرات فيها دارة ، والدنيا عاهرة ، والحرمات مرعية ، والثغور محصنة . وما زالت على ذلك حتى كانت اواخرها فاتشر الجبر ، واضطرب الامر .

وبناء على ما جاء في القول السابق يمكننا تقسيم الفترة الزمنية التي حكمت فيها الخلافة العباسية الى دورتين كبيرتين مضافا اليهما فترة استعادة الخلفاء العباسيين لسلطتهم .

١ - الدور العباسي الاول : وهو العصر الذهبي للخلافة العباسية والعالم

(١٢٧) - المقرني : المصدر السابق ، ورقه ٧٩ وج

(١٢٨) - المصدر السابق ، ص ١٥٠

الاسلامي . فقد كان دور قوة سياسية وتمازج ثقافي واجتماعي . تناوب على الحكم فيه تسع خلفاء ويمتد من سنة ١٣٢ - ٥٢٣٢ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م .

٢ - الدور العباسي الثاني : وهو الدور الذي سيطرت فيه العناصر الاسلامية على الحكم ويمتد من سنة ٢٣٢ - ٥٩٠ / ٨٤٧ - ١١٩٥ م ويشمل على عصور ثلاثة :

أ - عصر النفوذ التركي من سنة ٣٣٢ - ٩٤٦ / ٣٣٤ - ٨٤٧ م وهو عصر سيطر فيه القلادة الاتراك على شؤون الخلافة .

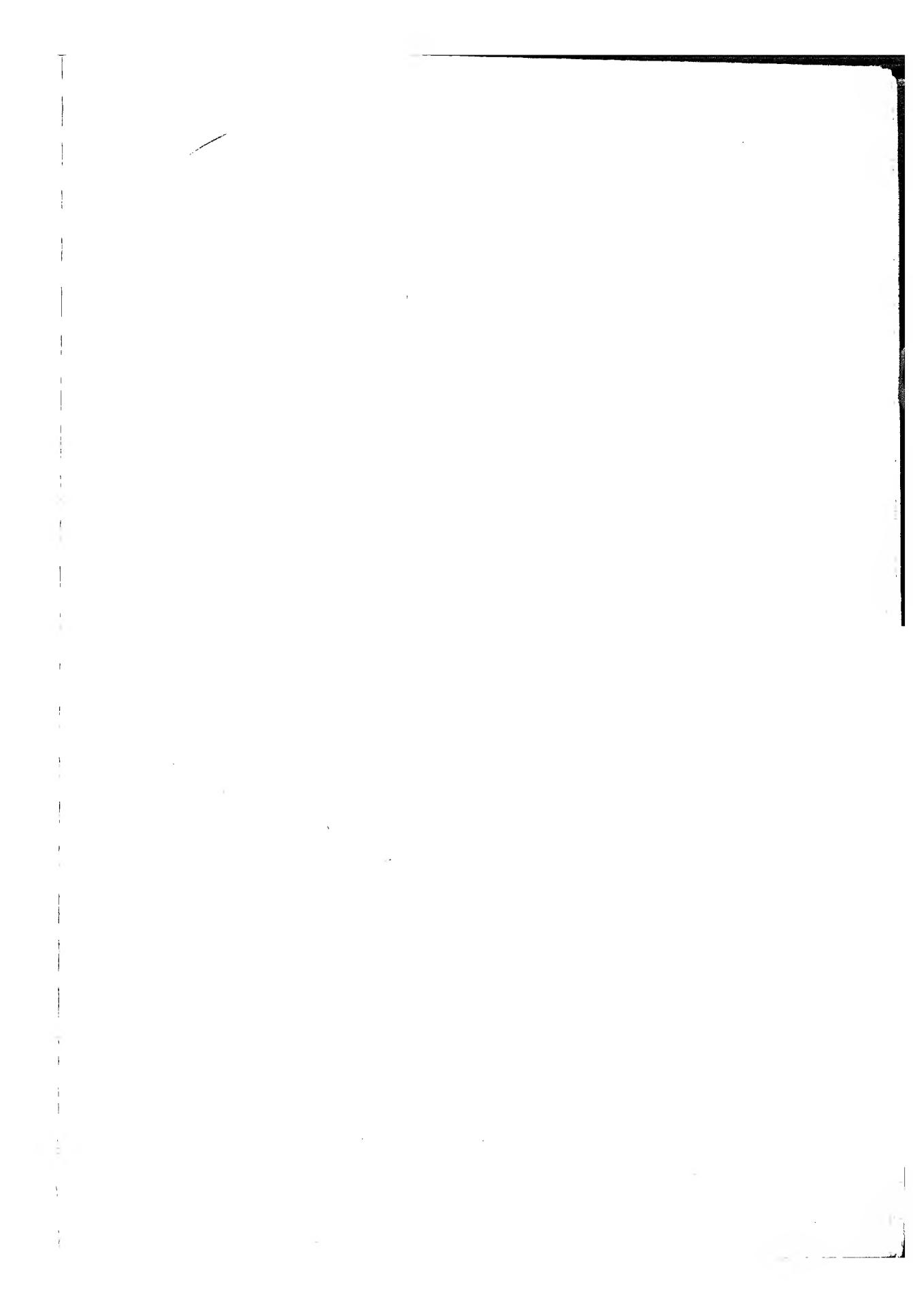
ب - عصر النفوذ البويري من سنة ٣٣٤ - ٩٤٦ / ٤٤٧ - ١٠٥٥ م وهو عصر سيطر فيه ملوك بني بويه على الحكم .

ج - عصر النفوذ السلاجقي من سنة ٤٤٧ - ١٠٥٥ / ٥٩٠ - ١١٩٥ م وهو عصر سيطر فيه سلاطين السلاجقة على الحكم .

ويمكن ان ندمج العصر الثاني والثالث في الدور العباسي الثاني ونجعله عصر سيطرة الملوك والسلطانين من المسلمين على الخلافة العباسية ، ولا بد لنا في هذه الحالة ايضا من ان نوزع هذا الدور الى قسمين بحسب جنسية العنصر الذي سيطر على الخلافة العباسية ، وبالتالي فاننا نعود الى التقسيم الاول .

٣ - فترة استعادة خلفاء العباسيين لسلطتهم وتمتد من سنة ٥٩٠ - ٦٥٦ / ١١٩٥ - ١٢٨٠ م ، وهي فترة غفل عنها كثير من المؤرخين ودمجوها مع فترة سيطرة السلاجقة . علما بأن السلاجقة سقطت دولتهم منذ سنة ٥٩٠ / ١١٩٥ م .

وعلى هذا الشكل يتضح بأن التقسيم الذي اتبناه وهو التقسيم التقليدي قد اعتمد على العنصر الاسلامي الذي سيطر على الخلافة العباسية . وهناك مؤشر ينبع بنها تقسيمات اخرى مبنية بشكل رئيسي على المد الاسلامي في المباورة .



الباب الثاني

الدور العباسى الاول

١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م

تربع أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس على عرش الخلافة العباسية ، فخطب على المنبر قائماً ، وكان بنو أمية يخطبون قعوداً . فاستحسن الناس منه ذلك ، اذ رأوا فيه احياء للسنة ^(١) ، وتكلم في هذه الخطبة عن حماية أسرته للإسلام ، والذب عنه ومحاربته . كما تحدث عن مكانتهم وقرباتهم من الرسول ، وما أوجب الله على الناس من حقهم ومودتهم . كما أثبت حقهم في الخليفة . وأبرز مكانة أهل الكوفة الخاصة ، فزادهم في اعطياتهم مائة درهم ^(٢) . ولما كان ابو العباس مريضاً ، فانه نزل عن المنبر وصعد عليه داود بن علي ، فأوضح في جملة ما أوضحت أنه لم يصعد منبرهم خليفة بعد علي بن أبي طالب الا أمير المؤمنين أبو العباس ^(٣) .

كانت مهمة أبي العباس شاقة وعسيرة . فكان عليه ان يثبت أقدام العباسيين في الخليفة ، ويوطد أركان دولتهم . وقد نجح في ذلك وقضى على منافسه مروان ابن محمد ، ولاحق فلول الامويين وقضى عليهم . ولم يتمكن من النجاة منهم الا

(١) موسوعي : المصادر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٦ .

(٢) اذكر فيما سبق خصالن الخليفة العباسية .

(٣) متروج الذهب للمسعودي ، جزء ٣ ، ص ٢٧٠ - الطبرى : المصادر السابق ، جزء ٧ ص ٤٢٦

عبد الرحمن الداخل . ثم بدأ بالقضاء على منافسيه السياسيين ممن كانوا ساعده الآرين في الدعوة العباسية ، فقتل أبا سلمة الخلال ، وكاد يفتلك بأبي مسلم لولا أن عاجله المنية . وبذلك اجتازت الدولة الناشئة هذه المرحلة الدقيقة من تاريخها ، لتصبح أشد مناعة وقوة في عهد أخيه أبي جعفر المنصور ^(٤) وقد وصف ابن طباطبا أبا العباس وصفا دقيقا فقال فيه : كان كريما حليما وقورا عاقلا كاملا كثير الحباء ، حسن الأخلاق ^(٥) .

كان أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد ^(٦) المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية وباني مجدها وعاصمتها بغداد . تولى الخلافة سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م ، واستمر في الحكم حتى سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م . تربى بين كبار الرجال من جلة بنى هاشم وصاحب أباه وجده ، فنشأ أديبا فصحيحا ، ملما بسير الملوك والامراء . كان ساعده أخيه أبي العباس الآمين . عمل جاهدا على أن يستتب له الامن ، فاعتبر بحق مؤسس الخلافة العباسية . فقد تحرج موقف الخلافة في عهده وتآزمت الاوضاع ، ولكنه تمكّن من الخروج من هذه المواقف وسار بالخلافة قدما إلى الامام . بذاك بشكل واضح حين ثار عليه عمّه عبد الله بن علي ، وطالب بأحقيته بالخلافة ، فقابلته بحزم وجد ، واستطاع أن يقضى على ثورته . ولما رأى ازدياد تقوذ أبي مسلم ، وخشي منه على الخلافة قتله وتخلص منه . كذلك فإنه كبح جماح العلوين بقضائه على محمد النفس الزكية في الحجاز ، وعلى أخيه إبراهيم في العراق ^(٧) .

اشتهر المنصور في بلاطه بتمسّكه بالدين وبجديته ^(٨) فلم يعرف عنه ميل إلى اللهو والعبث ، بل كان ميالا إلى النظام والتسيق في أعماله . كان ينظر في صدر النهار في أمور الدولة وما يعود على الرعية من خير ، فإذا صلى العصر جلس مع

(٤) - عن خلافة أبي العباس انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٢١ - ٤٢١ .

(٥) - المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(٦) - عن المنصور وصفاته انظر المترizi : المصدر السابق ، عن ورقه ٩٦ ظهر حتى ١١٠ ظهر .

(٧) - انظر فيما بعد .

(٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٥ - ٩١ .

أهل بيته ، فاذا صلى العشاء نظر فيما يرد عليه من كتب الولايات والثور ، وشاور سماره في ذلك ، فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره . فاذا امضى الثلث الثاني قام من فراشه فأسبغ وضوءه ، وصف في محاربه حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيجلس في ايوانه^(٩) .

اهتم المنصور بأمور دولته^(١٠) ورافق عماله مراقبة شديدة ، واهتم باختيار رجال البريد وكان ولاة البريد في الآفاق كلها يكتبون الى المنصور اياً خلافته في كل يوم بسعر القممع والحبوب والادم وبسعر كل مأكول ، وبكل ما يقضى به القاضي في نواحיהם ، وبما يعمل به الوالي ، وبما يرد بيت المال من المال^(١١) . ومن جملة ما يذكر عن اهتمامه بأمور الولاية ، ما حدث بينه وبين والي حضرموت ، حين أعلم صاحب البريد أنه يكثر الخروج في طلب الصيد بزيارة وكلاب قد أعد لها فزعه وكتب اليه : (تكلتك أمك ، وعدمتك عشيرتك ، ما هذه العدة التي اعددتها للنكاية في الوحش انا امام استكفيناك أمور المسلمين ، ولم نستكفكك أمور الوحش . سلم ما كنت تلي من عملنا الى فلان بن فلان ، والحق بأهلك ملوماً مدحوراً)^(١٢) .

ومن الحق والواجب علينا كمؤرخين أن ننصف هذا الخليفة الذي كان من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم مما وصم به من البخل ، كان المنصور يعطي بسخاء اذا وجد أن ذلك حق ، ويمنع اليسيير اذا وجد أن في ذلك تصييغاً وتبذيراً للمال . وهذا بحق عين الصواب . بل انه بامكاننا أن نلمس عكس ذلك لو عدنا الى مصادر التاريخ الاسلامي . وربما وجدنا أمثلة كثيرة تدل على كرمه^(١٣) ، واخرى

(٩) - الطبرى : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٧٠

(١٠) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٧ حين يذكر حاجته الى اربعة نفر لا يكون على بابه اعف منهم .

(١١) - الطبرى : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٧٠

(١٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٨

(١٣) - انظر ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٦٠ ، فيقول الله كان كريماً ، وانه لما حج افضل على اهل الحجاز فكانوا يسمون عامه عام الخصب . وانظر المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٠٦ وجده

تدل على وضعه الاموال في موضعها لا على الشح والبخل . ولعمري فان هذا من صفات الرجل الذي يثق بنفسه ومقدارته وقوته ورجاله ، ولا يحتاج الى تبذير الاموال لشراء نفوس بعض ضعفاء النعوس^(١٤) .

وي يمكن هنا أن نلخص أخلاق وصفات المنصور ، بما نقله عن ابن طباطبا^(١٥) . فقد ذكر أن المنصور كان من ذوي الآراء الصائبة ، والتدبرات الشديدة ، وقورا شديد الوعار ، حسن الخلق في الخلوة ، من أشد الناس احتمالاً لما يكون من عبث أو مزاح ، فإذا ليس ثيابه وخرج إلى المجلس العام ، تغير لونه وأحرمت عيناه ، وانقلب جنبيع أوصافه . كما قال عنه أيضاً بأنه هو الذي أصل الدولة وضبط المملكة ، ورتب القواعد وأقام الناموس ، واحتززع أشياء^(١٦) . وما يحمد له أن مدحه جاء من كانوا أعداء له في يوم من الأيام . فقد قال يزيد بن عمر بن هبيرة عنه : ما رأيت رجلاً في حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشد تيقظاً من المنصور . لقد حاصرني تسعة شهور ومعي فرسان العرب : فجهدنا كل الجهد حتى نتال من عسركه شيئاً فيما قدرنا لشدة ضبطه لعسركه ، وكثرة تيقظه . ولقد حصرني وما في رأسي شعرة بيضاء ، ثم انقضى ذلك وما في رأسي شعرة سوداء^(١٧) .

سلم الحكم بعد المنصور عدد من الخلفاء كانوا في معظمهم على قدر كبير من الذكاء وسداد الرأي والشجاعة في تحمل المسؤولية ، ومواجهة المشاكل الخطيرة في الداخل والخارج . فهذا المهيدي ابن المنصور وخليفة أبو عبد الله محمد ، حكم من سنة ١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٨٦ - ٧٧٥ م ، كان شهماً فطناً كريماً شديداً على أهل الالحاد والزنادقة . افتتح شهدته بالنظر إلى المظالم ، والكف عن القتل ، واعطاء الامان للخائف . وكما إذا جلس للمظالم قال : ادخلوا علي القضاة ، فلو لم يكن ردي

(١٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ .

(١٥) - المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(١٦) - المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

(١٧) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

للمظالم الا حياء منهم لكتفى^(١٨) وبسط يده في العطاء ، ورد الاموال التي صادرها أبوه الى أهلها ، وأحسن الى العلوين ، ثم بويع الهادي سنة ١٦٩ - ١٧٠ هـ / ٧٨٦ - ٧٨٧ م . وكان متيقظا غيورا كريما شهما ، جريء القلب ذا اندام وعزم وحزم^(١٩) . كما كان شديد الغيرة ، ولا يرغب في التدخل في شؤونه حتى من أقرب أقربائه^(٢٠) . وقد تكون شدته في مثل هذه الامور من أكبر الاسباب التي أدت الى وفاته في فترة مبكرة^(٢١) .

برز بعد الهادي اسم أخيه هارون الرشيد ، حكم من سنة ١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٧ - ٨٠٩ م . واحتل اسمه في الكتب التاريخية شهرة اسطورية ، لما نسج حولها من قصص وأساطير في الشرق والغرب على السواء . فقد ذكر عنه أنه كثير الصلاة كثير الحج دائم الجهاد . وهو مع كل هذا يعيش دنياه ، يحضر مجالس الله ، تلك التي خلدها عنه ألف ليلة وليلة . ويقال بأنه اجتمع له مالما يجتمع لأحد من جد و Hazel^(٢٢) . قال فيه ابن طباطبا انه كان من أفاليل الخلفاء وفضائحهم وعلمائهم وكرمائهم . كان يحج سنة ويغزو سنة وكان يصلى في كل يوم مائة ركعة . وكان يحب الشعر وشعراء ويميل الى أهل الادب والقصة^(٢٣) .

وتبعه كتب التاريخ الامين حقه (١٩٣ - ١٩٨ هـ / ٨١٤ - ٨٠٩ م) ، وتصفه بالخلية الخليع المستهتر . والحق يقال انه لم يكن كذلك ، وإن ما كتب عنه كان بسبب النهاية التي انتهت بها حكمه ، بل كان من رجال الدولة وعييه انه وثق بوزيره ثقة عميا ، وكان هذا الوزير يخشى المؤمن ، فحرضه عليه وكان ما كان^(٢٤)

(١٨) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(١٩) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٢٠) - حول قصة الهادي مع أنه انظر ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٢١) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٨٧ حتى ٢٠٤ - وانظر ايضا ابن طباطبا : المصدر السابق ص ١٩١ .

(٢٢) - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ١٤ ، ص ١١ .

(٢٣) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

(٢٤) - انظر فيما بعد ، وانظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، من ص ٥٠٨ - ٥٣٦ .

أما المؤمن (١٩٨ - ٢١٨ / ٨٣٤ - ٨١٤ م) فكان من أفضل الخلفاء والعلماء والحكماء والحملاء، ومن عقلا الرجال، فطنًا شديدا كريما^(٢٥)، وكان له الفضل في وضع أحسن تطوير النهضة الفكرية، فقد حمى العلماء ورعى الأدباء والفنانين، ورأى رأي المترنحة^(٢٦)، وقد ورد في كتاب المقريزي^(٢٧) على لسان يحيى بن إثيم وصفاً معبراً له، فقال له (يا أمير المؤمنين إن خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته، أو في النجوم كنت هرمس في حسابه، أو في الفقه كنت علي بن أبي طالب في عليه، أو صدق الحديث، فانت ابو ذر في لهجته، أو الكرم فانت كعب بن امامه في فعاله ..).

حكم المعتصم بن سنة (٢١٨ - ٢٢٧ / ٨٣٤ - ٨٤٢ م)، فكان سديداً الرأي موصوفاً بالشجاعة والقوة^(٢٨)، قضى على عدد من الثورات الداخلية، ودفع باسم الدولة الإسلامية قدماً بانتصاره في عسورية، وبفي اسمه خالداً يذكر كلما ذكر الاعتماد على الزرك في الجيش^(٢٩)، وكلما تحدث المؤرخون عن اسقاط اسم العرب من ديوان العطاء^(٣٠)، وكان الخليفة الواقع آخر خلفاء هذه الفترة، حكم من سنة ٢٢٧ - ٢٣٢ / ٨٤٢ - ٨٤٧ م، اعتمد على الاتراك كأئمه، فرسخت اقدامهم وتطاولوا على الخلفاء، توفي في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٢ / ٨٤٨ م، وبموته ينتهي العصر الذهبي للدولة العباسية.

ومما لا شك فيه أن خلفاء هذه الفترة توفرت لهم القدرة على حفظ التوازن

(٢٥) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٢٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٥١ - ٦٦٦ - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٢٧) - المقفى ، ورقة ١٢٨ وجه - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٢٨) - انظر فيها بعد .

(٢٩) - محمد جمال الدين سرور : الرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٣٠) - انظر عن خلفاء الدور الأول اسفله لما ذكر في الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، من ص ٤٢١ فيما بعد .

السياسي وجعل الخلافة السلطة العليا ، والمنصب الاول في الدولة^(٣١) . وكما امتازت الخلافة العباسية بميزات عامة ، فان الدور العباسي الاول امتاز بميزات انفرد بها ، ويمكن تلخيصها بما يلي :

- ١ — كافع خلفاء هذا الدور لاجل توطيد وثبت حكم بنى العباس ، ثلاثة ينافسون منافس ، أو ينافسهم منافس . وقد أسفرت عمليات التثبيت عن صدام العباسين بقوى داخلية متعددة . وكانت اسباب هذا الصدام سياسية بحتة في بعض الاحيان ، وقومية دينية في احياناً اخرى . ويمكن اجمال ما جرى من صراع بما يلي :

 - صراع بين بنى العباس والاميين وأنصارهم .
 - صراع بين بنى العباس أنفسهم .
 - صراع بين بنى العباس والعلويين .
 - صراع بين بنى العباس والخوارج .
 - صراع بين العرب الحاكمين والموالي أو بين العرب وسكان البلاد المفتوحة
 - ٢ — عمل خلفاء الدور العباسي الاول على المحافظة على حدود الدولة العربية الاسلامية تجاه القوى المعادية كافة . وبشكل خاص أمام البيزنطيين^(٣٢) وقد أثبتوا في ذلك مقدرة فائقة ، وأصبحت أسماء غالبية خلفاء هذا الدور رمزاً للبطولة والمقدرة . فهارون الرشيد ووصوله للبوسفور ، والأمويون وغزواته المتعددة المشهورة والمعتصمة وعمورية . ومع هذا النشاط على الحدود الشمالية، فإن العباسين فشلوا في المحافظة

^(٣١) — الاذدي : تاريخ الموصل ، ص ١٦١ - ١٦٤ — الميون والحدائق ، ص ٢١٥ - ٢٦٩ — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ص ٤٥ فما بعد — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، جزء ٢ ،

ص ٢٥٣ - ٢٥٧ .

^(٣٢) — انظر فيما بعد .

على وحدة الخلافة الإسلامية وبدأت حركات انفصالية جزئية في هذا الدور حيث
تراءيت وتسارعت في الدور الثاني ٠

٣ - تفاعل عناصر المجتمع العربي مع بعضها ضمن إطار الخلافة الإسلامية ،
ولقاء بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارات السابقة القائمة على الأرض
المفتوحة ٠ وقد اشرت هنا اللقاء عن حركة ترجمة واسعة لتراث الحضارات إلى اللغة
العربية ، كانت شرطته حضارة عربية إسلامية مزدهرة ، وإذا أضفتنا إلى ذلك الصراع
العقائدي بين العقيدة الإسلامية والديانات الأخرى كال المسيحية واليهودية ، والديانات
الفارسية ، وانتشار الفلسفة اليونانية والهندية ، وما أسفر عن ذلك من نشوء مذاهب
وفرق دينية لا دركنا أهمية ذلك انتقال الحضاري ٠

الفصل الأول

توطيد وتشييت أركان الحكم العباسى

اصطدم العباسيون في سبيل توطيد حكمهم بعقبات صلدة ، وكان لابد لهم من اجتيازها اذا أرادوا لدولتهم البقاء ، وعلى رأس تلك العقبات :

١ - الموقف العدائى المتبدال بين العباسيين وبني أمية وانصارهم

لم يشعر العباسيون بالارتياح للامويين ، وأشياعهم ، وقد بادلهم الفريق الآخر المشاعر نفسها . فقد شعر الامويون ، وأهالي الشام بقيمة ما ضاع منهم . ورأى الاخرون أن انتقال مركز الخلافة من أرضهم سيضر بهم سياسياً واقتصادياً . وقد أدرك العباسيون المصالحة المشتركة بين الطرفين ، وما ولده من حب أهالي الشام للامويين ، واحلاصمهم لهم . ومن أجل ذلك رسم محمد بن علي الطريق لانصاره بعدم الاعتماد على أهالي الشام ، معبراً عن ذلك بعبارة صريحة اذ قال : اما أهل الشام فليس يعرفون الا آل أبي سفيان وطاعة بنى مروان عداوة لنا راسخة وجهلا متراكماً^(١) .

وتتبّع نظرة العباسيين إلى أهل الشام منذ اليوم الاول لاعلان الخلافة

(١) - ابن قتيبة الدينوري : عيون الاخبار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، جزء ١ ، ص ٢٠٤ .
- الريعي : فضائل الشام ودمشق ، تحقيق النجاش ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٥٠ .
ص ١١ .

العباسية ، كما اتفتحت قبل الاعلان . فقد خصص الخليفة ابو العباس فقرة خاصة من خطابه ذكر بها أهل الشام ومواقفهم من العباسيين ، وانهم ينظرون الى الاخرين نظرة خاطئة حين يرون أن غيرهم أحق بالرئاسة والخلافة منهم ، بينما حقيقة الامر أن العباسيين أحق بها ، حيث ان الله بهم هدى الناس بعد ضلالتهم ، وبصرهم بعد جهالتهم ، وأشذهم بعد هلاكتهم^(٢) . وبناء على ذلك اعتبر أهالي الشام حلفاء مخلصين للامويين . واتخذ القرار بتحطيم افتهم ، وضرب القبائل القيسية حلقة مروان بن محمد ، والاستناد الى مساعدة القبائل اليمنية . حسب الظروف والاحوال^(٣) .

سياسة العباسيين تجاه الامويين :

وخوفا من الامويين وأخذنا بالثار ، استخدم عبد الله بن علي أعنف الوسائل ، فقد اتته لكل من تسلى على يد الامويين . فأخذ الثار من احياءتهم بالقتل ، ومن أمواتهم بنبش القبور وصلب الجثث واحراقها ، وتعقب آثارهم ، بل قتل حتى الذين استأمنوا اليه . ووقع الفcasاص من أهل الشام باعتبارهم أنصاربني أمية^(٤) . وقد حدث هذا على الرغم من أن أبي العباس حين حضر الى الشام بعد مقتل مروان بن محمد خطب في أهلها مطمئنا لهم موضحا بأنه عفا عنهم ، واغتنر لهم زلتهم^(٥) .

وعندما قدم عبد الله بن علي الى فلسطين . بعث الى بني أمية وأظهر لهم أن أمير المؤمنين أو صاحبهم خيرا . وأمره أن يلتحقهم في ديوانه وأن يرد عليهم أموالهم . فقدم عليه من أكابر بني أمية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلا ، وأخذوا يسلمون عليه

(١) - ابن الساعي البغدادي : مختصر اخبار الخلفاء ، الطبعة الاولى ، المطبعة الائيرية ببولاق ١٣٠٩ ، ص ٦ .

(٢) - الاذدي : المصدر السابق ، ص ١٣٥ - صلاح الدين المتقد : مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين ، طبعة دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٦٧ ، الطبعة الاولى ، ص ١٩ .

(٣) - المقريزي : النزاع والتناقض ، ص ٧٠ - كرد علي : الادارة الاسلامية في عن العرب ، مطبعة مصر ١٩٣٤ ، ص ١٢٢ .

(٤) - انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، مطبعة الواقع المצרי ، طبعة سنة ١٢٩٣ هـ ، الجزء ٢ ، ص ١٧٦ اذ يذكر خطبة أبي العباس كاملة .

معتدرین^(٦) ولم يختلف منهم الا عبد الرحمن بن معاوية^(٧) ، وأعد لهم عبد الله مجلساً فيه اضعافهم من الرجال ومعهم السيوف والعمد ، ولما أخذوا مجالسهم ، نهض عبد الله فذكر لهم فضل الحسين عليه السلام وأهل بيته ، ثم أمر جنوده بضرب الامويين بالعمد والسيوف حتى أتوا عليهم^(٨) . وقد أراد عبد الله ان يكون عمله هذا عبرة للجميع ، حيث أوضح خطبة لقائهما بعد تنكيله ببني أمية ، بأن القتل هو العلاج الوحيد للمعصية^(٩) .

وبعد أن قضى عبد الله بن علي على أغلب الامويين ، ومن يشك في أمره من أهل الشام رأى أن يستولي على أموالهم ، مهما كانت الوسيلة التي يستخدمها لتحقيق ذلك ، حتى أصبحت معظم أموال الامويين وممتلكاتهم تحت أمرته . فقد احتوى عبد الله على معسكر مروان بما فيه من سلاح كثير وأموال . وكذلك استولت جيوش العباسين على الاموال التي وضعها مروان في معركة الزاب ليحمس بها جنوده على القتال^(١٠) واستعنى عبد الله ، عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك من المجزرة التي قام بها في الشام ، لانه كان يطمح فيما عنده من أموال^(١١) وحين طلبها منه أباها عليه ، واختفى منه ، ولكنه تمكّن من معرفة مكانه بعد ان لجأ الى تهديد عدد من أقاربه وملاقبض عليه أمر بقتله ، ثم استصفى ماله ، وحين بلغ الخبر للخليفة أبي العباس وكان يعرف عبد الواحد قبل ذلك ، ويرى أنه أفضل قرشي في زمانه عبادة وفضلا ، غضب وكتب الى عميه ألا يقتل أحدا من بني أمية حتى يعلم به . وكان ذلك بداية نكمة أبي العباس على عميه^(١٢) .

(٦) - ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٤٦ - المفرizi : النزاع والتناقض ، ص ٧٠

(٧) - ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٦٣

(٨) - الأزدي : المصادر السابق ، ص ١٣٩ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٣ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٣٢ .

(٩) - انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ١٧٧ - ١٧٧ .

(١٠) - محمد خبياء الدين الرئيس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ، دار المکارف بمصر ، ص ٤٠٢ .

(١١) - ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٣٣ .

(١٢) - ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٣٣ .

ومن أهم غنائم الحرب التي استولى عليها العباسيون ضياع آل مروان . فمن ذلك استيلاؤهم على بالس وقرابها التي كانت لورثة مسلمة بن عبد الملك ، واقتصرت إلى سليمان بن علي^(١٣) . وكذلك استولوا على رصافة هشام ، إلى جانب ضياع آخر واسعة ، وسميت هذه الضياع ضياع الخلافة^(١٤) . واستولى العباسيون فيما استولوا عليه على دار الصابعين في الرملة وسلمت إلى صالح بن علي ، وإلى ورثته من بعده^(١٥) .

وقد حاول عبد الله أن يتزوج من عبده بنت عبيد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان زوجة هشام بن عبد الملك . ليضم أموالها إلى أمواله^(١٦) ولكنها أبت ذلك فكانت نهايتها القتل .

ولم يقف العباسيون عند القضاء على الأمويين ومن حالفهم ، ومن عمل معهم بل بلغ بهم الأمر إلى محظوظ الأمويين المنقوشة على المباني ، ومن أمثلة ذلك ما حصل في المسجد الأقصى . فقد أصاب البناء شيء من الخراب في عهد الخليفة العاسي المأمون . ولما زار الخليفة بيته المقدس سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م^(١٧) أمر بترميمه . ولما انتهت العمالة من الترميم استبدلوا اسم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان باسم المأمون . ولكنهم غفلوا عن تغيير السنة التي حدثت فيها العمارة . إذ يوجد فوق الأعمدة التي يقوم عليها سقف المسجد حول الصخرة من الناحية

(١٣) - البلاذري : فتوح البلدان ، طبعة بريل ، ص ١٥١ .

(١٤) - محمد خسرو الدين الرئيس : الرابع السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(١٥) - المجلة التاريخية للجمعية العراقية للتاريخ والآثار ، العدد ٣ ، ١٩٧٤ ، مقال عن تراث العرب المعماري في فلسطين في خلل الحكم الإسلامي للدكتور عواد مجید الاعظمي ، ص ٢٣٨ .

(١٦) - كان عندها الكثير من الجواهر النادرة مثل الدرة البيضاء وقرطان ثمينان ، وبذنسة لم ير في الإسلام مثلها ومثل الحب الذي كان فيها : انظر مجلة المجتمع العربي بدمشق الجزء ١٢ ، ص ٥٥٦ .

مقال صلاح الدين المتعدد عن جواهر الخلفاء العباسيين ، وكذلك بين الخلفاء والخلفاء للمتبعد ، طبعة دار الحياة سنة ١٩٥٧ ، ص ٥٢ .

(١٧) - تذكر المصادر العربية قيام المأمون بعدة زيارات إلى بلاد الشام منها الطبراني : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٢٤ .

الجنوبية خط ضيق مصنوع من البلاط الأزرق . نقشت عليه بالاحرف الكوفية المذهبة الكلمات الآتية .

(بني هذه القبة عبد الله الإمام المؤمن أمير المؤمنين في سنة اثنين وسبعين ، تقبل الله منه ورضي عنه أمين^(١٨)) . ويظهر من التاريخ المذكور أن الذي قام ببناء القبة هو عبد الله بن مروان ، ولم يفطن الصانع الذي غير الاسم إلى تغيير التاريخ ، ثم أنه وجد المكان ضيقاً بحيث لا يتسع لاسم الخليفة المؤمن وألقابه ، فاضطر إلى كتابة ذلك بطريقة تختلف تلك التي كتبت بها الكلمات الأخرى . أي أن الحروف التي كتب بها اسم المؤمن جاءت مزدحمة متراصة يختلف شكلها عن الحروف التي سبقتها . ثم أن لون الفسيفساء الذي جرى به التحريف أشد سمرة من لون الفسيفساء القديمة^(١٩) . ويقال انه سبق أن حدثت زلازل عديدة قبل ذلك اثرت في بناء المسجد الأقصى ، وخاصة أيام الخليفة أبي جعفر المنصور ، فأمر بقلع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت على أبواب المسجد الأقصى ، وضربت دنانير ودرارهم ألهقت في بنائه^(٢٠) .

سياسة العباسيين تجاه القبائل العربية والمدن الشامية :

نقم أهل الشام على العباسيين بسبب حرمانهم من المكاسب التي كانت لهم في عهد الخليفة الامويه ، ولنا في ما قاله ابن جعونة^(٢١) للخليفة المنصور دليل على ذلك

(١٨) - عارف العارف : الحرم التقسي ، مطبعة دار الإيتام الإسلامية الصناعية بالقدس ١٩٤٧ ، ص ٦
فاكي محمد حسن : ثقون الإسلام الطبعة الأولى ١٩٤٨ ، ص ٣٩

(١٩) - عارف العارف : المرجع السابق ، ص ١٦
فاكي محمد حسن : المرجع السابق ، ص ٣٩

(٢٠) - عارف العارف : المرجع السابق ، ص ٤٣ - ٤٤

(٢١) - هو منصور بن جعونة بن العارث العامري القيسي . كان تولى بناء الحصن الذي سمي باسمه .
وكان مقينا به أيام مروان بن محمد اليرد العنبو ، ومهه جند كثيف من أهل الشام والجزرية
وأرمينية . وحين امتنع إهالي الرها على العباسيين في بداية خلافتهم كان ابن جعونة على رأسهم
المحصر لهم أبو جعفر المنصور وهو عامل لأخيه السفاح على الجزيرة وأرمينية ، فلما فتحها هرب
ابن جعونة ، ولكن المنصور تمكّن من القبض عليه ، وقتل بالرقة سنة ١٤١ هـ .

انظر البيقوبي : تاريخه ، ج ٢ ص ١٠٧ - باقوت الحموي : معجم البلدان ، طبعة لايزغ ١٧٧٧ ،
ج ٣ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

اذ خاطبه قائلًا له : (ان الله أعدل من ان يجمعك علينا والطاعون في وقت واحد) ^(٢)

وقد استمر أهالي الشام في كرههم للعباسيين والعلويين ، وحبهم للأمويين مدة طويلة ، وعبروا عن مشاعرهم وتقديرهم للأمويين بأساليب كثيرة ^(٣) . وقد اضطر العباسيون نتيجة لذلك إلى معاملة أهالي الشام بقسوة ، فأدى ذلك إلى نشوب ثورات عمت مناطق الشام في دمشق وحمص وقنسرين وفلسطين ، وهناك أدلة قوية متعددة لوقوف أهالي الشام هذا الموقف الصلب من العباسيين . ومنها :

— ابتعد مركز الخلافة عن دمشق ، وبالتالي فقد أهالي الشام المكاسب التي جنوها في أثناء حكم الأمويين حين كانت دمشق عاصمة الخلافة .

— خوف العباسيين من أهالي الشام لا دراكمهم أنهم أنصار الأمويين . وما تج عن ذلك من مراقبتهم والتضيق عليهم .

— كثرة تبديل الولاية وما تج عنه من اضطراب سياسي وتأخر حضاري .

— إثارة العباسيين للعصبية القبلية عن طريق تكريهم لليمنية دون القيسية في بداية الأمر ، وتبع ذلك فيما بعد اهتمان لشأن العرب تدريجياً . فمنذ عهد المؤمنون بدأ اعتماد العباسيين على الفرس وأهمل العرب وجاء عصر المعتصم فاسقط العرب من ديوان العطاء .

لم تكن سياسة الانحصار إلى فرع قبلي واحد في صالح العباسيين ، خاصة وأنهم رأوا تائج ذلك في الخلافة التي سبقتهم . ولكن ما بذلوا ظاهراً للجميع أن ولاة العباسيين على بلاد الشام لم يقدروا هذا الأمر حق قدره . بل إنهم في كثير من الأحيان عملوا على إشعال

(٢) — عبد القادر بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، طبعة دمشق ١٣٣١ ، مجلد ٣ ، ص ٣٩٢ .
(٣) — انظر كمثال على ذلك ماذكره كل من الحمد أعين : ظهر الإسلام ، طبعة مصر ١٩٤٥ ، ج ١ ، ص ٧٧ .
— آدم ميتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ ، جزء ١ ، ص ١٠٣ .

نار العصبية القبلية بسوء سياستهم ° واخذ ولادة الشام في عصر خلفاء العباسين
 الاول يناظرون القبائل اليمنية في الشام ، كلما نشب نزاع بين الفرعين القبليين ،
 دون تمحيص في الامر او اهتمام باحقاق الحق ، وانصاف المظلوم ، وتهدهة النزاع °
 اللهم باستثناء الوالي ابراهيم بن محمد المهدى (٢٤) المعروف بابن شكلة الهاشمي
 أخي الرشيد ° فقد عمل جاهدا على مساعدة الطرفين واحضارهما اليه ومعاملتها
 حسب قانون ارضاهم ° فقد امر ابراهيم بن المهدى حاجبه باحضار رؤساء الفرعين
 القبليين وامر بتسمية اشرافهم ° وان يقدم من كل حي الافضل فالافضل ، فامر ان
 يكون أول الناس من الجانب الایمن مضريا وعن شماله يمنيا ومن دون اليمني مصرى
 ومن دون المجرى يمني ° واوضح لهم بأنه لكي يتم العدل بين الطرفين، ينبغي ان يتناوب
 الطرفان امكتتهم يوميا . فيكون مجلس رئيس المضرة في اليوم التالي في الجانب
 الایسر ورئيس اليمنية في الجانب الایمن (٢٥) ° وهكذا استطاع ارضاء الفرعين
 القبليين ° ولم يستطعأغلبية ولادة الشام العباسين من اتباع سياسة المساواة والتوفيق
 بين القبائل على الرغم من أن بعضهم حاول أن يعمل على الحد من الخلافات ° فقد
 أوضح أحد ولادة العباسين لرؤساء الفرعين القبليين على أنه لن يقدم فريقا على آخر
 الا على الطاعة لله عن وجل وللحلفاء ، وفيما عدا ذلك فالكل اخوه (٢٦) ° ولم تكن
 هذه التصرفات الشخصية من قبل بعض الولاة لتحول دون وقوع منازعات بين
 القبائل كانت متكررة °

كانت الثورات القبلية بالفترة الاولى من حكم العباسين في أغلبها قيسية °
 ويبعد أنه منذ مطلع القرن الثالث الهجري بدأت ثورات القيسيات في الانحسار وبدأت
 ظهر للعيان ثورات كان يقوم بها العرب اليمنية من أهالي حمص على عمالهم ° وقد
 يكون لكل ثورة من هذه الثورات اسباب قرية أدت إليها ، الا انه لا بد من وجود

(٢٤) ... ثوري الشام سنة ١٧٧ هـ انظر الصندي ، امراء دمشق في الاسلام تحقيق النجاش طبعة دمشق ١٩٦٣ ، ملحق ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٢٥) ... أنس بن مالك : الادارة الاسلامية ص ١٣٩ ، وخطط الشام ، جزء ٢ ، ص ١٨٩ - ١٩٠ وقد وردت

القصيدة عن معاوية بن أبي سفيان .

(٢٦) ... ابن داهي : الادارة الاسلامية ، ص ١٤٠ .

سبب عام شامل قد جمعها كلها . وهو انحياز ولاة العباسين على ما يبذلو الى
القيسية وسوء معاملة القبائل اليمينية على عكس ما كان الحال أوائل قيام الخلافة
العباسية . وهكذا فان خلفاء بنى العباس على الرغم من أنهم كانوا يدركون بأن
التراثات القبلية كان لها دور كبير في نهاية الخلافة الاموية فانهم لم يأخذوا عبرة
من ذلك . ويبدو ان ذلك كان خطأ أراد العباسيون تطبيقها ، لضرب القبائل الشامية
و اشعاعها . فيضعف بذلك أهل الشام الذين كانوا اعداء تقليديين للعباسيين .

كانت هذه سياسة العباسين مع القبائل الشامية بشكل عام . يضاف اليها
سياسة كانت اكثراً قوة ، وأعمق تأثيراً وهي العمل على اهتمام شأن العرب بصورة
عامة من قيسين وينيين تدريجياً ، واخراجهم من الدواوين . وقد كان يجد للعيان
استياء العرب بصورة عامة من هذه السياسة . فأخذوا يتسللون أمام الخلفاء عن
سبب هذا الاهتمام كلما سُنحت لهم الفرصة . وقد سُأله أحد رجال الشام الخليفة
المأمون عن سبب ذلك فأجابه قائلاً : اكرثت علي يا أباً أهل الشام . والله ما أزلت
قيساً من ظهور الخيل الا وانا أرى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد . وأما اليمن
فوالله ما أحبتها وما أحبتني قط . وأما قضاة فسادها تتذكر السفياني وخروجه
فتكون من أشياعه وأما ربيعة فساخطه على الله منذ أن بعث نبيه من مضر ولم يخرج
اثنان الا وخرج احدهما شارياً . اغرب فعل الله بك (٢٧) .

وقد توج غضب العرب على سياسة العباسين هذه بثورة نصر بن شبيث
العيلاني (٢٨) الذي صرخ موضحاً سبب ثورته بأنه ليس له هو في غير العباسين ،
وانه انما قاتلهم محاماً عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم (٢٩) .

(٢٧) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - كرد علي : خطط الشام ج ١ ، ص ١٨٩

(٢٨) - انظر بيرس الدوادار : زبدة الفكر في تاريخ الهجرة ، مخطوطة مصورة بجامعة القاهرة رقم ٦٣٧٣ ، ج ٦ ، ٥٤٠٢٧ ، ٥٤٠٢٧ ، ورقة ٤٦٥ .

(٢٩) - العيني : عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٨ ، تأريخ و
٥٥٩ معارف عامة ، ج ١٩ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٦٥ .

(٣٠) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٧٧ - محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة
الإسلامية في الشرق ، الطبعة الثانية ، ج ١٩ ، ص ١٩ - خاشع الماصيسي : دولةبني عقيل
في الموصل من سنة ٤٨٩ - ٣٨٠ مطبعة شقيق بغداد سنة ١٩٦٨ ، ص ٤١ .

ثورة نصر بن شبيث العقيلي :

نشبت ثورة نصر بن شبيث العقيلي في سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م^(٣٠) وقد عبر نصر تعبيراً صادقاً عن أسباب ثورته التي أعلنتها لنفر من الشيعة حينما سأله ان يدعم مرکزه بالبيعة ل الخليفة فاجابهم بقوله انه لا يكرهبني العباس ولم يكن قتاله لهم الا لأنهم افهمنا عن العرب ولاعتمادهم على الاعاجم^(٣١) .

وتتجزئ عن شعور نصر باهتمال العباسين للعرب وفضيلتهم للموالى . جبه للخليفة الأمين^(٣٢) وكرهه للمؤمنون ، لأن أم الأمين عربية فتطوع في الجيش الشامي الذي شَدَّله عبد الملك بن صالح لنجدته الأمين . واشتهد غضب نصر لقتل الأمين فأخذ بمناهضة المؤمنون ، فاستوأى على الجزيرة^(٣٣) وعلى مجاوره من البلاد .

استغل نصر الظروف التي تمر بها بلاد الشام انر القتال بين الأمين والمؤمنون . فقد تمزقت وحدة بلاد الشام في تلك الفترة ، وسيطر كل رجل في نفسه القدرة على منطقة من المناطق ، أو مدينة من المدن ، فقد سيطر احمد بن عمر بن الخطاب الربعي على نصيبيين وما والاها . وموسى بن المبارك اليشكري على ميافارقين . وعبد الملك بن الجحاف السلمي ومحمد بن عتاب على ارمينية ، وحبيب بن الجهم على رأس عين وكفر توثا^(٣٤) ، وعثمان بن تمامه العبسي على قورس^(٣٥) وما والاها من كور قنسرين . وكان كل من منيع التنوخي ويعقوب بن صالح الهاشمي يقتلان للسيطرة

(٣٠) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٧١ - كرد علي : خطط الشام ج ١ ، ص ١٨٦-١٨٧

(٣١) - خاشع العاضيدي : الرجع السابق ، ص ٤١ .

(٣٢) - المقريزى : المصدر السابق ، ورقة ١٢٢ وجه

(٣٣) - العيون والحدائق ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣

(٣٤) - انظر ابن خرد اذبه : السالك والممالك ، طبعة ليدن ١٨٨٩ ، ص ٩٥ .

- الاصطغري : صور الأقاليم ، طبعة ليدن ١٩٦٧ ، ص ٧٤ .

(٣٥) - انظر ابن دسته : العلاقات النفسية ، ليدن ، مجلد ٧ ، ص ١٠٧ - ابن حوقل : صورة الأرض ، ليدن ، ص ١٨٧ .

على حاضر حلب . وكان الحواري التنوخي بمعرة النعمان وتل منس^(٣٦) وما لاها ، وحران البحرياني بحماء وما والاها وبنو بسطام بشيزر وما والاها ، وبنو السمحط بمدينة حمص ، وثابت بن نصر الغزاعي بالمصيصة واذنه وما والاها من الشعور الشامية واقام بدمشق والاردن وفلسطين جماعة من سائر القبائل . وكان أصعب هؤلاء شوكه واشدهم امتناعا نصر بن شبيث ، وكان يسيطر على كيسوم^(٣٧) وما والاها من ديار مصر^(٣٨) .

انضم الى نصر في ثورته عدد كبير من القبائل في مناطق الشام الشمالية ، كما انضم اليه قائد من قواد الجندي يقال له عمر^(٣٩) . وقد تمكن من اثاره الذعر على ضفتي الفرات لمدة ثلاثة عشر عاما . وقد اقضت هذه الثورة مضاجع الخليفة المأمون ، فعين في سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م طاهر بن الحسين على بلاد الشام وكلفه بقتال نصر . حاصر طاهر نصرا بكيسوم ، ففشل في اجباره على الرضوخ . ثم قاتله نصر بجرأة نادرة ، وأنهى في أصحابه ، كما هزم في الرقة ، وبقي القتال بينهما حتى ورد المأمون الى بغداد واستدعى طاهرا اليه^(٤٠) .

(٣٦) - اتل منس حصن قرب معرة النعمان بالشام . وهو من اعمال جند حمص انظر البغدادي : مرآصد الاعلام ، ص ٢٧٣ - اليعقوبي : البلدان ، مع كتاب الاعلاف النفسية لابن دسته طبعة ليسين ١٨٩١ ، ص ٣٢٣ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ١ ، ص ٨٧١ .

(٣٧) - كيسوم : حصن على الطريق من الرقة الى الشعور الجزيرية ، انظر ابن خردابه : المسالك والممالك ، ص ٩٧ .

(٣٨) - اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ . وانظر كذلك المقرئي : المصدر السابق ، ورقية ١٢٢ وجه

- فازيليف : العرب والروم ، ترجمة شعيره ، طبعة دار الفكر العربي ص ٨٧ لم استطع التعرف على الاسم الكامل لعمر هذا اذ لم تذكره المصادر العربية التي راجعتها . وقد تكون سميت هذه التي تحصن بها هي سميساط .

(٤٠) - ابن قتيبة الدينوري : المعارف ، ص ١٦٩ - ١٧١ .

- الطبرى : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٥٨١ .

ابن طيفور : تاريخ بغداد ، جزء ٦٠ ، ص ٣٤ - ٣٥ - ابن الساعي البغدادي : المصدر السابق ، ص ٢٨

تولى ولاة المنطقة قتال نصر ففشلوا ، وانهزموا أمام قوته وجرأته فنهض المؤمنون لاختيار قائد كفاء ، فوقع اختياره على عبد الله بن طاهر ، فأعطيه ولاية المنطقة الممتدة من الرقة إلى مصر منذ سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م ، وكلفه بقتال نصر بن شبيث . وقد أوصى طاهر بن الحسين ابنه عبد الله بهذه المناسبة وصيحة مشهورة أوضحت فيها الطريق الذي يجب عليه أن يسير فيه . وحسن معاملة الناس وقدم له خبرته في الحروب ، وباختصار فإن هذه الوصية جمعت محسنات الأدب والسياسة ومكارم الأخلاق ، اذ لم يترك طاهر شيئاً من أمر الدين والدنيا ، والتدبير والرأي والسياسة وأصلاح الملك والرعاية ، وحفظ البيعة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه وأوصى به (٤١) .

اقام عبد الله على محاربة نصر خمس سنوات جرت خلالها معارك كثيرة ، ولم يستطع خلالها ان يحقق نصراً حاسماً على العقيلي ، وقد جرى في هذه المدة مفاوضات لطلب الصلح فشلت بسبب كبير في رأس نصر لم يقبل به الخليفة . فقد اشترط نصر ان لا يطأ بساط المؤمنون ، فرفض المؤمنون ذلك وكانت حجته انه اذا كان نصر خجلاً مما كان منه ، فإنه لم يكن أكبر جرماً من سبقه في عداء المؤمنون من أمثال الفضل بن الربيع وعيسي بن أبي خالد ، ومع ذلك فانهم وطأوا بساطه (٤٢) .

قضى تشدد كل من الطرفين في مطالبه على كل فرصة للصلح . ويعود تشدد نصر في موقفه إلى أنه كان يرى نفسه أقوى من المؤمنون لأن ثورته ثورة عربية . وأن دعم العرب له يجعله في موقف قوة ، ويحتقر جيوش المؤمنون لأنها لم تستطع ان تقضي على ثورة الزط ، يتضح ذلك مما صرخ به بلهجة عامية بعد رفضه لشروط

(٤١) - هذه الوصية موجودة بنصها الكامل في الطبرى : المصدر السابق ، ج ٨ ، من ص ٥٨٢ - ٥٩١
ابن طيفور : المصدر السابق ، جزءاً من ص ٣٦ - ٥٣ - الرفاعي : الرجع السابق ، مجلة ١ ،
من ص ١٧ - ٤٥

(٤٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٩٨ - ٥٩٩ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٥ ،
ص ٢٠٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ - ابن طيفور : المصدر السابق ،
ج ٦ ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

المأمون قائلاً « وَيَلِي عَلَيْهِ » — يقصد المأمون — وهو لم يقو على اربعينات ضفدع تحت جناحه • يقوى على بجلبة العرب • ثم صاح بالخيل معلنا العودة إلى القتال (٤٣) •

ضيق عبد الله بن طاهر على نصر • وحاصره في كيسوم حتى اضطره إلى طلب الأمان • وتبع نصر في ذلك سائر المغليين على النواحي من أهالي الجزيرة والشام • فجذبوا للسلم وطلبوه كتاب الأمان (٤٤) • وخرج نصر بن شبت إلى عبد الله بن طاهر في الرقة حيث سيره إلى بغداد ، فوصلها في صفر سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م ، ووكل به المأمون من يحفظه (٤٥) • وقام عبد الله بتخريب حصن كيسوم ، وهدم سور معرة النعمان ، كما هدم معظم الحصون الصغار مثل حصن الكفر وحصن حنائل (٤٦) • وتسكن عبد الله بن طاهر من إعادة بلاد الشام إلى حوزة الخليفة العباسية • وعلى هذا الشكل انتهت هذه الثورة العربية التي نهض بها عرب الشام للوقوف في وجه الخليفة العباسية بسبب ابعاد العنصر العربي عن مسرح السياسة والقيادة العسكرية •

يتضح من كل ماسبق دراسته أن العباسيين عملوا منذ عهد المأمون على اهمال شأن العرب تدريجيا ، وعلى الرغم من هذا الاهتمام فإنهم في تعاملهم مع العرب في الشام أخذوا في الفترة الأولى ينحازون إلى قبائل اليمن حتى كان عهد المأمون الذي اعلن انه لم يحب العرب اليمنية ولم يحبه هؤلاء (٤٧) •

(٤٤) - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٦ - ابن طيفور : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٤٢

(٤٥) - الميعوبى : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ — نسخة كتاب الأمان موجودة في ابن طيفور : تاريخ بغداد ، ج ٦ ، ص ١٣٩ - ١٤٠

(٤٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٩٩ - ابن طيفور : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٤٢

- حسن محمود وأحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسى ، الطبعة ١ ، دار الفکر الصربي ١٩٢٦ ، ص ٢٣٣ .

(٤٧) - ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٦ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٤٦

- بيتشوف الجermanي : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٤٨) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

وبذا واضحاً منذ بداية القرن الثالث انحياز ولاة العباسين الى العرب القيسية ، وقام هؤلاء الولاة في الشام بدور كبير في تحريض فرعي العرب بعضهم ضد البعض ، مما تبع عنه اذكاء نار العصبية القبلية ، وقد حاول خلفاء العباسين تعديل هذه الوضع في بلاد الشام ، فقاموا بزياراتها مستغلين فرصة قيامهم بأداء فريضة الحج او بحملات ضد البيزنطيين ، كما عمل المأمون على دراسة الوضع الاقتصادي ، فوضع كشفاً لاراضيها على أمل زيادة الدخل الوارد منها ^(٤٨) .

وقد عمل بعض أهالي الشام على التقرب من العباسين ، واعلان طاعتهم ولائهم لهم تخلصاً من الفتنة ، ورغبة في العيش بطمأنينة . فقد وفد منهم الى الخليفة المنصور جماعة، فخاطبه رئيسهم قائلاً: يا أمير المؤمنين : لستا وفدي مباهاة ولكن وفدي توبية . ابتلينا بفتنة استفزت شريفنا ، واستخفت حليمنا ، فنحن بما قدمنا معترفون ، ومما فرط منا معذرون ، فان تعاقبنا ب مجرمنا ، وان تعف عننا فبغضلك علينا . فاصفح يا أمير المؤمنين اذ ملكت ، وامن اذ قدرت ، وأحسن فطالما أحسنت . فقال المنصور : أنت خطيبهم ، وأمر برد قطائعه بالغوفة ^(٤٩) .

ب - ثورات اجناد الشام و موقف العباسين منها :

ظن العباسيون ان الجو سيصنفو لهم باتباع سياسة الشدة مع الامويين وأنصارهم ، ولكن ذلك قد أدى الى ردة فعل عكسية ، فقد نشبت الثورات في كل مكان من بلاد الشام في حوران والشنية وفي قنسرين ودمشق وحمص وفلسطين ولبنان .

ثورة حوران والشنية ، ثورة حبيب بن مرة المري :

كانت الثورة التي التهبت في حوران والشنية ردًا على سياسة الانحياز التي قام بها العباسيون عقب فتح الشام مباشرة ، فقد نهضت القبائل القيسية في المنطقة

(٤٨) - حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، جزء ٢ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٤٩) - المقرizi : المصدر السابق ، ورقة ٩١ وجه

وثارت بزعامة حبيب بن مره المري الذي كان قائداً من قواد الخليفة الاموي مروان ابن محمد ، فخلعوا طاعة العباسين ، وبaiduوا رجالاً منبني امية^(٥٠) .

ولما بلغ عبد الله بن علي ذلك سار لقتالهم . وجرت بينهما معارك كثيرة لم تسفر عن تائج حاسمة . واضطرب عبد الله بن علي الى عقد صلح معهم لنشوب ثورة كبيرة في قنسرين . فدعا حبيب بن مرة وأمه ، ومن معه ، وخرج متوجهاً الى قنسرين^(٥١) .

ويبدو ان عبد الله بن علي لم يكن مررتاحاً للصلح الذي عقده مع أهالي حوران والشنية لانه عقده مضطراً . وخشى ان يعود هؤلاء للثورة بعد التجاء القبائل القيسية في دمشق اليهم ، اذ تذكر بعض المصادر أن عبد الله بن علي بعد أن نجح في مهمته الجديدة سار ثانية الى حوران والشنية ، وقاتل حبيب بن مرة حتى هزمه^(٥٢) .

ثورة قنسرين وحلب أبو الورد الكلابي^(٥٣) والسفياني^(٥٤)

كان أبو الورد ومن معه من جنودبني امية قد بايدوا العباسين بعد ان تسكن

(٥٠) - اليعقوبي : تاريخه ، ج ٣ ، ص ٩٣ .

(٥١) - الطبرى : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٦ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٢٤ .

- كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ بينما يذكر اليعقوبي : تاريخه ، ج ٣ ، ص ٩٣ من ان عبد الله بن علي نجح اليه وقتلته وفرق جمعه .

(٥٢) - الازدي : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
(٥٣) - هو أبو الورد مجذأة بن ذفر بن العارث الكلابي . وهو من قواد مروان واصحابه . انظر القرizi: المصدر السابق ، ورقه ٨٠ ظهر

- ابن العديم : زيد الحلب ، جزء ١ ، ص ٥٤ - ٥٥ ابن الأثير : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٣٢٤
- الطباخ : اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ، ٧ اجزاء ، طبعة حلب ١٩٢٥ ، الطبعة الاولى ، جزء ١ ، ص ١٣٣ .

(٥٤) - هو أبو محمد زياد بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
انظر المقسي : البينة والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٧٣ - ابن العديم : بقية الطلب ، ج ٧ ، ونفة ٤٢ ،
اما بيتشوف : الرجع السابق ، ص ١٥ فيذكر اسمه أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية
ابن أبي سفيان .

عبد الله بن علي من ذر مروان بن محمد ، ودخول فرسين . ثم مالبث ان أعلن الثورة وتكس بيعة العباسيين وخدعا اهالي قسرين وحلب الى اتباعه^(٥٥) . ويعزى ذلك الى ان اولاد مسلمة بن عبد الملك الذي كانوا مجاوري له في بالس والناعورة قد اضطروا الى ترك اراضيهم بضغط من العباسيين . وان احد قواد عبد الله بن علي يرافقه مائة وخمسون فارسا تقدموا الى الناعورة واستولوا على املاكهم . وقد التجأ هؤلاء الى ابي الورد وشكوا له حالهم فقرر انصافهم ، واحقاق الحق . يضاف الى ذلك ان ابا الورد لم يكن راضيا عن الاساليب الوحشية التي كان العباسيون يستخدمونها للحصول على الاموال والاراضي من اصحابها . فقرر ان يتقمم منهم^(٥٦) . لم يكن امام ابي الورد الا ان يزيد في عدد انصاره . وان يضفي على ثورته صفة الشرعية بالبيعة الى رجل يرضى عنه معظم اهالي الشام . ولذلك فانه بايع لرجل اموي تلقب بالسفاني^(٥٧) . كان له معسكر في سلمية يضم اربعين الف رجل .

دعا أبو الورد اهالي حمص وتدمير الى الثورة ، فقدم اليه الوف جعل على قيادتهم السفاني . وقام أبو الورد بتنظيم جيشه . فجعل السفاني على القيادة وترك لنفسه تدبير الجيش . كان عبد الله بن علي في تلك الفترة مشغولا بقتال حبيب بن مرة المري . ولذلك وجه اخاه عبد الصمد في زهاء عشرة الاف فارس

(٥٥) - الطبرى : انصر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٣ - ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٤ -

٥٥ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٤ .

(٥٦) - الطبرى : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٣ - ابن العديم : بغية الطلب ، ج ٧ ، ورقه ٤٣ .

(٥٧) - وضع الاميون بعد سقوط دولتهم ملحمة نعموا انهم يعرفون ما يحدث في المستقبل من ظهور امرهم ورجوع دولتهم ، وظهور السفاني في الوادي اليابس من ارض الشام في فশان وقاصدهم لخوم وجدا . ودخلت على هذه النسمة السفانية افكار اخرى كمسير الاميون من بلاد الاندلس الى الشام وانهم اصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر . وفرضهم من ذلك ان لا ينقطع الامر من دجوع دولتهم ، وكان ذلك سببا في انتك العباسيين بكل من توهموا فيه الرانحة السفانية . ولم تنقطع هذه النسمة في الشام الا في نهاية القرن الثالث .

- انظر كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٧٧ .

فائزموا في اللقاء الأول مع أبي الورد . عند ذلك لم يجد عبد الله بدا من السير بنفسه ، فصالح حبيب بن مرة وخرج متوجها إلى قنسرين^(٥٨) .

كان على عبد الله بن علي أن يقضي على هذه الثورة التي قامت في وجهه قبل أن تستند ، كما كان عليه قبل اندلاع ثورات أخرى في بلاد الشام كافة على غرار هذه الثورة – أن يثبت حكمه وأن يقوى حامياته في المناطق التي يسيطرا عليها في طريقه لقتال أبي الورد .

عسكر السفياني في جماعته بمرج الآخرم . حيث لاقوا قوات عبد الله بن علي^{*} وما لبث السفياني أن انهزم . وفر بنى كان معه متوجهين إلى تدمر . بينما ثبت أبو الورد في نحو خمسين كيلومتر من أهل بيته حتى قتلوا جميعاً وجراحته أبو الورد ، حيث مات متاثراً بجراحه^(٥٩) .

وبهذه الهزيمة تراجع أهالي حمص عن بيعة السفياني ، واقاموا في منطقتهم^(٦٠) واكتفى عبد الله بن علي بذلك ، وانصرف عائداً إلى دمشق ليؤدب التائرين فيها بعد أن منح الامان لأهالي المناطق الثائرة في شمال الشام^(٦١) . ومما لبث السفياني أن عاد إلى الثورة في حلب ، فارسل العباسيون جيشين لقتاله ، أحدهما ارسله أبو جعفر المنصور الذي كان يومئذ بالجزيرة وارمينية وأذربيجان^(٦٢) بقيادة القائد مقاتل ابن حكيم العكبي ، والآخر بقيادة عبد الله بن علي .

(٥٨) - الطبرى : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٣ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٣٤ - أبو الفداء : تاريخه ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(٥٩) - الطبرى : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٤ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٥ - ابن العديم : زينة الحلب ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٦٠) - الطبرى : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٥ .

(٦١) - الطبرى : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٤ - ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٥ - بيتشوف : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٦٢) - انظر البيهقى : تاريخه ، ج ٣ ، ص ٩٥ - أبو الفداء : تاريخه ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

سار الجيش الاول من الرقة ونزل منبج . واصطدم مع السفياني في معركة كبيرة تمكّن على اثرها من هزيمته ، فاستباح عسکره ، وافتتح حلب عنوة ، ثم جمع الغنائم وسار بها الى ابي جعفر في حران . وحين وصل عبد الله بن علي وجد ان الامور قد استقرت ، فارتاح الى دابق حيث قضى الشتاء ، ثم نزل سميساط لحصار اسحق بن مسلم العقيلي^(٦٣) .

ثورة الجزيرة ، اسحق بن مسلم العقيلي :

استغل اهالي الجزيرة فرصة خروج ابي الورد . وانتقام اهالي قنسرين على العباسيين ، فاعلمنا عصيائهم وخلعوا الخليفة ابي العباس ، وسار الثائرون برئاسة اسحق بن مسلم الى حران لحصار موسى بن كعب والي العباسيين . وقد دام هذا الحصار نحو من شهرين .

ارسل الخليفة ابو العباس جيشا بقيادة اخيه ابي جعفر لقتال هذا الثائر . وانضم الى هذا الجيش عناصر من كانوا يحاصرون ابن هيبة في واسط . ولكن هذا الجيش اضطر ان يقاتل بالرها مرات عديدة قبل ان يسير الى حران^(٦٤) ، وكتب ابو العباس ايضا ابي عبد الله بن علي بالسير بجنوده للغرض نفسه .

ولما علم اسحق بن مسلم بسير الجيوش اليه . ارتد ادى سميساط فالقى الحصار عليها سبعة اشهر ، ولم يكن اسحق بن مسلم ليوافق على انهاء الشورة والاستسلام وطلب الامان الا اذا تيقن من أن مروان بن محمد قد قتل . لانه كان

(٦٣) - بيتشوف : المرجع السابق ، ص ١٥ - ١٦ بينما يذكر المقدسي : المصدر السابق ، ج ٦ ص ٧٤ - ٧٣ - ان جيش عبد الله بن علي حاربه مع جيش المنصور وهزمه ، وفرق جموعه كل

هزق وقتلا منهم ما لا يحصى .

(٦٤) - اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٠٧ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٨ .

يرى أن في عنقه بيعة للاحير^(٦٥) ، ولما تحقق من الأمر طلب الأمان من أبي جعفر^٠
فاجب إلى ذلك^(٦٦) .

ومالت الشورة ان عادت الى الاشتعال ثانية في المنطقة نفسها بقيادة ابان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي شكل جيشا مؤلفا من نخبة من كانوا مع اسحق ابن مسلم^٠ فسير اليه عبد الله بن علي جيشا بقيادة حميد بن قحطبه فهزمه والجاءه الى سميساط^٠ ثم تبعه عبد الله بن علي ونازل المدينة حتى فتحها عنوة ودخلها^٠ الا ان الخليفة ابا العباس مالت ان دعاه الى ترك القتال ، ورفع السيف عن الناس وذلك في ١٠ رمضان سنة ١٣٣ هـ / ١٧ نيسان ٧٥١ م^(٦٧) .

ثورات دمشق :

عاد عبد الله سرعا الى دمشق ليؤدب التائرين فيها^٠ اذ كانوا قد استغلوا مشاغله في القضاء على ثورات حبيب بن مرة ، وابي الورد^٠ واسحق بن مسلم وثاروا في وجه واليه ابي غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي^٠ ونكسوا باليبيعة للعباسيين^(٦٨) .

هاجم ثوار دمشق في سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م^(٦٩) الوالي العباسي ابا غانم^٠ ومن معه فهزموه وقتلوا من اصحابه مقلنة عظيمة ، وعادوا ليأخذوا الاموال وال蔓اع التي كان عبد الله بن علي قد استولى عليها ، دون ان يتعرضوا لاهلها باذى^٠

(٦٥) - اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٩١ - الطبرى : المصدر السابق ، ج ٧ ص ٤٤٦ - ٤٤٧
المقريزى : المصدر السابق ، ورقه ٧٧٧ ووجه - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٥ .

(٦٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٤٧ - ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٤ ،
ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٦٧) - ابن العديم : زينة الحلب ، جزء ١ ، ص ٥٦ - ٥٧ - بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٦ .

(٦٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٤٤ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص
٣٣٥ - ٣٣٤ .

اقرب عبد الله بن علي من دمشق فخرج اهاليها لقتاله في جيش يتالف من ثمانين الفا ، واراد عبد الله ان يغير من سياسة الشدة التي استعملها مع أهالي الشام منذ فبامه بفتحها ، وأن يعمل بنصيحة الخليفة بعد ان اثبتت سياسة الشدة فشلها ، وارتى ان يستفيده من العصبية القبلية لتفرق الجنود الذين خرجنوا لقتاله ، فخاطب رؤساء القبائل اليمنية وذكرهم بالدور الفعال الذي قاموا به في نشر الدعوة العباسية ولمساعدات التي قدموها اليه اثناء دخوله مدينة دمشق . والتي كانت سببا في سهولة فتح المدينة ، وأدت هذه السياسة ثمارها ، فقد ترك العرب اليمنية القتال ، كما لحقت بهم ربيعة ، وما أن رأى عرب مصر ذلك حتى خافوا على أنفسهم ، فتركوا القتال ورحلوا عن دمشق بذراريهم وآموالهم ، وانضموا الى حبيب بن مروء ، وانسح بذلك المجال امام عبد الله فدخل دمشق ، واقام بها خمسة عشر يوما ، ثم توجه لقضاء على حبيب بن مروء ومن انضم اليه^(٧٠) .

ويمكن ان نعزي أسباب الثورات التي نشبت في دمشق الى سوء الاحوال الاقتصادية والمعمارية الى جانب سياسة القسوة والشدة التي كان يستعملها الولاية مع الاهالي ، فمن المعروف ان مدينة دمشق لم تحظ باية رعاية أو اهتمام من جانب العباسيين ، وكانت تسير عمريانيا واقتصاديا الى الاسوء ، حتى ان دمشق اصبحت جزاء مفترقة ، ويبدو ذلك واضحا حين نعلم ان الخليفة هارون الرشيد عزل واليه الحسين بن عمار عنها حين تنبه الى ذلك وخطبه مؤدباه موجها له موضحا اسباب عزله فقال:

« ولذلك دمشق وهي جنة تحيط بها غدر تتكتف امواجهها على رياض كالدراري^(٧١) ، فيما برح بك التعدي لارفاقهم ان جعلتها اجرد من الصخر واوحش من القفر ، قال والله يا أمير المؤمنين ما قصدت غير التوفيق من جهةه ، ولكنني رأيت

(٦٩) - الاذدي : المصدر السابق ، ص ١٣٥ و ص ١٤٤ .

(٧٠) - الطبری : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٤٥ .

(٧١) - ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ١٩٦٧ ص ١٠٤ - ويدرك كرد علي : في كتابه الادارة الاسلامية ، ص ١٤٤ ذلك ولكن مع بعض التغيير ومنها قوله (.. تتكتف امواجهها على رياض كالدراري واردة منها كفایا المؤن الى بيوت اموالي ..) .

أقواماً تقل الحق على اعناقهم ، فتفرقوا في ميادين التعدي ورأوا المراغمة بترك العماره اوقع باضرار السلطان ، واردوا بذلك المشقة على الولاة ، وان سخط أمير المؤمنين قد اخذ بالحظ الاولى من مساءتي »^(٧٢)

ويبدو ان الضعف الذي عم مدينة دمشق قد جعل سكانها يرکون الى الهدوء فترة من الزمن ، الا ما كان من اشتراك بعضهم في الثورات التي كانت تتشبّب بين القبائل ، حتى كانت سنة ١٩٥ هـ / ٨١٠ م حيث نشبّت ثورة سفيانية كبيرة وهي الثورة التي سميت ثورة أبي العميطر^(٧٣) . وكانت هذه الثورة اوسعاً انتشاراً من كل الثورات السفيانية التي سبقتها . فعلى الرغم من انها قد اندلعت في دمشق الا أن آثارها امتدت الى مناطق القيسية في حوران . ومناطقبني نمير في شمال الشام . وادت الى انتشار الفوضى في طول البلاد وعرضها . حتى فكر العباسيون في نقل الأموال من مصر الى بغداد عن طريق الحجاز ، بعد ان كانت تنقل عن طريق الشام^(٧٤) .

دعا هذا التأثر بالخلافة لنفسه وبابيعه عدد كبير من الناس . وتغلب على سليمان بن منصور عامل العباسيين وتمكن احد انصاره من الاستيلاء على صيدا وضمهما له . وبذلك أصبحت المنطقة التي تحت امرته تشمل اواسط بلاد الشام^(٧٥)

لقد نجحت ثورة السفياني في الفترة الاولى من عهدها بضم عدد كبير اليها

(٧٢) - ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٧٣) - يسمى علي بن عبد الله بن بزيـد بن معاوية وكانت امه تنتسب الى علي بن أبي طالب وتسمى نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب . وكان يستغل النسابـه من طريق ابيه الى معاوية بن أبي سفيان وعن طريق امه الى علي بن أبي طالب فيقول انا ابـن شيخي صفين . انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ . - ابن خلدون : المصدر السابق ج ٣ ، ص ٢٣٤ .

(٧٤) - الكندي : الولـة والقصـة ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٧٥) - ابن الاثـير : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ . - ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

لأن السفياني كان يعرف بين الناس بأنه من العلماء المشهورين ، وبحسن السيرة
ومالبث الناس أن اقضوا من حوله حين رأوا فيه عكس ذلك^(٧٦) .

اراد السفياني ان يدعم جيشه بانضمام القبائل القيسية اليه ، الى جانب
اليمنية التي كان يتألف منها معظم جيشه ، فلم يستطع . عند ذلك لم يكن أمام
السياني الا اذ يسفر عن عدائه للقيسية فهاجمهم في المناطق التابعة له ، فاستجدة
القيسية بزعيمها ابن يهس الذي لم يجد بدا من نصرة قومه .

رأى السفياني ان يرسل الى ابن يهس قواتا تهاجمه قبل ان يصل الى دمشق .
فارسل اليه اثني عشر الفا بقيادة يزيد بن هشام حسب رأي بعض المصادر الموثوقة
— وقد يكون هذا الرقم مبالغ به — وعلى الرغم من ان هذه القوات كانت تفوق
الاعداد التي كانت مع ابن يهس ، الا ان هذا تمكّن من هزيمتهم . وقتل منهم
اعدادا كبيرة تزيد على الفي رجل ، واسر منهم ثلاثة الاف . وتحقيرا لهم فانه حلق
لهم رؤوسهم ولحاظهم ثم اطلقهم فاضطر من بقي مع السفياني الى الارتداد نحو
دمشق^(٧٧) .

وتقدم ابن يهس لمحاصرة دمشق . فشكل السفياني جيشا جديدا جعل على
رئاسته ابه القاسم ، الا ان هذا الجيش انهزم منذ اللقاء الاول وقتل القاسم .
فارسل ابن يهس رأسه الى الخليفة الامين تقريبا^(٧٨) .

ادت انتصارات ابن يهس الى ضعف امر السفياني ، فاستغل ابن يهس الفرصة
وحرض رؤساءبني نمير على مبايعة احد احفاد مسلمة بن عبد الملك بالخلافة ، وكان

(٧٦) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ .

(٧٧) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ،
ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٧٨) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ،
ص ٢٣٥ .

يقصد بذلك ضرب الثورتين ببعضهما ° ثم عاد هو الى حوران^(٧٩) ° وتمكن حفييد مسلمة بن عبد الملك من القبض على السفياني ، واخذ البيعة لنفسه معتمدا على نصرة العرب القيسية^(٨٠) ° وسنحت الفرصة لابن يهس واصحابه بالتلعب على دمشق ° وبقي الوضع كذلك الى ان قدم عبد الله بن طاهر الى دمشق حيث اخذ ابن يهس معه الى العراق فمات بها^(٨١) ° وبذلك تمكن العباسيون من القضاء على هذه الثورات التي دامت فترة طويلة °

ولم تكن مدينة دمشق لتهداً نهاياً للعباسيين ° فقد اشتعلت فيها نيران ثورات متعددة ° كان اشهرها الثورة التي اشتعلت في سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ - ٨٥٥ م في عهد الخليفة المأمور على الله ° وكان سبب اشتعال هذه الثورة قسوة وظلم والي دمشق سالم بن حامد ° فقد عسف باهالي دمشق وقتل جماعة من اشرافهم ، فثاروا في وجهه وتمكنوا من قتلها على باب قصر الحضراء ، كما قتلوا عدداً من رجاله ° وقاموا بنهب ما وصل الى ايديهم من الاموال^(٨٢) ° غضب الخليفة لمقتل عامله بيد اهالي دمشق واراد ان يثأر له منهم بقسوة ، وان يضربهم برجل قوي ، فجمع قواده وقال لهم : (من لدمشق ول يكن في سولة الحجاج) فاشير عليه بافريدون التركي فامرهم على جيش قوامه عشرة الاف جندي منهم سبعة الاف فارس وثلاثة الاف رجل من المشاة ° واحل له القتل والنهب مدة ثلاثة ايام ، فنزل بيت لهايا ليبيت ليلته ° ثم يستقبل الصباح بالتوجه الى دمشق ، بعد ان هدد اهاليها بالقتل والتغريب ° ولكن شاعت الاقدار ان تنجو مدينة دمشق منه قبل ان يطرق ابوابها^(٨٣) ° ويبدو

(٧٩) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ .

(٨٠) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ - جورج يبني : الرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٨١) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٥ .

(٨٢) - كان سالم سيء السيرة وكان يقتل بعض اهالي دمشق لانه كان بينه وبينهم طائلة ودعاء انظر كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٩٣ .

(٨٣) - كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٩٣ .

انه على الرغم من موت القائد فان جنوده دخلوا دمشق واتهبوها واعملوا السيف
في سكانها^(٨٤) .

ثورات لبنان وحمص (أهل السنة) :

بدأت الثورات في لبنان منذ الفترة الاولى لدخول العباسين الى بلاد الشام وفي عهد الخليفة أبي العباس نفسه، ففي سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ قام الجراحمة^(٨٥) بشورة قادها رجل اسمه الياس ، فنهب البقاع وقراه وسكنه فارسل اليه عبد الله بن علي رسلاً للتماهم وعقد الصلح ولكن هذه الوساطة لم تسفر عن شيء ، مما اضطرر الوالي الى مهاجنته في قرية المرج حيث تمكّن من قتله^(٨٦) .

وعلى الرغم من قتل قائد الثوار نفسه ، فان الثورة لم تهدأ بل استمرت وعين قائد جديد على الجيش يسمى سمعان ، وهو ابن اخت الياس ، فسار تاليه بجيشه الشام ، ودارت بين الفريقين حرب في قرية الشوير ، تمكّن سمعان خلالها من هزيمة جند الشام^(٨٧) . وكان جراحمة لبنان يحصلون على مساعدات من البيزنطيين عن طريق البحر . فقوى امرهم واخذوا يمنعون الناس من المرور في المناطق المجاورة لمناطقهم ، وهددوا المناطق المحيطة بهم بالغزو حتى حمص وحماة . ولم يتمكن المسلمون من السيطرة عليهم لتحقّصهم في الجبال المرتفعة^(٨٨) .

هذا وقد نشبت ثورة في لبنان سنة ١٤٣ - ٧٥٩ / ٥ - ٧٦٠ م في المنطرة

(٨٤) - كرد على : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٨٥) - عن الجراحمة واصلهم انظر حتى : لبنان في التاريخ منذ اقدم العصور وحتى ايامنا ، ترجمة انيس هريخه ، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بيروت - بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٢٩٨ - ٣٠٠ .

... ونقل ايضاً العدوى : الاميون والبيزنطيون ، الدار القومية للطباعة والنشر ، طبعة ٢ ، ١٩٦٣ ، ص ١١٦ ، وما بعدها .

(٨٦) - كرد على : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٧٩ .

(٨٧) - كرد على : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٠ .

(٨٨) - نويهض : ابو جعفر المنصور ، مطبع دار الصحافة بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٢ ، ص ٤٠ .

القريبة من افطا ، بسبب تعسف عامل العباسين وجوره في فرض الضرائب على الاهالي . وخشى هؤلاء ان تنزل عليهم مصادرات جديدة فحملوا السلاح متنهزين فرصة وجود اسطول ي Bizerte في مياه طرابلس . وانقضوا من قاعدهم في المنيطرة – في اعلى لبنان – واتهبو عددا من قرى البقاع^(٨٩) .

وقد قاد هذه الثورة شاب جبلي شديد لقب نفسه بالملك ، ولبس التاج ، تاجتمع حوله عدد كبير حتى استفحلا أمره^(٩٠) . وسيئ هؤلاء بعض قرى البقاع وقتلوا المسلمين فيها وتقديموا نحو بعلبك التي كانت مقراً لعامل العباسين^(٩١) ، ونصبوا كميناً لجيش العباسين ، وقتلوا عدداً كبيراً من افراده^(٩٢) .

كانت ردة الفعل عنيفة عند العباسين . فقد عمل صالح بن علي على الانتقام منهم شر انتقام . فقد هاجم القرى الشائرة في منطقة المنيطرة ، وامر باخراج من بقي في الجبال وتفرقهم في بلاد الشام وكورها . ولكنه لم يتعرض لديانتهم بسوء . وقد كان لهذا العمل وهذا التدبير الاداري اثر سيء في نفس الامام الاوزاعي^(٩٣) الذي رفع احتجاجاً الى الوالي جاء فيه (٠٠٠) وقد كان من اجلاء اهل الذمة من جبل لبنان من لم يكن ممائلاً لمن خرج على خروجه ، من قتلت بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت ، فكيف تؤخذ عامة بذنب خاصة ، حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم وحكم الله تعالى (ان لا تزر وازرة وزر اخرى) . وهو أحق ما وقف عنده واقتدي به . وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله (ص) . فانه قال من ظلم معاهداً ، أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه^(٩٤) .

(٨٩) - حتى : تاريخ سوريا ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

(٩٠) - كرد علي : الادارة الاسلامية ، ص ١٢٧ - خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٩١) - كانت بعلبك تابعة لولاية دمشق حتى استولى عليها احمد بن طولون ، انظر ميخائيل موسى الوف البعلبكي ، تاريخ بعلبك ، بيروت ١٩٢٦ ، ص ٧٦ .

(٩٢) - البلادي : فتوح البلدان ، ص ٦٢ - حتى : لبنان في التاريخ ، ص ٣٢٧ - كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٨٠ .

(٩٣) - عن الاوزاعي انظر حسن محمود واحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي ، ص ٢٥٢

(٩٤) - البلادي فتوح البلدان ، ص ١٦٢ - حتى : تاريخ سوريا ، جزء ٢ ، ص ١٦٧ - كرد علي : الادارة الاسلامية ، ص ١٢٦ .

وقام الخليفة أبو جعفر المنصور في الفترة نفسها بزيارة إلى الشام وأرتأى أن يتخد خطوات إيجابية للحد من قوة الجراجمة في لبنان . فأخذ يعمل على نقل قبائل عربية بحالها إلى هذه المنطقة ل تستقر بها ، وتمكن من ادخال عناصر عربية مسلمة واوكل إلى هؤلاء مهمة الدفاع عن المنطقة أمام هجمات الجراجمة والبيزنطيين . ولذلك فإنه أصدر أوامره إلى قبيلة لخم بالسكن في هذه المناطق . فلبوه مخلصين وانعم عليهم باقطاعات أخرى في لبنان ^(٩٥) .

وهذه الثورات في لبنان نسبياً بعد الاجراء الذي اتخذه المنصور بنقل التنجييين إليها . حتى كان عيد الخليفة العباسى الم توكل على الله . حيث اشتدت نسمة النصارى بسبب التدابير الصارمة التي فرضت عليهم . وكان الخليفة هارون الرشيد قبله قد اتخذ بعض الاجراءات ضد النصارى واليهود . ولكنه لم يضعها حيز التنفيذ ، إذ أمر في سنة ١٩١ هـ - ٨٠٧ م بهدم الكنائس الموجودة في الشعور ، كما أوجب على جميع الدينيين أن يرتدوا زياً معيناً ^(٩٦) .

اما الخليفة الم توكل فإنه اتخذ في سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ و ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م تدابير جديدة ، وإذا كان ذلك صحيحاً فإنها تكون أشد ما فرض في حق الأقليات على الاطلاق . فقد أجبر النصارى واليهود أن يجعلوا على بيوتهم تماثيل خشبية للشياطين . وأن لا يرفعوا سطوح قبورهم عن مستوى سطح الأرض . وأن يرتدوا معطفاً عسلي اللون له رقعتان على كل كم . وأن لا يركبوا إلا البغال والحمير وذلك على سرج من خشب له على قربوسيه كرتان خشبيتان كأنهما رماتان ، فصار الذي يسمى بسبب هذه الملابس الخاصة بالارقط ^(٩٧) .

(٩٥) - عجاج نويهض : المرجع السابق ، ص ٤٠ نقاً عن كتاب تاريخ الاعياد ، لطنوس الشدياق .

(٩٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٠١ - حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، جزء ٢ ، ص ١٦٨ ، إذ يذكر ذلك في سنة ١٩٠ هـ ولم يحدد الهدم في الثغور بل ذكر عن هدم جميع الكنائس التي بنيت منذ الفتح الإسلامي . وهذا يختلف طبعاً عما جاء في الطبرى .

(٩٧) - حسن حشى : أهل اللمة في الإسلام ، مترجم عن ترتون ، نشر دار الفكر العربي ١٩٤٩ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ - حتى : المرجع السابق ، الجزء ٢ ، ص ١٦٨ .

أدت هذه الاجراءات الى نشوب فتنة عنيفة في حمص سنة ٢٤١ هـ / م ٨٥٥ اشتراك فيها النصارى والمسلمون . ولكنها اخفقت بعد مقاومة شديدة . فضربت اعناق زعمائها ، ثم هدمت جميع الكنائس الا تلك التي ضمت الى المسجد الكبير . وابعد جميع النصارى من المدينة الثائرة (٩٨) فهدأت بذلك الثورات .

ثورة فلسطين والاردن (المبرقع اليهاني) :

كانت فلسطين مسرحاً لفتنة كبيرة سنة ٢٢٦ هـ / م ٨٤٠ (٩٩) ، عمل رجل من عرب اليمن مجاهد النسب من اهالي غور فلسطين والاردن الى اعلان العصيان وخylum طاعة العباسين ، ورفع العلم الایض . ولبس برقعاً على وجهه فسمى بالمبرقع ، واحد يدعوه لنفسه قبعة خلق كثير من الزراع وغيرهم . وقد اعتقد اتباعه بأنه السفيامي المنتظر ، وانه يملك الشام . وقد استفحلت هذه الثورة وخاصة بعد ان بلغ تعداد اصحاب المبرقع مائة الف رجل (١٠٠) . وكان اتباع المبرقع هؤلاء على الاغلب من ابناء المناطق الريفية ومن طبقة المزارعين (١٠١) ، مما يشير ان سبب الشورة اقتصادي .

وهناك سبب اخر يعود الى سوء معاملة جنود العباسين وخاصة الاتراك منهم للاهالي وعدم احترامهم لحرمة المازل . ويضاف الى هذين السببين سبب مباشر ادى الى نشوب الثورة ، وهو ان احد الجنود الاتراك اعتدى على حرمة منزل المبرقع . واراد دخوله في غياب صاحبه . وقد منعته السيدة الموجودة في المنزل (١٠٢) فضربها بسوط كان معه . فاتقته بذراعها فاصابها وأثر فيها . وما ان عاد المبرقع الى منزله حتى اشتكى له عمما حدث ، فثارت عنده التخوفة العربية ، وقرر ان يثار

(٩٨) - الطبرى : الصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١٩٩ - حتى : الرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٦٩ .

(٩٩) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ص ١١٨ - بينما يذكر ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٧ . ان الثورة كانت سنة ٢٢٧ هـ .

(١٠٠) - كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٤٢ .

(١٠١) - فيليب حتى : الرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٦٦ .

(١٠٢) - يذكر انها اخته او زوجته انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١١٦ - العيون والحدائق ، ص ٤٠٨ .

ويثور على الخليفة العباسية^(١٠٣) فقتل الجندي ثم وضع على وجهه برقعاً كي لا يعرف ، وصار الى جبل من جبال الاردن^(١٠٤) .

أخذ المبرقع يظهر من محبته في النهار ، ويجلس على الجبل الذي آوى اليه ببرقه يراء الرائي فيأطيه فيحرضه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويدرك الخليفة فيعدد عيوبه . واستمر على ذلك حتى استجاب له عدد كبير من فلاحي تلك المنطقة واهل القرى المجاورة^(١٠٥) . ولما كثر اتباعه من هذه الطبقة ، دعا اهل البيوتات من تلك الناحية ، فاستجاب له منهم جماعة من رؤساء القبائل اليمنية حتى بلغ ما معه زهاء مائة الف^(١٠٦) .

وقد اراد المبرقع ان يكسب ثورته صفة الشرعية فادعى انه أموي ، وانه السفياني المنتظر . فبلغ امره الى الخليفة العباسى المعتصم قبل وفاته ، فارسل اليه قائله رجاء بن أيوب الحضاري في زهاء الف من الجند .

وصل القائد العباسى رجاء الى المبرقع وما تأكد من كثرة اتباع خصمه ، كره منازلتة ، وعسكر قريبا منه متريشا حتى تسنح له الفرصة ، ولما دنا وقت حرائه الارض انصرف معظم انصار المبرقع للقيام باعمالهم الزراعية السنوية ، وبقي هو في عدد قليل من رجاله . عند ذلك وجد رجاء الفرصة سانحة لقتال المبرقع ، فهاجمه وتمكن من اسره وحمله الى سامراء عاصمة العباسيين وقتذاك .

وهكذا فانه يبدو ان العباسيين استعملوا الشدة مع اهالي الشام بقصد

(١٠٣) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٧٠ .

(١٠٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١١٦ - العيون والحدائق ، ص ٤٠٨ .

(١٠٥) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١١٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٧٠ .

(١٠٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١١٧ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٧٠ .

اخصوص هذه البلاد لسلطتهم • ولكن اهالي الشام قابلو ذلك بثورات متعددة •
بدأت منذ الفترة الاولى لحكم العباسين ، وكانت هذه الثورات متلاحقة ، حتى
اعجزت ولاة العباسين ، كما انها اعجزت الخلفاء افسهم فقاموا بتغيير مستمر
للولاة كلما رأوا في ولاتهم عجزا عن اخصوص البلاد ، كما قام الخلفاء بزيارة الشام
باقسمهم للإطلاع على ما يجري فيها •

ولم يكن كل هذا كافيا لتهديء الثورات لأن أسبابها كانت كامنة في البلاد •
ولم يعمل العباسيون على استصالها ، بل كثروا ما تسبب ولاتهم في ايقاد نارها
بتخيزهم لنفرع قبلي دون اخر • وتشبت ثورات المدن والمناطق الشامية كرد على
تأخر احوالها ، وخاصة الاحوال الاقتصادية وال عمرانية ولكن هذه الثورات كانت
تريد في هذا التأخير •

٢ - الصراع. بين افراد الاسرة العباسية

لم يضع العباسيون - كسابقيهم من بني امية - نظاما محددا لوراثة العرش
فقبل وفاة محمد بن علي الامام الاول للدعوة العباسية جعل ابنه ابراهيم على الامامة،
وحين شعر ابراهيم بملائحة الاموين له سلم الامامة الى اخيه أبي العباس عبد الله
ابن محمد • وبالتالي يمكن ان القول ان الامامة اولا ثم الخلافة بعد ذلك لم تكن
تنحصر في الابن الاكبر • وبامكان الامام او الخليفة أن يختار لها من يجده مناسبا
من افراد اسرته • مفضلا ابناءه في الغالب، وان كانوا اقل من المرشحين كفاءة ومقدرة •

وفوق هذا وذاك • فان الخليفة كان - في كثير من الاحيان - يعين اكثر من
ولي للعهد بعده وحين يعتلي اول المرشحين عرش الخلافة يعمل على ابعاد ولاة
العهد بعده ويحصر الخلافة في ابناءه • وقد تسبب ذلك في حدوث كثير
من الخلافات بين افراد الاسرة العباسية ، وصلت في كثير من الاحيان الى اشتباك
السيف • وتفرق ابناء الامة بينهم ، مما ادى الى استنفاد الكثير من الطاقات دون
جدوى •

ولابد من القول قبل ان اطرق الى تفاصيل هذه الخلافات ، من انه كان للنكتلات السياسية ومؤامرات رجال البلاط دور في اذكاء الصراع ، بتحريض الخلفاء على خلع ولاة عهودهم لمصالح لهم في مرشح دون اخر . وقد كان هذا الصراع خفيا احيانا وعلينا في احيانا في اخرين . وقد تجلى هذا الصراع في الاسرة بين:

— عبد الله بن علي وال الخليفة المنصور :

بذكر بعض المؤرخين ان الخليفة أبا العباس — على اثر قيادة مروان بن محمد الخليفة الاموي للجيش الذي عسكر به قرب نهر الراب الاعلى — رأى ان يقوى مركز جيشه باعطاء القيادة لاحد افراد الاسرة العباسية^(١٠٧) . وحين اجتمع بهم أعلن لهم أن من يقود المعركة ضد مروان ستكون له الخلافة ، تطوع عبد الله بن علي عم الخليفة بهذا الامر ، وتحمل هذه المسؤولية^(١٠٨) الجسيمة . ولكن ابا العباس لم يف بهذا الوعد بل عهد لأخيه أبي جعفر بها ، ومن بعده لابن أخيه عيسى بن موسى^(١٠٩) .

حين توفي ابو العباس كان عبد الله بن علي يقود طائفة من أهل خراسان والشام والجزيرة والموصل^(١١٠) . فعلم بخبر وفاة ابي العباس ، وبيعة عبد الله بن محمد المنصور وهو في دلوك ، فاعلن الثورة معتمدا على الجيش الكبير العدد الذي يرافقه ، والذي أعد في الاصل لقتال البيزنطيين^(١١١) . ودعا الناس لبيعته واعتبر بيعته المنصور باطلة^(١١٢) .

ارتحل عبد الله من دلوك فاستولى على حران ، وتحصن بها ، وأيده عدد

(١٠٧) — المقرئي : المصدر السابق ، ورقة ٢٣٩ وجه

(١٠٨) — انظر فيما سبق معركة الراب — وانظر المقرئي : المصدر السابق ، ورقة ٢٣٩ ظهر .

(١٠٩) — انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٢

(١١٠) — الأزدي : المصدر السابق ، ص ١٥٩ — الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٢ - ٤٧٤

— الطباخ : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ — المقرئي : المصدر السابق ،

— ورقة ٢٣٩ ظهر

(١١١) — حتى : تاريخ سوريا ، جزء ٢ ، ص ١٦٠ .

(١١٢) — المقرئي : المصدر السابق ، ورقة ٢٤٠ وجه و ٢٤٠ ظهر

كبير من رجال الجيش الذي كان يقوده (١١٣) ، مما اضعف موقف الخليفة الجديد . وكان عليه ان يحزم الامر ويقضي على ثورة عمه . وبما ان معظم قوات عبدالله من الخراسانيين . فان المنصور رأى ان يختار ابا مسلم الخراساني لقتاله . وكان غرضه من ذلك ان يضعف قواته بانقسام الخراسانيين في جيش عبد الله الى ابي مسلم بمجرد ان يبدأ الثناء الاول (١١٤) . كما انعم على الجنديين الذين ارسلهم معه بالعطاء الكبير الذي بلغ اثنى عشر ألف درهم برأي بعض المؤرخين وثمانية عشر الف برأي اخرين ؛ ورفع ارزاقهم من ستين الى ثمانين (١١٥) .

وادرك عبد الله بن علي ذلك ، وخشى خيانة جنوده الخراسانيين ، فرأى أن يتخلص منهم ومن القائد العربي حميد بن قحطبة ، الا ان حميدا اكتشف المؤامرة وفر مع انصاره (١١٦) .

وعلى هذا الشكل فانه يمكن القول بأن عناصر الجيش الذي بقي برفقة عبد الله بن علي أصبحت بمعظمها من أهالي الشام .

ونزل عبد الله بن علي مع رجاله ، فحضر خندق امن جبل نصبين الى نهرها خندق خلفه وجعل فيه كن ما يحتاج اليه من العدة والاله . ونصب المجندين والعرادات وبث الحسك ، وسد انتropic على من يقصده من العراق وجعل بذلك كل القرى والمناطق المزروعة خلفه وامدادا له (١١٧) .

واقبل ابو مسلم متوجهها نحو الشام . فرأى عبد الله بن علي يعسكر في منطقة حصينة . وقدر صعوبة القضاء عليه في هذه المنطقة . فقرر ان يستعمل الحنكة

(١١٣) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٤ - ٤٧٥ - - اليعقوبى : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٠١

(١١٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٥ - - اليعقوبى : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٠١

- ظهر .

(١١٥) - المقرنی : المصدر السابق ، ورقه ٢٤١

(١١٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦ - - بتشوف : الرجع السابق ، ص ١٦

-

- ٧٧ -

والدهاء ليفرق بين عبد الله واصحابه من أهل الشام . فكتب اليه بأنه لم يؤمر بقتاله . ولم يوجه لذلك بل أن الخليفة ولاه الشام وانه ذاهم اليها^(١١٨) .

وقد تحقق لابي مسلم ما أراد . لأن اهل الشام ما أن رأوا ابا مسلم يتوجه الى بلادهم حتى اخذوا يطالبون عبد الله بالعودة اليها ، للدفاع عن حرمهم واموالهم . وجهد عبد الله ليوضح لهن معه من أهالي الشام بأن ذلك حيلة من ابى مسلم وانه لا يريد الشام ، بل يريد اخراجهم من مناطقهم الحصينة ولكن توسيعهم لم تطب ، وأبوا الا المسير الى الشام^(١١٩) .

عند ذلك لم يكن امام عبد الله الا ان يرتحل مليبا رغبة جنوده ، فاستغل ابو مسلم الفرصة وختدق مكان خصمه ، واستولى على جميع ما في الخندق^(١٢٠) . ثم افسد المياه التي حوله ، وكان من الممكن ان يستفيد منها عبد الله وجنوده من اهل الشام فيما لو عادوا للقتال^(١٢١) .

وبلغ عبدالله خبر نزول ابى مسلم بمعسكره ، فعاتب اهل الشام على ما كان منهم وحاول العودة الى معسكره فلم يستطع^(١٢٢) . فعسكر قريبا منه^(١٢٣) ، وببدأ القتال بين الطرفين فدان سجالا ، وامتد ما يقارب ستة اشهر ، انتهى اخيرا صالح ابى مسلم ، وهزم عبد الله هزيمة ساحقة ونبعه ابو مسلم حتى الرقة ، حيث استولى على الخزائن والاموال ، وما كان عبد الله قد استولى عليه من اموال بنى أمية وكنوز

(١١٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٦ - المقرئى : المصدر السابق ، ورقه ٤٤١ ظهر - الميون والحدائق ، ص ٢١٨ .

(١١٩) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٦ - المقرئى : المصدر السابق ، ورقه ٤٤١ ظهر - الميون والحدائق ، ص ٢١٨ .

(١٢٠) - المقرئى : المصدر السابق ، ورقه ٤٤١ ظهر - المقدسى : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٧٨ .

(١٢١) - الطباخ : اعلام النبلاء ، جزء ١ ، ص ١٤٠ .

(١٢٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٤٧

(١٢٣) - المقدسى : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٧٨ - الميون والحدائق ، ص ٢١٨ .

الشام . ثم تبع عبد الله الى رصافة هشام ففر ملتجئا الى البصرة^(١٤٤) . الا انه
قبض عليه وسجن ثم قتل سنة ١٤٩ هـ / ٧٦٦ م

وكتب ابو مسلم الى الخليفة المنصور يبشره بالفتح - بعد أن اطلق من أسره ،
ووهب لكل أسير أربعة دراهم^(١٤٥) - . فسر الخليفة من ذلك ، وكتب
الى ابي مسلم باذ يحتفظ بما في يديه من الاموال ، لانه كان على علم بان جميع
ذخائربني أمية من الاموال والجواهر ، كانت مع عمه عبد الله^(١٤٦)
واصبحت الآن في يد ابي مسلم ، وأدى ذلك الى حدوث خلاف
بين الخليفة وابي مسلم كانت نتيجته قتل ابي مسلم ، وهكذا فان ثغرة
فتحت في وحدة الصف العباسى في فترة مبكرة . بسبب عدم وجود نظام ثابت
لولالية العهد ، تسربت عبرها رياح الازمات الخطيرة .

لم يقتصر الصراع بين افراد الاسرة العباسية في عهد الخليفة المنصور على ما
جرى من صراع مسلح بيته وبين عمه عبد الله بن علي . بل جرى صراع غير مسلح
بين الخليفة وولي عهده عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسى ، الذي كان ابو
ال Abbas قد عهد اليه بولالية العهد بعد ابي جعفر^(١٤٧) وكتب له عهدا بذلك^(١٤٨) .
وتمكن المنصور بما استخدمه من وسائل واساليب طفت بذكرها كتب التاريخ
أن يجربر ابن أخيه على الموافقة على ان تكون الخلافة للمهدي او لا ثم لعيسى بن
موسى بعده^(١٤٩) ، على الرغم مما عرف عن عيسى بن موسى من مقدرة عسكرية .
وقد ذهبت المصادر التاريخية الى آبعد من هذا ، فذكرت ان المنصور لم يستطع

(١٤٤) - السعو迪 : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٣٠٢ - ابن العميد : المصدر السابق ، جزء ١ ،
ص ٥٨ .

- ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٠٠ - بيتشفوف : الرجع السابق ، ص ١٦

(١٤٥) - المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٢٤٢ وجہ

(١٤٦) - الازدي : المصدر السابق ، ص ١٦٤ - المقريзи : المصدر السابق ، ورقة ٢٤٢ وجہ

(١٤٧) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٧ .

(١٤٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٠ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ،
ص ٤٦١

(١٤٩) - المقريзи : المصدر السابق ، ورقة ١٠٤ ظهر و ١٠٥ وجہ

اجبار عيسى بن موسى على خلع نفسه لتمسكه بحقه ، فبایع ابنه مع رجال حاشيته الذين شهدوا زورا وبهتانا ان عيسى خلع نفسه^(١٣٠) .

وتربع المهدى على عرش الخلافة . فطمع في ان يجعلها في ابناءه الهادى والرشيد من بعده واستخدم مع ولی عهده الاساليب نفسها التي استخدماها والده من قبل ، وضيق عليه ليضطره للتنازل . فحرك الهاشمين وشيعتهم من اهل خراسان وحرضهم على خلع عيسى . ورضخ عيسى في نهاية الامر لضغوط المهدى، فخلع نفسه مكرها من ولاية المهدى^(١٣١) وقد يكون هذا الصراع عام لامن العوامل التي أدت الى نهاية الهادى السريعة^(١٣٢) .

- الصراع بين الاخرين الهادى والرشيد :

ازدادت مشكلة الصراع لاجل ولاية العهد تعقيدا في عهد الخليفة الهادى ، الذي عزم على ان يجعل الخليفة من بعده لابنه جعفر . وان يعمل لتحقيق ذلك على خلع اخيه هارون الرشيد . وقد شجعه على ذلك بعض رجال بلاطه . بيد ان يحيى ابن خالد بن برمك نصّح له بأن يعدل عن هذا الامر لصغر سن ابنه جعفر . واحتراما للعهد الذي اخذه على نفسه حين ولاد ابوه عهده ، ودرءا لما عسى ان يقوم به اهل بيته من انتقام الغلائم من ابنه اذا آلت اليه قبل بلوغه سن الرشد . وأشار اليه بان يتريث في هذا الامر ، حتى يكبر ابنه ويطلب من اخيه هارون النزول له عن الولاية . ويندو انه كان لهذا الكلام وقع في نفس الهادى فعدل عن رأيه مدة ، ثم ما لبث أن غلب عليه حبه لابنه ، واثر فيه تحريض المرضين ، فعاد الى ما كان من مطالبة الرشيد بالتنازل عن ولاية العهد ، وفي سبيل ذلك احضر يحيى بن خالد البرمكي ، وفاوضه ثانية في خلع اخيه^(١٣٣) ، فقدم يحيى النصّح ثانية .

(١٣٠) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٧٧ - ٥٨٠ .

(١٣١) - العيون والحدائق ، ص ٢٦١ .

(١٣٢) - شاكر مصطفى : في التاريخ العباسي ، ص ١٨٢ .

(١٣٣) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٩ وص ١٠٦ .

- محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ، ص ٢١١ .

ولم يحفل الهادي بهذا النصح ، وزوج يحيى في السجن ، وهم ان يقتله لانحيازه لأخيه الرشيد . وتأزم الموقف، بين الاخرين ، واختلفت المصادر في ذكر ماجرى بينهما فذكرت بعضها بان الصراع كاد يتحول الى حرب اهلية ، بينما ترى اخرى بان الرشيد مال الى اجابة اخيه ، بعد ان ضيق عليه واضطهدته ، وحضر رجال بلاطه على الحظ من شأنه . وان يحيى البرمكي شجعه على الابتعاد عن اخيه باستئذانه للسفر طلبا للصيد ، وانه ذهب ونال غيابه في الصيد حتى اتاه نعي اخيه والبيعة له . وقد رأى بعض المؤرخين ان الهادي ذهب ضحية محاولته خليع اخيه من ولاية العهد . اذ ان ذلك دفع بأمه الخيرزان الى السعي في موته ، وترى اخرى بانها فعلت ما فعلت لانه اراد العد من سلطتها وتدخلها في شؤون الحكم^(١٣٤) .

- الصراع بين الاخرين الاميين والمأمون ، ونتائج هذا الصراع

اتخذت ولاية العهد بعد وفاة هارون الرشيد ابعادا سياسية ، اسفرت عن صراع دموي دام من (١٩٤ - ١٩٨ هـ / ٨٠٩ - ٨١٣ م) فعلى الرغم مما عرف عن الرشيد من ذكاء وبعد في النظر فقد وقع فيما وقع فيه أسلافه ، اذ جعل ولاية العهد من بعده لابنائه الثلاثة . فجعل ابنه محمد الامين في سنة ١٧٥ هـ / ٧٨١ م^(٢٣٥) ولها لعهده وجعل له ولاية العراق والشام حتى أقصى المغرب . ثم مالت ثان بایع لابنه عبدالله المأمون في سنة ١٨٢ هـ / ٧٨٨ بعد أخيه الامين . على أن تكون له ولاية خراسان وما يتصل بها من الولايات الشرقية^(٢٣٦) . ثم استأنف وبایع في سنة ١٨٦ هـ / ٧٩٢ م لابنه القسم بعد أخيه المأمون ودعاه المؤمن . وجعل له ولاية العزيزة والشغور .

(١٣٤) - انظر الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ١٧٤ - ١٧٥ وانظر السعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٣٤٤

(١٣٥) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ . وابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٢ وقد بایع للامين بن زبيدة لما كانتها ، وأسرتها ، وعريبتها . ولم يبایع للمأمون الذي كان أكبر سنًا واكثر كفاءة .

(١٣٦) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٦١ - المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١١١ وجه

وكتب الرشيد بذلك صحيفة اشهد فيها القضاة والفقهاء وأكابر بنى هاشم وعلقت في الكعبة . كما انه (١٣٧) تأكيدا لتنفيذ وصيته في ولادة العهد ، دعا الامين لكتابه كتاب يشهد فيه على نفسه بالوفاء للمؤمنون . كما دعا المؤمنون الى كتابة آخر بالوفاء للامين ووضع هذين الكتابتين الى جانب الثالث وأشهد الجميع على ذلك .

وضع الرشيد بتصرفه هذا وباختياره لثلاثة من ابناءه لولادة العهد بذرقة التفكك السياسي (١٣٨) ، و الواقع الدولة في خضم حرب اهلية كبيرة كانت لها تنتائجها الخطيرة على مستقبل الخلافة ، ولعب فيها الوزير ان الفضل بن الريبع والفضل بن سهل الدور الاكبر واليد الطولى في اندلاع نار العداوة وال الحرب بين الاخوين ، فقد بدأ الفضل ابن الريبع - الذي كان يدرك انه لن يكون له يد مع المؤمنون - الى الانحياز الى جانب الامين بعد وفاة الرشيد - وعاد اليه بالجيش والمال والمتاع والرقيق والخيل التي أوصى الرشيد ان تعطى للمؤمنون اذا ادركته الوفاة (١٣٩) ، وكان الامين قد ارسل اليه حين علم بمرض ابيه بأمره بالعوده بالعسكر اليه (١٤٠) . وحين فعل ادركه الخوف على حياته من وصول المؤمنون الى الخلافة فينتقم منه . فبدأ بتحريض الامين على خلعه و ساعده على ذلك تكمل العرب الى جانب الامين (١٤١) .

(١٣٧) - انظر تفاصيل ذلك في المقرنزي : المصدر السابق ، ورقه ١١١ ظهر و ١١٢ وجه ، حيث يذكر نسخة الشرط كاملة وانظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٧٥ - ٢٨٦ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٢ .

(١٣٨) - انظر من ذلك : مقال الدكتور هاروى عمر في مجلة المقرن العربي ، المعدد ١٥ ، ص ١٠٠ وما بعدها .

(١٣٩) - وقد كان الرشيد في سنة ١٨٩ هـ حين شخص الى الري . قد اشهد من عنده من القضاة والفقهاء ان جميع ما في عسكره من الاموال والخزان والسلاح والكراع وغير ذلك للمؤمنون - انظر المقرنزي : ورقه ١١٤ ظهر .

- ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٢٨ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٠٣ .

(١٤٠) - المقرنزي : المصدر السابق ، ورقه ١١٥ وجه .

(١٤١) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٢٨ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٢ .

وببدأ الامين بالدعاء لابنه موسى على المثابر بعد الخليفة^(١٤٢) في سنة ٥١٩٤ ، وقدمه على أخيه المأمون والمؤمن ، وعزل الأخير عن الجزيرة وقام باستدعاء أخيه المأمون للحضور إلى بغداد ليقر بتقديم موسى على نفسه^(١٤٣) . ولكن المأمون اعتذر عن الحضور ورد على أخيه بقطع بريد خراسان عنه وقطع الخطبة لأخيه وتسمى بالalamامة^(١٤٤) ، وقد شجعه على ذلك وزير الفضل بن سهل ، وادراكه لصلابة موقعه من الفرس الذين يؤيدوه^(١٤٥) .

بدأ الصراع بين الأخرين بتجهيز الامين للجيش الذي ارسله إلى خراسان بقيادة علي بن عيسى بن ماهان سنة ١٩٥ هـ ٨٠١ م و كان نصيب هذا الجيش الهزيمة امام جيش المأمون الذي قاده طاهر بن الحسين ، وقتل قائد الامين بظاهر الري^(١٤٦) . و تتابعت جيوش الامين إلى قتال المأمون ، و فشلت في تحقيق نصر في خراسان^(١٤٧) . و زحفت جيوش المأمون باتجاه العراق ، حتى وصل إلى عاصمتها بغداد ، فانقى طاهر بن الحسين الحصار عليها سنة ١٩٧ هـ ٨٠٣ م ، واستخدم كل أدوات الحصار المعروفة في عصره من مجنون و عرادات^(١٤٨) ، ليجعل الحصار شديداً ، و ليجبر المحاصرين على الاستسلام .

وقوّة هذا ، قاتل طاهر بن الحسين عمل على ان يحارب انصار الامين حرباً

(١٤٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٨٩

(١٤٣) - المقريزى : المصدر السابق ، ورقة ١١٦ وجه

(١٤٤) - الطبرى : المصدر السابق جزء ٨ ، ص ٣٩٠

(١٤٥) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٢٢ .

(١٤٦) - عن تفاصيل هذه المعركة التي جرت في خراسان انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٩٠ و ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٤٤ - و ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٢٢ - ٢٣٤ .

(١٤٧) - انظر عن تفاصيل ارسال الجيوش والملائكة التي جرت بين الطرفين المقريزى : المصدر السابق ، ورقة ١١٩ و ١٢٠ وجه - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٤٤ .

(١٤٨) - انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٤٥ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧١ .

الاقتصادية ، فعمل على الاستيلاء على ضياع من لم يسلم اليه من بنى هاشم وقواد الامين وغيرهم . كما استولى على كل ما استطاع الاستيلاء عليه من الاموال ، حتى ضاق الناس بهذا الحصار ، فأخذوا ينهمون بعضهم . ولما اشتد الامر عليهم استسلم عدد من بنى هاشم ومن القواد الى طاهر ومن هؤلاء صاحب شرطة الامين (١٤٩) .

فقد الامين بهذا قدرته على الاستمرار ، واصبح جيشه وأنصاره أضعف من أن يقفوا موقف الند للند ، فاضطر الى بيع كل ما يملك ليتفق على الباقين من الجندي حمسهم على البقاء الى جانبه . الا ان الاوصاع الاقتصادية والاجتماعية كانت قد وصلت الى الحضيض ، فاستشرى الفساد ، وسادت الفوضى . وبرز على السطح فئة من العامة عملت في هذه الاونة على الدفاع عن بغداد (١٥٠) ، وغایتها جمع المال (١٥١) عرفت هذه الفتنة باسم العيارين ، وباسم العراة .

وعلى الرغم من كل الجهد المبذولة ، فإن جند طاهر بن الحسين تمكنا من تغريب المنازل والمتاجر في بغداد فدب الرعب والخوف في قلوب العامة ، وخشوا آلات الحصار ، فأنشد شعراً لهم الشعر معتبرين عن ذلك فقال أحدهم :

لا تقرب المنجنيق والجرا فقد رأيت القتيل اذ قبرا (١٥٢)

كما بكى بعضهم بغداد وخرابها ، وصور صعوبة العيش في المدينة في تلك الفترة ، فقال :

بكىست دما على بغداد لما فقدت غصارة العيش الائق
تبدلنا هموما من سرور ومن سعة تبدلنا بضيق

(١٤٩) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ - المقرئي : المصدر السابق ، ورقه ١٢١ وجه

(١٥٠) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ - المقرئي : المصدر السابق ، ورقه ١٢١ ظهر

(١٥١) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧٧ .

(١٥٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٤٥ .

فأفت أهلها بالمنجنيق
أصابتها من الحساد عين
فقوم أهرقوا بالنار قسرا
ونائحة تنوح على غريق^(١٥٣)

أدركه الأمين أن لا فائدة من الاستمرار في القتال ، وخاصة حين تهدى الطعام من بغداد ، فقرر الاستسلام وأرسل يطلب الامان لنفسه . الا ان قراره هذا تقبله بعض قادة المؤمن بصدر رحب ، ورفضه آخرون^(١٥٤) وبالتالي كان نصيب الأمين القتل ، وحمل رأسه الى المؤمن^(١٥٥) .

كانت النهاية التي آلت اليها حياة الأمين على يد قواد أخيه المؤمن سببا في سلبه كل ميزات شخصيته ، وان ينسب اليه كل صفات السوء من لهو وتبذير ومشاركة النساء ، والاماء له في الرأي^(١٥٦) ، في حين ينسب للمؤمن عكس ذلك فهو ذو عقل راجح ، وذكاء وقاد ، وحزم لاظنير له^(١٥٧) ، وان اختلاف صفات الاخرين قد ادى الى نصر المؤمن على الأمين ، في الوقت نفسه الذي يرى فيه بعض المؤرخين ان سبب نصر المؤمن يعود الى القوة العسكرية التي احسن المؤمن اختيار قيادتها وتوجيهها ، والى الدعاية المنظمة التي بثها المؤمن عن اخلاق أخيه الأمين ، وكذلك الى قوة انصاره من الفرس الذين بذلوا غاية وسعهم لتحقيق

(١٥٣) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٥٧ .

(١٥٤) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(١٥٥) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٨٧ - المقريزى : المصدر السابق ، ورقه ١٢١ ظهر و ١٢٢ وجه

(١٥٦) - وقد سجل لنا بعض شراء الفخر تناوله عن أمور الدولة ، وهذا نموذج منها .

أهـمـاعـ الخـالـفـةـ شـشـ الـوزـيـرـ وـفـسـقـ الـإـمـامـ وجـهـلـ المـشـيرـ .
فـفـسـلـ وـذـبـرـ وـبـسـكـرـ وـشـسـيرـ بـرـيـدـانـ مـاـ فـيـهـ حـتـفـ الـإـمـيـرـ .
لـسـوـاطـ الـخـلـيـفـةـ اـعـجـوبـةـ وـأـعـجـبـ مـنـهـ خـلـاقـ الـوزـيـرـ .

- انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٩٦ .

(١٥٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٥٠ وما بعدها - وانظر الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٢٩٢ .

النصر الذي سيكون فيه سيادتهم . وأخيرا يمكن القول ان سوء سياسة الامين وتمسكه بأخلاق القتال العربية التي تبرز من خلال وصيته لقائده علي بن عيسى بن ماهان كان له الدور الاكبر في هزيمة الامين^(١٥٨) .

ومما لا شك فيه ان استهانة الامين وقادته بقوة المؤمن وقادته، كان له اكبر الاثر في الهزيمة ايضا . فقد كان علي بن عيسى يستهين بظاهر بن الحسين . ويرى انه لا يعدو شوكة من اعصابه او شرارة من ناره^(١٥٩) . وقال عنه (ومامل طاهر يتولى على الجيوش ، ويلقي الحروب) . وقال ايضا لاصحابه : (والله ما ينكسم وبين ان ينتصف الشجر من الريح العاصف ، الا أن يبلغه عبورنا عقبة همدان ، فان السخال لاتقوى على النطاح ، والشعالب لا صبر لها على لقاء الاسد)^(١٦٠) . فوق ذلك فان ابن ماهان كان مكروها من اهل خراسان ، لانه اساء السيرة في اهلها ، وظللهم حين ولتها للرشيد^(١٦١) .

ومهما يكن من أمر تفسير هذه الحركة وهزيمة الامين ، فان هذا الصراع بين الاخرين انتهى بانتصار القوة الفارسية بزعامة المؤمن . وأصبح لهامنذ ذلك الوقت دور بارز في المجتمع وكان بروز هذه القوة على حساب ضعف القوة العربية . فاختلت التوازن بين القوتين وتحرك العرب للمطالبة بحقوقهم ، فأسقطهم المعتصم من العطاء واعتمد على عنصر جديد هو عنصر الاتراك^(١٦٢) .

وقد برز في هذه الحركة دور فئة من فئات المجتمع الادنى الى السطح ، تلك

(١٥٨) - فقد أوصى قائد بقوله : امنع جندك من الغيث بالرعية والفاراة على اهل القرى ، وقطع الشجر ، وانتهك النساء ... انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٠٦ . وانظر عن ثقة الامين وامه زبيدة بالنصر ، وصبية زبيدة لابن ماهان قبل رحيله ، بالاحسان الى المؤمن حين يقبض عليه . المقرىزى : المصدر السابق ، ورقه ١١٨ وجه .

(١٥٩) : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٠٧ - المقرىزى : المصدر السابق ، ورقه ١١٨ وجه .

(١٦٠) : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٠٧ - المقرىزى المصدر السابق ، ورقه ١١٨ ظهر .

(١٦١) : بعد عشر سيطرة الاتراك .

(١٦٢) : المصدر السابق ، ورقه ١١٧ ظهر .

الفئة هي الفتوة اللاهية الباغية التي تدين بالشطارة والعيارة (١٦٣) • وقد لعبت هذه الفتة دوراً بارزاً وهاماً في الفتنة، ودافعت عن مدينة بغداد، حين بدأت القوة المطمة بتركها، والانضمام إلى القوات المحاصرة • وقد أوضح شعراء ذلك العصر بروز هذه الفتة أثر هذه الحرب فقال أحدهم :

خرجت هذه العروب رجالا
لقطنانها ولا نزار
واحد منهم يشد على إله
ويقول الفتى اذا طعن الطعنة خذها من الفتى العيار (١٦٤)

لم ينته وجود هذه الفرقة أثر دخول جيوش المؤمن إلى بغداد، بل استمرت في وجودها وأزدادت قوتها بمرور الأيام • وقد ظهر عمل هذه الفتة واضحاً اثناء اضطراب بغداد على الحسن بن سهل والنبي المؤمن فيها، وقبل عودة المؤمن إلى بغداد • فأظهروا الفسق، وقطعوا الطرق، وأخذوا ما شاؤوا من الأموال والابناء والنساء وهاجسوا القرى فأخذوا المtauع والمآل • وبرز الملعونة لحربهم ودعوا الناس إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٦٥) •

وعلى الرغم من النهب والسلب الذي كان يقوم به هؤلاء، فإنهم اتصفوا بصفات ايجابية وعلى رأسها البطولة • ويصور لنا الطبرى والمقرىزى مقدار بطولة هؤلاء فيما كتبه عن احداث سنة ١٩٧ هـ / ٨٠٣ م حين يذكر، ان قائداً من قواد اهل خراسان من كان مع طاهر، خرج يوماً الى القتال • فنظر الى قوم عراة،

(١٦٣) - من التأثرين على المجتمع والدولة ومن الرعاع والنهابة (انظر ابن المقادير : كتاب الفتوة ، المقنية . عرفوا باستعمال متعدد ، العبارون والشطار ، العراة ، ثم الظيان ، ثم جاء في كتاب تاريخ العرب والشعوب الإسلامية لكتلود كاهن ص ٢٠٧ ان اسم الفتوان اطلق في الجاهلية وفجر الاسلام على الشباب الذين يتحلون ببعض السمات المميزة ، او الذين ينبغي لهم ان يتخلوا بهذه المزايا حسب العقلية المساعدة وهي الشجاعة والكرم بوصفهما صفات خاصة ، دون اي اعتبار للتنظيم الاجتماعي او للمفاهيم الدينية .

(١٦٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٥٨ .

(١٦٥) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٥١ .

لا سلاح معهم . ورأى انهم الفتنة التي تقف في طريقهم وتمنعهم من دخول بغداد ، فاستهان بامرهم . وغير اصحابه وهم في السلاح الظاهر ، والعدة والقوة والشجاعة والنجدة ، يوقنون هؤلاء عن تحقيق اهدافهم . واراد ان يريهم مايفعله فيهم فأوثر قوسه وتقدم . وابصره بعضهم (من العيارين) فقصد نحوه وفي يده باريقهصيشه وتحت ابنته مخللة فيها حجارة ، فجعل الخراساني كلما رمى بسهم استر منه العيار فوق في باريته ، او قربا منه . ف Gianzde فيجعله في موضع من باريته قد هيأ لذلك ، وجعله شبيها بالجعبة ، وجعل كلما وقع سهم أخذه . ولم يزل تلك حال الخراساني وحال العيار حتى انهى الخراساني سهامه . ثم حمل على العيار لضرره بسيفه ، فاخراج العيار من مخللاته حبرا فجعله في مقلاع ورماه فيما أخطأ به عينه ثم ثناء باخر فكاد يصرعه عن فرسه لولا تحاميه) (١٦٦) .

وقد ازدادت هذه الفتنة عددا مع مر السنين . ولعبت دورا هاما في الفتن كلها التي عصفت ببغداد . فقد اصبح هؤلاء فتنة مرتفقة تقاتل مع من يدفع لها مالا اكثر . وكان هم هذه الفتنة الحصول على الغنائم الكثيرة عن طريق استخدام السيف . وقد شبه بعضهم هذه الفتنة بطبة الصعاليك في الجاهلية) (١٦٧) .

وقد اتخذ اللصوص وقطاع الطرق العيرة سبيلا للتلصص والسلب والنهب . وقد ذكر بعض المؤرخين أن ابا نصر الفارابي الفيلسوف الشهير من اهل القرن الرابع للهجرة ، قتل ومن كان معه على يد بعض اللصوص الفتيان) (١٦٨) وقد ذكر كل من التنوخي في نشوار المحاضرة ، وابن الجوزي في كتابه الفرج بعد الشدة ، وكتاب الاذكياء قصصا عجيبة عن هؤلاء) (١٦٩) ، وقد وصل هؤلاء الفتيان في بعض حركاتهم في سنة ٣٦١ / ٥٧١ م الى اقسام السلطة في بغداد) (١٧٠) .

١٦٦) - انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٥٧ - ٤٥٨ - المغزاوى : المصدر السابق ، زرقة ١٢١ ظهر

١٦٧) - ابن المكارم : كتاب الفتوة ، ص ٢٧

١٦٨) - ابن المكارم : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

١٦٩) - ابن المكارم : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

١٧٠) - ابن المكارم : المصدر السابق ، ص ٣١ .

وقد مال العيارون في اواسط القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إلى الحق عيارتهم وشطارتهم بالفتوة المسندة إلى اصل ديني، فأخذ الفتى يتحزبون ويتعصبون ويغتصبون وينتکون وينهبون باسم طريقة من الطرائق المعززة إلى الدين . فأصبحت الفتوة بذلك خطا على الدولة العباسية وعلى سلاطين البوهيمين . وكان على الفرقين اتفاق ضد هذه الفرق ودعواها الدينية (١٧١) .

ويمكن القول ان الفتى عاشوا عيشة يسر ، في جو من التعاون والتضخية المتبدلة والالفة بعيدا عن كل رابطة عائلية أو مهنية أو قبلية ، وتجاوز رابطهم حدود المدينة الواحدة (١٧٢) . وكان هؤلاء يخرجون بفترات ضعف السلطة ، ليشنرو ما يشبه الذعر في الاحياء المترفة ، وليقوموا بأعمال السلب والنهب لصالح الجماعة (١٧٣) . وفي غالب الاحيان كانت حركة الفتى قوية في المدن التي لا ترابط فيها قوة عسكرية . وكان هؤلاء الفتى يمارسون ما يشبه الضغط المستمر عن طريق مؤسسات الامن . وسعوا إلى الانخراط في سلك الشرطة كسبا للعيش، ولكي يضمنوا الشرطة إلى جانبهم (١٧٤) .

هذا وقبل ان اختتم الحديث عن الفتوة ، اود ان اذكر ان فئة الاحداث التي برزت في الشام منذ القرن الرابع الهجري كانت أشبه بالفتوة في العراق وخراسان . وقد تحمل هؤلاء أمر الدفاع عن دمشق امام الفاطميين (١٧٥) وقد اشتهر أيضا احداث مدينة حلب . وتدخلوا في السياسة طلبا للرئاسة . وزاولوا العروبة والفتون فنصروا أميرا ، وخذلوا آخر (١٧٦) .

(١٧١) - ابن المكارم : المصدر السابق ، ص ٣١ ، وص ٣٤ - ٤٥ .

(١٧٢) - كلود كاهين : العرب والشعوب الإسلامية ، ص ٢٠٧ .

(١٧٣) - كلود كاهين : المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .

(١٧٤) - كلود كاهين : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(١٧٥) - المقريزي : اتعاظ العننا ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ص ١٢٤ .

(١٧٦) - ابن المكارم : الفتوة ، ص ٣٧ .

ـ الصراع بين المؤمن وابراهيم المهدي :

حين سلم المؤمن الخلافة رأى ان يجعل الكفاءة والمقدرة المعيار في اختيار ولاة العهد فاختار لولالية عهده رجلاً رأى فيه المقدرة على تحمل أعباء ومسؤوليات الحكم هو علي الرضا وهو من أئمة الشيعة الاثني عشرية ٠ وأمر بطرح السواد ولبس الخضراء ، لكن بغداد ثارت على هذا العمل وانتقض العباسيون على المؤمن، وباعيوا لابراهيم بن المهدي سنة ٢٠٣ هـ (١٧٧) ولقبوه بالمبارك ٠ ولم تطل خلافة المبارك تلك اذ ما لبث المؤمن ان ادرك الوضع العام في بغداد ، وحل اسبابه ، فقرر أن يعود الى بغداد ٠ وقضى بسهولة على هذه الحركة العباسية التي قامت ضده ، واتتهى الامر بمبادرة المؤمن لأخيه أبي اسحق المعتصم بالخلافة من دون ابنته العباس (١٧٨) ٠

ـ الصراع بين المعتصم وابن أخيه العباس :

حين أخذ المعتصم بتقريب الاتراك والاعتماد عليهم ، غضب العرب والفرس لذلك ونهض بعض القادة بتحريض العباس بن المؤمن واطماعه بالوصول الى العرش ، والعمل معاً على التخلص من المعتصم وقاديه التركيين ٠ ولم يتحقق لهذه المؤامرة النجاح ٠ وقضى المعتصم على العباس وعجيف بن عنبرة فازداد قهوة الاتراك اثر ذلك (١٧٩) ٠

ويبدو من هذا السرد لاحادث الصراع بين أفراد الاسرة العباسية للوصول الى العرش ان سوء تنظيم ولاية العهد ، وطبع افراد الاسرة في الوصول الى عرش الخلافة ، ادى الى اثارة البعضاء والعداوة بين افراد البيت المالك ، فانه لم

(١٧٧) - الطبرى : المصدر السابق ، ورقة ١٤٢ ظهر - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٥٧

(١٧٨) - انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٦٧ ٠

(١٧٩) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٤٨٩ - ٤٩٣ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ٠

يُكَدُ الْأَمْرُ يَتَمُّ لِأَحَدِ الْمُتَنَافِسِينَ حَتَّىٰ يَعْمَلُ عَلَى التَّنَكِيلِ بِمَنْ سَاعَدَ خَصْمَهُ عَلَى اقْصَاءِهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ • وَقَدْ شَكَلَ ذَلِكَ خَطْرًا عَلَى كَيْانِ الدُّولَةِ العَبَاسِيَّةِ •

حركات الخوارج :

حلَّ الْخَوَارِجُ مِنْذَ أَنْ اشْقَوُا عَنْ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَوَاءَ مَنَاهِضَةِ السُّلْطَاتِ الْحَاكِمَةِ وَحَمَلُوا السِّيفَ فِي وِجُوهِهِمْ ، وَاعْتَبَرُوهُمْ مُغْتَصِبِينَ لِأَمْرِ الْخَلَافَةِ الَّتِي هِيَ حَقُّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ • وَلَمْ تَهُدُ ثُورَاتُ الْخَوَارِجَ طَوَالَ الْعَهْدِ الْأَمْوَيِّ ، وَحِينَ نَجَحَ الْعَبَاسِيُّونَ بِالقصَاءِ عَلَى الْخَلَافَةِ الْأَمْوَيِّةِ ، رَفَعُوا السِّيفَ فِي وِجُوهِهِمْ • فَهُمْ بِنَظَرِهِمْ مُغْتَصِبُونَ لِلْحُكْمِ كَالْأَمْوَيِّينَ • وَكَانَ الْخَوَارِجُ فِي مَطْلَعِ الْعَصْرِ الْعَبَاسِيِّ مُنْتَشِرِينَ فِي أَمَّاکِنَ مُتَعَدِّدةٍ مِنَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، كَالْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَا وَخَرَاسَانَ وَعُمَانَ وَشَمَالِيِّ افْرِيَقِيَا • وَقَدْ تَمَكَّنَ الْخَوَارِجُ فِي الدُّورِ الْعَبَاسِيِّ الْأَوَّلِ مِنْ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ ضَعْفِ سِيَّرَةِ الْعَبَاسِيِّينَ عَلَى الْجَنَاحِ الْغَرْبِيِّ لِلْخَلَافَةِ الْعَبَاسِيَّةِ ، فَاسْسُوا دُولًا لَهُمْ فِي شَمَالِ افْرِيَقِيَا كَالْدُولَةِ الْأَرْسَتِيَّةِ وَالْدُولَةِ الْمَدْرَارِيَّةِ • وَبِالْتَّالِي فَانَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ غَيْرُوا طَرِيقَهُمْ ، وَلَمْ تَعُدْ غَایَتُهُمْ قَتَالُ مَنْ خَالَفُهُمْ وَانْتَهَى اصْبَاحُهُمْ إِيجَابِيَّةً تَجَلَّتْ فِي اِنْتَشَارِ دُولِ الْخَارِجِيَّةِ ، وَفَوْقَ هَذَا فَانَّ ثُورَاتِ الْخَوَارِجِ فِي هَذِهِ الْفَتَرَةِ ، كَانَتْ إِلَى حَدِّ مَا أَقْلَى عَنْهَا مِنْهَا فِي الْعَصْرِ الْأَمْوَيِّ • كَمَا كَانَ أَقْلَى مِنْهَا تَوَاتِرًا • وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ يُمْكِنُ القُولُ أَنَّ حَرَكَاتِ الْخَوَارِجِ فِي الْمَشْرُقِ الْإِسْلَامِيِّ تَوَقَّفَتْ تَقْرِيبًا فِي الدُّورِ الْعَبَاسِيِّ الثَّانِيِّ • وَسِيَّتْفَسِحُ ذَلِكَ حِينَ نَسْتَعْرُضُ حَرَكَاتِ الْخَوَارِجِ الَّتِي نَشَبَتْ فِي الدُّورِ الْعَبَاسِيِّ الْأَوَّلِ •

— كَانَتْ أَوَّلَى الْثُورَاتِ الْخَارِجِيَّةِ فِي الْعَهْدِ الْعَبَاسِيِّ هِيَ ثُورَةُ شِيبَانَ بْنِ عَبْدِالْعَزِيزِ الْيَشْكُرِيِّ ، زَعِيمِ الْخَوَارِجِ الصَّفْرِيَّةِ مِنْذَ مَقْتَلِ الْخَيْرِيِّ ، وَقَدْ بَدَأَتْ هَذِهِ الثُّورَةُ فِي أَوَّلِ عَصْرِ الْأَمْوَيِّ ، فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ مُرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ فِي مَنْطَقَةِ الْجَزِيرَةِ وَالْمُوَسْلِمِ وَنَشَبَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُنُودِ الْأَمْوَيِّينَ مَعَارِكَ كَثِيرَةَ •

وَتَتِيَّجَةً لِقتَالِهِمْ تَرَكُوا الْمَنَاطِقَ الَّتِي بَدَأُوا فِيهَا قَتَالَهُمْ فِيهَا ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى الْمَنَاطِقِ

الشرقية للخلافة الاسلامية ، ولجدية الامويين في متابعتهم والتضييق عليهم . فروا
إلى جزيرة ابن كاوان^(١٨٠) ، واعتصموا بها^(١٨١) .

أثار الخوارج الصفرية الشغب والخلاف بجزيرة ابن كاوان في مطلع حكم الخليفة العباسي الأول ، فقرر قتالهم حتى القضاء على حركتهم . وعين على رئاسة الجيش الذي أرسله إليهم قائد المتمرد خازم بن خزيمة ، فلم يجد هؤلاء بدا من ترك الجزيرة والالتجاء إلى سواحل عمان .

كان الخوارج الاباضية قد استقروا في منطقة عمان منذ أن اشقووا عن الإزارقة وكان على رأس هذه الفئة في عهد الخليفة أبي العباس رجل منهم اسمه الجندي . وحين قدم الخوارج الصفرية إلى عمان برئاسة شيبان اثر تضييق العباسيين عليهم، نشب خلاف بين هاتين الفرقتين الخارجيتين ، ثم تحول الخلاف إلى صدام مسلح، اسفر عن مقتل شيبان وعدد كبير من معه^(١٨٢) . فقوى الجندي وثار ضد العباسيين . فسار به خازم بن خزيمة عن طريق البحر ، ونزل في ساحل عمان . وهناك نشب معارك متعددة بين الطرفين ، كان بعضها للعباسيين وبعضها للخوارج . ولما رأى خازم كثرة القتلى أراد أن ينهي القتال بأن يشعل النيران في يسوت هذه الفئة الخارجة ، مما يجعل هؤلاء مضطرين إلى ترك القتال وإنقاذ بيوتهم . وقام رجال خازم فوضعوا المشاة^(١٨٣) على اطراف استهم ورووها بالنفط . وأشعلوا فيها النيران واضربوا بها يوت أصحاب الجندي . فانشغل جنود الجندي بين في البيوت من الأولاد والأهالي ، وبذلك تمكّن جنود خازم من هزيمة الجندي وقتله ، وأعادوا الهدوء إلى المنطقة . ويقال بأن عدد قتلى الخوارج بلغ عشرة الاف ارسلت

(١٨٠) - جزيرة في الخليج العربي .

(١٨١) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(١٨٢) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٥١ .

(١٨٣) - وهي من الكتان أو القطن أو الشعير الحالص ، تجعل على رؤوس النساء ، تروى بالنفط ثم تشعل فيها النيران وتلقى على الأعداء . انظر الطبراني : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٤ .

- حسن ابراهيم حسن : الرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٧٧ .

رؤوسهم الى البصرة . و ممما لا شك فيه ان هذا الرقم مبالغ فيه كثيراً^(١٨٤) . ولكنه ذكر على هذا الشكل لبيان اهمية النصر .

ولم يهدأ أصحاب الجندي بل عادوا للثورة في عهد الرشيد سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م ، واعلنوا تعين محمد بن عفان اماماً لهم ، وأصبح الخوارج مستقلين عن الخليفة العباسية ، ونواب امتهن الحكم ما يزيد على قرن من الزمن ، حتى كان عهد المعتصم الذي ارسل جيشاً لقتالهم في سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م اعاد عمان الى طاعة العباسيين .

لم يكدر العباسيون ينعمون بهدوء نسيبي حتى عاد الخوارج الصفرية الى الثورة الثانية في منطقة الجزيرة مستغلين وضع المنطقة بشريباً^(١٨٥) .

وقد قاد ثورتهم في سنة ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م ملبد بن حرملة الشيباني^(١٨٦) . تسكن هذا من هزيمة ستة جيوش قادها المرابطون في الجزيرة وقتل رؤساء تلك الجيوش . وكان آخر تلك الجيوش ذلك الجيش الذي قاده حميد بن قحطبه ، والذي انهى القتال مقابل مائة ألف درهم دفعها للبلد ، وهذا شيء جديد لم يكن يقوم به الخوارج ، ولم يعهد لهم يتذرون القتال الا بعد النصر أو الموت . ولم يكونوا يقبلون بانهاء القتال مقابل مبلغ من المال كما حدث في هذه المعركة^(١٨٧) .

ولم يضع خوارج الجزيرة السيف نهائياً ، ففي سنة ١٦٢ هـ / ٧٨٤ م خرج عبد السلام اليشكري في قسرىن في عهد الخليفة المهدي . وقد اهتم الخليفة بامره وعمل على القضاء على هذه الثورة في مدها . وعلى الرغم من النجاح الجزئي

(١٨٤) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(١٨٥) - كانت المنطقة تحوي خليطاً من السكان فيها أنكراد وارمن وعرب ، وبعض الفرس .

(١٨٦) - المقرنزي : المصدر السابق ، ورقة ١٠٤ ظهر

(١٨٧) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٨٢ .

الذي حصل عليه عبد السلام البشكري ، باتتصاره على عدد من قواد الخليفة المهدي ، الا أن نهايته كانت القتل على ايدي جنود العباسين^(١٨٨) .

وتلا ذلك ثورة خارجية اخرى في سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م كان مسرحها أرض الموصل . وتمكن فائد الحركة من التغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة ، فارسل إليه المهدي خيرة قواه ، حيث تمكنوا من الوقوف في وجهه ، وقتل مع أكثر من كان معه^(١٨٩) . كما نشب ثورة خارجية اخرى في منطقة الجزيرة سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م قادها حمزة بن مالك الخزاعي . وتمكن هذا من ان يستولي على خراج المنطقة . فاشتد ساعده وقوي امره . وهزم الجيوش المحلية التي سارت لقتاله ، ولكنه ما لبث ان قتل غيلاة^(١٩٠) .

ولم تنته هذه الثورات الخارجية بل كانت متتابعة ، ففي سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧ قاد الخوارج في ثورة ضد الخليفة هارون الرشيد رجل خارجي اسمه صحيح ، تغلب على ديار ربيعة . وعلى الرغم من تمكن جيوش الخليفة هارون الرشيد من قتل قائد الخوارج في هذه الثورة والانتصار على هؤلاء الثوار ، ودحرهم ، فإنه تالم لتواءث الثورات في هذه المنطقة ، وشعر بعجز والي المنطقة عن تصريف امورها وضيئتها فعزله عنها^(١٩١) .

وكانت اهم تلك الثورات الخارجية التي نشب في هذه المنطقة الحركة التي قادها الوليد بن طريف الشاري الشيباني ، الذي خرج على هارون الرشيد ورماه بالجور والظلم ، وتمكن من الانتصار في اكثر من جولة على جيوش الخليفة ، كما انه تمكن من قتل احد رجال العباسين وابن خيرة قواد الرشيد وهو ابراهيم بن خازم

(١٨٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٤٢ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٧

(١٨٩) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٨

(١٩٠) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٥

(١٩١) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢

ابن خزيمة . وقد قوبلت شوكته بذلك فمضى الى ارمانيا واخذ من اهالي خلاط مبلغًا كبيرا من المال ، افتدوا به انفسهم كما انه سيطر على اذربيجان ومناطق اخرى، وجيء المال من مدتها ، وقد دفع الجميع ما فرض عليهم فداء لانفسهم . ادرك الرشيد خطورة هذه الحركة فاختار لقيادتها خيرة قواده يزيد بن مزيد الشيباني ابن اخي معن ابن زائده . وعلى الرغم من البطولة النادرة التي اظهرها يزيد في القتال ، الا انه لم يستطع ان يحرز نصرا سريعا على الوليد . حتى ان الخليفة هارون الرشيد شك في مقدرة قائدته . فكتابه مهددا بعزله ان لم يناجز الوليد بسرعة وينتصر عليه ، ورماه بالتعصب لبني قومه — وكان كل من الوليد بن طريف، ويزيد بن مزيد من وأئل — ثم ما لبثت هزيمة ان حلت بجند الوليد وقتل . فقامت اخته ليلى بقيادة الجيش مكانه فاسرها يزيد ثم أطلقها^(١٩٢) . ويمكن القول ان الثورات الخارجية في الجزيرة لم تهدأ طوال القرن الثاني الهجري . ولم يتمكن الخوارج خلال نشاطهم الثوري في هذه المنطقة من ان يؤسسوا اماراة مستقلة ، وقد يعود ذلك الى اهتمام خلفاء العباسيين بهذه المنطقة الغربية ، وقوية سيطرتهم عليها لقربها .

لقد نشبت ثورات خارجية في خراسان ، كما هو الحال في مناطق اخرى ، ففي سنة ١٧٥ / ٧٩١ م استعرت ثورة خارجية في خراسان بقيادة رجل يسمى الحصين وهو من موالي قيس بن ثعلبة . وتمكن من هزيمة جيش الخليفة . وقد استمرت ثورته ستين ، الا ان نهايتها كانت كنهاية غيرها من الثورات الخارجية التي سبقتها^(١٩٣) .

واندلعت حركة خارجية في خراسان سنة ١٨٠ / ٨٩٦ م قادها حمزة بن اترك . وتمكن هذا من هزيمة صاحب هرآة وقتلها . وقاتلت جيوش محلية عديدة بقيادة ابناء والي خراسان علي بن عيسى بن ماهان ادت الى هزيمة هذا الخارجي ،

(١٩٢) - المطيري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٦١ وما بعدها - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٤١ - ١٤٣ .

(١٩٣) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٤ .

فاختفى • الا انه حين ادرك ان اصحابه في خطر ، لم شعثه وخرج ثانية لمواجهة جيوش العباسين • وكان في اثناء ذلك يقتل ويُسيب وينهب • فقاتلته طاهر بن الحسين بالطريقة نفسها التي اتبعها ، ولذلك فانه رغم الى الهدوء وكف عن القتال (١٩٤) •

وهكذا فان ثورات خارجية متعددة نشببت في وجه العباسين في الدور العباسي الاول ، في المناطق الشرقية للخلافة العباسية ، ولكنها في غالبيتها ثورات قليلة الأهمية ، لم تستطع الصمود امام جيوش العباسين • وهي بذلك لم تبلغ مبلغ الثورات الخارجية التي نشببت في الفترة الاموية وخاصة تلك التي قامت في عهد مروان بن محمد ، وقد يكون للجهود الضخمة التي بذلها مروان بن محمد شأن كبير في ذلك •

ولم تقتصر الثورات الخارجية في الدور العباسي الاول على مشرق الخلافة العباسية ، بل امتدت الى مغربه ، واستطاع الخوارج هناك من تأسيس دول لهم • مستغلين ضعف، قوة قبضة العباسين في هذه المناطق وعقلية سكان المنطقة التي تناسبها الافكار الديمقراطية اكثر من الافكار الالخرى • فقد ثارت قبيلة وربجومه التي دانت بمبادئ الخوارج الصفرية في سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٨ م على العباسين • وسيطر هؤلاء على مدينة القيروان (١٩٥) • الا انهم وقعوا في عداء مع الخوارج الاباضية بجبال تفوسة في طرابلس الغرب بقيادة أبي الخطاب • وتمكن الاخير من الاتصال على الخوارج الصفرية ، الذين سيطروا على القيروان (١٩٦) • وامتد نفوذه بذلك من طرابلس الغرب الى اقصى تونس ، فجعل على المنطقة الجديدة التي تبعت له عبد الرحمن بن رستم (١٩٧) •

(١٩٤) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٥٠ - ١٥١ •

(١٩٥) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ ويتذكر انهم سيطروا على القيروان وسائر افريقيا •

(١٩٦) - من اصل اهارسي نبيل ومما يذكر عنه انه ابن القائد الفارسي دستم الذي قاد جيوش الفرس في وجه المسلمين اثناء فتح العراق ، وقتل في معركة القادسية . انظر ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ •

(١٩٧) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ •

وعلى الرغم من محاولة العباسين اعادة شمال افريقيا لسيطرتهم والقضاء على حركة ابي الخطاب الخارجية في سنة ١٤٣ هـ / ٧٦١ م ، والنجاحالجزئي الذي احرزه قائدهم محمد بن الاشعث ، فان الخوارج توزعوا في شمالي افريقيا ، واستطاعوا تأسيس دول صغيرة منها الدولة الرستمية . فقد فر عبد الرحمن بن رستم من وجه الجيش العباسي المنتصر باتجاه الغرب الى المغرب الاوسط ، وتمكن هناك بمساعدة اصحابه من بناء مدينة تاهرت سنة ١٤٤ هـ / ٧٩٢ م ، حيث اتخذها مركزا له وأسس مملكة خارجية اباضية عاشت قرنا ونصف القرن ، وقد استطاعت هذه الدولة ان تجمع حولها عددا من قبائل شمال افريقيا مثل لواته ورجاله ونزاوه (١٩٨) . واستمرت هذه الدولة مسيطرة على المغرب الاوسط حتى قضى عليها الفاطميون .

وكذلك فانبني يفرن من زناتة برئاسة زعيمهم أبي قره ، اسسوا لاقسمهم دولة في تلمسان وبايعوا ابا قرة بالخلافة سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٦ م . وبعد تشدد العباسين ضرباتهم ضد هذه الدول الخارجية ، اتفقوا مع الرستميين وغيرهم من القبائل التي انضمت اليهم (١٩٩) وحاصرروا والي العباسين عمر بن حفص في تونس . وعلى الرغم من النجاحالجزئي الذي احرزه عمر على الرستميين فإنه لم يستطع ابعاد بقية الخوارج عن تونس . وراح عمر ضحية هذه الحركة اذ قتل سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٢ م ، وحركة الخوارج في الاروج (٢٠٠) . ولم تهدأ غاراتهم التي بلغت ٣٥٠ غارة الا بعد وصول يزيد بن حاتم قائد المنصور سنة ١٥٦ هـ / ٧٧٤ م (٢٠١) .

اما في اقصى المغرب فقد انتشرت المبادئ الخارجية الصفرية . وتمكن هؤلاء

(١٩٨) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ .

(١٩٩) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ - ١١٤ .

(٢٠٠) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢٠١) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٤ .

من تأسيس الدولة المدرارية (١٤٠ - ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م) وكان من فضائل هذه الدولة الخارجية بناء مدينة سجلماسة في منطقة التأفليت^(٢٠٢).

وهكذا يتضح لنا انه في حين فشلت ثورات الخوارج شرقي الخلافة الاسلامية بتأسيس دويلات لها ماعدا عمان ، فإن خوارج شمالي افريقيا حققوا اهدافهم ، وقد يكون ذلك تعبرا من اهالي البلاد عن رفض حكم العباسيين وشعورهم بالحاجة الى حكم انفسهم عن طريق هذه الدول المنفصلة .

٤ - « حركات الشيعة في الدور العباسي الاول » :

على الرغم من كل الخطوب الجليلة التي مني بها الشيعة خلال تاريخهم منذ مقتل علي بن ابي طالب فانهم لم ينسوا حقوقهم في المطالبة بالخلافة ، وعلى الرغم من الهدوء الظاهري الذي نعم به العباسيون في عهد ابي العباس ومطلع عهد المنصور ، فقد كان الشيعة كالنار تحت الرماد بحاجة الى من يحرركهم .

وقد كان لدى الشيعة من الاسباب ما يدفعهم لاثبات حقوقهم ، والوقوف بقوة وحزم في وجه العباسيين ، والمهم في الامر ان الصراع بين الفريقين لم يعد منحصرا بالخلافة ، وانما اصبح خلافا وصراعا بين العقائد التي يحملها كل فريق ويدافع عنها . وقد تجلت اسباب الصراع بين الفريقين في الدور العباسي الاول بالامور التالية :

- انهم كانوا يرون انفسهم احق من ابناء العباس بهذا الامر وان العباسيين مغتصبون للخلافة ، ولا يختلف شأنهم في ذلك عن الامويين .

- استغل العباسيون الدعوة للرضا من آل محمد ، وغرروا بانصار الشيعة من العامة ، فايحقوهم بدعوتهم ظنا من الاخرين ان الخلافة ستؤول الى اولاد على ابن ابي طالب .

^(٢٠٢) - للحصول على مزيد من التفاصيل عن هذه الدولة ، راجع ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، من ص ١٢٩ حتى ص ١٣٣ .

— استفاد العباسيون من الحركات العلوية التي قامت في وجه الامويين ، ومن تجنب حركات العلويين ، وكذلك فانهم استفادوا من الموقف الثوري للعلويين ، وحملهم لراية الكفاح منذ موقعة كربلاء + ومراقبة الامويين لهم ، والقضاء عليهم + فاخذوا جناح الهاشمية من الدعوة الشيعية ، وجعلوه لانفسهم ، وفي هذا ما فيه من التلاعب على حقوق الشيعة وخداعهم +

— مخالفة العباسيين لما كان قد قرره الهاشميون من علويين وعباسيين في اجتماع الابواء في سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م حين قرر المجتمعون اختيار محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية ليكون خليفة بعد نجاح الثورة +

ومن المعتقد ان هذا الخبر تمويه الدقة ، لأن العباسيين لم يكونوا ليتنازلوا بسهولة عن حقهم ، وخاصة وأن الامام في ذلك الوقت كان من العباسيين وهو ابراهيم بن محمد + وان الدعوة للرضا من آل محمد (العباسية) كانت على ابواب النجاح + واذا صح ذلك فان أئمة العباسيين فعلوا ذلك لثلا يصيّبهم الاذى ، فيما لو انكشف الامر + وكان ذلك من باب التكتم الذي مهر به العباسيون وبنوادعوتهم على اساسه . وانهم ارادوا ان تكون الجبهة الهاشمية متماسكة في هذه الفترة الحرجة من فترات الدعوة^(٢٠٣) . وبالتالي فقد كانت ثورة محمد بن عبد الله النفس الزكية على رأس قائمة ثورات العلويين في الدور العباسي الاول +

ثورة محمد بن عبد الله النفس الزكية ، و أخيه ابراهيم (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) :

امتازت علاقات الخليفة العبسي ابي العباس مع العلويين بالهدامة^(٢٠٤) ، حتى اذا جاء عهد المنصور — الذي كان يعمل على توطيد اركان دولته بالوسائل الممكنة كافية ، بالإضافة الى شدة الحذر الذي تميز به — بدأ التوتر يسود العلاقات بين الطرفين + فقد اهتم المنصور منذ ولد الخليفة بأمر محمد وابراهيم ابني عبد الله

(٢٠٣) — انظر ابن طباطبا : الفخرى في الاداب السلطانية ، ص ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ويدرس الطبرى : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ١١٧ البيعة لمحمد دون ذكر المكان والسنة +

(٢٠٤) — انظر عن ذلك المقرizi : المصدر السابق ، ص ٧٩ وجهه و ٧٩ ظهر +

ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، وخاصة وانه لم ينضم اليهم عدم الموافقة على تحويل الخلافة للعباسيين منذ ان حج في خلافة أخيه سنة ٥١٣٦ / ٧٥٣م^(٢٠٥) . وان محدثا^(٢٠٦) وآخاه رفضوا البيعة لابي العباس ومن بعده للمنصور . ويقال بان المنصور في حجه ذلك سأله عنهم فلم يفلح بالاجتماع بهما . ولذلك فانه كلف والي الحجاز زياد بن عبيد الله الحارثي بارسالهما اليه^(٢٠٧) . وحين تولى امر الخلافة ، كان يرى القبض عليهم مما كلفه ذلك . فاتصل بيني هاشم وسائلهم عنهم ، فلما يحظ باجابة مريحة ، واعلمه هي لا يأبه بان محدثا يخافك على قفسه ، لأنه يعلم أنك تعرف أنه يطلب هذا الامر لنفسه ، ولذلك فانه اختفى عن الا ظار^(٢٠٨) .

كان الخوف متبدلا بين الطرفين ، فكما خاف محمد على نفسه غدر المنصور ، كان الاخير يخشى على عرشه من طمع محمد . ولذلك كان لا بد لاحدهما من القضاء على الاخر . وببدأ المنصور بالخطف للظهور به بطرق متنوعة فمن التجسس الى تبديل الولاية المتكرر ليظفر بواسطته بعمد بعده على الفوز به . ففي باب التجسس قام بشراء الارقاء من العرب ومنهم الابل وفرقهم بطلبته في ظاهر المدينة متناثرين بانهم ضلوا ، عسى أن يصلوا عن هذا الطريق الى معرفة مكان محمد^(٢٠٩) . وفي الباب الاخر ، قام بعزل واليه زياد بن عبيد الله الحارثي ، وصادر امواله ، وكبله بالحديد وسجنه وعين مكانه محمد بن خالد القسري^(٢١٠) لانه ادرك اهماله في الجد في طلب محمد وابراهيم ، وخاصة حين علم بان محدثا استطاع ان يخرج

(٢٠٥) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥١٧ - ٥١٨ .

(٢٠٦) - هو صاحب البيعة في الابواء وهو الامام الموصى له من قبل الامام يحيى بن زياد علي زين العبادين بالامامة قبل مقتله .

(٢٠٧) - الطبرى : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ٥١٨ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥١٣ - ٥١٤ .

(٢٠٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥١٨ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥١٤ .

(٢٠٩) - عن تفاصيل ذلك انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥١٩ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥١٤ ، ص ٥١٥ .

(٢١٠) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥١٩ .

من المدينة ويتنقل في الكوفة والمسند وعدن (٢١١) • وان يقوم بالدعوة لنفسه هناك ، كما ان دعاته وصلوا مصر ودعوا له فيها (٢١٢) .

وما لبث المنصور ان عزل محمد بن خالد واتهمه بالباطئ والتهاون في تنفيذ مهمته وعين ثالثا عرف بالشدة والقسوة ، وقد اتضح ذلك من خطبته التي بدأ بها الناس والتي لا تختلف في معناها ومتناها عن خطبة الحجاج بن يوسف التقي في مسجد الكوفة ، الا ان اهالي المدينة الذين كانوا يتذمرون حماسة لآل علي ، جابهوا الوالي بكلمات كان لها من قوة التأثير ما يفوق خطبة الوالي • وعلى الرغم من تهديد المنصور لاهالي المدينة بسبب موقفهم من الوالي فاتهم حصبوه • فالتجأ الى المنصورة محتميا بها • وباذن من المنصور بدأ بالتنكيل بالعلويين ، فزج اغلبهم بالسجن بعد أن قيدهم بالسلاسل (٢١٣) .

كانت خطبة المنصور ان يسرع محمد وابراهيم بالخروج بعد التنكيل باسرهما ، وقد نجح في ذلك • ففي جمادي الآخرى في سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م خرج محمد على المنصور مع عدد من انصاره ، وقصد السجن فكسر بابه وخرج من فيه ، وانضم اليه اغلب من في المدينة • وبعد ازيداد قوته تجرأ على الدخول الى دار الامارة واسر الوالي وأخاه ، ثم خطب الناس خطبة اوضح فيها اسباب ثورته ، وبين حقه الصریح في الخلافة واغتصاب المنصور لهذا الحق (٢١٤) • ويدو انه مما شجع محمد على الخروج كثرة الرسائل التي وصلته من الامصار ، والتي توضح تشيعها له ، فقال في خطبته : (والله ما جئت هذه ، وفي الارض مصر يعبد الله فيه ، الا وقد اخذ لي فيه البيعة) (٢١٥) • ولم يكن يعلم بان اكثرا هذه الرسائل كان يزورها قادة المنصور لمحمد بأمر من الخليفة لخداعه • واما زاد في حماس محمد وقوة انصاره في البداية ،

(٢١١) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥١٧ .

(٢١٢) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٤٤ .

(٢١٣) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٢٤ - ٥٢٧ .

(٢١٤) - ابن الاثير : المصدر السابق جزء ٥ ، ص ٥٣١ .

(٢١٥) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٢١ .

اتخاذ الامام مالك صاحب المذهب المالكي ، وامام اهل السنة دون منازع جانبه ، فأفتقى بنقض بيعة المنصور ، اذ صرخ للناس بأنهم بايعوه مكرهين وليس على مكره يمين (٢١٦) .

لقد كانت صفات محمد بن عبد الله تؤهله لتولي منصب الخليفة ، فهو من ساداتبني هاشم ، ومن مقدميهم في الفضل والشرف والعلم . متحليا بالصفات الحميدة والخلال الكريمة . وكان زاهدا وناسكا ، ولذلك سمي بالنفس الزكية وبالمهدي . وفوق كل هذا فانه لم يكن ميلا لسفك الدماء وظلم الناس ، بل اشتهر بالاعفو والعفة . وقد أهلته هذه الصفات ان يحتل مركزا عظيما بين الناس (٢١٧) .

وقد اراد محمد بن عبد الله ان يوسع دائرة الثورة لادراته بان اهله المدينة لم يكونوا في ذلك الوقت اهل حرب . فارسل اخاه ابراهيم الى البصرة لينشر الدعوة فيها (٢١٨) . وقد تمكنت ابراهيم من دخولها بالحيلة والدهاء مرفقا لقافلة البريد . فاستولى على دار الامارة في البصرة ، وهزم قوات الخليفة المنصور ، كما استطاع ان يجعل فقهاء البصرة ، وكبار رجالها الى جانبه . وفوق ذلك فانه استطاع ان يدخل اهالي واسط والاهواز وفارس في دعوته (٢١٩) . وفي هذه الظروف الحرجية التي واجهها المنصور لم يدع بابا الا طرقه . فقد كتب الى محمد بن عبد الله يطلب منه فيه العودة الى الطاعة ، وله ولمن معه الامان على دمائهم واموالهم . فرفض محمد ذلك واصر على موقفه معلنا بان ذلك حقا من حقوقه . وقد جرت مراسلات بين الطرفين تعتبر من اهم الوثائق العباسية وأشهرها . فهي تصور الجدل الفكري الذي قام بين العباسين والشيعة ، والتي يذكر كل طرف فيها الحجج التي تفضله غيره ، وتجعل له الحق في الخلافة . ويؤكد أبو جعفر المنصور في رسائله ان

(٢١٦) ... محسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٢٩ .

(٢١٧) ... ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

(٢١٨) ... ابن الآثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٣٦ .

(٢١٩) ... محسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٣٠ .

ميراث النبي للعباس لا لفاظمه ، وانه لشرف ولا فضل في جاهلية ولا اسلام في دنيا ولا آخرة الا والعباس وارثه ومورثه (٢٢٠) .

رفض محمد بن عبد الله الموادعه وأخذ يستعد لمواجهة الموقف بحفر خندق حول المدينة ، في حين ارسل المنصور جيشاً كثيفاً جعل على قيادته ابن أخيه وولي عهده عيسى بن موسى ، وارفده بجيش آخر . ولذلك دارت بين الطرفين معركة غير متكافئة ، هزم على اثرها محمد بن عبد الله وانصاره . ولقي مصرعه بعد ان ضرب مثلاً في الشجاعة وهو ابن خمس وأربعين سنة (٢٢١) .

كان على المنصور بعد ان تم له القضاء على محمد ان ينهي خطر هذه الثورة بالقضاء على أخيه ابراهيم ، بعد ان اشتد خطره بتعلمه على مناطق متعددة (٢٢٢) . وتفاقم عدد جنده حتى بلغ على رأي البعض مائة ألف مقاتل ، وكان ابراهيم قد توقف عن القتال بانتظار اخبار المدينة . وحين قتل أخوه في ٢٧ رمضان سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م اخذ البيعة لنفسه بالأماراة ، وقاتل جيوش العباسين التي هاجمه ، فاتتصروا بشيء في معركة باخرى بين الكوفة وواسط . وقتل ابراهيم بعد فترة بسيطة من مقتل أخيه . وادى ذلك الى ضعف مركز بقية افراد الاسرة . فقتل بعضهم وفر آخرون شرقاً وغرباً . وقد انتهت هذه الهزيمة بالحزن العميق من قبل أشياعهم ، فرثاهم الشعراء اجمل رثاء .

ومما لا شك فيه ان هزيمة محمد بن عبد الله ونصر المنصور في هذه الثورة كانت لها اسباب متعددة قد ادت اليها منها :

(٢٢٠) - انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، من ص ٥٧٧ حتى ٥٧١هـ وابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٣٦ - ٥٤٢ .

(٢٢١) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٥٠ .
- حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٢١ - ذكر : المرجع السابق ،
ص ٣٦٤ .

(٢٢٢) - انظر فيما سبق .

— سخر المنصور كل قوته وهمته للقضاء على الحركة ، فتذكّر بعض المصادر والراجح ان المنصور استمر في النوم على مصلاه خمسين يوما ينام فيه وعليه جبة ملونة قد اتسخ جيبيها لايغيرها ، ولم يهجر المصلى . الا انه اذا ظهر للناس لبس السواد ، فاذا فارقهم رجع الى هيئته . واهديث اليه امرأتان من المدينة فلم ينظر اليهما ، وكان جوابه أنه ليست هذه أيام نساء ولا سبيل اليهما حتى اظر رأس ابراهيم لي أو رأسي له^(٢٢٣) . كما انه طلب ان تقطع الميره من مصر عن أهل الحرمين^(٢٢٤) .

— استشارة المنصور خيرة رجاله ، واهل الرأي والتجربة في أنجع السبل للقضاء على تلك الحركة . فكل اشار عليه برأي ، ومن تلك الآراء رأي اسحاق بن مسلم العقيلي الذي قال له : (اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال) . فقال له المنصور : انصرف حتى أرسل اليك ، فلما صار ابراهيم الى البصرة ارسل اليه ، فقال : وكيف خفت البصرة؟ قال : لأن محمدا ظهر بالمدينة وليسوا اهل حرب ، بحسبهم ان يقيموا شأن انفسهم وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشام أعداء آل أبي طالب ، فلم يبق الا البصرة^(٢٢٥) . وآراء اخرى يبذل الاموال للجند ، وتجنيد اهالي النجدة والقوة من أهل الشام .

— استخدام المنصور الجيلة والدهاء في القتال فأفشل الحركة ، على الرغم من أن أكبر فقهاء ذلك العصر وعلى رأسهم الامامان مالك وأبو حنيفة عطفا على هذه الدعوة . فقد حاول اغراء المناصرين للعلويين بمال لتشييط همهم ، كما أشعر الناس بهزيمة النفس الزكية . فقد كلف امرأة بالمناداة من رأس الماذنة بهزيمة محمد النفس الزكية قبل ان تحدث فعلا ، مما ادى الى تصدع جيشه وهرب الموالين له خشية على أنفسهم . كما أنه أرسل الى اهالي خراسان الذين كانوا متعاطفين مع هذه

— المقرنزي : المصدر السابق ، ورقه ٩١ و ٩٢ وجه .

— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٦٦ .

— المقرنزي : المصدر السابق ، ورقه ١٠٨ ظهر .

Muir: The Caliphate., P.458. — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٣٦ -

الدعوة ، رأس قریب النفس الزکیة الذي قتل ، واوهمهم بأنه رأس محمد بن عبد الله فحال بذلك دون قیام الفتنة والاضطرابات في خراسان . كما امر قواده الذين في الجيش ان يكتبوا الى محمد ، فيعلمونه أنهم اذا صاروا الى المدينة فواقعوه ، انقلبوا اليه ، فاقام محمد طمعا في ذلك ، فلما لقاه كانت اياها (٢٣٦) .

— ضعف قوات محمد وأخيه اذا قيست بقوة الخلافة العباسية، فعلى الرغم من كثرة الرسائل التي وردته فان عدد انصاره لم يكونوا كذلك . كما انهم لم يكونوا مدربين تدريبا كافيا على القتال . فلم ينظم جنده ويرتبهم نرتيبا يناسب زمانه . ويمكنتهم الوقوف في وجه جند الخليفة الذي اختار له نخبة من مشهورى قادته . ونظم جنده وامده بالسلاح والمؤن . ثم انه كان يرسل كردوسا من جنوده ليقاتل اذا لفهم اردد كردوسا اخر . وكان يفعل ذلك خشية ان ينهرم الصف بكلامله فيتداعى سائره (٢٣٧) .

— عدم التوافق الزمني بين ثوري محمد وابراهيم مكن ابو جعفر من القضاء عليهم بالتابع . ولو استغل ابراهيم فترة فراغ الكوفة من الجيوش التي ذهبت لقتال أخيه لغير وجه هذه الحركة ، ولحصلت على جزء من النجاح او على نصر كامل . لانه بعمله هذا كان سيجعل العباسيين مضطرين لسحب جزء من قواتهم لقتاله ، فيخف الضغط على أخيه محمد ، ولكنه انتظر فجأته الجيوش التي قاتلت أخاه منتصرة مظفرة ، وجابته بعد ان تحطم قلبه وضعف أمله .

— اخطأ محمد في اختيار مرکزه العربي ، لأن المدينة كما وصفها الرحالة المسعودي (٢٣٨) ، ليس فيها زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة . وبقاوئه في بلد ليس فيه اكتفاء ذاتي يؤدي الى قطع الميره عنه ، وهذا ما فعله المنصور الذي قطع ميرة الشام ومصر الواردة الى المدينة (٢٣٩) .

(٢٣٦) — المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٩٨ ظهر .

(٢٣٧) — ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٦٨ .

(٢٣٨) — مروج الذهب : جزء ٢ ، ص ٣٠٧ - ٣١٧ .

(٢٣٩) — انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٥١ .

— هذا وقبيل أن انهي حديسي عن هذه الحركة اود ان اوضح ان محمد ابن عبد الله كان زعيم الشيعة الريدية في زمانه^(٢٣٠) ، تلك الفرقة التي تعتبر بمعتقداتها اقرب الفرق الشيعية الى السنة ، وهي التي تسب الى زيد بن علي ، صاحب الثورة على الخليفة هشام بن عبد الملك في الكوفة سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م

— ثورة الحسين بن علي بن الحسن :

ما لاشك فيه ان هذه الضربة القاسية التي أصابت العلوين بمقتل محمد و أخيه ابراهيم ، ووضع كبار رجال العلوين تحت المراقبة ببغداد ، جعلتهم يستكينون لمدة عشرين عاماً تقريباً ، فمضى بقية عهد المنصور والمهدى دون حدوث حركة علوية . ولكن هذا السكون مالبث ان شق لأسباب متعددة منها :

— عدم نسيان العلوين حقوقهم في الخلافة .

— قسوة ولاة العباسيين في معاملتهم للعلويين وقيام عامل المدينة بالتنكيل ببعضهم وبشكل خاص سوء معاملته للحسن بن محمد بن عبد الله ، واتهامه بشرب النبيذ ، وقبضه عليه وعلى صحبه ، والتشهير بهم بين أهل المدينة^(٢٣١) .

دعا الحسين لنفسه في المدينة في ذي القعدة سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م بعد ان اعترض على التشهير باهل بيته والحط من كرامتهم ، فاجتمع اليه عدد كبير من الناس ، ثم لجأ الى السجن فاخراج من فيه وبيان الجميع للحسين بن علي بالخلافة^(٢٣٢) .

أقام الحسين بعد خروجه من المدينة احد عشر يوماً ، ثم قصد مكة حيث

(٢٣٠) — انظر فيها بعد .

(٢٣١) — الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٩٢ — ابن الآثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٠ .

(٢٣٢) — ابن الآثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩١ .

استقطب اهلها حوله وعمل على منح الحرية للعبيد (٢٣٣) • وعلم الخليفة الاهادي بما حدث فجهز جيشاً جعل على قيادته محمد بن سليمان بن علي • والتحق الحسين بهذا الجيش في مكان يقال له فخر (٢٣٤) وجرى بين الطرفين قتال عنيف ، اسفر عن قتل الحسين بن علي بعد ان ابلى بلاء حسناً • وقتل معه ايضاً بعض اهل بيته (٢٣٥) • وكانت هذه الموقعة من الشدة بحيث قيل لم تكن مصيبة بعد كربلاء اشد وافجع من فخر • وكثير رثاء الشيعة لقتلاهم فيها (٢٣٦) • ومنها ما اشده عيسى بن عبد الله حيث قال :

لابكين على الحسن
وعلی ابن عاتکة السندي
واشده موسى بن داود فيهم :

ياعين بكى بدموع منك منهمر
فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن
صرعى بفح تجر الريح فوقهم
أذىالها وغواه دلح المزن (٢٣٧)

لم تكن أهمية هذه الثورة تكمن في احداثها فقط • بل كانت تتأتجها اكبر أهمية منها ، فقد كانت سبباً في ميلاد حركات شيعية اخرى ستكون لها تنتائج هامة، وسيكون تأثيرها واضحاً في ظهور دولات منفصلة عن الخلافة العباسية •

– ثورة ادريس بن عبد الله وآخيه يحيى :

بعد هزيمة فخر تمكّن ادريس بن عبد الله ، واخوه يحيى من الاقلات من

(٢٣٣) – انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٢ .

(٢٣٤) – هو واد في طريق مكة على بعد ثلاثة او ستة اميال منها . انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٢٧ – وانظر ابن خلدون : المصدر السابق جزء ٦ ، ص ١٤٧ – حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٣٩ .

(٢٣٥) – ابن الاثير : المرجع السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٣ .

(٢٣٦) – انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٢٣٧) – ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٣٨ .

قبضة العباسين ، فاتى ادريس مصر مستغلاً تشييع صاحب البريد فيها ، الذي حمله الى اراضي المغرب حيث نزل بآراني طنجة بمدينة وليلا^(٢٣٨) فأخذ يدعو من حوله من البربر . فاستجاب له عدد كبير منهم^(٢٣٩) . ولما رأى الرشيد ان القضاء على حركته يكلله كثيراً ، بعد المكان الذي اختاره وشدة مراس البربر وصعوبته قتالهم . اراد ان يعمل على القضاء عليه بالمكيدة والخداع . فارسل اليه رجالاً عرف بدهائه . فتظاهر امامه بأنه خارج على العباسين . وتمكن من ان يظهر بظهور الصادق امام ادريس . فوثق به ادريس كل الثقة ، وقربه منه . فساعدته ذلك على دس السم لادريس ، في سنة ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م . فبائع انصاره ابنه ادريس بعد ولادته ، واليه تتنسب دولة الادارسة في بلاد المغرب^(٢٤٠) . وكان من نتيجة ذلك أن: — غير الرشيد سياساته تجاه العلوين فأخذ يعمل على استئصالهم بعد ان بدأ عهده باستمالتهم واعطائهم حرية التحرك .

— اقطع ابراهيم بن الاغلب ولاية افريقية تونس الحالية ، ليقف في وجهه الادارسة .

أما يحيى فقد نجح في الذهاب شرقاً حيث استقر به المقام في بلاد الدليم ، جنوب بحر الخزر . وأخذ هناك في الدعاء لنفسه ، فقوى أمره وبايتعنه جموع كبيرة من المناطق المجاورة لاعتقادهم بأحقيته بالأمامية ، وغداً أمره من الخطر بحيث هدد سلامة الدولة العباسية^(٢٤١) .

قلق الرشيد لهذه الحركة واراد القضاء عليها بكل الوسائل . فندب الرشيد

(٢٣٨) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، اص ٩٣ ووليلاً مدينة بالغرب قرب طنجه ، انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٣٨٤ ، وردت هكذا في ياقوت اما ابن الاثير : جزء ٩ ، ص ٩٣ فقد رسمها وليله .

(٢٣٩) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، اص ٩٣ .

(٢٤٠) — حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ، جزء ٢ ، ص ١٤٢ .

(٢٤١) — الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٤٢ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٥ .

— ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢١٨ .

وزير الفضل بن يحيى لقتاله في ١٧٦ هـ / ٧٩٢ م وجعل تحت أمرته خمسين ألفاً مقائلة ولتقوية مركزه جعل له ولاية جرجان وطبرستان وغيرها^(٢٤٣).

بدأ الفضل عمله بالتفاوضات السلبية على أمل أن يتحقق بها هدفه فكانت بـ يحيى بن عبد الله محذراً إياه، موضحاً عاقبة الخروج على الخلفاء، كما أغري حاكم الديلم بـ سليمون درهم، أن هو أخرج يحيى من بلاده^(٢٤٤)، ويبدو أن يحيى كان قد أخذ عبرة من تنتائج الثورات العلوية التي سبقته، فأثر المسالمة ورُكِنَ إلى الهدوء، وقبل بالصلح والتسليم مشترطاً أن يكتب له الرشيد أماناً بخطه يشهد فيه القضاة والفقهاء وجلة بنى هاشم ومشايخهم، فاجابه الرشيد إلى ذلك، وسیر كتاب الامان مع الهدايا والتخفف، فقدم يحيى مع الفضل إلى بغداد فلقى الرشيد بكل ما أحب وأمر له بـ بمال كثير، واسفر ذلك عن ارتفاع مكانة الفضل عند الخليفة^(٢٤٥).

ويبدو أن أموراً قد حدثت فيما بعد الجأت الرشيد إلى سجن يحيى وقد يكون الرشيد توهם عدم اخلاص يحيى وخشي منه اما لمركزه عند الناس او لأن يحيى قام فعلاً بما يخشاه الرشيد وتأمر ضد الخليفة^(٢٤٦)، والمهم في الأمر أن يحيى أودع السجن، وتختلف الروايات في نهاية يحيى هذا بعد سجنه، وتسرى بعضها بأنه قتل في السجن، ومن المعروف أن نهاية يحيى هذه كانت من عوامل نكبة البرامكة فيما بعد^(٢٤٧).

- نهاية موسى الكاظم بن جعفر الصادق :

دب الخلاف في صفوف العلوين في عهد الرشيد، وأخذ بعضهم يوشي بالبعض، وقد علم هارون الرشيد من بعض حсад موسى الكاظم من أقاربه، بأن

(٢٤٢) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢١٨ .

(٢٤٣) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٥ .

(٢٤٤) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٥ .

(٢٤٥) - انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٤٥ وما بعدها .

(٢٤٦) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

لوسى الكاظم دعوة وان الناس يحملون اليه خمس اموالهم ، ويعتقدون همامته . وانه يتهيأ للخروج على الخليفة ، واكثروا في القول ضده ، مما اقلق بالرشيد ، ودفعه الى العمل على التخلص منه . فلما قدم الخليفة الى المدينة المنورة في سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م قبض عليه وحمله الى بغداد ، حيث جسنه عند السندي بن شاهك ، ثم دين اليه من قتله خصية سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م ، وادخل شهودا شهدوا انه مات حتف اقه (٢٤٧) .

ولم يحدث في عهد الامين ثورات علوية ، ويبدو انه لم يحدث في عهده ما يشيرهم ، ولم يعملا على استغلال فترة لخلاف بين الامين والمؤمن . وقد وصف الاصفهاني موقف الامين من العلويين بقوله « كانت سيرة محمد الامين في آل أبي طالب خلاف من تقدم ، لتشاغله بما كان فيه من اللهو والادمان ، ثم العرب التي كانت بيته وبين المؤمن حتى قتل . فلم يحدث على أحد منهم في ايامه حدث بوجه ولا بسبب » (٢٤٨) .

- العلويون في عهد المؤمنون :

لم يهدأ الصدام بين آل علي والعباس في عهد المؤمن ، على الرغم مما يذكر عن المؤمن من حسن معاملة العلويين . فقد بشوا دعاتهم في البلاد ، وخرج على المؤمن منذ مطلع خلافته ، محمد بن ابراهيم العلوى المعروف بابن طباطبا بالكونفة في جمادى الثانية سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م ، وصار يدعو الى الرضا من آل محمد (٢٤٩) ، والعمل بالكتاب والسنة ، وعاونه في نشر دعوته قائد جنده أبو السرايا السري بن منصور الشيباني الذي استولى على الكوفة من يد واليهما العباسي (٢٥٠) . ولما توفي ابن طباطبا قام قائد ابو السرايا بتولية محمد بن محمد

(٢٤٧) - انظر محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، ص ٢٠٤ .
 (٢٤٨) - محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، ص ٢٠٤ نقلان عن الاصفهاني .

(٢٤٩) - المقرئي : المصدر السابق ، ورقه ١٢٢ وجده
 (٢٥٠) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .
 المقرئي : المصدر السابق ، ورقه ١٢٢ وجده .

ابن زيد العلوى واستبد بالامر دونه^(٢٥١) وضرب الدرارهم بالكوفة ، كما ارسل ولادة من العلوين الى مكة والمدينة والبصرة وغيرها من الامصار الاسلامية^(٢٥٢) . وقد تمكن أبو السرايا من تحقيق هذا النجاح بعد المأمون عن بغداد واقامته في مرو . ولكن الحسن بن سهل (والي المأمون على العراق) عمل على القضاء على هذه الثورة . وتعاون مع هرثمة بن أعين لاخدامها . وتمكنا من اخراجها من الكوفة ، فأخذ يتنقل من بلد الى آخر ، حتى قبض عليه في جلولاء^(٢٥٣) .

ويبدو ان المأمون على الرغم من قصائه على هذه الثورة ، فانه لم يكن يكره العلوين . والدليل على ذلك انه حين فكر فيمن سيخلفه ، لم ير أصلح من علي ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، فبعث في طلبه من المدينة المنورة ، ثم بايعه بولاية العهد ، ونقش اسمه على الدنانير والدرارهم ، وكتب بذلك كتاباً بخطه ولقبه الرضا من آل محمد ، عرف بعلي الرضا . ثم انه امر بخلع السواد شعار العباسين^(٢٥٤) ، وامر بلبس الخضراء ، وكان ذلك في خراسان سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م . ولم يكتف المأمون بذلك بل زوجه ابنته ، وزوج محمد الجواد بن علي الرضا ابنته الاخرى . ووصل خبر مافعله الى العباسين في بغداد فانكروا ذلك ، وخلعوا المأمون وباعوا عمه ابراهيم بن المهدي بلقب المبارك في محرم سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م^(٢٥٥) .

واختلف المؤرخون في تفسير هذا المنعطف السياسي في سياسة الخليفة العاسي المأمون ، فرأى بعضهم أن سبب هذه البيعة يعود الى نزعة المأمون الفارسية ، فقد نشأ منذ نعومة اظفاره في بيته فارسية، فأمه مراجل فارسية الاصيل .

(٢٥١) - المقريزي : المصدر السابق ، ص ١٢٢ ظهر

(٢٥٢) - سرور : البرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢٥٣) - المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٢٢ ظهر .

- ابن الاثير . المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٩ .

(٢٥٤) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٣٦ - ٣٢٧ .

- الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

واشرف جعفر البرمكي الفارسي على تربيته . كما يرى الاخرون ان هذا الامر كان بتائير وزيره الفضل بن سهل الفارسي الاصل الشيعي المذهب ، والذى كان يميل الى ان يكون خليفة المسلمين علويا . ويعزو بعضهم ذلك الى ان المؤمنون كان يؤمنون بحق آل علي في الخلافة^(٢٥٦) ، ويغطى عليهم . ويوضح ذلك من الوصية التي اوصى بها أخاه المعتصم قبل وفاته .

(وهؤلاء بنو عمك من ولد امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئتهم واقبل من محسنتهم ، ووصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها ، فان حقوقهم تجب من وجوه شتى)^(٢٥٧) . ثم ان المؤمنون استعرضن الفتنة التي قامت في الدولة الاسلامية منذ خلافة علي بن ابي طالب السى عهده ، فلم يمس فيها فرقة لكتلة المسلمين وقطعا لاوصال الدولة الاسلامية وشغلا للخلفاء عن القيام باصلاح حال المسلمين ، فرأى انه من الخير له ان يفتح الطريق امام الاسرتين معا لاختيار افضلهم ، وليتعاون الجميع لمصلحة المسلمين .

ويرى بعض المؤرخين ان المؤمنون قام بخطوته تلك حتى يخرج الامة الشيعة الذين يدعون لقضيتهم سرا من مكامنهم . فال العامة تسمع عنهم كل حسن ولا تراهم فطنوا بهم ما يظن بالانبياء . واذا ماخروا وترى عليهم العامة وجدوهم كغيرهم فيتضاءل تقديرها لهم^(٢٥٨) .

واخيرا يمكن ان نصل الى نتيجة قد تحوي الحقيقة او جزءا منها . وهي ان فكر المؤمنون الواسع والناضج الذي حمل خلاصة علوم وفلسفات شتى ، واسانيته التي كونها هذا الفكر ، ادت الى حصول قناعة عنده بان العلوين قد ظلموا وحان وقت انصافهم .

(٢٥٦) - انظر عن ذلك المقرizi : المصدر السابق ، ورقة ١٣٩ ظهر و ١٤٠ وجه .

(٢٥٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، اص ٦٤٩ - ٦٥٠ - المقرizi : المصدر السابق ، ورقة ١٢٦ وجه .

(٢٥٨) - القسطى : الاخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

ـ نهاية محمد بن القاسم :

سار المعتصم في سياسته مع العلوين على نسق من سبقة من اسلافه . كما تابع العلويون ثوراتهم في عهده . فقد نهض محمد بن القاسم العلوى بثورة ضد المعتصم في سنة ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م بدأها في مدينة الكوفة ، ثم الطالقان ، وأخذ يدعو إلى الرضا من آل محمد ، فاجتمع إليه عدد كبير من أهلها فازداد تفوذه بذلك .

كلف المعتصم عبد الله بن طاهر لقتاله وجرت بين الفريقين وقائع متعددة ، فر على اثرها محمد بن القاسم ، فاتبعه عبد الله حتى قبض عليه ، وارسله إلى المعتصم فحبس في مدينة سامراء سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٦ م . وقد اختلف الناس في نهايته ، فمن قائل أنه قتل بالسم ، ومنهم من يقول أن بعض اتباعه اخرجوه من مكانه وذهبوا به إلى موضع مجهول ، ولم يعرف له خبر (٢٥٩) . ويقال أن عدداً كبيراً من الزيدية اقاد إليه ، ويزعم فريق منهم بنواحي الكوفة وجبال طبرستان والديلم وخراسان أنه لم يتم واته حي يرزق ، وأنه سيخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وظل هذا الاعتقاد سائداً حتى سنة ٤٣٣ هـ / ٩٤٤ م .

وبعد استعراضنا لموقف العلوين من إبناء عمومتهم العباسين في الدور العاسي الأول يمكننا استنتاج مايلي :

ـ تمثل النزاع المسلح في هذا الدور بين العباسين والعلوين بـ سورات الفرقـة الـزيدـية منـ الحـزـبـ الشـيعـيـ بـالـاضـافـةـ إـلـىـ ماـحـدـثـ بـيـنـ الـفـرـيقـيـنـ منـ جـدـلـ كـلـامـيـ ، كـالـجـدـلـ الـذـيـ حدـثـ بـيـنـ النـفـسـ الزـكـيـةـ وـالـمـنـصـورـ وـالـمـسـاجـلـاتـ الشـعـرـيـةـ الـتـيـ قـامـتـ بـيـنـ شـعـرـاءـ الـفـرـيقـيـنـ (٢٦٠) . ولا بد من ان نذكر ان معتقدات الفرقـةـ الـزيدـيةـ

(٢٥٩) ـ عن نهاية محمد بن القاسم ، راجع الطبرى : المصادر السابق ، جزء ٨ ، ص ٧ - ٨ .

(٢٦٠) ـ عن المساجلات الشعرية : انظر حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٤٥ حتى ١٥٣ .

هذه تطورات مع الزمن ، مما أدى الى نشوء فرق متعددة لكل منها تعاليمها التي تختلف عن المذهب الرئيسي (٢٦١) .

— ان الشدة التي واجه بها العباسيون ثورات الشيعة الزيدية ، أدت الى تخفي أئمة بعض فرق الشيعة ، وأخذ زعماؤها يعملون بصمت وكتمان على انسلاخ معتقدات فرقهم .

— حدوث صراع بين أئمة الشيعة زاد من انقسامهم الى فرق اخرى . وببدأ التمايز واضحاً بين هذه الفرق ، ظهرت الاسماعيلية ، والامامية الاثنى عشرية ، ولكن الصراع بين هذه الفرق الجديدة ، والخلافة العباسية لم يظهر الا في الدور العاسي الثاني .

هذا ولابد من القول أخيراً انه اذا فشل الشيعة في تحقيق حلمهم كاملاً في هذا الدور ، فانهم استطاعوا ان يتحققوا جزءاً منه حين تمكنوا من تأسيس دولة الادارسة في المغرب . كما نجحوا في تأسيس دولة زيدية في طبرستان ، ثم استطاعوا فيما بعد ان يقيموا خلافة فاطمية في شمال افريقيا .

٥ — الصراع بين العرب والموالي :

لم ينل الموالي في العصر الاموي ، حقوقهم كاملة ، وكان العنصر العربي مميزاً عليهم لانه مادة الاسلام ، وحامل رايته ، ورافعها عالياً . ولذلك فقد عمل الموالي جاهدين على اثبات وجودهم ومركزهم بالانخراط في سلك المتفقهين في الدين الاسلامي . وشعر هؤلاء الذين تفقهوا في الدين بعدلة الاسلام وبحقوقهم التي لم يحصلوا عليها في ظل الحكم الاموي ، ولكنهم لم يجرأوا على المطالبة العلنية بذلك ، بل قاوموا الامويين ، بانخراطهم في الثورات المختلفة التي ناضتهم . وللعدلة يجب أن نذكر أن هذه النظرة الى الموالي لم تكن عامة لدى العرب كافة ، بل هي النظرة السائدة بين العامة من العرب والحكام ، وبالمقابل فقد سادت الاوساط العلمية

(٢٦١) — انظر فيما بعد .

والدينية نظرة المساواة ، وكان تعصبها للدين والعلم ٠ وبالتالي فان هذا ما يفسر لنا ما يروى في كتب التاريخ والسير من قصص مختلفة تدل على احتقار الموالي حيناً ، واحترامهم حيناً آخر (٢٦٢) ٠

وحين قامت الخلافة العباسية ، وشعروا بدورهم في نجاحها ٠ بالإضافة الى ما فالوه من حقوق في ظل الخلافة الجديدة — اذ أصبحوا وزراء ، وحاشية للخلفاء ، وقاده للجيوش في بعض العمليات — ٠ وما بقي في اذهانهم عن ماضيهم بما فيه من حضارة وما في نفوسهم من بقايا دياتهم السابقة ٠ مع بقاء لغتهم حية على الستتهم ، قاموا بالتعبير عما كان يعيش في صدورهم ، وبالعمل على تحقيق سعادتهم فنهضوا لتشويه سمعة العرب ، وابراز مكانتهم السابقة ، ودورهم في الحضارة العالمية ، كما قام فريق منهم بتشويه تعاليم الاسلام ، وادخالهم شيئاً من دياناتهم السابقة ضمن تعاليمه ، ومن ثم عملوا على تحقيق استقلالهم والوقوف في وجه الخلافة الاسلامية . فقد كان يسّوّهم ان الخلفاء العباسيين على الرغم من اعتمادهم عليهم ومنادائهم بالمساواة في ظل الاسلام ، فانهم كانوا لايزالون يحتضنون في اعماقهم الضمون العربي القديم لقيمة الموالي ٠ وقد اسفر ذلك عن حركات متعددة لها غaiات دينية وقومية ، امتنق الموالي في بعضها الحسام لتحقيق اهدافهم ، ونالوا نضالاً سلبياً في بعضها الآخر ٠

فمن الحركات السلمية التي قام بها الموالي في ذلك الدور لا يزال قيمتها
ومكانتهم ٠

— محاولة من تولى منصباً كبيراً وشعر بقيمتها في نجاح الدعوة العباسية ، الى تحقيق السيادة الفارسية ، والاستقلال في المناطق الشرقية ٠ ومن الامثلة على ذلك موقف ابي مسلم الخراساني في عهد المنصور ٠

(٢٦٢) — انظر احمد أمين : ضحي الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٧ - ٢٨

— محاولة من توصل منهم الى منصب الوزارة منافسة الخلفاء في الحكم ،
فاسفر ذلك عن صراع بين الخلفاء والوزراء .

— محاولة بعضهم سلب العرب كل ما كان لهم من صفات متميزة في الجاهلية ،
وبالتالي سلبيهم مكانتهم الاولى في الاسلام مع ابراز ميزات الفرس قبل الاسلام ،
وفضليهم على الخلافة الاسلامية فنشأت الشعوبية .

— عمل آخرون على تشويه الاسلام ، وادخال تعاليم ديانات فارسية ضمنه
فشّلت الزندقة ، أما ما قام به هؤلاء من كفاح مسلح فتجلّى بحركات متعددة :

- أ — الثورة الرواوندية .
- ب — ثورة المتنعية .
- ج — الحركة الخرمية .
- د — حركات متنوعة أخرى .

— الصراع السلمي بين العباسين والموالي :

أ — الصراع بين أبي مسلم الخراساني وأبي جعفر المنصور :

امتلأت الفترة القصيرة التي اعتلى فيها أبو العباس عرش الخلافة العباسية بالحركات المناهضة ولكنه تمكّن بفضل مساعديه من القضاء عليها . وعلى الرغم من أن أبي مسلم لم يقم بأعمال عدوائية ضد الخلافة العباسية ، وكان من دعاتها النشطين وخدمتها الماهرين ، إلا أن المنصور كان يخشى من قوته وشدة وكثرة انصاره . ويبدو أن بوادر الخدر منه قد بدأت من قبل المنصور قبل اعتلاه عرش الخلافة . ومنذ أن ذهب إليه لأخذ البيعة لأخيه من أهالي خراسان ، أبدى أبو مسلم استخفافاً بالمنصور ، فلما عاد إلى أخيه أخبره بما كان ، وحضره من أبي مسلم (٢٦٣).

(٢٦٣) — المقرizi : المصدر السابق ، ورقه ٨٧ وجه وظهر .

قائلاً : يا أمير المؤمنين (أطعني واقتل ابا مسلم فوالله ان في رأسه لغدرة ،) فقال أبو العباس مجبياً اخاه : (يا أخي قد عرفت بلاءه وما كان منه .) فقال أبو جعفر : (يا أمير المؤمنين إنما كان بدولتنا والله لو بعثت سنوراً لقام مقامه ، وبلغ ما بلغ في هذه الدولة) ^(٢٦٢) . وببدأ أبو العباس بعد ذلك سلسلة من الاعمال تشير إلى أنه قد قرر عدم تمكين أبي مسلم من زيادة سيطرته . كان أبو مسلم يسير في حاشية كبيرة من أعوانه ، وحين استأذن ابا العباس في القدوم إليه ، حذره الخليفة من أن يقدم باعداد كبيرة كعادته ، وطلب منه أن يجعل الحد الأقصى خمسماة من الجندي ، ولما اعترض أبو مسلم على ذلك واوضح بأنه قد وتر الناس ولا يأمن على نفسه ، رضي أبو العباس منه الحضور بألف من أصحابه ، وطمأنه إلى أنه في سلطان أهله ودونته ^(٢٦٣) . كما أنه عمل على عدم اعطاءه امارة الحاج في سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٥ م بعد أن طلبها من أبي العباس ، واعلمه بأن ابا جعفر سيخرج في هذا العام وسيكون أميراً للقافلة ، فأجابه أبو مسلم : أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا العام ؟ وسار أبو مسلم في تلك القافلة كفرد في طاعة أبي جعفر . الا ان تصرفاته أشعرت أبا جعفر بازدياد تفوذه ووجوب القضاء عليه ، وكان أبو مسلم بعد أن خرجا إلى مكانه يصلح العقاب ^(٢٦٤) ويكسو الاعراب في كل منزل ^(٢٦٥) ، ويصل من سسهله ، ويحفر الآبار ، ويسهل الطرق ، وكأنه رئيس الحاج . ثم انه لما صدر الناس عن الموسم ، ثغر أبو مسلم قبل أبي جعفر . وظهر طمعه في جمع الناس حوله من الحديث الذي دار بينه وبين مرافقه حين نظر إلى أهل اليمامة في الحج ف قال : يا نيرك أي جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان سريح الدمعة ^(٢٦٦) .

(٢٦٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٦٨ .

(٢٦٥) - المقريزى : المصدر السابق ، ورقة ٨٧ وجه وقد عزا المقريزى له قوله في هذا المجال يشير إلى لمحمه في التقلب على الامر ، فقد اورد أنه قال (أني لا رجو ان يموت ابو العباس واقول مع اقوى من يأتي بعده ثم اقلب على الامر ، ويكون في شأن من الشأن ، فلا تبقى بلد الا وطنته برجلين هاتين .

(٢٦٦) - مسیل الماء الى العوض ، انظر لسان العرب لابن منظور ، جزء ٢ ، ص ١٠٣ .

(٢٦٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ . ص ٤٨ . - المقريزى : المصدر السابق ، ورقة ٨٧ ذكر

(٢٦٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٨ .

ولما اتاه الكتاب بموت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر كتب إلى أبي جعفر يعزيه بأمير المؤمنين ولم يهنته بالخلافة ، فحقد عليه أبو جعفر^(٢٦٩) ولكنه لم يشأ أن يعاقبه في تلك الاونة ، بناء على نصيحة أحد رجاله المخلصين الذي أوضح له بأن الناس جنده وهم أطوع له وأهيب .

كانت أخبار استهثار أبي مسلم بالمنصور تصله بالإضافة إلى ما رأهرأي العين . فقد علم المنصور بأن أبي مسلم كان حين يأتيه كتاب من أمير المؤمنين المنصور يقرؤه ثم يلوي شدقة ويرمي بالكتاب إلى صاحبه فيقرؤه ويضحكان استهزاء^(٢٧٠) .

إلى جانب هذه المأخذ التي أخذت على أبي مسلم اضاف إليها أخرى . كالمبالغة في الكتابة بالإضافة إلى خطبته عمة المنصور لنفسه . وادعائه أنه من السلالة الحاكمة وأنه ينتسب إلى سليمان بن عبد الله بن عباس . واهم من كل ذلك تصرفه في ولايته تصرف الحاكم المستقل عن الخليفة وتعاظم تفوذه في خراسان ، مما يشعر بنو آية السيئة في الاستقلال ، ومما زاد مخاوف الخليفة منه قيامه بقتل بعض رؤساء الدعوة من العرب دون علم الخليفة كقتله سليمان بن كثير الغزاعي .

بدأ المنصور يخطط للتخلص من أبي مسلم دون حدوث تائج يخشى عواقبها تؤدي إلى انقسام وحدة الصف . فبدأ بابعاده عن مركز قوته خراسان ، وجعله على قيادة الجيش الذاهب لقتال عبد الله بن علي ، واراد أن يضر بهما ببعضهما . ثم أراد أن يكسر هذا الابعاد فارسل له كتاباً بولايته على مصر والشام ليكون قريباً منه . فيما كان من أبي مسلم إلا أن اسفر عن نوآية بتصریحه قائلاً : هو يولياني الشام ومصر وخراسان لي^(٢٧١) . أدرك أبو جعفر بأن أبي مسلم أجمع على الخلاف

(٢٦٩) ... انظر كتاب أبي مسلم إلى المنصور ورد المنصور عليه في المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٨٧ ظهر و ٨٨ وجه

(٢٧٠) ... الشبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٨٢

(٢٧١) ... انظر كتاب أبي مسلم إلى المنصور ورد المنصور عليه في المقريзи : المصدر السابق ، ورقة

فخرج من عاصته الهاشمية الى المدائن . وكتب الى ابي مسلم في المسير اليه (٢٧٢) . وجرت المراسلات بين الطرفين، لمن الخليفة فيها تخوف ابى مسلم من لقائه . وخاصة حين ذكر ما يروى عن ملوك آل ساسان بأن أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء . فطمأنه ابو جعفر واقفهم بانه ليس من هذه الفتنة التي تتنمی اضطراب حبل الامن في الدولة لكثره جرائمهم . الا أن ابا مسلم كان قد صمم على الخروج عن الطاعة رغم المثلول بين يدي الخليفة ثم شعر بانه لا بد من هذا اللقاء حين جاءه كتاب من خليفته على خراسان قائلا له (انا لم نخرج لعصية خلفاء الله وأهل بيته نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلا تختلفن امامك ولا ترجعن الا باذنه) .

لم يكن هناك بد من أن يلتقي ابى مسلم ابا جعفر وفي نفسه ما فيها . ويبدو أن المنصور عاتب ابا مسلم في هذا اللقاء . وسألة عما فعله وسبب كل مافعله ، فكان ابى مسلم يرد عليه ردًا ضعيفا . فما كان من المنصور الا أن أمر بقتله . وقد رويت روايات متعددة عن مقتل ابى مسلم (٢٧٣) .

وقد بدأ المنصور في منتهي الجرأة في تنفيذ مخططه الذي رسمه لقتل ابى مسلم ، وفي استمالته لرجاله عن طريق توزيع المناصب والاموال .

وكنتجة لقتل ابى مسلم الخراساني ثبت ثورتان فارسيتان ادعتا المطالبة بثأره ، الا ان لهاتين الثورتين اهدافاً أبعد من ذلك ، وهي اعادة مجد الدولة الفارسية . كانت اولى هاتين الثورتين :

الثورة التي قادها سنباذ (٢٧٤) وهو مجوسي من أهالي قرية من قرى نيسابور ،

(٢٧٢) - انظر نص الرسالة التي ارسلها له مع ابى حميد المرونوذى في المقريزى : المصدر السابق ، ورقه ٩٣ ظهر

(٢٧٣) - عن هذه الروايات راجع الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٨٨ - ٤٩٢ - المقريزى : المصدر السابق ، ورقه ٩٤ وجه وظهر حيث يذكر كل ماحقده المنصور على ابى مسلم الخراسانى .

(٢٧٤) انظر تفاصيل هذه الحركة في المقريزى : المصدر السابق ، ورقه ١٠٤ وجه وهو يورد اسمه سنباذ .

انضممت اليه في ثورته اعداد كبيرة من أهالي المنطقة، وتبع هذه الثورة ثورة أخرى هي:

ثورة جهور بن مرار الانصاري الذي استولى على الاموال في خزائن ابى مسلم ، بعد أن هزم سنباذ ، ولم يوجهها للمنصور ، ثم ضم اليه عدداً كبيراً من نخبة فرسان العجم . ونادى بخلع المنصور في سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م ، فوجه المنصور اليه محمد بن الاشعش الخزاعي في جيش كبير ، فدارت الدائرة على جهور وقتل من أصحابه عدد كبير . فهرب ولحق باذريجان ، وما بث أن قتل هناك (٢٧٥) .

ب - الصراع بين الخلفاء والوزراء (٢٧٦)

استهدف خلفاء العباسيين الأوائل إلى احلال التفاهم، وخلق جو من التعاون بين العرب والموالي وبخاصة الفرس بداعمائهم بأن الاستقرار لا يمكن أن يحصل إلا بتعاون العناصر المختلفة التي تتالف منها الأمة الإسلامية (٢٧٧) . ولذلك فانهم اشركوا الفرس معهم في الحكم ; واتخذوا منهم الوزراء . واذا نظرنا إلى قائمة وزراء خلفاء الدور العباسى الأول ، لوجدنا انهم في غالبيتهم من الفرس . وعلة الرغم من الدور الكبير الذي كان للوزير ، فاز الخليفة العباسى يعتبر المرجع الاول والأخير في أمور الدولة وكانت الصالحيات التي يمنحها الخليفة للوزير تمنح بارادته . وما أن يرى وزيره اشتطر في استخدام هذه الصالحيات حتى يوقفه عند حده ، وقد ينتهي ذلك بالقتل . وقد نفذت هذه العقوبة في عددين وزراء هذا الدور . وعلى الرغم مما كان يتبع ذلك من ثورات جانبية ، فإنها لم تكن لتؤثر على سير أمور الخلافة . وتمكن خلفاء هذا الدور من القضاء عليها .

(٢٧٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٩٧ - القرىزى : المصدر السابق ، ورقه ٤٠٤ ظهر الكلمة وزارة ماخوذة اما من كلمة المؤازدة والمساعدة ، او من الوزر وهو الشغل ، لما يكلف به القرىزير من مهام . انظر : ابن خلدون ، مقدمة ص ٢١١ .
رسام قوم السامرائي : المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ، ص ٨ .

لم يكن منصب الوزارة معروفا عند الراشدين والامويين . وان أطلق هذا الاسم على اي بكر من قبل بعض العرب الذين عرروا نظم الحكم عند الفرس والبيزنطيين . وذلك لأن الرسول كان يشاور اصحابه في أمور المسلمين العامة والخاصة ، ويخص أبا بكر بخصوصيات أخرى . ويستشيره في مضلات الامور^(٢٧٨) ، وقد كان لكل خليفة قبل قيام الخلافة العباسية اتباع وحاشية يستشيرهم في مهام الامور ، دون ان يتخذوا اللقب الرسمي . وقد ظهرت الوزارة للمرة الاولى في العصر العباسي ، وكانت مرتبة الوزير تأتي بعد مرتبة الخليفة مباشرة . وأول من دعي له بهذا الاسم أبو سلمة الخلال^(٢٧٩) . ولكن سلطات الوزير لم تتحدد بصورة واضحة في عهده وقد اتخذت شكلها النهائي في اواخر العصر العباسي الاول .

كان الوزير ساعد الخليفة اليمين ، ينوب عنه في حكم البلاد ، وينصب العمال ، ويشرف على الضرائب ، ويجمع في يده السلطتين المدنية والعسكرية ، الى جانب واجباته العادلة ، التي كانت تتمثل في مساعدة الخليفة في أعماله^(٢٨٠) ، وبالتالي فان منصب الوزير في ذلك الوقت يعادل منصب رئيس الوزراء حاليا .

ويضيل ابن خلدون في مهام الوزير وقوته مركزه ايام الخلافة العباسية ، فيرى انه (صارت اليه النيابة في افراز الحل والعقد .. وعنت له الوجوه وخضعت له الرقاب ، وجعل له النظر في ديوان الحسبان ، لما تحتاج اليه خطته من قسم الاعطيات في الجندي ، فاحتاج الى النظر في جمعه وتفريقه .. ثم جعل له النظر في القلم والترسیل لصون أسرار السلطان ، ولحفظ البلاغة ، لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور . وجعل الخاتم اسجلات السلطان ، ولحفظ الديباج والشیاع ، ودفع اليه ، فصار اسم الوزير جاما لخطي السيف والقلم ، وسائر معاني الوزارة والمعاونة)

(٢٧٨) - ابن خلدون - المقدمة ، ص ٢١١ .

(٢٧٩) - انظر التعريف عنه فيما سبق

(٢٨٠) - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢١١ .

حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد ، اشاره الى عموم نظره وقيامه بالدولة ، ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الحجابة^(٢٨١) .

ولم ينل الوزراء كافة تفوياض في الحكم ، كما ذكر ابن خلدون بل ان سلطة بعضهم اقتصرت على بعض الاعمال^(٢٨٢) . وبالتالي فان الوزارة انشئت الى قسمين « وزارة تفويض ، ووزارة تنفيذ » وقد حدد الماوردي فروقاً عديدة بين الوزارتين تلخصها بما يلي^(٢٨٣) :

١ - يجوز لوزير التفويض ان يولي المعزول ، ويعزل من ولاه ، ولا يعزل من ولاه الخليفة ، ولا يجوز ذلك لوزير التنفيذ .

٢ - يجوز لوزير التفويض ان يوقع عن نفسه الى عماله وعمال الخليفة ، ويلزمهم قبول توقيعاته ، ولا يجوز ذلك لوزير التنفيذ .

٣ - يجوز لوزير التفويض ان يستخلف نائباً عنه ولا يجوز ذلك لوزير التنفيذ^(٢٨٤) .

٤ - يجوز لوزير التفويض أن ينفرد بتسخير الجيوش وتدبير العروب وليس ذلك لوزير التنفيذ .

٥ - يجوز لوزير التفويض أن يتصرف في اموال بيت المال بقبض ما يستحق له ، ودفع ما يجب فيه ، وليس ذلك لوزير التنفيذ^(٢٨٥) .

ابتدأت الوزارة في العصر العباسي باتخاذ أبي العباس لا بي سلمه وزيراً له

(٢٨١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢١٢ - ٢١٣ وانظر ماتكتبه المسعودي : التنبية والاشراف عن الوزارة وتطورها قبل الاسلام وبعده ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢٨٢) - انظر الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٢٨ .

(٢٨٣) - الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢٨٤) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٠ .

فُعرف بوزير آل محمد ، وهو فارسي الأصل وقد انتهت حياة أبي سلمة بالقتل . وأسباب تغیر أبي العباس عليه معروفة ومشهورة . وقد نفذ أبو مسلم عملية القتل هذه بأمر أبي العباس ، واتّهم الخوارج بدمه (٢٨٥) . وقد لحقت العقوبة عمال أبي سلمة بفارس (٢٨٦) .

اتخذ أبو العباس خالد بن برمك وزيرًا له بعد تخلصه من أبي سلمة (٢٨٧) . وقد استمر في هذا المنصب طوال خلافة أبي العباس ، ومطلع خلافة المنصور (٢٨٨) . الا ان ثقة المنصور به كانت ضعيفة . فقد اتهمه باختلاس أموال الدولة (٢٨٩) وألزمته برد ثلاثة ملايين درهم ، وأعطاه مهلة ثلاثة أيام والا قتله . وقام خالد بجمع المال من أصحابه ، ودفعه للمنصور فداء لنفسه من القتل . وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن شكوك المنصور لم تكن في محلها . ويبدو ان خالدا كان على درجة عالية من المقدرة السياسية والعسكرية والادارية جعلت المنصور على الرغم من انه لم يسند اليه منصب الوزارة - يستخدمه في تهدئة الاوضاع في الموصل والجزيرة بعد انتقاضها ، وأوكل اليه ولايتها . كما عقد لابنه يحيى على اذربيجان . وقد أثبتت خالد مقدرة فائقة في ضبط الموصل . حتى ذكر أن أهاليها كانوا يقولون : (ما هبنا أميراً قط هيستنا خالدا من غير أن يشتتد علينا) ، ولكن هيبة كانت له في صدورنا (٢٩٠) .

اتخذ المنصور أباً أبيوب الموريابي وزيراً له (٢٩١) وكان المنصور قد اشتراه صبياً قبل آن يلي الخليفة فتفقهه وعلمه . فبنى واصبح من الفصحاء الى جانب ما اتصف به من سمو الاخلاق . وأعجب به أبو العباس حين رأه ، فأغاثه ، وجعله

(٢٨٥) - الجهيزي : الوزراء والكتاب ، اص ٩٤ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٣٦ - المفرizi : المصدر السابق ، ورقه ٧٦ وجه و ٧٦ ظهر .

(٢٨٦) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٤٣ .

(٢٨٧) - المسعودي : التنبيه والاشارة ، ص ٢٩٤ .

(٢٨٨) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٢٨٩) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٥ .

(٢٩٠) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٤ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢٩١) - هو فارسي من موريان قرية من نواحي خوزستان . انظر معجم البلدان ، جزء ٥ ، ص ٢٢١ .

من المقربين اليه ، وأدر عليه صلاته ، وظل على ذلك حتى ولـي المنصور الخليفة ، فقلده الوزارة . وكان نصيـه نصـيب من سـيـة من الـوزـراء^(٢٩٢) . وـتـعـدـتـالـرـوـاـيـاتـ التي تـتـحـدـثـ عنـ أـسـبـابـ قـتـلـ المـورـيـانـيـ ، فـتـذـكـرـ اـحـدـاـهـاـ انـ القـتـلـ كـانـ بـسـبـبـ سـعـاـيـةـ منـ الـكـاتـبـ اـبـانـ بـنـ صـدـقـةـ ، وـتـذـكـرـ ثـانـيـةـ انـ قـتـلـهـ كـانـ اـنـقـامـاـ لـماـ قـامـ بـهـ المـورـيـانـيـ منـ قـتـلـ اـبـنـ لـمـنـصـورـ ، كـانـ الـخـلـيـفـةـ (ـابـوهـ) يـعـتـمـدـ عـلـيـهـ فـيـ الـكـتـابـةـ . وـكـمـاـ يـبـدوـ لـيـ انـ اـسـبـابـ القـتـلـ أـعـقـ بـكـشـيـرـ مـاـ ذـكـرـ ، وـقـدـ تـعـودـ لـىـ اـزـدـيـادـ تـهـوـذـ المـورـيـانـيـ وـتـصـرـفـهـ المـسـتـقـلـ . لـازـ المـنـصـورـ لـمـ يـكـنـفـ بـالـقـضـاءـ عـلـيـهـ ، بـلـ تـبـعـ اـقـارـبـهـ فـاتـقـمـ مـنـهـ شـرـ اـنـقـامـ^(٢٩٣) . وـقـدـ اـسـتـوـزـ بـعـدـ المـنـصـورـ وـزـيرـاـ مـنـ اـصـلـ عـرـبـيـ هوـ الرـيـبعـ بـنـ يـونـسـ وـكـانـ نـبـيـلاـ وـحـازـماـ خـبـيرـاـ بـالـاـمـورـ الـحـسـابـيـةـ ، مـلـماـ بـشـؤـنـ الـدـوـلـةـ ، عـارـفـاـ بـآـدـابـ الـلـوـكـ . وـلـمـ يـزـلـ الرـيـبعـ حـائـزاـ عـلـىـ ثـقـةـ المـنـصـورـ حـتـىـ تـوـفـيـ .

اتـضـحـ اـعـتـمـادـ الـخـلـفـاءـ عـلـىـ الـوـزـراءـ بـشـكـلـ كـبـيرـ فـيـ عـهـدـ الـمـهـديـ . وـكـانـ ذـلـكـ منـ جـهـةـ لـصـفـاتـ الـمـهـديـ وـاـشـغـالـهـ جـزـئـياـ بـأـمـورـ الـخـاصـةـ ، ثـمـ منـ جـهـةـ ثـانـيـةـ لـشـعـورـهـ بـكـفـاـيـةـ وـدـرـايـةـ وـزـرـائـهـ الـذـينـ اـعـتـمـدـ عـلـيـهـمـ مـنـ جـهـةـ اـخـرىـ . وـكـانـ اـوـلـ الـوـزـراءـ اـبـوـ عـبـيدـ اللهـ مـعـاوـيـةـ بـنـ يـسـارـ الـأـشـعـريـ ، وـهـوـ عـرـبـيـ مـنـ أـهـالـيـ فـلـسـطـيـنـ^(٢٩٤) . تـقـلـدـ الـكـتـابـةـ لـلـمـهـديـ قـبـلـ أـنـ يـلـيـ الـخـلـافـةـ ، وـقـدـ وـثـقـ بـهـ المـنـصـورـ ، وـابـقـاهـ لـابـنـهـ . وـحـينـ وـلـيـ الـمـهـديـ الـخـلـافـةـ فـوـضـ إـلـيـهـ الـأـمـورـ وـسـلـمـهـ الـدـوـاـوـيـنـ ، وـاسـتـوـزـرـهـ . وـعـلـىـ الرـغـمـ مـاـ اـتـصـفـ بـهـ مـنـ صـفـاتـ حـسـنـةـ أـهـلـتـهـ لـاـحتـلـالـ هـذـاـ الـمـرـكـزـ ، فـاـنـهـ كـانـ مـتـكـبـرـاـ مـاـ اـغـضـبـ بـعـضـ الـمـتـنـفـدـيـنـ مـنـ أـمـثالـ الرـيـبعـ بـنـ يـونـسـ وـزـيرـ الـمـنـصـورـ السـابـقـ . وـلـمـ يـجـدـ هـذـاـ فـيـ مـعـاوـيـةـ بـنـ يـسـارـ مـفـنـدـاـ شـخـصـيـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـوـغـرـ بـهـ صـدـرـ الـمـهـديـ ، إـلـاـ فـيـ أـخـلـاقـ اـبـنـهـ الـذـيـ رـمـيـ بـالـزـنـدـقـةـ فـيـ فـتـرـةـ كـانـ الـمـهـديـ بـهـاـ يـحـارـبـ الـزـنـدـقـةـ وـالـزـنـادـقـةـ . وـقـدـ كـانـتـ نـهاـيـةـ اـبـنـ الـقـتـلـ . وـنـالـ مـعـاوـيـةـ جـزـاءـهـ خـشـيـةـ مـنـ أـنـ يـسـتـقـمـ لـابـنـهـ .

(٢٩٢) - حـسـنـ اـبـراهـيمـ حـسـنـ : النـظـمـ الـاسـلامـيـةـ ، صـ ١١٧ـ . وـتـارـيخـ الـاسـلامـ ، جـزـءـ ٢ـ ، صـ ٢٥٧ـ .

(٢٩٣) - اـبـنـ الـاـلـيـرـ : الـمـصـدـرـ الـاسـبـاقـ ، جـزـءـ ٥ـ ، صـ ٦٠٩ـ - ٦١٠ـ - ٦١٢ـ .

(٢٩٤) - الـعـيـونـ وـالـحـدـائقـ ، اـصـ ٢٨١ـ .

فحجب اولا عن الوزارة وأزيل سلطانه واعتزل بداره حتى مات^(٢٩٥) .
ثم اتخد المهدى يعقوب بن داود وزيرا له ، وهو من الموالى ، وفوض اليه
أمور الدولة كلها ، وقدمه على جميع الناس ، وسماه اخا في الله وزيرا^(٢٩٦) وقال
الشاعر سلم الخاسر في ذلك :

قل للامام الذي جاءت خلافته تهدى اليه بحق غير مردود
نعم المعين على التقوى أمنت به أخوك في الله يعقوب بن داود^(٢٩٧)
علا شأن يعقوب في الدولة ، وأظهر انحيازه الى الزيدية من الشيعة ، فقربهم
إليه وولاهم بعض أمراء الخليفة في المشرق والمغرب^(٢٩٨) ، وال الخليفة مشغول
عن الأمور العامة بحياته الخاصة . وقد عبر بشار بن برد عن وضع الخليفة بشعره
فأشد قائلًا :

بني أمية هبوا طال نومكم
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبو^(٢٩٩)
خليفة الله بين الرزق والعرواد

وكان من أثر ازدياد تفوذ يعقوب بن داود ، واستئثاره بشؤون الدولة ، ان
كثر حساده ، وسعوا به لدى الخليفة وقالوا له : ان المشرق والمغرب أصبح في يد
يعقوب واصحابه وأنه يستطيع ان يتثبت الى الزيدية فيثورون في يوم واحد . فامتلا^ء
قلب الخليفة حقدا عليه وخاصة حين علم أنه اطلق سراح احد العلوين على غير رأي
الخليفة^(٣٠٠) . فأمر بسجنه في المطبق ببغداد وقد بقي في السجن طوال عهد المهدى

(٢٩٥) - الجهشاري : الوزراء والكتاب ، ص ١٥٤ - ١٥٦ .

- المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٢٨٤ - ابن طباطبا : المختри في الاداب السلطانية ،
ص ١٣٤ ١٢٥ .

- العيون والحدائق ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ - حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ، جزء
٢ ، ص ٢٥٨ .

(٢٩٦) - الجهشاري : المصير السابق ، ص ١٥٥ .

(٢٩٧) - الجهشاري : المصير السابق ، ص ١٥٥ .

(٢٩٨) - الجهشاري : المصير السابق ، ص ١٥٨ .

(٢٩٩) - الجهشاري : المصير السابق ، ص ١٥٩ .

(٣٠٠) - الجهشاري : المصير السابق ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

والهادى ، وردا من ايام هارون الرشيد الذى اخرجه فاقد البصر ٠ ولما سأله حاجته اجابه بأنه يريد المقام في مكة ، فأرسله اليها وهو أعمى ، فأقام بها مسدة يسيرة ومات بها^(٣٠١) ٠

واستوزر المهدي بعده الفيض بن صالح^(٣٠٢) ، وكان من نصارى نيسابور ٠ أسلم بعد قيام الخلافة العباسية ، اشتهر بالسخاء والجود ، كما اخذ من الادب وعلو الهمة والبراعة بأوفى نصيب ٠ وشهاد له يحيى بن خالد بن برمك بالجود فكان يقول لمن يعجب لجوده « لورأيتم الفيض لصغر عندهم أمري »^(٣٠٣) الا انه كان تياها متكبرا ٠ تولى الوزارة طوال الفترة الباقيه من حياة المهدي ٠

ولما تولى الهادى منصب الخلافة ، اتخد من الرئيس بن يونس ، وزير جده المنصور ، وزيرا له الا انه مالبث أن عدل عنه^(٣٠٤) واستوزر ابراهيم بن ذكوان الحراني ، فلم يزل في الوزارة حتى توفي الهادى^(٣٠٥) ٠

وببدأ الصراع واضحًا بين الخلافة والوزارة في عصر هارون الرشيد ، حين اسند أمور دولته الى البرامكة ٠ وينتسب هؤلاء الى برمك الذي كان يقوم بشؤون معبد المجووس يعرف باسم معبد النوبهار في بلدة بلخ بخراسان ٠ وقد عاصر برمك الخليفة هشام بن عبد الملك ، ويروى أنه اعتنق الاسلام في اواخر أيامه ٠ نشأ خالد ابن برمك مسلما ، وأسمهم في نشر الدعوة العباسية حتى أصبح من أكبر دعاتها في خراسان^(٣٠٦) ٠ وكان لخالد ابن اسمه يحيى ، اختاره المنصور لولاية اذربيجان

(٣٠١) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٧٢ - ٣٨٣ - العيون والعدائق ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧
- ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٦٠ - ١٦٣ - محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية
في الدولة العربية ، ص ٢٠٩ ٠

(٣٠٢) - حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ، جزء ٢ ، ص ٢٥٩ ٠

(٣٠٣) - الجهميـاري : المصدر السابق ، ص ١٦٤ ٠

(٣٠٤) - الجهميـاري : المصدر السابق ، ص ١٦٧ ٠

(٣٠٥) - الجهميـاري : المصدر السابق ، ص ١٦٧ ٠

(٣٠٦) - انظر فيما سبق : الدعوة العباسية ٠

ثم وقع اختيار المهدى عليه ليكون مريباً لابنه هارون سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م وشكداً أتيح ليعينى أن يلقن هارون الآداب الفارسية القديمة ، فنشأ متأثراً بها .

أسد المهدى الى يحيى بن خالد الاشراف على ادارة دواوين الاقاليم الغربية من الانبار الى افريقيا وهي الاقاليم التي كانت لهارون في حياة أبيه منذ سنة ١٦٣ هـ / ٧٧٩ م . وظل هذا المنصب للرشيد وينوب عنه فيه يحيى البرمكي ، حتى قيامه بشؤون الخلافة .

عمل يحيى في هذه الفترة على المحافظة على أمر ولاية العهد للرشيد بعد الهادى . ووقف في وجه الخليفة الهادى حين فشل بخلع الرشيد من ولاية العهد ، وتولية ابنه جعفر مكانه وحضره من عاقبة هذا العمل وقال له : (يا أمير المؤمنين ان فعلت ، حملت الناس على نكث الايمان ولو تركت أخاك هارون على ولاية العهد ، ثم بايعدت لجعفر بعده ، كان ذلك أو كد في بيته) . فاقتصر الهادى وترك الامر . الا أن أصحاب المصالح ، حرضوه ثانية على أخذ البيعة لابنه وعزل الرشيد . فاستدعاى يحيى وفاوضه في ذلك ، فقال له يحيى : (يا أمير المؤمنين لوحدث بك حادث الموت وقد خلعت أخاكه وبايعدت لابنك جعفر وهو صغير دون البلوغ ، افترى كانت خلافته تصح ؟ وكان مشايخ بنى هاشم يرضون ذلك ويسلمون الخلافة اليه ؟ قال لا ، قال يحيى : (فدع هذا الامر حتى يأتيه عفوا ، ولو لم يكن المهدى بايع لهارون لوجب ان تعقد له ليكون في بنى أبيك . فشكر له هذا القول وأطلقه ^(٣٠٧) . وعاد الهادى ثلاثة الى القضية نفسها ، فبعث في طلب يحيى وتحدى معه في مسألة نقل ولاية العهد الى ابنه جعفر ، فأخذ يحيى يهدى من ثأرة غضبه ، ويحاول جهده أن يثنى عن عزمه . على أن انحياز يحيى الى هارون جعل الهادى

(٣٠٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ص ٩٧ - ٩٦ .

- العجمي الشهادى : المصدر السابق ، ص ١٧٠ - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٧٤ - محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

يُحقد عليه ، واتهمه بآفاساد أخيه عليه ، وأمر بحبسه . ولكن الهادي مالبث أن توفي ، وخرج يحيى من السجن ^(٣٠٨) .

عظم مرتكب يحيى بعد أن اعتلى هارون عرش الخلافة . وذلك بسبب الجهود التي بذلها . وكان لها أثر في تثبيت خلافة هارون ، فدعاه على أثر تقلده الخلافة وقال له « يا أبت انت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك . وقد قلدتك أمر الرعية ، وأخرجته من عنقي إليك ، فاحكم بما ترى واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت ، واعرض من رأيت ، واسقط من رأيت ، فاني غير ناظر معك في شيء » ^(٣٠٩) . فكان يحيى بذلك ، ويعاونه ولداته الفضل وجعفر مفوضين من قبل الرشيد ، بادارة الدولة ودواعinya ، ينظرون في أمور الناس وحوائجهم ^(٣١٠) .

كان هارون على الرغم من حبه لـ يحيى وأبنائه يفضل جعفرا على أخيه الفضل . وكثيراً ما كان يقول لا يهم « انت للفضل وأنا لـ جعفر » . وفي سنة ١٧٦ هـ / ٧٩٢ م قلد الرشيد جعفراً إقليمي غربي الدولة العباسية ؛ وأُسند إلى الفضل المشرق كله من النهر والنهران إلى أقصى بلاد الترك . وهكذا أصبحت إدارة الدولة العباسية من السنوات الأولى في عهد هارون في يد البرامكة . وقد اشتهروا جميعاً بحسن ادارتهم . وكان الفضل ليحيى في ذلك . إذ كان يوصي أولاده بحسن الادارة ، وحسن اختيار الأعوان . ومن أقواله في ذلك « لابد لكم من كتاب وعمال وأعوان ، فاستعينوا بالاشراف وایاكم وسفلة الناس ، فإن النعمة على الاشراف ابقى . وهي بهم أحسن ، والمعروف عندهم أشهر ، والشكر منهم أكثر » ^(٣١١) .

(٣٠٨) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ص ٩٩ و ص ١٠٦ - محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ، ص ٢١١ .

(٣٠٩) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ص ٢٣٣ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٠٨ - محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(٣١٠) - الجهشيازي : الوزراء والكتاب ، ص ١٧٧ .

(٣١١) - الجهشيازي : المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

نهض يحيى بأعباء الدولة أتم نهوض ، ونظم ادارة الدواوين ، وصارت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج توقع باسمه ، بعد أن كان لا يوقعها إلا الخليفة . وفضلا عن ذلك فان يحيى أجزل العطاء والصلات على رجال الدين والادب . كما اجرى الارزاق السنوية على وجوه أهل الامصار . وعمل على امداد أهل الحرمين بالقمح اللازم لهم من مصر ^(٣١٢) .

استطاع الفضل بن يحيى بماله من ثروة في الشرق أن يقضي على فتنة يحيى ابن عبد الله العلوى في بلاد الديلم . ويستميله إلى الصلح ، ويحصل له علىأمان بخط الخليفة ^(٣١٣) ، كما تمكن من اصلاح شؤون خراسان ، وعمل على النهوض بها ، ومهما بلغت شهرة يحيى وابنه الفضل فانها لم تعدل شهرة ابنه الآخر جعفر الذي تقلد المغرب كله للرشيد ^(٣١٤) ، وكانت صفاتة تستهوي الخليفة ، لما تبيّن به من حيوية الشباب ، والذكاء الحاد ، والاقبال على المرح . فأصبح له كلمة نافذة في الدولة . وقد حفلت المصادر التاريخية بالكثير من الروايات التي تشير الى سلطان البرامكة أيام جعفر ^(٣١٥) .

وثق الرشيد بالبرامكة ، وفوض اليهم أمور دولته . فوقن بهم الناس وثوق خليفتهم ، ونظم الشعرا القصائد الرائعة في مدحهم والتغنى بكرمهم . وقد أشاد صاحب الفخرى بذكرهم فقال :

كان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة ، والبحور زاخرة ، والغيوث ماطرة ،
أسواق الآداب عندهم نافقة ، ومراتب ذوى الحرمات عندهم عالية ، والدنيا في
 أيامهم عاصرة ، وأبهة المملكة ظاهرة ، وهم ملجاً للهف ، ومعتصم الطريد . وبهم
 يقول أبو نواس :

(٣١٢) - محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٣١٣) - انظر فيما سبق وانظر الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣١٤) - الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٣١٥) - ذکار : تاريخ العرب والاسلام ، ص ٢٥٩ .

سلام على الدنيا اذا ما فقدتكم بنى بركت من رائحين وغاد (٣١٦) *

على أن الرشيد وعلى الرغم من تفویضه الامور الى الاسرة البرمكية . فانه كان يعمل على أن يحتفظ بمكانته الخاصة بين رعاياه . فقد كان اتصاله بجمهور المسلمين عن طريق حجه المستمر . فكان يحج سنة ويغزو سنة مدة خلافته الا سنين قليلة . واذا مات خرج للحج ، صحبه كبار العلماء ورجال الدولة ، فيسیر الخليفة في موكب عظيم مجتازا المسافة بين بغداد ومكة . وكان الرشيد يوزع الهدايا على أهالي المناطق التي يمر بها . واذا ما وصل الى مكة والمدينة ، وزع الهبات والاموال على فقراءها . وكان يتصدق كل يوم بآلف درهم على فقراء بغداد . كما اكتسب محبة المسلمين بغزواته التي شنها على البيزنطيين ، وكان النصر فيها حليفه في أغلب الايام . ولم يكن الرشيد الذي أراد ان يثبت مقدراته ، وقوه ايماه بالحج والعجز ، ليقبل بسلب البرامكة لجماهير الناس من حوله . فتغير عليهم وبدأ ينفذ عقوبته بهم بعد عودته من الحج سنة ١٨٦ هـ / ٧٩٢ م ، بدأ بذلك في مدينة الانبار حيث أمر بقتل جعفر بن يحيى ، ونصب جثته على سور بغداد ، كما سجن اخوته في الرقة ، كما حجر يحيى في بيته ، ووكل به من يحول دون هربه ، وظل هؤلاء في سجنهم الى ان ماتوا . وأصدر اوامره الى الاقاليم بمصادرة اموال البرامكة واملاكهم (٣١٧) *

لقد كانت قضية البرامكة ومصيرهم من اهم القضايا التي عالجها المؤرخون القدماء والمعاصرون . وقد حللها وفسرها كل منهم تفسيرا خاصا حسب وجهة نظره . ونحن هنا لا بد لنا من ان نجمع آراء المؤرخين ونبدي رأينا في ذلك . لأن السؤال عن أسباب نكبة البرامكة يساور كل دهن . وخاصة وأن هذه النكبة حدثت بعد أن أصبح هؤلاء على قدر كبير من القوة والسلطان . وكان للرشيد السهم الاكبر في ابرازهم واحتلالهم لهذه المكانة . فمن هذه الاسباب التي تحذلت عنها كتب التاريخ :

(٣١٦) - الحشيشياني : المصدر السابق ، ص ١٩٧ .
(٣١٧) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٧٧ - ١٧٨ - سرور : المرجع السابق ص ١٤٥

— تشيع البرامكة وتعاطفهم مع العلوين ، ومحاولة نقل الخلافة اليهم . وقد ثبت ذلك عند الرشيد حين أطلق جعفر سراح يحيى بن عبد الله العلوى ، وهذا التفسير ايضا يتحمل الشك ، لانه ليس هناك ما يؤكد هذا التعاطف . بل ان هناك دلائل تشير الى العكس ، حتى ان جعفرا المتهم بطلاق سراح يحيى بن عبد الله ، هو نفسه المتهم بتدمير المؤامرة لقتل ادريس أخي يحيى في المغرب الاقصى ^(٣١٨) .

— ذكرت كتب التاريخ ان سبب هذه النكبة مسألة العباسة اخت الرشيد ، حيث قيل انه قامت علاقة انجاب بين العباسة وجعفر البرمكي دون علم الرشيد . ولكن هذه القصة نفسها يعززها التأكيد لأن اكثر من مؤرخ طعن بها ، وعلى رأسهم ابن خلدون ^(٣١٩) .

— دس الفضل بن الريبع ومؤامراته ضد هذه الاسرة . كان الفضل أحد رجالات العرب الطامحين الى تبوء ، منصب الوزارة الذي كان يشغلة البرامكة . وقد أدى هذا الدس لابراز قوة وسيطرة البرامكة واضعافهم لمركز الرشيد الى حقدده عليهم ، ومن ثم الى تصفيتهم . وهذا الاحتمال لا يمكن ان يكون سببا كافيا لقتلهم . فبامكان الرشيد عزلهم ومراقبتهم ، وتقليل الوزارة للفضل بن الريبع ، دون القيام بالفتاك في أفراد الاسرة البرمية .

— ومن اهم اسباب نكبة البرامكة استفحال سلطانهم ، فقد كان هؤلاء في الواقع يتصرفون في شؤون الدولة ويعملون جاهدين على تحبيب جماهير الناس بهم بما أظهروا من الجود والكرم ، وتشجيع العلوم والآداب ^(٣٢٠) ولم يكن الرشيد بالخلفية اندى يتناهى في حقوقه ، بل كان رجلا كما عرفته كتب التاريخ على قدر كبير من الذكاء والدهاء . أظهر في بداية خلافته عدم اكتئاته باستئثار البرامكة في

(٣١٨) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٧٦ .

(٣١٩) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٧٥ ومهن طعن بها ابن خلدون : في المقدمة ، ص ٢٠ .

(٣٢٠) — عن استفحال سلطان البرامكة وجودهم ، انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٦٠ حتى ٢٥٧ .

النفوذ وعوول في الوقت نفسه على اتهام الفرص لاستعادة ماسليوه من السلطة . ثم جاهر باستيائه من استبدادهم بالأمور دونه . ومما يروى في هذا المجال أن أحد أطباء الرشيد دخل عليه يوما وهو جالس في قصر الخلد ، حيث يقيم البرامكة في العجمة المقابلة ، وبينهما عرض دجلة ، فرأى الرشيد اعتراضاً الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد البرمكي ، فقال «جزى الله يحيى خيرا ، تصدى للأمور وأراحني من الكد . ووفر أوقاتي على اللذة . ثم دخل عليه الطبيب ذات يوم بعد أن ظهرت أمارات انحرافه عنهم . فشاهد حركة الخيول على أبواب البرامكة ، كما كانت الحال في المرات السابقة ، فقال له الرشيد : (استبد يحيى بالأمور دوني ، فالخلافة على الحقيقة له ، وليس لي منها إلا اسمها)^(٣٢١) .

— وقد استطاع ابن خلدون أن يعطي الأبعاد الحقيقية لنكبة البرامكة . ويوضح أكثر الجوابن أهمية لهذه النكبة حين قال (إنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة ، واحتجازهم أموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه . فغلبوا على أمره وشاركونه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه)^(٣٢٢) .

لقد كان الصراع على السلطة والنفوذ هو الدافع الأول الذي حدا بالرشيد إلى التخلص من البرامكة . وهو بدون شك نتيجة حتمية للتضارب بين السيادة المتمثلة بالخلافة وبين الوزراء . وما لا شك فيه أن فقد الأسرة البرمكية ، كان خسارة فادحة للدولة العباسية ، إذ بعد نكبتهم اضطر الخليفة الرشيد أن يلي شؤون الدولة بنفسه ، وان يحارب الثائرين عليه . حتى أنه توفي وهو ذاهب لاخماد فتنة رافع بن الليث بن نصر بن سيار .

(٣٢١) — الجوشياري : المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٣٢٢) — المقدمة ، ص ١٧ .

الوزارة في عهد الامين والمأمون :

حين اعتلى الامين عرش الخلافة ، جعل الفضل بن الريبع وزير ابيه ووزيرا له . وكان الفضل بن الريبع يرافق الرشيد في حملته الاخيرة على خراسان ، حيث أوصاه قبل وفاته بتسليم جميع ما في معسكته من جند ومال ومتاع ورقيق وخيل الى المأمون . ولكن الامين طلب منه مناقضا لا وامر ابيه ، بأن يعود بكل ما معه اليه في حال وفاة الخليفة^(٣٢٣) .

أجاب الفضل بن الريبع الدعوة التي وجهها اليه الامين . فجد في السير الى بغداد على رأس الجيش فرحب به الامين . واتخذه وزيرا له . وكان المأمون قد اتخذ من الفضل بن سهل وزير^(٣٢٤) . وقام بتدبير أمور المنطقة التي تتبع للمأمون . كان الفضل بن سهل ذات اطماع كبيرة لاتقل عن مطامع البرامكة ، وكذلك كان الفضل بن الريبع . وقد كان لكل من هذين الوزيرين اليد الطولى في اندلاع نار العداوة بين الامين والمأمون . فقد عمل الفضل بن الريبع الذي أدرك عاقبة النكث بالعهد الذي أخذه عليه الرشيد لابنه المأمون ، فيما لو آلت الخلافة اليه على اغراء الامين بخلع أخيه المأمون عن ولاية العهد . وجعلها لابنه موسى من بعده . فأبى واستمر ابن الريبع في تصغير الامر على الامين واثارة مخاوفه من أخيه المأمون ، حتى استجواب لندائه ، وأرسل الى الولاية يأمرهم بالدعاء لابنه موسى بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم^(٣٢٥) . ثم عزل القاسم عن أعماله .

ولما علم المأمون ان الامين يدبر خلعه ، منع ارسال البريد من خراسان ، وحذف اسم الامين من التلر^(٣٢٦) فكان هذا العمل ايذانا باتساع شقة الخلاف بين

(٣٢٣) - القريري : المصدر السابق ، ورقه ١١٥ وجه وظاهر .

(٣٢٤) - هو من الولاد ملوك الفرس الذين كانوا يدينون بالمجوسية ، اسلم على يد يحيى البرمكي ، اشتهر بسرعة الحيلة وشدة الدهاء .

(٣٢٥) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ - أما الجهشىاري : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ فيذكر الم Hague موسى بعد الخليفة وحذف اسم المأمون وخلفه .

(٣٢٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٧٥

الاخوين . ثم أراد الفضل بن سهل أن يبقى على علم بتطورات الاحداث في بغداد اثر ذلك ، فجعل في بغداد قوما يثق بهم يكتابونه بأخبار الامين (٣٢٧) على حين أن الفضل بن الريبع ، ضرب حصارا شديدا على الطرق لمنع تسرب الاخبار .

وبعد توتر الاوضاع نتيجة وشایة الوزيرين خلع الامين اخاه المأمون ، وبایع لابنه موسى في اوائل سنة ١٩٥ هـ / ٨١١ م ، وأرسل الى مكة من ائمه بالكتابين الذين وضعهما الرشيد في الكعبة ومزقهما (٣٢٨) .

وهكذا تسبب هذان الوزيران بحدوث قتال بين الاخوين . كانت نهاية وبالا على الامين وعلى بغداد نفسها (٣٢٩) . بينما بويغ المأمون بالخلافة بيعة عامة في بغداد سنة ١٩٨ هـ / ٨١٤ م بعد مقتل أخيه . وأبقى الفضل بن سهل وزيرا له . ولقبه ذا الرياستين لجمعه بين السيف والقلم (٣٣٠) . وأسند الى أخيه الحسن بن سهل أمر العراق . بينما بقي المأمون في مرو ، حيث اتخذها عاصمة له . وأصبح دوربني سهل مع المأمون مماثلا لدور البرامكة مع الرشيد . ولما أخفى الفضل بن سهل أخبار ثورة العراق على الخليفة ، وما كان من عزله وتعيين عممه ابراهيم المهدي (٣٣١) غضب عليه . وترك مرو عائدا الى بغداد وبرفقة الفضل بن سهل ، ولكنه توفى في الطريق ، ولما اقترب المأمون من بغداد ، فر الفضل بن الريبع وزير أخيه وأبيه خشية على حياته .

لم يسند المأمون منصب الوزارة لرجالات العرب . بل كان وزراؤه جمیعا من أصل فارسي ، وبعد الفضل بن سهل ، اتخد احمد بن أبي خالد . ولكن المأمون بعد وزارة الفضل بن سهل لم يترك لوزرائه السلطة المطلقة بل قيدهم وراقبهم .

(٣٢٧) - الطبری : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٧٦ .

(٣٢٨) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٣٩ .

(٣٢٩) - الطبری : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٧٧ - الجھشیاری : المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .

(٣٣٠) - انظر فيما سبق : الصراع بين الامين والمأمون .

(٣٣١) - انظر الجھشیاری : المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

(٣٣٢) - الجھشیاری : المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

كان تخلص المؤمن من وزيره الفضل بن سهل بداية تطلع البيروقراطية الفارسية الى الجماهير الفارسية ، والعمل ضد الخلافة العباسية والشروع معاً بإنشاء الامارات الفارسية ، كالطاهيرية والصفارية والسامانية وغيرها .

واستوزر المعتصم عدداً من الوزراء منهم الفضل بن مروان - كان من البردان - ثم استغفاه ، واستوزر احمد بن عمار بن شاذى من المدار . وكان ومن سبقه جاهلين بآداب الوزارة ، وبسبب صفاته تلك صرفه المعتصم ؛ واستوزر محمد بن عبد الملك الربات الذي استمر في الوزارة بقية خلافة المعتصم وخلافة الواثق (٣٣٢) .

وفي الحقيقة فإن النزاع بين الخلفاء والوزراء ظل قائما طوال الدور الأول من العصر العباسى ، وكما انصح من العرض فان غالبية الوزراء كانوا من الفرس . وان هذا النزاع قد اكتسى مظهراً عنصرياً سياسياً في بادئ الأمر ، وهو في حقيقته نزاع على مدى صلاحيات كل من الخليفة والوزير . وبيدو من خلال العرض . أنه على الرغم من المكانة الرفيعة والتأثير القوي التي بلغها بعض الوزراء ، فإن هذا المنصب كان في متنه الخطورة ، ومرتبها إلى حد كبير بقوة شخصية الخليفة ومقدراته على تسيير الأمور .

جـ - الشعوبية :

إن لنظر الشعوبية مأخذ من الشعب ، وهو جيل الناس ، أو من قول الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر واثن وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) . وعلى العموم فإنه يمكن تعريف الشعوبية بأنها تيار فكري اجتماعي وسياسي يمثل مواقف الشعوب التي ضمتها الدولة العربية الإسلامية من بعضها إلى البعض . فقد ابدت الشعوب المختلفة التي ضممتها العالم الإسلامي تحت جناحه ، وبشكل خاص الفرس ، مالا لهم من مميزات . وقابلتهم العرب بما لهم من صفات في الماضي

(٣٣٣) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ - ٣٥٥ .

والحاضر^(٣٤) • بينما يذهب آخرون إلى أن الناس من طينة واحدة • وبالتالي فإن
ومثالبه • وبالتالي فقد نشأت ثلاث نزاعات شعورية :

— الأولى منها ترى أن العرب خير الأمم على الإطلاق • وذلك لأنهم عادة
الجاهلية حياة مستقلة ، لم تجرؤ أي من الدول الكبيرة أن تطأ ديارهم • بسبب ذلك
وأقدامهم وصبرهم • كما أنهم يمتازون بصفات خلقيّة يندر أن يوجد بعضها .
غيرهم^(٣٥) • فوق كل هذا وذاك فإن الإسلام نشأ فيهم ، ورسول الله منهم ، وهو
ناشر الدين والمدافعون عنه^(٣٦) .

— الثانية : تجعل كل الأمم متساوية ، وليس لامة فضل على الأخرى ، لأن
الناس من طينة واحدة والتفاصل بين الأفراد بحسب أعمالهم • المؤمنون تتقدّس
دماههم ويُسعى بذمتهم ادّتاهم ، وهو يد على من سواهم ، ومسا لا شك فيه أن
هي نظرة المُتدينين من الشعوب الإسلامية الذين تقهوا في الدين وعرفوه حق معرفته
والذين آمنوا بما أنزل إليهم : قال الله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذَرْن
واثي ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله إتقانكم
عليهم خير) .

— الثالثة : تجعل كل الشعوب أفضل من العرب • وقد تبني هذا الموقف قسم
كبير من الأعاجم كأنفوس والتراك وغيرهم من ظلوا على دينهم القديم ، أو أسلموا
ولما يدخل الإيمان في قلوبهم • او غلت عليهم النزعة القومية ، وقد رأى هؤلاء
العرب ليس لهم ما يفخرُون به ، فقد كانوا في جاهليتهم يقتلون أولادهم من الفقر .
ويقتلون من أجل السلب والنهب ، وهم أضعف الأمم في الصناعة ، كما أنهم إذا
خطبوا أكثروا من الاشارة بأيديهم ، لصرف العقول عما يقولون . وكذلك فانهم

^(٣٤) هذه الصفات تتمثل في الكرم ، والوفاء والفصاحة ، وحسن البديبة ، والشجاعة والجادحة
على الانساب وغيرها .

^(٣٥) - احمد أمين : فتحي الاسلام ، جزء ١ ، ص ٥١ - ٥٣ وانظر عن فضل العرب ، ابن عبد ويه :

النقد الفريد : جزء ٣ ، دار الكتاب العربي بيروت ، ص ٢٤ وما بعدها .

^(٣٦) انظر سورة الحجارات الآية ١٣ .

عابوا آلات العرب الحريسة ، وسخروا من رماحهم وقنواتهم ، وبالتالي فانهم سلبو العرب كل ما يفخرون به . وأضافوا بأن العرب اذا فخرموا بالاسلام ، فالاسلام ليس دين العرب وحدهم بل هو دين الناس كافة . وقد كان بعض هذا القد الذي وجهه الشعوبيون للعرب فيه مفخرة لهم . فإذا استطاع العرب بسلاحهم البسيط القضاء على اكبر الدول المعروفة في هذه النترة ، فهذا يرفع من شأنهم . ويجعل الانسان يتصور ماذا يستطيع هؤلاء أن يفعلوا لو كانوا يملكون من السلاح أفضله (٣٣٧) .

ويمكن القول ان الشعوبية ظهرت حين شعرت الشعوب بمسايتها اثر قيام الحركة العباسية ، ثم مشاركة الفرس للخلفاء بالحكم . وبشكل خاص حين رأوا أن تعصب خلفاء العباسيين للإسلام لا للعروبة . وتبدت بشكل واضح في عهد الرشيد والمؤمن والمعتصم، وبلغت هذه الحركة أوجهها في القرن الثالث الهجري (٣٣٨) .

لقد أظهر العجم الذين تعلموا اللغة العربية شعوبتهم بشتى الطرق ، ففخروا بآنسابهم وأعتبروا بقومهم . فترجموا العديد من كتبهم الى العربية ، واختاروا منها ما يسهل فهمه على العامة كالاساطير والحكايات والحكم ، كما لونوا ما زروا من تاريخ الفرس لونا زاهيا جميلا ، ونسبوا الى ملوكهم الحكم الرائعة والسياسة الحكيمية . كما اكثروا في التأليف في مناقب العجم ، ومثالب العرب . وبرز من شعراء الشعوبيين بشار بن برد ، وديك الجن والشاعر الحزيمي الذي يكثر في شعره من الاعتزاز بالنسبة الفارسي وتحقيق شأن العرب . وفعل فعله الشاعر المتكلمي نديم المؤمن ، ومن الادباء سعيد بن حميد البختكاني الذي كان شديد العصبية على العرب وألف كتاب اتصف العجم من العرب ، ومنهم الهيثم بن عدي ، وسهيل بن هارون ، وعلان الناري الشعوبي صاحب كتاب الميدان في المثالب . وكذلك أبو عبيدة معمر ابن المثنى وهو من اشهر العلماء في النحو والاخبار ومع ذلك فقد كان شعوبيا .

(٣٣٧) - انظر الجاحظ : البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، جزء ٣ ، من ص ٢ - ١٤ .

(٣٣٨) - احمد أمين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ٦٣ .

وقد وضع هؤلاء الشعويون في الادب قصصاً كثيرة تؤيد جانبهم ، اختلقواها اختلافاً . وكانت هذه أخطر على العرب من ايصال المثالب لشعوبية نقضها . وقد برع هؤلاء بوضع الاحاديث في فضل الفرس ، وأسندوها إلى الثقات من الصحابة والتابعين (٣٣٩) .

وقد شعر العرب بخطورة هذه النزعة الشعوبية ، وكثيراً ما أبدى الشعراء الحسرة والالم من هذا الموقف الذي اتخذته الشعوب من العرب . كما انهم قابلوا هذه الحركة الشعوبية بما يماثلها قوله وفعلاً . وظهرت طبقة من الكتاب والادباء ردت على هؤلاء الشعويين بعد ان تسليحت بثقافة واسعة ، كما عمل المسلمون الذين اعتبروا هذه الحركة نزعة ضد الاسلام على التخلص من كتب الشعوبية وبالتالي فان ما وصل اليه هو تف من آقوالهم وآرائهم (٣٤٠) .

وقد أثرت هذه الحركة الشعوبية ودخلت في كل علم حتى في الفقه . ومن المؤسف له أن الشعوبية قد ازدهرت في عصر تدوين العلوم ، الامر الذي جعل اكتشاف الآثار الشعوبية صعباً غامضاً ، مما اضطر العلماء الى اجهاد افسهم لتعرف أسرار الشعوبية وختاليها وآثارها في العلم (٣٤١) . ولا بد لنا من القول بأن الشعوبية على الرغم من كل عيوبها كانت اخصاباً للفكر العربي الاسلامي ، دعت العرب الى الخوض في الثقافات الاجنبية ليسلحوا بالعلم ، ويردوا على اعدائهم .

د - حركة زندقة :

ان كلمة زندق في الاصل تعني بالفارسية الذي يتبع زند ، ثم أطلق على

(٣٣٩) - احمد أمين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ٦٨ - ٧٥ .

(٣٤٠) - احمد أمين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ٧٦ .

(٣٤١) - احمد أمين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٧٦ - ٧٧ .

المانوية^(٣٤٢) ، لأنهم كانوا يأخذون زند وغيره من الكتب المقدسة ، ويشرحونها على مذهبهم بطريقة التأويل^(٣٤٣) . وقد وضعت الكلمة لطائفة خاصة من المانوية . ثم استعملت في المانوية جميعا وفي الالحاد بصورة عامة .

يرجع تاريخ الزندقة الى اواخر العصر الاموي . ولكن الزندقة كانت في العصر الاموي قليلة ونادرة فقد اتهم بها عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما اتهم بها الوليد بن يزيد^(٣٤٤) . كما كان الجعد بن درهم مؤدب بروان بن محمد زنديقا . وقد اشتدت الزندقة بعد قيام الخليفة العباسية حيث انتشرت في الكوفة وبغداد وغيرها . وتكلم الجاحظ الذي عاش في عصر المؤمنون عن كتب الزندقة ، ووصفها بدقة . ثم ان أبا الفرج الاصفهاني تكلم عن الزندقة وذكر انهم يعرفون بالثنوية وانهم يتبعون تعاليم مانى^(٣٤٥) . ويعزى السبب في انتشار الزندقة في هذه الفترة الى ما يلي :

— ان الزندقة التي هي الشك والالحاد تقترب بالبحث العلمي ، وان البحث العلمي كان يسير قدما في هذه الفترة حتى وصل الاوج .

— ان بعض الفرس كانوا يطمحون الى الوصول الى اكثرا مما وصلوا اليه في ظل الخليفة العباسية من مساواة ومن كون الوزارة في غالبيتها لهم ، وبالتالي فالحكم المعالي بيدهم في بعض الاحيان ، لذلك طسحوا الى ان تكون الحكومة فارسية في مظاهرها وحقيقة ، ورأوا أن ذلك لا يتحقق والاسلام في سلطانه ، فأخذوا يعملون

(٣٤٢) — من اشهر المذاهب الدينية التي نشأت في القرن الثالث الميلادي وعاشت حتى القرن الثالث عشر . وكان له اتباع في اسيا وفي اوروبا . وكان له اثر كبير في الاراء الدينية وكانت تعاليمه مزيجا من الديانة النصرانية والزرادشتية ، وخلاصة المذهب ان العالم نشا كل شر ، انظر عن تفاصيل المذهب . احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣٤٣) — احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٠٨ .

(٣٤٤) — الاصفهاني : الاشاني ، جزء ٦ ، ص ١٣٢ .

(٣٤٥) — حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١١٥ نقلا عن الاصفهاني .

على نشر المأنيّة والزرادشتيّة والمذكورة خفيّة، فكان من ذلك انتشار الزندقة^(٣٤٦) .
ومما ساعد على انتشارها أنها كانت وسطاً بين النصرانية والزرادشتيّة ، كما أن
شعائرها قريبة الشبه من شعائر الإسلام^(٣٤٧) . ويفهم من هذا أن هؤلاء حاولوا نشر
كل المظاهر الخداعية من الديانات الفارسية القديمة بين الناس ، والتي تشبه في
مظاهرها الديانة الإسلاميّة ، للوصول عن هذا الطريق إلى تشويع الإسلام ، وبالتالي
سيادة الفرس .

و قبل أن ننطلق في البحث عن الزندقة لابد لنا من القول بأنّ الكلمة زندقة
اختافت باختلاف العصور فقد كان العرب يطلقون لفظ زنديق على من ينفي وجود
الله سبحانه وتعالى أو يرى أن له شريك ، كما أطلق على كل من يتخذ من عقائد
المأنيّة شعارا له ، ويتمسّك بعقيدة ماني . كما أطلق على من يطعن الكفر ، ويظهر
الإيمان ، وأطلق على كل من يتأثر بالفرس في عادتهم ويسرف في العبث والمجون ،
ثم أصبح يطلق على من يتظاهر بالظرف . ففي عهد أبي جعفر أرفقت الكلمة زندقة
والجوان معه وكأنهما متراوحتان^(٣٤٩) . ولم يعرف عن المتصور امعان في اضطهادهم ،
وكانت سياسته على ما يظهر قمع الفتن الظاهرة فقط . أو أن هؤلاء لم يكن لهم شأن
يذكر في خلافته .

فلما جاء المهدي كمان من أظهر أعماله ملاحقة الزندقة ، لأن
الزنديقة كانت قد اتّشتّرت انتشارا واسعا حتى أنها دخلت
بيوت الوزراء والشعراء . فقد انهم ابن الوزير معاوية بن يسار بالزنديقة ، فأحضره
المهدي إليه وسأله عن شيء من القرآن الكريم فلم يعرف . فقال لا يه و كان حاضرا
ألم تخبرني أن ابنك يحفظ القرآن قال (بلـ يا أمير المؤمنين ولكنه فارقني منذ

(٣٤٦) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١١٥ .

(٣٤٧) - احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣٤٨) - العيون والمحاجق ، ص ٢٧٣ .

(٣٤٩) - انظر احمد امين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

سنين ، وفي هذه المدة التي تأى فيها عني نسي القرآن) فأمره المهدي أن يتقرب إلى الله بدمه ، إلا أنه حين قام عثروفع وارتعد ، فارتوى بعض من كان يحضر مجلسه أن يعني المهدي الوالد من قتل ولده ويتولى ذلك غيره (٣٥٠) .

تعقب المهدي الزنادقة بشدة وفي سبيل ذلك قام :

١ - بإنشاء ديوان للزنادقة للبحث عن الزنادقة ومحاكمتهم .

٢ - بإنشاء هيئة علمية لمناظرتهم ، وتأليف الكتب للرد عليهم (٣٥١) وبالتالي فإنه جعل لديوان الزنادقة مشرفاً أطلق عليه اسم صاحب الزنادقة ، كان عليه أن يبحث عن الزنادقة وينكل بهم . ومن أصحاب الزنادقة عمر الكلوادي ، ذكر اسمه الطبرى في حوادث ١٦٧ / ٦٨٣ م قائلاً (وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة ، والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم وولى أمرهم عمر الكلوادي (٣٥٢) . وخلفه محمد ابن عيسى بن حمدوبيه ، فقتل من الزنادقة أيضاً عدداً كبيراً (٣٥٣) .

أمعن المهدي في قتل هؤلاء الزنادقة ، لظهورهم في أيامه ، وأعلنهم لعتقداتهم ، وتبعهم في كل مكان ذهب إليه ، فجئن وصل إلى حلب أمر بقتل الزنادقة ، وتبعهم ومزق أجسادهم شر ممزق . ويبدو اهتمام المهدي بهذه الفتنة من الوصية التي أوصى بها ابنه الهادي في اتخاذ الشدة والقسوة مع هذه الفتنة إنما رفقه إذا قلد الحكم فقال : (يابني إن صار لك هذا الامر فتجهد لهذه العصابة ، فإنها فرقه تدعوا الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في أندنيا ، والعمل للآخرة ، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور . وترك قتل الهوام تحرجاً وتحوباً ، ثم تخرجها من هذا إلى عبادة

(٣٥٠) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٣٩ - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

- العيون والحدائق ، ص ١٧٥ .

(٣٥١) - احمد أبين : ضحي الإسلام ، جزء ١ ، ص ١٤١ .

(٣٥٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٦٥ .

(٣٥٣) - العيون والحدائق ، ص ٢٧٣ .

اثنين أحدهما النور ، والآخر الظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات ، والاغتسال بالبول ، وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة الى هداية النور ، فارفع فيها الخشب، وجرد فيها السيف ، وتقرب بأمرها الى الله لا شريك له ، فاني رأيت جدك العباس في المنام قلدني سيفين وامرني بقتل اصحاب الاثنين)^(٣٥٤) .

وقد سار الهادي على خطا ابيه وتمثل وصيته في القضاء على هذه الفئة وملحقتها في كل مكان حتى قتل منها عدداً كبيراً ، وكان من قتليهم يزدان بن باذان كاتب يقطين ، وابنه علي بن يقطين)^(٣٥٥) . وقد أثر عنه أنه قال : لئن عشت لاقتلت هذه الفرقة كلها حتى لا اترك منها عيناً تطرف ، الا ان المنية عاجلته قبل ان يتحقق أمنيته .

ولما تولى هارون الرشيد الخلافة ، سار على سياسة أبيه و أخيه قبله ، واستمر ديوان الزندقة في عهده ، كما انه عين رجالاً عرفوا بصاحب الزنادقة كسلفيه ، وتعقب الزنادقة ، وعاقب من ثبتت عليه التهمة بشدة . ففي سنة ١٧١ هـ عاقب منهم يونس ابن فروه ، ويزيد بن الفيض ، وانتشرت الزندقة في عهده اتساراً واسعاً بين العرب . فقد اعتنقتها صالح بن عبد القدوس ، والشاعر مطیع بن ایاس ، الذي لقن ابنته تعالیم الزنادقة ، واعترفت بذلك أمام الخليفة . كما اعترفت بأنها قرأت كتب المانوية . ولابد من القول ، ونحن نتحدث عن الزندقة في عصر الرشيد ، من القول بأن من اسباب قتل البرامكة ما نسب اليهم من زندقة)^(٣٥٦) .

وعنى الرغم من تشديد المهدى والهادى والرشيد على الزنادقة ، فإن الزنادقة استمرت في عهد خلفائهم . فمما يروى عن المؤمنون أنه بلغه أن عشرة رجال من أهالي البصرة، يرون رأي مانى، ويقولون بالنور والظلمة، فأمر بحملهم إليه، فكان يدعوهـم فردا

(٣٥٤) - احمد امين : ضحي الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٤١ .

(٣٥٥) - احمد امين : ضحي الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٤٢ .

(٣٥٦) - احمد امين : ضحي الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٤٣ .

فرداً وسائلهم عن دينهم ويختنهم، وكانت نهاية جميعهم القتل، لانه ثبت له اعتناقهم
الزنادقة (٣٥٧) .

وتسربت الزنادقة الى بلاط المتخصص . ودان قائد الافشين بها . وقد ثبتت
اعتناق الافشين للزنادقة ، بمحاكمة اجريت له ، وكان ينوي من وراء ذلك قلب
المملكة الاسلامية ومحو الخلافة والدين الاسلامي واعادة دولة الفرس بلغتها
ودينها (٣٥٨) .

وللحقيقة يجب القول بأن الاتهام بالزنادقة في هذا العصر ، أصبح عادة معروفة،
فإذا كان بين شخص وآخر عدوة يرميه بالزنادقة ، فالخصوصية الادبية والعلمية يمكن
أن تكون سبباً في الرمي بالزنادقة ، كذلك فإن الخصومة الدينية والسياسية تعرض
صاحبها للاتهام بالزنادقة ، وبالتالي فإن بعض من لم يعتنق الزنادقة ذهب ضحية
الحملة ضد الزنادقة .

وللنادقة ابحاث في "علم والادب والسياسة تأثر بها الادباء والمفكرون" ،
ونهض البعض من لم يكونوا على الزنادقة ، فبذلوا الجهد في مكافحة الزنادقة
والرد على اصحابها . ولما كان ردهم للحجج بالحجج ، فكان عليهم التسلح بالعلم
والادب ، وكل ما يحتاجون اليه في هذا الباب ، وكان واصل بن عطاء أول من تصدى
للرد عليهم ، وانكر على بشار بن برد الزنادقة والالحاد . وكان لا يرى الهذيل العلاف
مناظرات طويلة مع الزنادقة . وقد تمكّن بمناظراته من تحويل عدد كبير من المجروس
الثنوية الى الاسلام . وتصدى غيره من المتكلمين للرد على الزنادقة ، ولكن كثيراً
منهم ظل على الرغم من افحامه متسلكاً بعقائد الزنادقة (٣٥٩) .

(٣٥٧) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٤ ، ص ٩ - ١٠ .

(٣٥٨) - انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥١٠ - ٥١٦ - وهو يورد محاكمة الافشين
والاتهامات التي وجهت اليه - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٨ - ٢٧٠ .

(٣٥٩) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

— الصراع المسلح بين العباسين والوالسي :

ايقطت الشورة العباسية كأي ثورة جذرية في نهوض العامة الكبير من الآمال نحو مستقبل افضل ، كما افسح المجال امام المبادئ الإيرانية القديمة في الانطلاق كمبادئ الزرادشتيه والمزدكية والمانوية ، وحين تباطأ العباسيون في تحقيق الوعود التي قطعوها على انفسهم بربت على السطح حركات متنوعة لها غايات دينية وقومية منها :

آ — ثورة الرواندية :

بطلق اسم الرواندية على حركة فارسية ، سياسية دينية ، تجلت بوضوح في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور . وقد عرفت بهذا الاسم نسبة الى مدينة راوند قرب نيسابور (٣٦٠) .

وتعود الرواندية في ظهورها الى الفترة التي سبقت قيام الخلافة العباسية . ويمكن ان نقول انها سايرت ركب الدعوة العباسية . وعلى حين كانت الرواندية فرقة واحدة قبل اعلان الخلافة العباسية ، فإنه يمكن القول بأنها تمزقت شيئاً بعد قيام الخلافة السياسية بسبب اختلافهم حول وراثة العباسين للخلافة وهاك آراء بعضهم :

— قال بعضهم ان الامامة العباسية ورثت شرعيتها من ابي هاشم .

— ورأى آخرون بأن الامام بعد النبي هو العباس بن عبد المطلب ، وأنه أورث الامامة ابنه عبد الله ، وهكذا حتى محمد بن علي . وعرفت جماعة من هؤلاء بالخدائيه نسبة الىداعية عرف بخداش كان محمد بن علي قد وجده الى خراسان ، ثم بلغه عنه الغلو ، ففصله عن الدعوة العباسية ولعنه . وقد اعتقل خداش هذامن قبل والي خراسان أسد بن عبد الله القسري ، فسمى عينيه ، وقطع لسانه ويديه

(٣٦٠) — ان ماجاه في كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري ، ص ٣٨٤ من نسبة الرواندية الى احمد بن اسحق الرواندي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ خطأ .

وضرب عنقه وصلبه على باب مدينة كابل ٠ وعلى اثر ذلك عادت جماعة من اتباع خداش الى الطريق الصحيح للدعوة العباسية وبقيت فئة ترى رأي خداش ، وأظهروا البراءة من محمد بن علي (٣٦١) لتبرئه من خداش ٠

ـ ازداد انقسام هذه الفرقه اثر مقتل ابي مسلم الخراساني ٠ فرأى بعضهم بأن الامامة انتقلت من محمد بن علي الى ابراهيم الامام ، ومنه الى ابي مسلم ظهرت الابي مسلمية (الرزامية) ، وقد رأى بعض اصحاب هذه الفرقه بأن أبا مسلم لم يمت وانه حي ، ونسبوا اليه عددا من الخوارق وقدسوه الى درجة العبادة ، على حين اعترفت جماعة اخرى بموته ، وقالت بأن الامامة انتقلت بعد موته الى ابنته فاطمة (٣٦٢) ٠

ـ ورأى بعضهم بحسب ما جاء في الطبرى وهم من الذين يعتقدون بتناصح الارواح ، أن روح آدم حلت في عثمان بن نهيك ٠ وان ربهم الذي يطعمهم ويستقيهم هو أبو جعفر المنصور ، وانه لو شاء ان يسير الجبال لسارت ، ولو أمرهم ان يستبدروا القبلة لفعلوا (٣٦٣) ، فأظهروا بذلك انهم يقدسون الخليفة على طريقة الفرس في تقديس ملوكهم ، وجعلهم في مصاف الالله ٠ وقد يكونوا قد ادعوا هذا الادعاء لاثارة العرب وال المسلمين ضد الخليفة المنصور ، انتقاما منه لقتله أبا مسلم ، ف تكون هذه الحركة دينية وسياسية في آن واحد ٠

ـ ورأى آخرون وعلى رأسهم الابلق (لبرص فيه) أن الروح التي كانت في عيسى بن مرريم ، صارت في علي بن أبي طالب ثم في الائمه واحدا بعد واحد حتى ابراهيم الامام (٣٦٤) ٠

(٣٦١) - ذکار : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ ٠

(٣٦٢) - ذکار : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ ٠

(٣٦٣) - المقریزی : المصدر السابق ، ورقة ١٠٢ ظهر و ١٠٣ وجه ٠

(٣٦٤) - الطبری : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٥ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠٤ ٠

اما عقيدة الرواندية فتتجسد في الاعتقاد بتناسخ الارواح ، وتقديس الملوك
وجعلهم في مصاف الالهة مع اباحة المحرمات كالزنادقة (٣٦٥) .

وقد خرجت فئة من الرواندية في خلافة أبي العباس في خراسان . فتكفل
أبو مسلم بالقضاء على حركتهم . كما قامت بعض فرق الرواندية اثر مقتل أبي
مسلم ، وفي سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م (٣٦٦) ، بالعمل على تشويه الاسلام وادخال بعض
التعليمات الجديدة عليه ، والتي لاتمت اليه بصلة ، فادعوا بأن المنصور هو ربهم
الذى يطعمهم ويستقيهم (٣٦٧) ، وأنوا قصره وكان مايزال يسكن في الهاشمية ، فأحاطوا
به ، واخذوا ينادون هذا قصر ربنا (٣٦٨) ، فلما خرج اليهم اقبلوا يصيرون به انت
أنت يريدون بذلك انت الله (٣٦٩) .

نظر المنصور الى هؤلاء كأعداء سياسيين ، لأنهم من اتباع أبي مسلم
الخراساني اولا ، وانهم يريدون تحويل الخلافة الى ملك كسروى ، كما أنه نظر
اليهم على انهم زنادقة يحاولون اعادة المجوسيه او ادخال أي شكل من أشكالها في
الدين الاسلامي . ولذلك فان المنصور لم يجد بدا من أن يضرب على ايدي هؤلاء
لخروجهم على الدين ، فسجن مائتي رجل من رؤسائهم ، مما اغضبهم وجعلهم
يتساءلون عن سبب السجن ، ولما منعوا من التجمع اعدوا نعشًا فارغا حملوه ، ثم

(٣٦٥) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠٤ .

(٣٦٦) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠٥ - على حين يرى المقرizi ورقة
١٠٣ وجه أن ذلك كان سنة ١٣٩ او أول سنة ١٤٠ هـ .

(٣٦٧) - قد يكون هؤلاء قد صدوا من اظهار تاليه المنصور اثارة المسلمين عليه .

(٣٦٨) - المقرizi : المصدر السابق ، ورقة ١٠٣ وجه .

وانظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٥ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء
٥ ، ص ٥٢ .

- ابن خلدون ، جزء ٣ ، ص ١٨٥ .

(٣٦٩) - حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ، جزء ٢ ، ص ١٥ وهذا يخالف ما جاء في الاخبار
الطوال لابي حنيفة الدينوري ص ٣٨٤ الذي يرى بأن حركة الرواندية كانت في البصرة ولكنه
أكى ان هؤلاء خرجموا ثارا لابي مسلم .

مروا في المدينة حتى بلغوا السجن فدخلوه وخرجوا أصحابهم ، واتجهوا إلى المنصور باعداد تزيد عن ستمائة رجل^(٣٧٠) .

خشى سكان العاصمة من هذه الفئة المارقة ، فتنادوا وأغلقوا عليهم ابواب منازلهم للنجاة من خطرهم ، كما أغلقت ابواب المدينة خشية ان يتدقق عليها عدد من الرواندية ، وأحدق الخطر بال الخليفة المنصور ، فلم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه . فخرج معن بن زائدة الشيباني ، وهو أحد قواد الامويين الذين حاربوا العباسين تحت امرة ابن هبيرة والي العراق . وكان متخفياً منذ قيام الخلافة العباسية لاهدار الخليفة دمه ، فاكفأه مؤونة القتال ، وقاتل دون الخليفة العبسي وابلى بلاء حسناً . فرد هذه النرقة عن الخليفة ، فعفا المنصور عنه^(٣٧١) ، وكفأه بولالية اليمن^(٣٧٢) .

ب - المقنع الخراساني :

تعتبر هذه الحركة حلقة في سلسلة الحركات القومية التي قامت في المناطق الشرقية لاعادة مجده الفرس القديم . كان المقنع رجلاً من أهالي رستاق مرو ، واسمه هاشم بن حكيم . حصل علّوماً من كل نوع ، كما تعلم الشعوذة والطلسمات ، وحدق بها . وبرع في السحر ، قرأ كتاباً كثيرة من علوم الأولين ، وتنقل في طلب العلم بين مرو وبليخ^(٣٧٣) .

-
- (٣٧٠) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٥ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٢ .
- المقريزى : المصدر السابق ، ورقة ١٠٢ وجه .
- ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٨٥ .
- (٣٧١) - المقريزى : المصدر السابق ، ورقة ١٠٢ .
- النظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٢ .
- (٣٧٢) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٣ على حين يرى المقريزى : ورقة ١٠٣ ظهر ، أن المنصور يلاه مصر ثم اليمن ثم سجستان وبها هلك .
- (٣٧٣) - الترشخي : تاريخ بخاري ، ص ٩٤ .

عمل المقنع اعملاً ادارية وعسكرية عديدة ، كان احد قواد خراسان في ولاية ابي مسلم ، ثم صار وزيراً لامير خراسان عبد العجبار الاذدي^(٣٧٤) . ادعى النبوة في عهد الخليفة ابي جعفر، فسيق الى بغداد حيث سجن سنوات عديدة ثم اطلق سراحه . وحين عاد الى مرو ادعى الروبية ، وجمع حوله الناس مخاطباً لهم (انا الحكم والهال العالم أجمع) ، ثم يستطرد فيقول : أنا الذي أظهرت تفسي للخلق بصورة آدم ثم بصورة نوح ، ثم بصورة محمد (ص) ، ثم بصورة أبي مسلم ، ثم بهذه الصورة^(٣٧٥) .

ان هذا القول من المقنع يدل على أن حركته لا تختلف كثيراً عن الحركة الراوندية ، وأنها كسابقتها تؤمن بتناسخ الأرواح ، وتصل اتصالاً وثيقاً بالرذامية من الراوندية التي توصل الاوهية الى ابي مسلم^(٣٧٦) .

قام المقنع بالدعوة لنفسه . فأرسل كتابه الى الناس ، واعداً اصحابه بالجنة واعداءه بالنار ، وقد دخلت أغلب قرى السعد في دين المقنع ، وأخذ اتباعه يقطعون الطريق على القواقل ، وينهبون القرى . حاول الامراء المحليون القضاء على هذه الحركة قبل أن تستفحـل ، فنهض امير خراسان حميد بن قحطبة للقبض عليه وتأديبه ففر مختنقاً ، واستمر في اختفائه حتى تأكد من كثرة عدد انصاره . فعبر جيحون الى ولاية كش واستولى عليها . وتحصن بعض الحصون الموجودة في المنطقة^(٣٧٧) فتزايـد عدد انصارـه هـنـاك ، وتحـالـفت معـهـ المـيـضـةـ فيـ بلـادـ ماـورـاءـ النـهـرـ^(٣٧٨) حيث دعا اصحابـهـ واعـلنـ لهمـ اـبـاحـةـ دـمـاءـ وـأـموـالـ الـمـسـلـمـينـ منـذـ سـنـةـ ١٥٩ـ هـ ٧٧٥ـ مـ^(٣٧٩) .

وقد بشـوـيـهـ نـعـالـيمـ الـاسـلـامـ ، فـاسـقـطـ الصـلـاةـ وـالـصـومـ وـالـحـجـ عنـ اـصـحـابـهـ ،

(٣٧٤) - انظر الترشخي : المصدر السابق ، ص ٩٥ وحاشيته رقم ١ لنفس الصفحة .

(٣٧٥) الترشخي : المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٣٧٦) - انظر فيما سبق .

(٣٧٧) - كان في جبل سنم في ولاية كش حصن في غاية الاستحكام وبه ماء جار وابراج وذروع وحصن آخر اقوى منه انظر الترشخي : المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٣٧٨) - الميسـهـ منـ فـرقـ الـخـرمـيـةـ الـتـيـ تـنـادـيـ بـتـرـكـ الـفـرـائـنـ الـدـينـيـةـ وـتـوـالـيـ اـبـاـ مـسـلـمـ الـمـغـرـاسـانـيـ ، وـاتـخـذـ اللـوـنـ الـأـبـيـضـ كـتـغـيـرـ لـعـدـاءـ الـعـبـاسـيـينـ .

(٣٧٩) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

وأباح للناس الاموال والنساء . كما اباح تعاليم مزدك . فعبدة الناس وسجدوا له^(٣٨٠) .

كان المقنع رجلاً قبيح الخلقة ، اعور قصيراً ، ورأسه اصلع ، عمل لنفسه قناعاً^(٣٨١) وصعه على وجهه ليحمي به قبحة . وادعى انه فعل ذلك لاسباب دينية ولا خفاء النورانية القدسية . اذ جاء في المصادر التاريخية قوله (ان عبادي لا يطيقون رؤيني في صورتي التي أنا عليها ، ومن آنني احرق بنوري) .

ادرك المهدي خطورة الحركة ، فجهز جيشاً كبيراً العدد ، كثير العدة ، ولم يكن من السهل القضاء على المقنع لكثرته انصاره ، ومناعة موقعه . وبعد اربعة اشهر من القتال العنيف الذي تناوبه عدد من قواد الخليفة أمثال معاذ بن مسلم ، وعقبة ابن مسلم وجبريل بن يحيى ، وسيد الحرشي ، تمكنت القوات العباسية من السيطرة على الموقف وایقاع الهزيمة بالمقنع ، حيث استسلم عدد كبير من قواته^(٣٨٢) .

ولما شعر المقنع بالهزيمة اشعل النار في القلعة ، وأحرق كل ما فيها من دواب وثياب ومتاع وجمع نساءه وأولاده ، وطلب منمن أحب من أصحابه أن يلقوا بأنفسهم في النار ليترنعوا إلى السماء . وذكر لهم بأنه صاعد إلى السماء ، وأن من أراد أن يصبحه فليشرب من شراب أعدد له . فشرب وسقاهم شراباً مسموماً فماتوا جميعاً . وألقى نساءه وأولاده في النار ، ثم القى بنفسه خشية أن يظفر أعداؤه بجثته أو جثث نسائه^(٣٨٣) .

وهكذا انتهت حركة المقنع^(٣٨٤) ولكن حركة المقنعية البيضة لم تتم بموته ،

(٣٨٠) - فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسى ، ص ١٧٣ .

(٣٨١) - يرى الترشخي ان هذا القناع كان اخضراً على حين ان ابن الاثير وابن خلكان والشهرستاني يذكرون ان هذا القناع على صورة وجه انسان .

(٣٨٢) - انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٣٥ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٩ .

(٣٨٣) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣٨٤) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

فقد اعتقد اصحابه انه ذهب الى السماء ليأتي بالملائكة وينصرهم^(٣٨٥) وبالتالي يان مذهب بقي له بعض المعتقدين من العوام والضعفاء من الناس في ولايتي كشن ونحشب وبعض قرى بخارى ، وكان هؤلاء يتظاهرون بالاسلام ويخفون ما يعتقدون به^(٣٨٦) . وقد اشارت المصادر الى وجود اتباع للمقنية حتى القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي •

ومما لا شك فيه ان المبادئ الدينية ، والآراء السياسية التي طرحتها المقنية الغراساني ، تمثل خطرا على الديانة الاسلامية • وعلى الخلافة العباسية التي تحميها • ويهدد نفوذها في الشرق الاسلامي خاصة •

د - حركة بابك الخرمي :

لم تكن الخرمية فئة واحدة ، بل كان منها الخرمية المحرمة والخرمية البابكية التي تزعمها بابك الخرمي • وقد انتشر هؤلاء في منطقة الجبال بين اذربيجان وأرمينية ، وكانوا متأثرين بالعقيدة المزدكية^(٣٨٧) وقد جاء اسم الخرمية اما من خرم بلد في فارس ، أو من خرم الفارسية ومعناها لذيد^(٣٧٨) •

تميزت حركة بابك الخرمي عن غيرها من الحركات الفارسية ذات الطابع الديني والقومي بجهازها المنظم وقادتها القادة ، مما جعلها تصمد أمام جيوش الخلافة فترة طويلة •

وينسب المؤرخون الى بابك ادعاه بالالوهية وأن روح جاویدان^(٣٨٩) حلت فيه • كما آمن وأصحابه بمبدأ الرجعة وبناسخ الارواح • كما اباح لأصحابه كل

(٣٨٥) يرى الترشخي : المصدر السابق ، ص ١٠٤ ان الحركة انتهت سنة ١٦٧ هـ ٧٨٠ م ، على حين ان فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٧٧ يرى أنها في سنة ١٦٣

(٣٨٦) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٣٨٧) - المزدكية حركة اصلاحية اجتماعية قادها مصلح عرف بمزدك لاصلاح المجتمع الساساني . انظر محمد أمين : فجر الاسلام ، الطبعة العاشرة ١٩٦٥ - ص ١٠٩ .

(٣٨٨) - شاكر مصطفى : في الدعوة العباسية ، ص ١٢٢ .

(٣٨٩) - جاویدان احد مؤسسي الخرمية ولما توفي اقاموا امرأته ببابك مكانه . انظر ابن الائير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٢٨ .

مايلذ النفس ، وينزع اليه الطبع مالم يعد على احد بالضرر ، وبالتالي فانه أباح المحرمات ، والاشتراكية في النساء ، كما رفع عنهم الفروض الدينية كالصلة والصوم والحج والزكاة ^(٣٩٠) .

أثارت الخرمية حربا شعواء على الاسلام والعرب وفي نيتها تحويل الملك من الرب الى الفرس ، واعادة مجدهم السابق ، والانتقام لمقتل أبي مسلم . ومما يؤيد ذلك أن كثيرا من المؤرخين ارجعوا بابك الى سلالة أبي مسلم الخراساني ، ورأوا أن حركته استمرار لحركة المقفع الخراساني ، ولحركة الرواندية . ويعودون بنسب بابك هذا الى مظفر بن فاطمة بنت أبي مسلم التي تتنسب اليها الفاطمية من الخرميية ^(٣٩١) .

اعلن بابك الخرمي ثورته على العخلافة العباسية سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م متخدنا من جبال أذربيجان مركزا لحركته . ثم توسع في المناطق المجاورة حيث لاقت دعوته تأييدا واسعا خاصة في منطقة الجبال بين همدان وأصفهان . وانتشر أصحابه بعد ذلك في طبرستان وجرجان وبلاط الدليم ، يعيشون فسادا ويثيرون الاضطراب ، يساعدهم على ذلك انصراف المؤمنون الى الشؤون الخارجية ، وانهماك قواته بحرب البيزنطيين ، وقوة حصانة المنطقة الجبلية التي اعتصم بها بابك وجماعته ^(٣٩٢) .

وعلى الرغم من الجهدات التي بذلها المؤمنون للقضاء على هذه الحركة ، فقد استمرت بعد وفاته . وكان على خليفته المعتصم أن ينهض للقضاء على هذه الحركة، ولم يدخل المعتصم بتسيير كل قوته لقتال بابك ، والقضاء على حركته ، حتى أنه قدمها على قتال البيزنطيين . واختار لقيادة جيوشه خيرة قواه . واهتم ايضا بتدعيم مراكز قواته . فأمر ببناء الحصون التي خربها بابك فيما بين زنجان

(٣٩٠) - انظر البداء والتاريخ : جزء ٤ ، ص ٤٠ - ٣١ - فان فلوتن : السيادة العربية ، ص ٩٩ - ١٠٠

(٣٩١) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠٨ ،

(٣٩٢) - ذكرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

واربيل ، ووضع فيها رجالا مسلحين ، جعل مهنتهم حفظ الطريق لتأمين وصول الميرة الى قواطه ، ولما حاول رجال بابك الوقوف في وجه الامدادات ، ومنعوا من الوصول الى القوات المرابطة هاجمهم رجال المعتصم ، وقضوا على سريتهم . وكانت هذه أول هزيمة لجند بابك . وقد استفاد المعتصم وقادته من المعلومات التي حصلوا عليها من الاسرى بعد أن أحسنوا معاملتهم ، ودفعوا لهم أضعاف ما كانوا يأخذونه من بابك ، وجندوهم للتجسس لحسابهم ^(٣٩٢) .

ودفع المعتصم بقواته كافة لقتال بابك ففي سنة ٢١٨ هـ / ٧٣٣ م نتمكن أحد قادته وهو أسحق بن إبراهيم من تشتت الخرمية في همدان ، ثم قام قائده التركي الأفشين سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م بشن هجوم عنيف على معقل الخرمية الأصلي في اذربیجان وحاصرهم مدة طويلة ، حتى اضطر قادتهم ببابك الى الفرار سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٦ م ^(٣٩٤) .

في الفترة التي وجد ببابك نفسه في خطر ، حاول تخفيف الضغط عن نفسه . بتحريض البيزنطيين على مهاجمة الشعور الإسلامية ، وأعلنهم بأن المعتصم قد شغل عنهم بقتاله . وأنه قد دفع كل قواته في هذا السبيل ، وأنه لا يوجد من يقف بوجههم ، وكانت غايته من ذلك اشغال المعتصم بالبيزنطيين . الا ان ذلك لم يفده . واتهت حركته بالفشل ، وألقي القبض عليه ، فسيق الى سمراء حيث قتل ومثل به . ولم تنته هذه الحركة الا بعد أن أفت عددًا كبيرا من جند الخلافة ، وكلفت الخلافة الكثير من الاموال ^(٣٩٥) .

استمرت الحركة الخرمية بعد قتل بابك ، وقام بأمرها المازيار ^(٣٩٦) الذي كان على صلة سابقة ببابك ، يحرسه ويعرض عليه المساعدة ، فثار في وجه الخلافة

^(٣٩٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .

^(٣٩٣) الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٢ - ٢٧ .

^(٣٩٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

^(٣٩٥) ... هو من دهاقين الفرس وكان موضع ثقة المأمون ، فولاه أطراف طيرستان ، ويسعى له بالاحتفاظ بلقب الأصبهين .

العباسية محرضاً أكراة الضياع على الوثوب بأربابهم ونهبهم . وقد استطاع عبد الله بن طاهر أن يقبض على المازيار ، ويرسله إلى المعتصم . واتقى المعتصم من رئيسي الخرمية في أيامه فصلبها في سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م . وقد ساعد القبض على المازيار الخليفة على اكتشاف موقف قائد الإفшиين ومطامعه ، وجرت له محاكمة أتهم على أثرها بالزنقة ، كان من أعضائها محمد بن عبد الملك الزيارات ، وأحمد ابن أبي دؤاد . وكان قرار المحكمة الصلب والحرق (٣٩٧) .

د - ثورة استاذ سيس :

قام استاذ سيس في سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م بثورته في خراسان . وعلى الرغم من أن أهداف القيام بهذه الثورة مجهولة ، فيمكن القول بأن السبب الذي دعاه إلى الخروج هو السبب نفسه الذي دعا غيره من الفرس إلى الثورة على الخلافة العباسية العربية الإسلامية . وتكمّن خطورة هذه الثورة بالأعداد الكبيرة التي استطاع استاذ سيس جمعها حوله من أهالي هراة وباديسيس وسجستان . ويبدو أن استاذ سيس وانصاره قد عاثوا فساداً في المناطق التي احتلوها فنهض أهانى وولاة المناطق المجاورة بمقاومتهم قبل وصول جيوش الخلافة . وقد تمكن استاذ سيس بما لديه من قوة ، وبالنفوذ الذي أصبح له بين أنصاره من هزيمة هذه الجيوش المحلية التي حاولت الوقوف في وجهه ، فقوى مركزه بين أنصاره .

لم يدع المنصور أمر هذه الحركة للقوات المحلية ، بل وجه للقتال جيشاً جعل على قيادته خيرة قواده ، وهو خازم بن خزيمة . وقد تمكن خازم بما قام به من جهود من السيطرة على الموقت ، وانتصر انتصاراً حاسماً على استاذ سيس ، ووضع السيف في أنصاره ، وقضى بذلك على هذه الثورة (٣٩٨) .

(٣٩٧) - احمد أمين : ضحي الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣٩٨) - انظر الطبراني : المصدر السابق ، جزء ٨/٨ . ص ٢٩ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٥ - العيون والحدائق ، ص ٢٦٣ - ابن خالدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٨ .

المفصل الثاني

الاوضاع العامة في شمال افريقيا والاندلس :

١ - الاوضاع في مصر وبلاد النوبة :

كان أول من تولى امرة مصر اثر قيام الخليفة العباسية صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم الخليفة ابي العباس ، استقبل صالح ولايته في محرم سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ مـ ، فبعث بوفد مصر الى الخليفة لاعلان البيعة للعباسين^(١) ثم عمل على ملاحقة الامويين وانصارهم فيها ، فعاقب بعضهم بالقتل ، واعطى لبعضهم الامان ، وضبط البلد للخلافة العباسية^(٢) . وحاول ان يجد لنفسه حاشية وانصارا ، فاقطع بعض من شعر بخلاصه للعباسين اراضي قرب مدنه الفسطاط والسكندرية ، او اراضي قری أهناس^(٣) . وأمر للناس باعطياتهم ، وقسم الصدقات على اليتامي والمساكين^(٤) .

قام صالح بن علي ببناء مدينة العسكر مع قائده ابي عون في الشمال الشرقي من الفسطاط بمنطقة الحمراء التصووى ، وجعلها عاصمة له عوضا عن السابقة . وكان

(١) - عن الوفد المرسل انظر الكندي : الولاة والقساوة ، طبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٧ ، ص ٩٧-٩٨
المقريزي : المخططف ، جزء ١ ، ص ٥٧١ .

(٢) - الكندي : المصدر السابق ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٣) - اسم كوره في الصعيد الابدى وهي على فربى النيل ليست بعيدة عن الفسطاط : انظر ياقوت المحموي : معجم البلدان جزء ١ ، ص ٢٨٤ - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٤) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

الذي دفعه الى ذلك شعوره بأن الفسطاط تضيق بعسكره . واستمر البناء بعده بهذه المدينة حتى اتصلت بمدينة الفسطاط^(٥) .

تناوب حكم مصر في عهد الخليفة أبي العباس ، وال فترة الاولى من حكم الخليفة أبي جعفر كل من صالح بن علي وابي عون . فقد استخلف صالح ابا عون عبد الملك بن يزيد على مصر بأمر من الخليفة في مستهل شعبان ١٣٣ هـ / اذار ٧٥١ على حين تسلم هو ولاية فلسطين^(٦) .

كانت ولاية ابي عون على مصر ولاية عاممة^(٧) ، ولم يحدث في أثناء ولايته تلك احداثا ذات أهمية ، وانتهت حين جمع الخليفة ابو العباس لصالح بن علي ولاية فلسطين ونصر وافريقيا ، وكلفه بتهيئة اوضاع المغرب في ربيع الآخر سنة ١٣٦ هـ / ايلول ٧٥٣ م ، وكانت هذه ولايته الثانية ، وحين توفي الخليفة ابو العباس في السنة نفسها ، اقر الخليفة المنصور صالح بن علي على مصر^(٨) .

لم تكن مصر باهاليها في تلك الفترة بعيدة عن الاحداث السياسية العامة التي قامت في المنطقة . فقدتعاون اهالي البلاد مع واليهم ، بالحملة التي اعدت للمغرب اولا ، ثم بالحملة التي أرسلت لقتال ابي الخطاب بن الشيخ عبد الاعلى ابن الشيخ الاباضي^(٩) . وقدم امام حملته رجالا من اشراف مصر كداعية لاهالي افريقيا^(١٠) . كما استعان بهم لاجل تهدئة ثورة الحكم بن ضبعان الجذامي في فلسطين .

حدث تعيير متكرر لولاة مصر في عهد المنصور بعد ولاية ابي عون الثانية

(٥) - عن العسكر انظر ياقوت الحموي : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٢٣ .

(٦) - المقرizi : الخطط ، جزء ١ ، ص ٥٧١ .

(٧) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٨) - المقرizi : الخطط ، جزء ١ ، ص ٥٧٥ .

(٩) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(١٠) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

عليها . فتولى موسى بن كعب حتى سنة ١٤١ هـ / م ٧٥٨ م^(١١) اثر عزله عين محمد ابن الاشعث حتى سنة ١٤٣ هـ / م ٧٦٠ م^(١٢) ثم تولى حميد بن قحطبة . وفي ولايته قدم الى مصر علي بن محمد بن عبد الله بن حسن داعية لايته وعمه . فعزل عقابا له ، بعدم فضله على هذا الداعية سنة ١٤٤ هـ / م ٧٦١ ، وعين يزيد بن حاتم من آل المهلب مكانه . وقد دامت ولايته حوالي ثمانى سنوات ، وهي اطول مدة بقي فيها أمير على مصر في عهد العباسيين حتى هذا التاريخ ، ولكن لم يستطع ان يقف حائلا في وجه انتشار دعوةبني الحسن في مصر . فقد قبل الاهالي هذه الدعوة بقبول حسن^(١٣) وكل ما استطاع هذا الوالي ان يفعله في هذا المجال ، هو منع اتصال الثوار بمحمد النفس الزكية ، بمنعهم من الحج في سنة ١٤٥ هـ / م ٧٦٢ ولم تلبث هذه الحركة ان انطلقت اثر نبأ وفاة محمد ثم اخيه ابراهيم ، على الرغم من بقاء علي بن محمد في مصر حتى وفاته^(١٤) .

ويبدو ان اسباب التغيير المستمر للولاية يعود لاسباب اقتصادية بالدرجة الاولى ، الى جانب الاسباب السياسية وغيرها من الامور التي لا مجال لذكرها الان . فمن الواضح ان اوضاع مصر في الفترة الاولى من الحكم العباسي كانت مشابهة الى حد ما لاوضاع بلاد الشام ، ولكنها اقل حدة . وان اوضاع مصر الاقتصادية كانت تسير الى الاسوأ ، مما ادى الى تمليل الاهالي احيانا . فمن المعروف ان خراج مصر كان في عهد الدولة الاموية حوالي ٣٦ مليون درهم اي ما يقارب ثلاثة ملايين دينار^(١٥) . وان هذا المبلغ تناقص حتى بلغ في عهد الرشيد مليونا وتسعمائة وعشرين الف دينار^(١٦) . ومما لا شك فيه ان هذا النقص في الخراج كان بسبب تدهور الوضاع الاقتصادي ، وان التأثر الاقتصادي ادى الى

(١١) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(١٢) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(١٣) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١١٠ - ١١١ .

(١٤) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١١٥ - المقرizi : المصدر السابق ، جزء ١ ص ٥٧٧ .

(١٥) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٤٦٨ .

(١٦) - الجهشياري : الوزراء والمكتاب ، ص ٢٨٢ .

تحرك السكان ، والى اضطرار خلفاء العباسين الى تحريره ولائهم ، عسى ان يجدوا من بينهم من يستطيع اعادة الوضع الاقتصادية في مصر الى سابق عهدها .

قامت ثورات عديدة في مصر والمناطق المحيطة بها . وكان على والي مصر ان ينهض بعبء تهدئة هذه الثورات . ولذلك فقد عمل الولاية على تدعيم قوتها بجيوش من مركز الخلافة . وكمثال على ذلك ان حميد بن قحطبة احضر معه الى مصر عشرين الفا من الجنود ، الى جانب امدادات اخرى وصلته بعد ذلك . ومن جملة ذلك ان جيشا ارسل لغزو الجبعة لخروجها عن الطاعة ، فظفر الجيش بالخارج على السلطة (١٧) .

كما خرج القبط في سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م على واليهم يزيد بن حاتم ولما لم يستطع تهدئة الثورة وانهزم جيشه امامهم ، صرف عن الولاية (١٨) . كما خرج في مصر في عهد الخليفة المهدى احد رجالاتبني امية وهو دحية بن مصعب بن الاصبع بن عبد العزيز بن مروان ودعا لنفسه بالخلافة وتمكن من التغلب على بلاد الصعيد ، وفشل والي العباسين نبراهيم بن صالح العباسي (١٦٥ - ١٦٧ هـ / ٨٧١ - ٨٧٣ م) في القضاء على هذه الثورة فعزله الخليفة المهدى ، وأعطى الولاية الى موسى بن مصعب بن الربيع الخعمي (١٦٧ - ٦١٨ هـ / ٨٧٣ - ٨٧٤ م) . وفشل الاخير في القضاء على الثورة ، واتهت حياته بالقتل . ويبدو ان فشل الوالي الاخير كان بسبب اساعاته للاهالى ، وفرضه عليهم فروضا مالية زادت عما كان يجبه سابقا . فقد زاد ما كان يؤخذ على كل فدان بمقدار الضعف . كما فرض فروضا على أهل الاسواق وغيرهم ، فكرهه المتضررون ، وقامت الفتن في طول البلاد وعرضها وبلغت ذروتها في الصعيد وكورة الحوف (١٩) .

(١٧) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١١٦ - المقرizi : المصدر السابق ، جزء ١ ص ٥٧٧ .

(١٨) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١١٦ - المقرizi : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧٧ .

(١٩) - الكندي : الولاية والقضاء ، ص ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - المقرizi : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧٨ - ٥٧٩ .

لم تنته ثورة دحية بقتل موسى بن مصعب ، بل استمرت في عهد خلفه عسامه ابن عمرو المعافري ، وفي ولاية خلفه الفضل بن صالح . وقد تمكّن الأخير من هزيمة دحية زعيم الشائرين ، ثم قبض عليه وقتلته في سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٧ م . ولم يجن الفضل ثمار انتصاره ، إذ عزل في السنة نفسها التي ولّي فيها^(٢٠) . ونهض خلفه علي بن سليمان بالاحسان الى الاهالي ، فاظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنع الملاهي والخسرو ، وهدم الكنائس المحدثة في مصر ، كما اكثر من دفع الصدقات للمحتاجين^(٢١) .

هدأت أحوال مصر في ولاية موسى بن عيسى ، لافه استطاع ان يوفق بين الاهاني ويحسن اليهم . فقد اشتهر بالعدل وحسن الادارة . واكتسب بذلك محبة الاهالي ، كما انه احسن الى النصارى ، وأذن لهم ببناء الكنائس التي هدمها سلفه ، كما انه ارضى المسلمين بما قام به من توسيع لجامع عمرو بن العاص^(٢٢) .

ويبدو أن هذا الهدوء كان مؤقتا ، وان اسباب الثورات بقيت كامنة في البلاد . وانه لسبب أو لآخر كان الغراج ينكشف في مصر في بعض السنوات ، وكان على أولى الامر فرض زيادة على المزارعين لسد النقص ، وكثيرا ما أدى ذلك الى عودة الاضطراب ، وقد حدث ذلك في خلافة هارون الرشيد مما ادى الى خروج أهل الحوف واضطرار الخليفة الى قتالهم^(٢٣) .

وتكرر تغيير الولاية كما عاشه أهل الحوف ثانية للثورة في عهد الرشيد سنة

(٢٠) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧٩ .

(٢١) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٣١ وما بعدها - المقريзи : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧٩ .

(٢٢) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٤٢ - المقريзи : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧٩ .

(٢٣) - المقريзи : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨٠ .

١٨٦ / ٨٥١ م وامتنعوا عن دفع الخراج (٢٤) . وعادت الفوضى ثانية للبلاد اثر النزاع بين الامين والمأمون ، فتعصب بعضهم للامين واخرون للمأمون . فقد نار بعضهم حين أراد الامين نكث العهد وخلع المأمون من ولاية العهد ، لانهم رأوا وجوب الوفاء بآئمه . واضيف الى هؤلاء اصحاب النزعات الخاصة الذين يستعملون الفتنة لتحقيق مصالح لهم .

أرسل المأمون الى مصر كتابا يدعو الاهالي فيه الى خلع الامين . وطلب من وكيل ضياعه في مصر قراءة الكتاب على الجندي ، وخرج السري بن الحكم يدعو للمأمون ، فيابيعه بعضهم وتمكن الجميع بتعاونهم من اخراج والي الامين من النسطاط ، ولما كان للامين أنصار في مصر فقد وقع الخلاف والقتال بين الفريقين ، وتم انتصار لانصار المأمون على أنصار الامين (٢٥) .

لم تهدأ الاحوال في مصر بعد ذلك ، ولم يستطع المأمون من السيطرة على الوضع . ونشبت الثورات في كل مكان وخضعت كل منصة لتأثير . وقام كل من الثائرين بجباية الضرائب لنفسه ، وبالتصريف في ولايته تصرف المستقل ، ولم يذعنوا لاوامر خليفة بغداد . وليس أدل على شدة الاضطراب من أن الشرطة تقلدتها خمسة في بضع أسابيع (٢٦) .

وبدت مصر في هذه الفترة خارجة عن طاعة العباسيين ، حتى أن كثيرا من المؤرخين يعتبرون هذه الفترة بداية لاستقلال مصر عن الخلافة العباسية ، استقلالا يسبق ذلك الذي جرى في عهد الطولانيين (٢٧)

(٢٤) -- القرني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨٢ - انظر الكندي : المصدر السابق ، ص ١٤٠ ،
لتتجدد ان اسباب الثورة الاقتصادية .

(٢٥) -- الكندي : المصدر السابق ، ص ١٤٨ - ١٥٠ .

(٢٦) -- الكندي : المصدر السابق ، ص ١٤٨ - ١٥٠ وما بعدها . وانظر عن الاضطرابات في مصر ،
وما فعله المأمون لتهيئة الاحوال ، القرني : المصدر السابق ، ورقة ١٢٣ وجه وظهر .

(٢٧) -- الكندي : المصدر السابق ، ص ١٥٩ - ١٨٠ .

كلف المأمون قائده عبد الله بن طاهر بن الحسين بالقضاء على هذه الاضطرابات التي سادت مصر نحو من احدى عشرة سنة . وقد تمكن هذا من اعادة الامر الى سيرتها الاولى ودخل مدينة الفسطاط حيث اخذ يعمل على اصلاح الامور فيها . وظن ان الهدوء عاد نهائيا الى المنطقة فتركها وعاد الى العراق^(٢٨) .

الا ان الثورات عادت سيرتها الاولى ، فدب الافشين لاعادة الاوضاع الى حالها . ثم حضر الخليفة الى مصر لدراسة الاوضاع عن كثب . وتمكن بفضل الجمود المكررة التي صرفها من اعادة الامن الى نصبه^(٢٩) . وقد شجعت الاوضاع المضطربة فئة من الاندلسيين — كانوا قد طردوا من قبل الحكم بن هشام الاموي اثر هيبة الربيض في قرطبة سنة ١٩٨/٥ — على الالتجاء الى الاسكندرية والسيطرة عليها واقامة ما يشبه بالجمهورية ترأسها زعيمهم ابو حفص عمر البلوطني، فقاتلهم عبد الله بن طاهر ، وانتصر عليهم واجlahم عن الاسكندرية ، فالفتحوا الى جزيرة كريت^(٣٠) .

ولما تولى المعتصم عرش الخلافة واستطاع المرب من ديوان العطاء اندمج العرب مع اقباط مصر وامتهنوا الزراعة ورضخوا لسلطة الولاة الاتراك^(٣١) .

اما بلاد النوبة^(٣٢) فلم تخضع للمسلمين في صدر الاسلام . وكل ما استطاع عبد الله بن سعد بن أبي سرح ان يفعله سنة ٣١٥/٥ هو ارغام ملك النوبة

(٢٨) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٨٠ - ١٨٥ .

(٢٩) - انظر الكندي : المصدر السابق ، من ص ١٨٩ - ١٩٢ - وانظر المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨٤ - ٥٨٥ .

(٣٠) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ - ابن تفري بردي الاتابكي : النجوم الظاهرة ، جزء ٢ ، ص ١٩٢ .

(٣١) - الكندي : المصدر السابق ، ص ١٩٣ وما بعدها . المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨٦ .

(٣٢) - تقع المنطقة جنوب اسوان على بعد خمسة اميال من قرها مدينة دنقلاه . انظر المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٥٩ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٥ ، ص ٢٠٩ .

على طلب الصلح وكتابة عهد على نفسه ينص على التسامح الديني وحسن الجوار وتبادل المنافع الاقتصادية بينه وبين المسلمين . فمصر تمد النوبة بالجوب والثياب والخيل ، وبالمقابل تمد النوبة مصر بالماشية والرقيق لفلاحة الأرض . وبهذه المعاهدة تخلص المسلمون من خطر هذه المنطقة . ولم يتعرض عبد الله بن سعد بن أبي سرج في انصاره من النوبة للبجة لانه علم ان لا خطر منهم ^(٣٣) .

اما عبيد الله بن الجباج فقد هادن البجة ^(٣٤)، او اخر القرن الاول للهجرة / السابع الميلادي وعقد معهم معاهدة تيسير انتقال المسلمين ، وتحمي تجارتهم في المنطقة . وكانوا قد اتشروا في بلاد النوبة وغيرها ، ولا سيما بين النيل النبوي والبحر الاحمر في الاراضي الممتدة بين دنقلا واسوان تقريبا ^(٣٥) .

ويبدو ان العرب قد اتصلوا اتصالا وثيقا بالبجة في القرن الثاني الهجري عن طريق البحر الاحمر ووادي النيل ، وخاصة من اقليم اسوان . ورحلوا الى هذه المناطق كتجار ومنقبين عن الذهب والزمرد . وقد استقر جماعة من العرب المسلمين هناك وبنوا مساجدهم، وقد أدت هذه العوامل وهذا الاختلاط في مناطق البجة شرقى السودان الى سهولة تعريب المنطقة ^(٣٦) .

ولم يحافظ البجة على العهد الذي قطعوه على أنفسهم مع عبيد الله بن الجباج بل قاموا بغارات متعددة على جهات اسوان ، واشتد ايداؤهم للMuslimين ، فرفع امرهم الى الخليفة المؤمن العباسي سنة ٢١٦ هـ ٨١٣ م ، وعمل الخليفة العباسي بواسطة

(٣٤) - المقرئي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٦ .

(٣٥) - اول بلاد البجة من قرية تعرف بالجزيء وبينها وبين قوش نحو من ثلاث مراحل . وآخر بلاد البجة اول بلاد الحبشة . وهم في بطن هذه المنطقة الى سيف البحر الملاع مما يلي جزائر اسوان وباضع ودهلك اي انهم يقيمون على مقربة من عيستان على البحر الاحمر . انظر المقرئي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٧٣ .

(٣٦) - المقرئي : المصدر السابق ، جزء ١ ص ٣٦٧ .

(٣٧) - المقرئي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٧٦ .

القوى التي سرحتها اليهم على ابرام عهد جديد بينه وبين ملوكهم كنون بن عبد العزيز^(٣٧) ، ومن أهم شروط هذا العهد :

- ١ - ان تكون بلاد البجة من حدود اسوان الى البلاد التي تمتد بين دھلك وباضع ملکا للحنيفة وان يكون كمون ملکا على البجة .
- ٢ - ان يؤدي ملک البجة كل عام الخراج او البقط على ما كان عليه أسلافه مائة من الابل او ثلاثة دينار .
- ٣ - ان يحترم البجة الاسلام ، والا يذكروه بسوء ولا يعينوا أحدا على أهله ، والا فانهم يكونون قد نقضوا العهد ، وأحل دمهم .
- ٤ - ان لا يمنعوا احدا من المسلمين من الدخول في بلادهم والتجارة فيها برا وبحرا ، وان يؤمنوا المقيم منهم وال الحاج والتاجر حتى يترك بلادهم .
- ٥ - اذا نزل البجة صعيد مصر مجتازين او تجرا فما يظهرون سلاحا ولا يدخلون المدن او القرى باي حال^(٣٨) .

وهكذا فانه يبدو من نصوص هذه المعاهدة ان صلات المسلمين كانت وثيقة جدا بمنطقة البجة ، وانه كان لهم مساجد في اكثربها واستمرت الاتصالات بين الاقريقيين حتى كان عهد المعتضد الذي عمل على تجديد العهد ، فقابلته ملک التوبة بزيارة ودية الى بعض مناطق مصر ، حيث قوبل بمظاهر الاحترام ، وعاد الى بلاده يحمل الهدايا .

نقض ملک البجة العهد في عهد المتوكل . وامتنع عن اداء الجزية وغزا الريف في صعيد مصر ، كما تعرض الى عمال مناجم الذهب من العرب . فاستنجد اهالي جنوب مصر بال الخليفة المتوكل ، الذي ندب لهم الجيوش لقتالهم ، وتمكنوا من

(٣٧) - المقرizi : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٦ .

(٣٨) - انظر المقرizi : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٨ .

الانتصار عليهم وقتل زعيمهم^(٣٩) ، ومالبث هؤلاء ان رضخوا للطاعة ثانية وصالح اميرهم الجديد المسلمين طالباً الهدنة على أن يسمح له بالسفر الى بغداد ومقابلة أمير المؤمنين ، وفي هذه المقابلة عاهد الخليفة على اداء الخراج ، واشترط عليه الخليفة ان لا يمنع المسلمين من العمل في المدن^(٤٠) .

٤ - الأوضاع العامة في بلاد المغرب (٤١) :

على اثر قيام الخلافة العباسية ، ونقل مركز الخلافة الى العراق والدور الذي قام به الفرس في مساعدة العباسين على نجاح دعوتهم وتحقيق اهدافهم في الخلافة ، انصرف اهتمام العباسين الى الولايات الشرقية من أراضي الخلافة ، مما افسح المجال واسعاً امام المناطق الغربية للقيام بحركات استقلالية ناجحة ، كما ادى ضعف قوة قبضة العباسين على المنطقة الغربية الى ان تصبح ملجاً للفئات الفارحة من غضبة العباسين .

وقد تتجزئ عن ذلك ان اصبح شمال افريقيا العربي مسرحاً للفتن والقلق في العصر العباسي ، وكان ذلك لامور متعددة بالإضافة الى ما ذكرناه ومن هذه الامور :

- عدم معاملة اعرب لستان البلاد الاصليين بالمساواة .
- فداحة الضرائب التي كان يفرضها الولاية على السكان ، والتي اثقلت كاهل الاهالي .
- اتسار المبادئ الخارجية بين سكان المنطقة لموافقة المبادئ الديمقراطية التي نادى بها الخوارج لقول اهالي المنطقة اكثراً من المبادئ الأخرى .
- محاولة سكان البلاد تحقيق استقلالهم الذي حلموا به ، عن طريق تأسيس

(٣٩) - المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٨ .

(٤٠) - المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٨ .

(٤١) - لقد اختارت هذه المقدمة هذا البحث والذي يليه باعتبار ان الكتاب جامعي وان هناك مؤلفاً ومادة خاصة للمغرب والأندلس .

دول مستقلة وساعدهم على ذلك بعد هذه البلاد عن السلطة المركزية، وانشغل خلفاً، بغداد بتوطيد اركان دولتهم والسيطرة على الحركات الثورية المتعددة التي نشبت بوجههم في هذه الفترة من تاريخهم ٠

ثار محمد بن الاشعث والي افريقية على الخليفة ابي جعفر المنصور، فاعطى الخليفة ولاية هذه البلاد الى الاغلب بن سالم، فقدم القیروان سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٥ م، وسرعان ما ثار عليه سكان البلاد بزعامة قواد من العرب، وقتلوا الاغلب على أبواب مدينة القیروان سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٨ م ٠ ويبدو أن الفلاقل في شمال افريقية العربي كانت مستمرة طوال عهد الخليفة المنصور، وانه اضطر الى ارسال الجيوش المتالية لاعادة المنطقة الى الطاعة ولكن دون جدوى ٠ واستمرت مدينة القیروان تسقط في أيدي الشوار حيناً وفي أيدي العباسيين حيناً حتى نهاية عصر المنصور (٤٢) ٠

وحين علم المنصور بنباً مقتل الاغلب اعطى ولاية افريقية الى عمر بن حفص ٠ فوصل الى القیروان حيث تسلم امرة هذه المناطق من جند الاغلب، واقام الامن في البلاد مدة ٠ ولكن الخوارج من الاباضية والصفرية استغلوا انشغال الوالي فاتقظوا عليه وهاجموا مدينة القیروان، ثم حاصروا طبله ٠ وقد قاموا بقتل عمر ابن حفص، فاضطر الى ارسال يزيد بن حاتم بن قبيصة ليحل محل ابن حفص، وتمكن من رد الخوارج بعد ان انتصر عليهم ثم دخل مدينة القیروان (٤٣) ٠

واستنصر خروج شمالي افريقية عن طاعة العباسيين في عهد هارون الرشيد ٠ واضطر الرشيد الى ارسال قائد هرثمة بن اعين على رأس جيش كثيف الى المنطقة، فوصلها في شهر ربيع الاول سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م الا انه لم يجد في نفسه الطاقة على اعادة الاستقرار الى البلاد، فاعتذر للرشيد عن بقاءه وعاد الى العراق (٤٤) ٠

(٤٢) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٨٦ - ٥٨٧ ٠

(٤٣) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٩٨ - ٦٠٢ ٠

(٤٤) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٣٧ - ١٣٩ ٠

وهكذا فان الفتن والقلاقل استمرت في المنطقة ، وكانت حصيلتها ظهور دول مستقلة عن الخلافة العباسية كان منها الدولة الرستمية في تاهرت للخوارج الاباضية ، ودولة بنى مدرار في سجلماسة للخوارج الصفرية ، وولاية تلمسان التي اسسها بنو قرة الصنهاجيون ، ودولة برغواطة في تامستا^(٤٥) ، ودولة الاغالة التي اسسها ابراهيم بن الاغلب في تونس ، ودولة الادارسة التي اسسها ادريس بن عبد الله بن الحسن الشيعية الزيدية في المغرب الاقصى ٠

٣ - الاوضاع في الاندلس :

حين قامت الخلافة العباسية كان الصراع محتملا في الاندلس بين القبائل العربية من قيسية ويمنية . ونتيجة ذلك اجري تبديل متكرر لولاة المنطقة دون ان يحصل أحد من هؤلاء على رضاء الاهالي . واخيرا اتفقت الآراء على يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي غبيدة الفهري وهو من مضر ، على ان يتولى أمر الاندلس لمدة سنة ثم يليها رجل يمني يختارونه في السنة المقبلة وهكذا^(٤٦) .

حين استقرت امور الاندلس على هذا الشكل ، وكان الامويون يعانون من تعقب افراد الاسرة العباسية لهم ، قام أحدهم وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بالفرار الى شمال افريقيا فبلاد الاندلس ، واستطاع بعد مصاعب جمة لقيها ان يدخل عاصمة الاندلس قرطبة في سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م^(٤٧) . وان يأخذ البيعة لنفسه بالأماراة ويصبح بعدها اميرا على الاندلس ٠

وهكذا فقد استطاع هذا الرجل الاموي (خفید هشام بن عبد الملك) من ان يؤسس حكما مستقلا في هذا الاقليم منذ سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م . ولم يخف أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى - والذي حدث في عهده انفصال هذا الجزء الهام

(٤٥) - قرية بالغرب قرب المسيلة كانت لكتامة وزناته ، انظر الحموي : معجم البلدان ، جزء ٢ ص ٧

(٤٦) - انظر حسن ابراهيم حسن : الرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٤٧) - احمد بدر : دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، ص ٧٢ - ٨٦ .

من أراضي الخلافة العباسية — اعجابه بعد الرحمن ومقدراته الخارقة وعزيمته التي ليس لها حد ، فاطلق عليه اسم صقر قريش ، إذ أن مما أعجب به المنصور أن رجلاً طريداً شريداً ملحاً يتمكن من تأسيس ملك واسع له في هذه البلاد البعيدة عن المنطقة التي كان يستقر فيها^(٤٨) . وقد ابقى عبد الرحمن (صقر قريش) الدعاء المخلبفة العباسى المنصور لمدة عشرة أشهر ثم قطعها^(٤٩) . وبذلك فإنه استقل تماماً عن الخلافة العباسية^{٥٠} .

ومما لا شك فيه ان انسلاخ الاندلس عن الخلافة العباسية قد فت في عضدها الا ان ظروف المنصور الداخلية لم تكن تسمح له بالعمل على اعادة سلطان العباسين الى هذه البلاد ، ولذلك فإنه حاول في البداية ان يستميل عبد الرحمن اليه عن طريق الرسل ، الا انه لم يحصل على نتيجة^(٥١) ، كما حاول ان يثير الناس حوله لاستعيدها فاخْفَق . كما حاول بطرق دبلوماسية اخرى فلم يحصل على نتيجة^(٥٢) .

وبذلك قرر المنصور استخدام القوة وخاصة وانه كان قد انتهى من منافسة أكبر منافيسه محمد بن عبد الله (النفس الزكية) . فارسل قائده العلاء بن مغيث اليحصبي في سنة ١٤٦ هـ / ٧٦٣ م الى الاندلس لاخراج الامويين منها . الا ان هذا القائد فشل أمام عبد الرحمن حين اصطدم معه بمعركة عسكرية قرب اشبيلية . وكانت هزيمة الجيش العباسى قاسية ، ولذلك فإن المنصور لم يكرر هذه المحاولة في عهده^(٥٣) .

وحين تولى حلته المهدى وكان يضم العداء لعبد الرحمن الداخل سعى الى

(٤٨) — المقرى : نفع الطيب ، جزء ١ ، ص ١٥٧ .

(٤٩) — المصدر نفسه ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٥٠) — Muir : The Caliphate , P. 463 .

(٥١) — Muir : op. Cit., p. 464 .

(٥٢) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٧٥ .

استعادة الاندلس ، ولكن قائد فشل ومني بهزيمة سابقه امام قوات عبد الرحمن^(٥٣) ، فكرست هاتان الهزيمتان الفصال الاندلس .

وهكذا ستحت الفرصة لعبد الرحمن للاستقرار وبدأ باعماله العمراوية فبني في قرطبة قصراً ومسجدًا جامعاً ، ونظر في المظالم بنفسه ، واورث ابناءه ملكاً مستقراً بعد وفاته سنة ١٧٣/٥٨٨ م ، الا ما كان من ثورة قرطبة على الحكم الاول^(٥٤) .

٤٩ - لاجل تفاصيل المعركة انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٤ .

٥٠ - المقرى : نفح الطيب : جزء ١ ، ص ١٦٩ .

الفصل السادس

العلاقات الخارجية :

١ - العلاقات مع البيزنطيين :

احتلت بلاد الشام مركزاً اهستراتيجياً هاماً في الدولة الإسلامية كان له اثره الكبير في توجيه النشاط الحربي الإسلامي ضد البيزنطيين، ففي ايام الخلافة الاموية وعندما كان مركز الخلافة قريباً من الشعور مدة ثمانين سنة ، كانت الجيوش العربية تتطلق من شمال بلاد الشام الى شرق الصغرى في غزوات مستمرة لقتال البيزنطيين في اراضيهم^(١) وام تتوقف هذه الغزوات الا في فترات الفتن والمنازعات الداخلية ، وقد انقطعت الحملات العسكرية الإسلامية الى البيزنطيين في خلافة مروان بن محمد ، واصبح موقف المسلمين دفاعياً محضاً^(٢) ماعدا بعض الصوائف، فقد شغلته احداث الخلافة الاموية والثورات التي نشببت في أيامه عن الجهاد ، ووجد البيزنطيون الفرصة سانحة للخدرج ومحاكمة اطراف الشام وفي نيتهم دفع خطر المسلمين عن آسية الصغرى^(٣) .

نem لم تثبت سنة ١٣٣ھ / ٧٥٠ م ان شهدت سقوط الخلافة الاموية وقيام الخلافة العباسية في العراق ، فزالت عظمة اقليم الشام ، وانتقل مركز الاسلام

(١) - Le Strange : Bagdad during the Abbassid Caliphate..,p.3

(٢) - عجاج نويهض : ابو جعفر المنصور ، ص ٢٨ .

(٣) - ابن شداد : الاعلام الخطير ، ورقة ٧٠ .

بعيدا نحو الشرق • ومن ثم قل تهديد المسلمين لحدود الدولة البيزنطية بصورة واضحة في العصر العباسي^(٤) • واستغل الامبراطور قسطنطين الفرصة ، فتوجه إلى منطقة الشعور وهاجم كلًا من ملطية وكمح^(٥) • الا انه كان عاجزا عن استغلال الظرف على نطاق واسع ، فتند كانت الدولة البيزنطية في شغل شاغل بحركة جدل ديني نشأت اثر نجاح البيزنطيين في الدفاع عن عاصمتهم القسطنطينية ضد المسلمين ، وبشن الامبراطور ليو الثالث منقذ القسطنطينية حملة على عبادة الايقونات • وحدث رد فعل على هذه السياسة تسبب في قيام ثورة داخلية^(٦) •

ومهما يكن من أمر فإن الفالافل التي رافق انتقال الخلافة من الامويين إلى العباسين ، وتحول مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد قد هيأ الفرصة لاباطرة البيزنطيين على الرغم من ظروف دولتهم ان يسيطروا ثemselves في اتجاه الشرق ، مما اضطر معه الخليفة ابو جعفر المنشور وخلفاؤه الى ان يبذلوا الجهد في تحصين ثغور بلاد الشام الشمالية والساحلية^(٧) ، وان ينظموا منطقة العاصم والشعوب ، ويحيوا الغروات التي سميت بالصوائف والشوادي • والتي كان يقوم بها اهالي الشام والجزيرة صيفا وشتاء مما يلي شعور الشام والجزيرة^(٨) •

فقد بدأ البيزنطيون علاقتهم مع العباسين بالهجوم على ملطية وكمح كما ذكرنا^(٩) ثم ما لبثوا ان ساروا الى قالقلا وتمكنوا من دخولها بعد فترة من الحصار ، فقتلوا رجالها وسبوا نساعها • وساروا بالغنائم الى امبراطورهم^(١٠) •

(٤) - عاشور : الملحمة الصليبية ، جزء ١ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٥) - لعلة كمح على الفرات الغربي على مسيرة يوم جنوب ادربيجان في يسار النهر . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥١ .

(٦) - العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٦٦ عن نشوء حركة الايقونات ، انظر نفس المرجع ، ص ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ .

(٧) - فيليب حتى : المراجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٨) - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٦٣ - ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، المقدمة ص ٢ .

(٩) - انظر ماسبق .

(١٠) - احمد بن زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، جزء ١ ، ص ٢٣٦ .

ورأى الخليفة أبو العباس أن يقف موقفا حازما من البيزنطيين فكتب إلى عمه وواليه على الشام عبد الله بن علي بأن يتخد موقف العزم والشدة تجاه البيزنطيين وان ينفذ بالجيوش التي معه ليثها في نواحي الشعور ، وزحف عبد الله بن علي حتى اتاه خبر وفاة أبي العباس فانصرف^(١١) .

وما أن تواى أبو جعفر المنصور الخليفة ، حتى استغل ظروف البيزنطيين السيئة إيماء استفلال ، فقد كان الطاعون قد اشتد عليهم . كما كانت الحرب الداخلية تذر قرها بينهم بسبب الخلاف على الأيقونات ، وكان الامبراطور قسطنطين من أعداء الأيقونات ، فبطش بالرهبان ، وأغاق الأديرة ، وصادر الأملك ، وحطم الصور . وبالاضافة إلى ذلك فإنه كان يواجه متابع خارجية كبيرة من البلغار الذين ظهروا عليه في منطقة البلقان^(١٢) .

وابتدأ أبو جعفر المنصور أعماله بتنظيم اموره في مناطق الجزيرة وقنسرين والعواصم ، فتسبيب ذلك بقيام حرب كبيرة بينه وبين البيزنطيين ، انتصرت فيها قوات المنصور ، وأجرت الامبراطور قسطنطين على عقد معايدة صلح لمدة سبع سنوات^(١٣) استعملها المنصور لفداء أسرى قاليلا وغيرها^(١٤) . كما انه قام بتعمير المدن الغربية ورد أهلها إليها ، ورمم الحصون المتهمة ، وزار بنفسه جميع تلك المواقع^(١٥) .

وببدأ المنصور بإعادة بناء حصن ملطية وتحصينه في سنة ١٣٩ هـ / ٧٥٦ - ٧٥٧ م^(١٦) . الا ان البيزنطيين مالبتوأ ان عادوا اليه وخربوه ، فرد عليهم المنصور

(١١) - اليقاوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٩٩ .

(١٢) - عجاج نويهض : أبو جعفر المنصور ، ص ٢٨ .

(١٣) - سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٨٨ .

(١٤) - ذياني دحلان : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٣٧ .

(١٥) - سيد أمير علي : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(١٦) - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٨ - ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١١٤ بينما يذكر ابن العبري : في تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٩ ان ذلك جرى في سنة ١٤٠ هـ .

بصائفة عمه صالح بن علي . وتوغلت الصائفة في الاراضي البيزنطية من طريق درب الحدث^(١٧) . بينما دخل جعفر بن حنظلة البهرياني من درب ملطيه^(١٨) .

ثم ارسل المنصور الحسن بن قحطبة على رأس جيش كبير الى الشغور . وكلفه ببناء حصن ملطيه . فاستنفر البناء من كل بلد ، وجد الناس في العمل حتى فرغوا منه في ستة اشهر وكان لسياسة الحسن مع البناء أكبر الاثر في نشاطهم في العمل ، وسرعة انجازه . اذ كان يحسن اليهم ويطعمهم . وكان يشارکهم العمل بنفسه . ولما انتهى بناؤها اسكن المنصور فيها اربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم . وزاد اعطيات كل منهم عشرة دنانير ومعونة مائة دينار . واقطعهم المزارع ، وشحن المدينة بالسلاح^(١٩) . بلغ مجموع الحشود في ملطيه وحدها في عهده عشرة آلاف مقاتل^(٢٠) . وحاوز الامبراطور قسطنطين أن يغزوها بعد ذلك الا انه حين بلغه كثرة من بها ، تراجع عن ذلك^(٢١) .

وكذلك أمر المنصور بتعهير مدينة المصيصة في سنة ١٣٩ هـ / ٧٥٦ م واعادة بناء سورها الذي هدمته الزلزال . واضاف بأن حفر خندقا حولها ، فاطمأن أهلها وعادوا إلى سكناها في السنة التالية . ويقال ان المنصور زاد عدد مقاتليها ، وأعطيتهم الاقطاعات وشحنها بالسلاح . وكانت المصيصة قبل ذلك حصنًا صغيراً بناء عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وكان البيزنطيون يهاجمونه كلما ستحت لهم الفرصة ، فيستبيحوه قتلا ونبيا^(٢٢) . واضاف المنصور بأن اتم بناء مدينة

(١٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٩٧ - العيون والحدائق ، ص ٢٤٤ - ٢٥٢
أبو الفداء المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٥ - ٢٣٧

(١٨) - ذيبي دحلان : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٣٧ - عجاج نويهض : المرجع السابق ، ص ٢٩

(١٩) - ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ١١٤ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٨ .

(٢٠) - حسن محمود : العالم الاسلامي ، ص ١٥٦ .

(٢١) - ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ١٤٤ - البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٢٢) - اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٢٠ - ١٢١ - البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

الرافقة ، وكان البدء في بنائها في عهد أبي العباس ، فبنها على هيئة بغداد في ابوابها وفصولها ورحاها وشوارعها^(٢٣) .

وهكذا فإنه يبدو واضحا للعيان ان المنصور اهتم اهتماما بالغا في تحصين الشغور ، وبث الثقة في اهاليها ، كما جعل من منطقة الجزيرة كيانا اداريا مستقلا ، ووضع اساس النظام الشغري الذي وصل الى حد الكمال ايام الخليفة المعتصم . فكان يقسم المرابطين الى جماعات صغيرة ، كل منها يتالف من عشرة الى خمسة عشر مقاملا ، ويبني لهم حصنا على بعد ثلاثين ميلا من دار اقامتهم ، بالإضافة الى زيادة العطاء^(٢٤) .

وفوق كل هذا فقد حدد اسلوب القتال وتقاليده ، فحافظ عليها الخلفاء الذين تعاقبوا . فأعاد تنظيم الصوائف والشواتي ، فكانت الصائفة تبدأ من عشرة يولييو تموز وتستمر ما يقارب الستين يوما . واما الشواتي فلا يتوجل الغزاة فيها ولا ببعض عن مكان انطلاقهم ولا تتجاوز فترة المسيرعشرين يوما ، يحصل فيها الرجل على فرسه ما يكفيه ويكتفيها ، وتبدأ في آخر فبراير / شباط يستغل الغزاة في ذلك قلة عدد العدو ، واما الربيعية فتبدأ من عشرة ماييو / مايس بعد ان يكون الناس قد اربعوا دوابهم ، وحسنات احوال خيولهم . فيقيمون ثلاثة يومنا وهي بقية ماييو / مايس وعشرة من يونيو / حزيران فيجدون الكلأ في الأرضي البيزنطي^(٢٥) .

وتبع الم Heidi الطريق نفسه الذي سلكه مالده ، حيث أخذ في بناء الحصون وشحنها بالسلاح ، وحشد الجيوش ومواجهة الاعداء^(٢٦) . وفي فترة خلافته هاجم الامبراطور البيزنطي ليو الرابع وبرفقة ثمانون الفا من جنوده مدينة

(٢٣) - اليعقوبي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٠٦ - القيون والمدائق ، ص ١٦٥ .

(٢٤) - حسن محمود : العالم الاسلامي ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢٥) - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٧ نقلا عن قدامة بن جعفر .

(٢٦) - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٨ نقلا عن البلاذري .

مرعش في سنة ١٦٣ هـ / ٧٧٩ - ٧٨٠ م فأشعل فيها النار وفتاك بأهلها ، وعاش في المدن المجاورة لحدوده وخربها ^(٢٧) . فتصدى له المهدى ووقف في وجه هذه الحملات البيزنطية على الشعور ^(٢٨) . فجهز جيشا ضخما قادرا مؤلفا من متطوعين من خراسان والموصل والشام واليمن والعراق والجهاز ، جعل على قيادته الحسن ابن قحطبة ، فلقيهم درسا قاسيا ، واضطربوا الى التقهقر عن الواقع التي سبق ان احتلوها . وثقلت وطأته على اهلها حتى صوروه في كنائسهم ^(٢٩) . وكان للحسن ابن قحطبة فضل في اعادة بناء طرسوس وتحصينها وشحنها بالمقاتلة ^(٣٠) . واضاف بأن امر بالبدء ببناء شعر الحدث . وَمَا لاشك فيه ان تحصين طرسوس وبناء شعر الحدث كان له اثر كبير في قوة الشعور أمام البيزنطيين ^(٣١) .

ولم يكتفى الخليفة المهدى بما احرزه الحسن بن قحطبة من نصر ، بل قرر ان يقود المعركة بنفسه ، وان يصطحب معه ابنه هارون ، فتوجه في سنة ١٦٣ هـ / ٧٧٩ - ٧٨٠ م الى الشعور حتى وصل الى نهر جيجان ^(٣٢) حيث ترك ابنه يقوم بالمهمة التي اوكلها اليه ، وذهب هو الى بيت المقدس ^(٣٣) ، ورافق هارون خالد بن برمك وجماعة من القواد المشهورين من امثال عيسى بن موسى ، وعبد الملك بن صالح ، وحسن بن قحطبة ^(٣٤) . فحاصر سمالو بالمجانق لمدة ثمانية وثلاثين يوما . ولما اشتبد الحصار عليها ، وافق اهاليها على التسلیم بشرط منحهم الامان على الا يقاتلوا ولا يرحلوا ولا يفرق بينهم . فأعطاهم الامان ووافق على شروطهم ^(٣٥) .

(٢٧) - سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٠٠ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٩ الا ان البلاذري يذكر ان الذي قام بالهجوم الامبراطور ميخائيل ، وهذا خطأ لأن الامبراطور ليو الرابع ، وقسطنطين السادس هما اللذان عاصرا المهدى .

(٢٨) - للبلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٩ - ١٩٠ - عاشور : العركة الصليبية ، جزء ١ ، ص ٥٣ .

(٢٩) - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٨

(٣٠) - البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٦٩

(٣١) - اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٢٩

(٣٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٤٦ .. الجھشیاری : الوزراء والكتاب ، ص ١٥٠

(٣٣) - ألبیون والحدائق : ص ٢٧٨ - ابن العمید : المصدر السابق ، ص ١٠٥

(٣٤) - سيد امير علي : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ..

(٣٥) - للطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ - اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٢١ - ١٢٥

وقد اجرى المهدى في هذه الحملة بعض التنظيمات في الشعور فرمى مدينة المصيصة وزاد في سلاحها وجندوها^(٣٦) . كما أنه عزل عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالى . ويبدو أن هنا لثاببا قوية دعته للقيام بهذا العمل تتجاوز الأسباب التي قيلت في ذلك ، وهي أن عبد الصمد لم يتلق الخليفة في مسیره المذكور ، ولم يهیء له الانزال^(٣٧) .

وفي سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٧ م أصبح الرشيد خليفة فسار سيرة المنصور والمهدى من قبل ، واهتم باستكمال تحصينات منطقة الشعور ، فعمر مدينة طرسوس ثم نهض في سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٧ م ببناء مدينة عين زربه وتحصينها . وزاد في إعداد المرابطين فيها ، واعطاهم المنازل والاقطاعات^(٣٨) . وفي سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م بني مدينة الهارونية وشحنتها بالمقاتلين . كما أمر ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها ، وزاد عدد الحماة فيها ، وزاد اعطاياهم^(٣٩) . وكذلك فقد أتم بناء كفريا وحصنها بخندق ، وجعل لها سوراً مزدوجاً^(٤٠) .

يضاف إلى هذا كله أن الجيش العباسي تكامل قدرة ونظاماً وتدريباً وكفاية في عهد هارون الرشيد . يؤكّد ذلك تجنيده للإعداد الكبيرة في منطقة العواصم وتسخيره لعدد من الفرق في حملاته المتكررة المظفرة ، مما يؤكّد كفاية التدريب وحسن التسلیح . فقد كان الجيش العباسي في عهد هارون الرشيد من أكفاء الجيوش التي عرفها العالم في ذلك الوقت . فقد بلغ تعداد الجنود الذين اشتراكوا معه في حملته على البوسفور خمسة وتسعين ألفاً وسبعين ألفاً وثلاثة وتسعين جندياً ، كما اشترك معه في حملة هرقلة مائة وخمسة وثلاثون ألفاً من المرتزقة سوى الاتباع

(٣٦) - البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٣٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٣٨) - البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٧١ - ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ١١٣ .

- ابن الشحنة : تاريخ مملكة حلب ، ص ١٨٥ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٣٩) - البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٧١ - ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٤٠) - البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

والمطوعة ومن لا عطاء له . كما قاد داود بن حبيسي في بعض الحملات سبعين ألفاً^(٤١) . وقد شراحيل بن محن بن زائدة وكذلك يزيد بن مخلد مثل هذا العدد^(٤٢) .

وقد قام الرشيد بالحملة الأولى رداً على غارات البيزنطيين المتكررة على الحدود ، والتي حرمت البلاد من الهدوء والطمأنينة ، فقد احتاج جيشه الشهور ، واطلقوا عليهم سلباً ونهاً . فأسرع الرشيد إلى صد زحفهم رانزل بهم خمسائر فادحة^(٤٣) ، وخرج برفقة الرشيد ذلك الجيش الجديد الذي اهتم بتائيه وتقويته مع من سبقوه من خلفاء بني العباس . وقد أقتت الخلافة العباسية بكل ثقلها في هذه الحرب ، وجندت له عدداً كبيراً من الجنود ، كما دعمته بمال الكافي . وتوغل هارون الرشيد في آسيا الصغرى فافتتح حصن ماجد^(٤٤) . وأصبح الطريق مفتوحاً أمام المسلمين بعد هزيمة قائد البيزنطيين ، فتوجهوا إلى نوميديا^(٤٥) بقيادة يزيد بن مزيد^(٤٦) . وواصل الرشيد سيره حتى اشرف على البوسفور^(٤٧) .

كانت حملة هارون الرشيد هذه خاتمة الحملات العربية على البوسفور ، وكانت بعد أربع حملات قبلها جرت في عهد الأمراء^(٤٨) . وعلى الرغم من استمرار الغزوات بعد ذلك عبر آسيا الصغرى ، إلا أنها لم تصل إلى البوسفور حتى أن هارون الرشيد نفسه في حملاته بعدها لم يتعد هرقلة^(٤٩) .

وتذكر المصادر والمراجع العربية التي تحدد تاريخ حملة هارون الرشيد على البوسفور ، والتي عقد البيزنطيون على إثرها معاهدة الصلح مع هارون الرشيد

(٤١) - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٨ ، ج ٢ .

(٤٢) - سيد أمير علي : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٤٣) - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٤٤) - ندوة : بين انقرة والقسطنطينية : تبعد عن انقرة ثلاثة مراحل وعن القسطنطينية أربع مراحل . الفار المقصري : الحسن التقليدي ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

(٤٥) - الطبرى : انتصار السابق ، ج ٨ ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

(٤٦) - ابن الهيثم : المراجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٤٧) - انظر فيما سبق .

(٤٨) - CANARD : Sayf Al Dawla — المراجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

على انها جرت في جمادى الاولى من سنة ١٦٥ هـ / ٧٨١ م^(٤٩) • ومن المؤكد ان هذا التاريخ الذي حدد لهذه الحملة ليس صحيحاً لأسباب عديدة :

— ان الهدنة بين هارون الرشيد وايرين استمرت اثنين وثلاثين شهراً ، ثم نقضها نقوور بعد ان تولى العرش^(٥٠) • ولما كان نقوور قد تولى العرش في سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م^(٥١) ، فان ذلك يرجح ان حملة هارون الرشيد على البوسفور قد قامت بين سنتي ١٨٣ - ٧٩٨ هـ / ١٨٣ - ٧٩٨ م

— ان هارون الرشيد تولى الخلافة في سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م واغفل المؤرخون دور المهدي في هذه الحملة ، مما يؤكّد انها جرت في خلافة الرشيد وليس في عهد المهدي • اذ لو كانت الحملة قد جرت في سنة ١٦٥ هـ / ٧٨١ م أي في عهد المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ ٧٧٥ - ٧٨٥ م) لاشادة المصادر باسمه مع اسم ابنه قائد الحملة .

— ان ايرين تولت العرش البيزنطي في سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ م بعد خلافة الرشيد بامضي عشرة سنة وكانت قبل ذلك وصية على ابنها ، الا ان ما يذكره الطبرى من ان الهدنة بين الطرفين استمرت اثنين وثلاثين شهراً ثم نقضها نقوور تؤكّد ان الحملة جرت بعد تولي ايرين عرش الامبراطورية ، وليس في عهد وصيتها •

ومهما يكن من امر ، فان هارون الرشيد اظهر في هذه الحملة كثيراً من المهارة والحنكة العسكرية • وكان من اثر ذلك النصر ، ان الامبراطورة ايرين اضطرت الى طلب الصلح ، وعقدت هدنة بين الطرفين لمدة ثلاثة سنوات ، تمهّلت

(٤٩) — منها : العيون والحدائق ، ص ٤٠١ - حسن محمود : العالم الاسلامي ، ص ١٥٨ .

(٥٠) — الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٦٧ .

(٥١) — انظر الصدوى : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ جدول الاباطرة البيزنطيون وأعدائهم المسلمين ملحق ٦ .

الامبراطورة بمحبها ان تدفع جزية سنوية قدرها تسعمون ألف قطعة تؤديها على قسطنطين (٥٢) ، وان تمد الجيش العبيسي بالادلاء وتيسر لهم المؤن في الطريق (٥٣) .

ومما لا شك فيه انه كان لشجاعة الرشيد وقادمه الفضل الاكبر في هذا النصر ، الى جانب ظروف اخرى ساعدته على التحقيق ، وتعود الى سوء الظروف الداخلية في الامبراطورية البيزنطية في ذلك الحين ، فقد كانت الامبراطورة ايرين في وضع سيء ، اذ كانت تلقى معارضة داخلية قوية من اخوة زوجها ، وانصار قسطنطين الخامس والجيش وكبار الموظفين بالدولة ، الذين كانوا من اعداء عبادة الايقونات ، يضاف الى هذا ان الكنيسة نفسها كانت تحت حكم البطريرك بولس ، وكان ضد عبادة الايقونات ، وفوق كل ذلك فقد كان عليهما ان تواجه الثورات في صقلية وبلاط اليونان (٥٤) .

وقام هارون الرشيد بحملته الثانية كرد رادع لامبراطور البيزنطيين الجديد نقول ، فقد تولى العرش اثر ثورة داخلية قامت في بيزنطة قبض فيها على ايرين (٥٥) ، وكان يظن ان لديه من القوة ما يكفيه للوقوف في وجه المسلمين بقيادة هارون الرشيد ، فبدأ بنقض الهدنة ولم يكن قد مضى على عقدها اثنان وثلاثون شهرا ، والقى بجموعه على عين زربة والكنيسة السوداء ، حيث قاموا بما يشبه الاغارة الحربية ، واسروا كل من تمكنا من اسره وعادوا (٥٦) .

(٥٢) - حسن محمود : المراجع السابق ، ص ١٥٩ او يشكك بين ٩-١٠ ، الف قطعة او سبعين الفا ويدرك صاحب العيون والحدائق ، ص ٢٧٨ ان الجزية كانت ألف الف دينار . أما ذيني دحلان المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٤٤ فيذكر ان مقدار المقدمة سبعون الف دينار كل سنة .

(٥٣) - سيد عزمي : المراجع السابق ، ص ٤١ - حسن محمود : المراجع السابق ، ص ١٥٩ - نورمان بيتر : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٦٢ — CANARD : Op. Cit., p 102 —

(٥٤) - عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، طبعة دار المعرف ، ١٩٦٧ ، ص ٩٦-٩٥ .

(٥٥) - عمر كمال توفيق : المراجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٥٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٦٧ .

- ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٢ ظهر و ٧٣ وجه .

وتمادي تغور في غيه ، وظن ان بامكانه ان يتوقف عن دفع الجزية او بالاحرى اكثر من ذلك . فقد اراد ان يستعيد مادفعته ايرين من الجزية ، فكتب في سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م (٥٧) الى الخليفة هارون الرشيد كتابه المشهور ، الذي يظهر فيه ضعف الامبراطورة التي كانت قبله ، ويطلب من الرشيد اعادة الاموال التي اخذها من ايرين ، ويهده بالحرب ان لم يفعل . وتبدو في لهجة كتابه اعتداده بقوته وشجاعته ولا عجب فقد كان جواب الرشيد اشد ايجازا وفيه دلالة قوية على استعداده للقتال وثقة بالنصر وتحقيقه لعدوه (٥٨) .

ونهض الرشيد لتنفيذ ما صمم عليه من اعطاء العدو درسا لايساه ، فجمع جيوشه باعدادها الكبيرة بريه وبحرية في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م وسار هو على رأس قواته البرية ، فحاصر هرقلة ثلاثين يوما حتى فتحها وسبى أهلها (٥٩) . ثم وزع جيشه الى اقسام متعددة ، توجه كل قسم الى جهة محددة في الاراضي البيزنطية . وقام قواد هذه الاقسام بفتح حصون عديدة منها : حصن الصنصالاف (٦٠) وملقونية وحصن الصقالبة ودبسة . عند ذلك وجد تغور نفسه عاجزا عن الوقوف في وجه جيوش المسلمين . فوافق على دفع جزية سنوية قدرت بثلاثمائة ألف دينار مقابل وقف القتال . واضاف بدفع جزية عن نفسه وولده وبطارقته قدرها خمسون ألف دينار ، واشترط على الرشيد الا يخرب ذا الكلاع ولا صملة ولا حصن سنان . كما اشترط الرشيد عليه ان لا يعيمر هرقلة (٦١) . اما الحملة

(٥٧) - العيون والحدائق : «المصدر السابق» ، ص ٣٠٩ .

(٥٨) - الطبرى : «المصدر السابق» ، جزء ٨ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٥٩) - الطبرى : «المصدر السابق» ، جزء ٨ ، ص ٢٢٠ - ابو المداء : «تاریخه» ، جزء ٢ ، ص ١٩ .

- ابن الوردي : «تاریخه» ، جزء ١ ، ص ٣٠٩ .

(٦٠) - يقع حصن الصنصالاف في طريق القسطنطينية قرب لؤلؤة ، انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧١ .

(٦١) - الطبرى : «المصدر السابق» ، جزء ٨ ، ص ٣٢٠ - ابن الوردي : «تاریخه» ، جزء ١ ، ص ٣٩ . بينما يذكر الجھسیاري الوزراء والكتاب ، ص ٤٠٧ ان المصلح عقد على ان يدفع الامبراطور جزية كبيرة عن كل حاكم من عنده دينارا عددا امبراطور وابنه .

البحرية التي رافقت هذه الحملة فقد قادها حميد بن معروف وبلغت حتى قبرص (٦٢) .

الا ان تقوّر مالبث ان نقض العهد ، وحان الميثاق ، مطمئنا الى ان الرشيد لن يعود اليه بسبب البرد ، فخاب ظنه حين وجده قد دخل الاراضي البيزنطية وهو اصلب واشد من المرة السابقة ، ولم يتركها حتى بلغ ما أراد ، ورضخ تقوّر لطلابه (٦٣) .

ويمكّنا القول ان الصوائف في عهد هارون الرشيد كانت مستمرة تقريبا ، ولم يكن يمنع قيامها وجود هدنة بين الفريقيين ، بالإضافة الى ان هذه الصوائف لشدها كانت اشبه بحملات عسكرية ، ففي سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ م غزا الرشيد بنفسه أرض البيزنطيين ، ففتح حصن الصفاصاف عنده ، ودخل البيزنطيين وغنّم غنائم طائلة ، وعاد سالما (٦٤) . وكذلك قاد ابراهيم بن جبريل صائفة كبيرة ودخل ارض البيزنطيين من درب الصفاصاف ، وخرج تقوّر بنفسه للقتال ، الا انه مالبث ان ارتد بسبب مشاكل داخلية عرضت له ، فسُنحت الفرصة بذلك لا ابراهيم وجذوه بالتقدم ، فحقق اهدافه وعاد (٦٥) .

ويبدو ان الهدنة بين الخليفة هارون الرشيد وتقوّر لم تطبق بحذافيرها ، اذ ان الغزوات لم تقطع في اثنائها ، ففي سنة ١٩١ هـ / ٨٠٧ - ٨٠٦ م غزا يزيد بن مخلد الهييري أرض البيزنطيين في عشرة آلاف ، فأغلق هؤلاء المضيق عليه ، وقتلوا على بعد مراحلتين من طرسوس مع خمسين من المسلمين (٦٦) .

(٦٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٠ - عاشور : قبرص والجروب الصليبية ، ص ١٤ بينما ترد في العيون والحدائق ، ص ٣١٢ حميد بن معتوق .

(٦٣) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ - ابن العبرى : للصدر السابق ، ص ٢٢٤ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٦٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٦٨ - ابو النداء : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٦ .

(٦٥) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣١٣ - ابن شداد : المصدر السابق ، اورقة ٢٧اظهر .

(٦٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٢٤ - ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٣ ظهر و ٧٤ وجه .

ولكثرة العروب التي كانت تحدث بين المسلمين والبيزنطيين ، فإن اعداد الاسرى كانت كبيرة ، وكان لابد من افتدائهم ، ويقال ان اول فداء استخدم فيه المال لاسترجاع الاسرى كان في خلافة العباسين ،اما في عهد الامويين فلم يحدث فداء مشهور ، وانما كان يفدى النفر بعد النفر في سواحل الشام ومصر وفي الشعور ، الى ان كانت خلافة الرشيد حيث جرى الفداء الاول في سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٤ - ٨٠٥ م على نهر اللامس ^(٦٧) ، ولم يترك الرشيد في ايدي البيزنطيين مسلما الا افتداء ، وبلغ عدد من فودي به في مدة اثنى عشر يوما ثلاثة آلاف وسبعمائة اسير ^(٦٨) وفي سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٧ - ٨٠٨ م كان الفداء الثاني بين المسلمين والبيزنطيين على يدي ثابت بن نصر بن مالك ^(٦٩) .

وهناك أمر آخر ظهر بوضوح في عهد هارون الرشيد وهو وضوح الاصطدامات البحرية مع البيزنطيين ، وقيام السفن البحرية بحملات عسكرية لشن ازر الحملات البرية ، ولا يعني هذا ان الحملات البحرية كانت قد توقفت نهايا قبل عهد الرشيد ، بل جرت حملات عديدة ، منها حملة جرت في سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٣ - ٧٧٤ م قادها القائد ثامة بن وقاص الذي قام بحملة بحرية وبحرية على شواطئ اقليم آيسورة بآسية الصفرى للاغارة على بعض المدن الساحلية ، فأرسل الامبراطور قسطنطين اوامره الى الجيش والاسطول المقيم في آسية الصفرى ^(٧٠) بالتوجه الى اقليم آيسورة للاغارة على بعض المدن الساحلية ، وقطع خط الرجعة على ثامة ، واستطاعت السفن البيزنطية احتلال المياه الاقليمية لشاطئ آيسورة عنده مدينة سيسى ، وقطعت الاتصال بين ثامة وبين سفن الشام التي ابحرت منه ، على حين

(٦٧) - المسعودي : التنبیه والاشراف ، ص ١٨٩ - وابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٧ ظهر فيذكر ان هذا هو الفداء الثاني في عهد العباسين .

(٦٨) - المقرن : المخطوط ، جزء ٣ ، ص ٣١٠ .

(٦٩) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٤٨ .

(٧٠) - كان الاسطول البيزنطى ينتسب الى قسمين الاول الاسطول الامبراطوري ومقروه هياكل القسطنطينية ، ويعهد اليه بالدفاع عن العاصمة ، والثانى اسطول الاقاليم ويضم اسطول غرب آسية الصفرى ، واسطول جزء بحر ايجية ، وهذه الاساطيل الاخيرة هي التي وقفت بالمرصاد لنشاط السفن الاسلامية ، وانتسبت لها موانا . انظر الفدرى : الامبراطورية البيزنطية ، حاشية ١ ، ص ٨٦ .

الى الجيش البيزنطي الحصار على قوات ثمامة البرية . و اذا كان ثمامة استطاع ان يفلت من حلقة الحصار البري والبحري التي فرضت حوله ، فان الجدير باللاحظة هو ظهور نشاط الاساطيل الاسلامية والبيزنطية لشد ازر الحركات البرية ^(٧١) .

و كانت خطط الفريقين البحرية الاسلامي والبيزنطي تقتضي مراقبة سواحلهما ، ومن ثم مهاجمة الاهداف بصورة مفاجئة ، ففي سنة ١٧٣ هـ / ٧٨٩ - ٧٩٠ م اسر الاسطول البيزنطي المراقب للسواحل الاسلامية بضم سفن اسلامية وهي في طريقها من مصر الى الشام . وما يذكر انه في تلك السنة نفسها أغارت اسطول اسلامي شامي على قبرص ^(٧٢) ، وتمكن من ازال قواته في الجزيرة ، وقد تكون هذه الغارة ردًا على مافعله البيزنطيون من اسر بعض السفن الحربية الاسلامية ، وربما كان الاسطول البيزنطي الذي اسر السفن المصرية السالفة الذكر يراقب حملة اسلامية بحرية كان مزمعاً قيامها على قبرص ، وأراد ان لا يدع فرصة للسفن المصرية لمؤازرة السفن الشامية ^(٧٣) .

ولما علمت ايرين بانباء الحملة الاسلامية ارسلت قسمًا من الاسطول البيزنطي ، فوصل سريعاً الى مياه قبرص . غير ان امير البحر البيزنطي تعجل مهاجمة السفن الاسلامية ، فلقي هزيمة منكرة ، ووقع اسيراً في قبضة المسلمين . وعاد المسلمون

(٧١) - العدو : انرجع السابق ، ص ٨٦ او يذكر ارشيبالد : القوى البحرية والتجارية في خوض المتوسط ، ص ١٦٠ انه في سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م اغار الاسطول الشامي على قبرص و اسر حاكمة البيزنطي ، و انهم قاموا بهذه الغارة عندما شافت قوات القسطنطينية البحرية بالقرب من البلفار ، ولم تقم سفن البحرية الشامية بأعمال اخرى حتى سنة ١٧٣ هـ / ٧٩٠ م . ويفسّف عاشور : قبرص والعرب الصليبية ص ١٣ قوله : يبدو ان تلك لاحملة قد صدر بها صرف امبراطوريين عن قليلة حيث كان ثمامة بن وقاص يعمل منذ ثلاث سنوات على فتح ذلك المركب الهام من الدولة البيزنطية . عسى ان يؤدي ذلك الى تخفيض شيء من الضغط الواقع على ثمامة لعله يتحقق مهمته بنجاح .

(٧٢) - كان البيزنطيون قد احتلوها في عهد ابي العباس ، انظر عاشور : المرجع السابق جزء ١ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٧٣) - العدو : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٧ .

من غاراتهم ومعهم أمير البحر البيزنطي الذي أمر هارون بقتله لرفضه التعاون مع المسلمين^(٧٤) .

ويبدو انه بالإضافة الى هذه المعركة التي جرت في مياه قبرص ، فاز معركة بحرية اخرى دارت بالساحل الجنوبي لآسية الصغرى عند خليج اضاليا بالشمال الشرقي من الجزيرة . وعندما علمت الامبراطورة ايرين بنبأ تلك الغارة ، ارسلت اسطولاً لاحاطة غرض المسلمين^(٧٥) ،

وعلى الرغم من النصر الذي احرزه المسلمون في قبرص ، فإنه يبدو ان خسائرهم كانت كبيرة جداً . لأننا لم نعد نسمع لمدة ستة عشر عاماً بعدها عن حركات هجومية لاسطول الحدود الشامية الطرسوية . الا ان الاسطول الشامي مالبث ان عاد الى الهجوم بعد فترة التوقف هذه . وقد حميد بن معيوف والي السواحل الشامية في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ - ٨٠٦ م حملة لغزو قبرص^(٧٦) في اللحظة التي عبرت فيها حملات الرشيد البرية الاناضول الى هرقلة ، فأعمل التحريض والتدمير فيها . وعاد بأسرى يبلغون ستة عشر ألفاً ، عدا الغنائم الوفيرة التي غنمها . وفي العام التالي اغارت بعض السفن الاسلامية على رودوس ، وعادت محملة بالغنائم ، حينذاك قبل تقدور دفع الجزية للرشيد^(٧٧) .

على ان غارات المسلمين البحرية قد توقفت مثل غاراتهم البرية على الحدود بين دولتهم والبيزنطيين ابان اشغال الرشيد في اواخر أيامه بالفتن والقلاقل ، وكذلك طوال فترة الخلاف التي نشببت بين الامين والمأمون^(٧٨) .

ثم ان البيزنطيين ارادوا استغلال اشغال المؤمنون بالقضاء على ثورة بابك الخرمي ، وظنوا ان بامكانهم تحقيق ما عجزوا عن تحقيقه ايام خلفاء العباسيين

(٧٤) - اشبيلالد : المرجع السابق ، ص ١٦٠ - ١٦١ عاشور : المرجع السابق ، ص ١٣

(٧٥) - عاشور : المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٧٦) - انظر فيما سبق .

(٧٧) - اشبيلالد : المرجع السابق ، ص ١٦٥

الذين سبقوه . فقام امبراطورهم تيوفيل عام ٢١٥ - ٨٤٢ م / ٢٢٨ - ٨٢٩ م بعض الهجمات المضادة ، ولكنه فوجيء بالخليفة المؤمن يقابلها ويرد له الصاع صاعين . وجرت بين الطرفين حروب متقطعة استمرت حتى وفاة المؤمن . وقد بدأ الخليفة المؤمن بالتلغلل تدريجيا في الاراضي البيزنطية حتى وصلت جيوشه هرقلة سنة ٢١٦ / ٨٣١ م في الوقت الذي اغارت الاساطيل العباسية على الجزر القريبة من الشاطئ الغربي لآسية الصغرى . ويبدو ان حماسة الخليفة المؤمن لقتال البيزنطيين دفعته الى ان يتولى بنفسه قيادة ثلات حملات في آسية الصغرى ^(٧٨) .

وقد ساعد المؤمن في حروبه التي كللت جميعها بالنصر قوة الجيوش الاسلامية في عهده ، وصمود الشعور بفضل التنظيمات والترتيبات التي قام بها اسلافه ، وحافظ عليها المؤمن ، ودعمها بكل ما يستطيع . ولما كان المؤمن خليفة محاربا شجاعا ، فإنه فكر جديا في القضاء على الامبراطورية البيزنطية ، ونظم اموره في حملته الثالثة تنظيما دقيقا ليقوم بهذه المهمة ، الا ان المية عاجله فمات قبل ان يتحقق حلمه . واهم ما تميزت به حروب المؤمن مع البيزنطيين ، اتخاذه موقف الهجوم وتغلله في الاراضي البيزنطية . ولم يكن امام اعدائه الا الوقوف موقف الدفاع ، مع القيام بين الحين والآخر ببعض الغارات الاتقامية السريعة التي لم تتعد منطقة الحدود .

ونهض المؤمن للقيام بحملته الاولى في اول صفر سنة ٢١٥ / ٣٠ مارس ٨٣٠ م ^(٧٩) وسار متوجها الى طرسوس حيث غادرها في منتصف جمادى الاولى من السنة نفسها / منتصف يوليو . وكان يرافقه ابنه العباس ، وبصحبتهما اللاجيء الرومي منويل ، ومعه من القواد اثنان وعشرون خياط . واصدر المؤمن اوامرہ لابنه العباس وبرفقته منويل ازرومی ان يكون مجال عملياته اقليم ملطية الحدث . بينما عبر المؤمن من درب قيليقية ودخل الاراضي البيزنطية . وخلال المعارك التي

(٧٨) - عاشور : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٤٤

(٧٩) - انظر تفاصيل المعركة في المقريري : المقفي ، ورقه ١٢٣ وجه وظهر - فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٢ - ٩٤ .

قام بها العباس تمكّن من فتح بعض الحصون^(٨٠) فاستخلف عليها منويل ، الا ان هذا مالبث ان غدر به وطرد المسلمين من الحصون ، بعد ان استولى على السلاح .
وصاحب الامبراطور البيزنطي^(٨١)

وكان مسرح عمليات الجيش الذي قاده المأمون بنفسه في قبادوقية ، وبشكل خاص في المنطقة المتاخمة لقليقية ، فيما يسميه المسلمون باقليم المطامير . واتخذت المنطقة هذا الاسم نكثرة الكهوف الارضية التي كانت ملجاً لاهالي الاقليم^(٨٢) . وعجزت الحصون البيزنطية عن مقاومة جيوش الخليفة فاستسلمت اليه . واول ما استسلم حصن ماجدة ، ويقع في اقليم المطامير . فيما ان استولى عليه المأمون حتى حاصر حصنا آخر من حصون قبادوقية وهو حصن قره^(٨٣) . وعلى الرغم من ان هذا الحصن قاوم كثيراً ، الا انه ما لبث ان سقط في يد المأمون في يوم الاحد ٢٦ جمادى الاولى من السنة نفسها ٢١ يوليو ، فخر به المأمون بعد ان امن أهاليه على حياتهم . وسقط كذلك حصن سندس بيد قائد المأمون ايناس وحصن سنان^(٨٤) بيد عجيف وجعفر الخياط^(٨٥) .

ويبدو ان المأمون اضطر الى العودة الى بغداد ليقضي على ثورة بابك الخرمي . ولما كان تيوفيل حريصاً على الاتقام لهزيمته التي اصابته ستة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م فاته اغتنم فرصة ابعاد المأمون عن الحدود البيزنطية ، واثسعه بقتال بابك

(٨٠) - فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٢ - ٩٤ .

(٨١) - ابن طيفور : كتاب بغداد ، جزء ٦ ، ص ٢٦٣ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٨٢) - كان يوجد في كل بيت طابق سفلي محفور في الصخور ، وهذه الغرف الارضية متصلة فوق ذلك بدهرات طويلة يمر بها الانسان من بيت الى بيت ، انظر فازيليف : المرجع السابق ص ٩٤ .
(٨٣) - وهي تابعة لقونية ولا تبعد كثيراً عن شقيقها ، انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة
، ١٧٧٣ ، جزء ٢ ، ص ١٨١ .

(٨٤) - سندس سنان في بلاد الروم فتحه عبد الله بن عبد الملك بن مروان . انظر ياقوت الحموي في
عبدالبلدان ، جزء ٣ ، ص ٢٨٥ .

(٨٥) - ثيوفيل : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٢٣ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ .

الخرمي^(٨٦) ، فسار فجأة مجتازاً جبال طروس وقتل ما يقارب الالفين من سكان طروس والمبصعة ، وعاد بعد هدا النصر الى عاصمته^(٨٧) . ويقال ان فرقاً اخرى من جيش تيوفيل سارت في الوقت نفسه نحو الشمال الشرقي من قبادوقية وأوقعت بالمسلمين هزيمة شديدة قرب حصن خرشنة واسر بعضهم^(٨٨) .

احتفل تيوفيل بغارته الموفقة على طروس والمصيصة احتفالاً رائعاً . الا انه مالبث ان عانى من الحرب الثانية التي قادها الخليفة المؤمن رداً على غارته على الشعور الاسلامية ، وما قام به من تقديم معونات الى التأثير بابك الخرمي . وانصرف المؤمن عن قتال الاخير ليوجه جهوده كلها لقتال البيزنطيين^(٨٩) . ودامت غارته هذه من (١٥ جمادى الاولى الى ١٧ شعبان سنة ٢١٦ هـ / أول تموز حتى آخر ايلون من سنة ٨٣١ م) وساعد المؤمن في هذه الحرب اشغال البيزنطيين بالقتال في صقلية^(٩٠) . فاجتاز الحدود حتى وصل الى اذنه . وادرك تيوفيل انه لن يستطيع الوقوف في وجه المؤمن ، فأرسل اليه سفيراً عرض عليه باسم الامبراطور اطلاق سراح خمسينائة أسير . الا ان المؤمن رفض هذا العرض وقرر قتال البيزنطيين . ووقعت معارك حملة المؤمن الثانية في الاقاليم نفسها التي وقعت فيها معارك الحملة السابقة ، وقصد المؤمن هرقلة ، فخاف اهاليها منه وخرجوا يقدمون اليه الطاعة التامة بمجرد اقترابه منها^(٩١) .

وانقسم جيش المسلمين ثرفاً متعددة ، وارتادت كل فرقاً وجهة خاصة ، وحققت جميعها النجاح واستولت على حصون عديدة . واسرت اعداداً كبيرة . وكان

(٨٦) - الرفاعي : المرجع السابق ، مجلد ١ ، ص ٢٩٠ .
المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٢٣ ظهر .

(٨٧) - ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٤ وجمسابن طيفور : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .
فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٨٨) - فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٦ نقلًا عن صاحب صلة تيوفان .

(٨٩) - الرفاعي : المرجع السابق ، مجلد ١ ، ص ٢٩٠ .

(٩٠) - فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٩١) - كان الرشيد قد استولى عليها في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م ثم استردتها البيزنطيون . انظر
فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

النصيب الأكبر من النصر وانظمر من نصيب الجيش الذي قاده العباس بن الخليفة المؤمن ٠ فاـه فتح حصونـا في قبادوـية منها : اتيـجو - وحـصـين - والـاخـر ٠ واصطـدمـ في مـعرـكـة عـسـكـرـيـة معـ الـامـبرـاطـورـ تـيوـفـيلـ كانـ النـصـرـ فيـها للـعبـاسـ غـنـائـمـ كـثـيرـةـ^(٩٢) ٠ الـامـبرـاطـورـ الـبيـزـنـطـيـ بعدـ هـزـيمـتـهـ إـلـىـ الـارـتـدـادـ، وـتـرـكـ للـعبـاسـ غـنـائـمـ كـثـيرـةـ^(٩٣) ٠ ويـقـالـ انـ الـمـأـمـونـ فـتـحـ معـ قـوـاتـهـ فيـ هـذـهـ الـحـمـلـةـ ماـ يـزيدـ عنـ عـشـرـينـ حـصـنـاـ سـوـىـ الـمـطـامـيرـ^(٩٤) ٠ وـقـدـرـ تـيوـفـيلـ قـوـةـ الـمـأـمـونـ، وـاستـحـالـةـ النـصـرـ عـلـيـهـ، فـقـرـرـ طـلـبـ الـهدـنـةـ، فـأـرـسـلـ إـلـيـهـ رـسـوـلـاـ يـحـمـلـ خـطـابـاـ، وـكـانـ الخـطـابـ الـذـيـ حـمـلـهـ يـبـدـأـ بـاسـمـ الـامـبرـاطـورـ تـيوـفـيلـ، فـأـثـارـ ذـلـكـ سـخـطـ الـخـلـيـفـةـ الـمـأـمـونـ، فـرـدـهـ دـوـنـ قـرـاءـتـهـ ٠ فـأـرـسـلـ لـهـ الـامـبرـاطـورـ كـتـابـ آخرـ عـرـضـ فـيـ مـائـةـ الـفـ دـيـنـارـ، وـأـطـلـاقـ سـرـاحـ سـبـعـةـ أـلـافـ اـسـيـرـ مـسـلـمـ كـانـواـ بـيـدـهـ، إـذـ أـعـادـ لـهـ الـمـأـمـونـ مـاـ اـخـذـهـ مـنـ الـحـصـونـ، وـهـادـهـ خـمـسـ سـنـوـاتـ^(٩٥) ٠

ولـمـ يـكـنـ الـمـأـمـونـ يـرـىـ مـهـادـنـ الـبـيـزـنـطـيـنـ لـذـلـكـ لـمـ يـكـلـفـ نـفـسـهـ الرـدـ عـلـيـهـ، وـلـكـنـ ظـرـوـفـاـ طـارـئـةـ اـضـطـرـتـهـ إـلـىـ تـرـكـ الـقـتـالـ ٠ فـقـدـ نـشـبـتـ ثـوـرـةـ فيـ مـصـرـ، بـالـاضـافـةـ إـلـىـ قـدـومـ فـصـلـ الشـتـاءـ، فـأـرـتـدـ إـلـىـ كـيـسـوـمـ وـمـنـهـ إـلـىـ دـمـشـقـ فـيـ طـرـيقـهـ إـلـىـ مـصـرـ^(٩٦) ٠

اماـ الـحـمـلـةـ الـثـالـثـةـ الـتـيـ قـامـ بـهاـ الـمـأـمـونـ فـكـانـ تـتـمـهـ لـحـمـلـتـهـ الـثـانـيـةـ الـتـيـ اـضـطـرـتـهـ التـوقـفـ عـنـهاـ بـسـبـبـ الـشـوـرـةـ فيـ مـصـرـ ٠ وـلـمـ هـدـأـتـ الـاحـوـالـ فـيـهاـ عـادـ مـسـرـعاـ السـىـ الحـدـودـ الـبـيـزـنـطـيـةـ، حـيـثـ اـجـتـازـهاـ وـوـقـعـ قـرـيبـاـ مـنـ اـذـنـهـ ٠ وـوارـدـ فيـ هـذـهـ الـجـولـةـ انـ يـسـتـولـيـ عـلـىـ دـرـوـبـ جـبـالـ طـوـرـوـسـ لـيـسـيـطـرـ عـلـىـ الـطـرـيقـ إـلـىـ الـامـبرـاطـورـيـةـ الـبـيـزـنـطـيـةـ ٠ ثـمـ يـسـتـولـيـ عـلـىـ مـوـكـرـ مـتـقـدـمـ فيـ اـرـاضـيـ الـاعـدـاءـ، يـتـخـذـهـ قـاعـدـةـ لـعـمـلـيـاتـهـ الـحـرـبـيـةـ فيـ تـلـكـ الجـهـاتـ ٠ وـغـايـتـهـ مـنـ ذـلـكـ اـنـ يـعـمـلـ جـاهـداـ حـتـىـ القـضـاءـ عـلـىـ

(٩٢) - الـيـعقوـبـيـ : تـارـيـخـهـ، جـزـءـ ٣ـ، صـ ١٩٢ـ - فـازـيلـيفـ : المـرـجـعـ السـابـقـ، صـ ١٠٢ـ - ١٠٣ـ ٠

(٩٣) - ابنـ طـيفـورـ : الـمـصـدرـ الـسـابـقـ، جـزـءـ ٦ـ، صـ ٢٦٤ـ ٠

(٩٤) - الـيـعقوـبـيـ : الـمـصـدرـ الـسـابـقـ، جـزـءـ ٣ـ، صـ ١٩٢ـ اـمـاـ فـازـيلـيفـ : المـرـجـعـ السـابـقـ، صـ ١٠٢ـ - ١٠٣ـ ٠

فـيـذـكـرـ اـنـ تـيوـفـيلـ عـرـضـ الـفـ دـيـنـارـ ٠

(٩٥) - انـظـرـ فـيـماـ سـبـقـ وـانـظـرـ الـيـعقوـبـيـ : تـارـيـخـهـ، جـزـءـ ٣ـ، صـ ١٩٤ـ - فـازـيلـيفـ : المـرـجـعـ السـابـقـ، صـ ١٠٦ـ - ١٠٧ـ ٠

الامبراطورية البيزنطية ، وارتأى ايضا ان يستفيد من خبرة اهالي الشام في قتال البيزنطيين . ففرض على اجنادها كافة ارسال عدد محدد من الرجال للاشتراك معه^(٩٦) .

وقرر المؤمن الاستيلاء على حصن لؤلؤة لسيطرته على مفارق الطرق . فحاصره في سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م واستمر على ذلك مائة يوم دون ان يتمكن من الاسقليا عليه . الا انه لم يتراجع عما عزم عليه ، بل رأى ان يقيم حوله حصنان فيحصر بذلك البيزنطيين في حصن لؤلؤة ويجعلهم تحت سيطرته ، وجعل قيادة هذين الحصين لقائده عجيف بن عنترة . وسار المؤمن الى سلغوس^(٩٧) فأقام بها وقتا ثم قضى الصيف في الرقة ودمشق . وفي تلك الفترة تمكّن البيزنطيون المحاصرون في قلعة لؤلؤة من اسر عجيف . فقويت عزيمتهم بذلك ، وارسلوا الى امبراطورهم يطلبون منه المساعدة ، وتقدم تيوفيل ترافقه بعض الفرق نحو لؤلؤة ، الا انه لم يقصد امام قوات المسلمين وانهم هزيمة ساحقة واستولى المسلمون على غنائم كثيرة^(٩٨) .

وما علم حاكم لؤلؤة البيزنطي بانهزام تيوفيل ، ايقن استحالة الاستمرار في المقاومة ، فأخذ يفاوض أسيرة عجيفا ويعده بالحرية ، وتسلیم الحصن ، شريطة ان يأخذ الامان لمن بالحصن من المؤمن . فأجابه عجيف الى ذلك ووفى بوعده^(٩٩) .

ونحقق حلم المؤمن بالاستيلاء على حصن لؤلؤة ، واصبح بذلك مسيطرا على درب الابواب القيليقية . ومن ثم فانه اراد ان يجد لنفسه مركزا متقدما في قلب

(٩٦) - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٩٧) - على الأطرق من الرقة الى الشفورد الجزدية ، انظر ابن خردابه : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٩٨) - البيعوني : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٤ - العيون والحدائق ، ص ٢٧٥ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٩٩) - العيون والحدائق : ص ٢٧٥ - ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٣٨ - فازيليف : المراجع السابقة ، ص ١٠٧ .

الامبراطورية البيزنطية يجعله مكاناً لامدادات جيشه . فاختار لذلك طوانة^(١٠٠) فأمر ابنه العباس في أول جمادى الأولى سنة ٢١٨ هـ / ٢٥ مايو سنة ٨٣٣ م ان يقصدها ، فسار إليها واستولى عليها . ثم أخذ في بنائها وتحصينها وتوسيعها . وبلغت مساحة الطوانة الجديدة ميلاً عربياً مربعاً^(١٠١) . وجعل حولها سوراً امتداده ثلاثة فراسخ . وجعل نهاربعة أبواب ، وعند كل باب حصن ، واستغل المؤمنون الفترة التي اتفقاً ابنه في تحصين طوانة بالعمل الدؤوب على تنظيم الجيوش وتجهيزها للمهمة الكبيرة التي كان ينوي القيام بها . وارسل بعض من جندهم من أهالي الشام للحاق بالعباس عند طوانة . بينما سار المؤمنون بنفسه ببقية الجيش ودخل الأراضي البيزنطية وعسكر في البذندون^(١٠٢) .

ولم يجد تيوفيل في نفسه القدرة على قتال المؤمنون فبعث اليه رسول يحمل خطايا^(١٠٣) يعرض فيه على الخليفة أن يؤدي له ثقات حملته . وإن يطلق سراح مالديه من أسرى المسلمين دون فداء . وإن يصلح ما أفسدته البيزنطيون من ثغور المسلمين ، على أن يضع المؤمنون الحرب . ولكن رفض ذلك رفضاً مبرماً ، وشاءت الظروف أن يموت المؤمنون في تلك المرحلة دون أن يحقق هدفه^(١٠٤) .

وهكذا فإن موت المؤمنون قضى على هذا الهدف الكبير الذي لم يفكر فيه من جاء بعده من خلفاء المسلمين حتى كان عهد محمد الفاتح . فقد واجه الخليفة المعتصم

(١٠٠) - تقع شمال حصن لؤلؤة ، وهي تبأنا عند البيزنطيين ، انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧١ .

(١٠١) - البيل العربي الرابع يساوي كيلو مترين مربعين .

(١٠٢) - البذندون : واد بيضاوي الشكل في نهاية درب الابواب التيليقية . انظر فتحي عثمان : المرجع السابق ، جزء ٦ . ص ٢٨٧ - العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧٣ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(١٠٣) - انظر نص الخطاب كاما في الطبرى : المصدر السابق . جزء ٨ ، ص ٦٢٩ - ابن طيفور : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٨٤ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(١٠٤) - المقرizi : المصدر السابق ، ورقة ١٢٤ وجه وظور الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ١ ، ص ٦٨ .

مشاكل متعددة منذ اول خلافته ، وارتئى ان يقضي على المشاكل الداخلية ثم يتفرغ لقتال البيزنطيين . فعمل قبل ان يترك الاراضي البيزنطية على تحرير حصن طوانة خشية ان يستولي عليه البيزنطيون بما فيه ، وذلك في سنة ٢١٨ / ٨٣٣ م ، واخذ كل ما اودع فيه من آلات وسلاح . وامر الجنود الذين كان المأمون قد نقلهم اليها بالعودة الى بلادهم ، وعاد المعتصم بعد ذلك الى بغداد (١٠٥) .

ولابد لنا قبل ان ننتهي من استعراض حروب المأمون مع البيزنطيين من البحث عن المعرك البحرية التي حدثت بين الطرفين في عهده . ويمكننا ان نقرر هنا هذه الحقيقة وهي انه على الرغم من ازدياد القوة البحرية الاسلامية في مياه الشام ، فان البيزنطيين نمكنا من الاحتفاظ بالسيادة البحرية في العصر العباسي حتى سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢٣ م ولم تزعزع هذه السيطرة الا ثورة توماس الصقلي (١٠٦) .

وقد قام توماس بثورة ضد الامبراطور ميخائيل الثاني ٢٠٥ - ٢١٤ / ٨٢٠ - ٨٢٩ م ، ولم يتأخر الحليف المأمون عن مساعدة توماس حين طلب منه ذلك . وعند معه حلفا تعهد به ان يمدء بجيش قوي يساعد له في مهاجمة القسطنطينية . واتخذ هذا الحلف، صبغة شرعية حين توج بطريرك انطاكيه التابع للخلافة الاسلامية توماس امبراطورا (١٠٧) . وقد مد المأمون يد المساعدة لهذا الثائر ، لانه كان يرى ان قتال توماس مع الامبراطور سوف يربك البيزنطيين ، ويضعف قوتهم ، ثم ان هذه المساعدة كانت ردًا على ما كان يقدمه البيزنطيون من دعم ومساعدة لثورة بابك الخرمي .

وامد المأمون الثائر بالعون . وبعث في الوقت نفسه جيوشه واساطيله المرابطة في انشام للاغارة على جزر وشراطي اسية الصغرى تأييدا للجهود التي يقوم بها

(١٠٥) - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(١٠٦) - ارشيبالد : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(١٠٧) - العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٠ - ٨١ فازيليف : المرجع السابق ، ص ٣٧-٣٦ .

توماس^(١٠٨) ، وعلى الرغم من هزيمة توماس في النهاية ، الا ان هذه الثورة تمكنت من تشتت اساطيل الولايات البيزنطية ، في الوقت الذي كانت فيه اساطيل بلاد الشام وشمال افريقيا وسائر اساطيل المسلمين تجمع قوتها^(١٠٩) .

وساد الهدوء بين المسلمين والبيزنطيين في الفترة الاولى من حكم الخليفة المعتصم ، وحتى سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م دون ان يكون هناك هدنة رسمية معلنة . اذ كان المعتصم قد وجه جل اهتمامه لاخماد الفتن الداخلية^(١١٠) .

وعندما عاد القتال بين تيوفيل والمعتصم كان سببه المباشر ما قام به بابل الخرمي من تحريض البيزنطيين على قتال المسلمين ، وخاصة بعد ان رأى قوته تتضاءل وان جيوش الخلافة تحاصره وتَكَاد تطبق عليه . فاتصل بتيفيل موضحا له ان كل قوات الخلافة الاسلامية مشغولة بقتال الخرمي . واضاف بأن ظاهر بأنه مسيحي ليزيد في حماس الامبراطور لمساعدته^(١١١) .

جهز تيفيل حوالي مائة الف مقاتل توجه بهم نحو الحدود الاسلامية ، وكان يرمي الاتجاه لاعالي الفرات آملا في الاتصال بثوار ارمينية واذربيجان . وتخضت هذه الغارة عن اشعال النار في حصن زبطة الحصين^(١١٢) واحرقـت هذه المدينة وقتل الذكور من اهلها ، واسر النساء والاطفال وكان يمثل بالرجال اشتعـل فتسلـل عيونـهم وتشوهـ وجهـهم بالحـديـد المـحمـى^(١١٣) . ثم اقتربـت جـيوـشـ الـبيـزنـطـيـنـ منـ مـلـطـيـةـ ، فـفـتـحـتـ ابوـابـهاـ خـوفـاـ منـ انـ يـجـرـىـ عـلـيـهاـ مـاجـرـىـ لـاهـايـ حـصـنـ زـبـطـةـ .

(١٠٨) - ارشيبالد : المرجع السابق ، ص ١٦٨ - ١٦٩ - فازيليف : للمرجع السابق ، ص ٣٧ .

(١٠٩) - ارشيبالد : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(١١٠) - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١١٣ - ١١٥ .

(١١١) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٦ - العيون والحدائق ، ص ٣٨٩ - ٣٩٠ - العدوى : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٣ .

(١١٢) - هي بلدة بين حصن ملطية وسميساط والحدث . انظر : ابن الشحنة تاريخ مملكة حلب ص ١٩٤

(١١٣) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٥ - ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٢٤٢

- سيد امير علي : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

واطلق اهاليها سراح من بها من اسرى البيزنطيين ، وأحرق تيوفيل شمشاط حتى تحولت الى رماد ^(١١٤) ، وسبى من المسلمين أكثر من ألف امرأة ^(١١٥) وعاد الامبراطور الى عاصمته مظفرا ، فلما بلغ مكانا يقال له برياس على الشاطئ الاسيوى ، امر ببناء قصر وزرع حدائق تخليدا لنصره ^(١١٦) .

وعلم المعتصم بالخبر فغضب وامر بالتجهيز لحملة انتقامية ، واضاف بأنه ارسل قسما من هذا الجيش لنجددة اهل زبطرة ، وتمكن هؤلاء من اعادة السكان الى مدنهم وقرائهم ، ولما انتهى المعتصم من تجهيز الجيش ، وقضى نهائيا على ثورة بابك الخرمي ، توجه لقتال البيزنطيين ، ووقع اختيار المعتصم على عمورية لتكون هدف هجومه ، وكان غرضه من ذلك ان يصل الى احسن مدينة في الامبراطورية ، بالإضافة الى انها كانت موطن الاسرة الحاكمة .

وغادر المعتصم سارما في جمادى الاولى سنة ٢٢٣ هـ / اول ابريل نisan ٨٣٨ م ^(١١٧) على رأس قوات كبيرة لم تجتمع ل الخليفة من قبل عددا وسلاحا ، وقدر هذا الجيش بما بين خمسين الف مقاتل ، ونقش المعتصم على الاولوية والتروس عمورية ، كما جعل في رفقته اقدر قواده اثنان وعشرين وثلاثين ، ووقف الجيش على مسيرة يوم من طرسوس على نهر اللامس ^(١١٨) .

كانت خطة المعتصم ان يغزو أرض البيزنطيين من جهات مختلفة على ان تكون وجها جميع فرق الجيش نحو عمورية ، فبعث بالافشين مع قسم من الجيش نحو

(١١٤) - فازيليف : «الرجع السابق» ، ص ١٢٧ .

(١١٥) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٥ .

(١١٦) - فازيليف : الرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(١١٧) - اليقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٢٠١ - ابن قتيبة : المغارف ، ص ١٧١ .

- ابو الفداء : تاريخه ، جزء ٢ ، ص ٣٦ .

(١١٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٧ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

١٣١ - ١٣٤ .

مدينة سروج (١١٩) . وامره ان يدخل الاراضي البيزنطية عن طريق درب الحدث في يوم محدد . انضم الى هذا الجيش جند من الارمن ، وكذلك جنود من ملطيّة بقيادة اميرعا . وعسكر جميع هؤلاء عند سهل داسيوس . وفي يوم الاربعاء ٢٢ رجب من السنة نفسها ٢١ / يونيو / حزيران امر الخليفة اشناسا ان يتقدم في درب طرسوس وامره ان ينتظر مجئه في الصفصاف قرب لؤلؤة . وسار وصيف خلف اشناسا ثم سار المعتصم خلف الجيشه في الجمعة ٢٤ رجب / ٢٣ يونيو / حزيران على ان يتوجه الى أنقرة ، فاذا تم احتلالها توجه الى عمورية (١٢٠) .

بلغت تيوفيل الانباء بعظم الجيش الاسلامي فاضطراب ، وارتى عليه كثير من أعوانه اخلاق عمورية من سكانها الى مكان آخر خوفا على حياتهم . ولكنه رفض ذلك وقرر تحصين المدينة ، وان يهد بحمايتها الى قائد مغرب ، وارسل لها الامدادات (١٢١) .

وتمكن مقدمة جيش المعتصم بقيادة اشناسا من اسر بعض البيزنطيين للوقوف منهم على معلومات عن الامبراطور وجيشه . وعلم من هؤلاء ان الامبراطور م العسكر منذ ثلاثة يوما وراء نهر الهليس يتربق مرور جيش المعتصم للوثوب عليه . ولكنه حين علم بالجيش الذي كان متوجها الى سروج بقيادة الاشين . توجه للقاءه بعد ان ترك قسما من جيشه بقيادة احد اقاربه في منطقة الهليس . ولم يتمكن المعتصم من ابلاغ الاشين وتحذيره من تطورات الموقف بسبب تقدمه في الاراضي البيزنطية . وساحت الفرصة لجيش المعتصم بالتقدم . وكانت مقدمته تسير امامه على مسيرة يوم بينهما (١٢٢) . ووصل اشناسا الى انقرة بعد ان استولى على

(١١٩) - على بعد ١٤ فرسخا من سميساط وهي بلدة قريبة من حران من ديار هضر - انظر ياقوت : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ٨٥ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(١٢٠) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٧ - ٥٨ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٣٤ - ١٣٣ .

(١٢١) - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(١٢٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٩ - العيون والحدائق ، ص ٣٩١ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

نيقية^(١٢٣) ، وكذلك وصلها المعتصم • وهناك وصلتهم الاخبار بانتصار الافشين على الامبراطور بعد معركة قوية دارت بينهما في جند ارمنياق بقرب جبل اسمه انزن • وقرر الامبراطور ومن نجوا من رجاله بعد هذه المعركة دعم جيشه الذي يعسكر في منطقة الهليس • الا ان الاخبار وصلته بتفرق هذا الجيش ، وعدم اطاعة افراده لامر قائهم • فغضب الامبراطور عند ذلك ، واتقسم بقتل القائد • كما ارسل اوامر الى المدن والحسون ليقبضوا على الهاريين ويجلدوهم ويعيدوهم لقتال المسلمين^(١٢٤) .

وارسل الامبراطور دعما لانقرة وانسحب هو الى دروليه على مسيرة ثلاثة ايام من عمورية • وسرت شائعة بين الجميع ان الامبراطور قد قتل • فثار الناس لذلك واضطربوا • وفي هذا الوقت بالذات كانت جيوش المسلمين مجتمعة تطبق على انقرة • فانهار الامبراطور فقد شجاعته ، وارسل الى المعتصم يستعطفه • وادعى ان قواه تجاوزوا اوامره حين دخلوا زبطة ، ووعد بتناهيا على نفقة^(١٢٥) .

واضاف بأنه سيرسل اليه كل الذين اتهكوا حرمة زبطة من بطارة وغيرهم ليري رأيه فيهم^(١٢٦) • ولكن المعتصم كان قد صمم على الانتقام • فلم يصفع الى ذلك بل انه اخذ بعد العدة للتوجه الى عمورية^(١٢٧) .

وعند ابواب عمورية قسم المنصم جيشه الى ثلاثة اقسام ، وجعل المسافة بين كل قسم وآخر فرسخين • وقاد اشخاص الميسرة • والافشين الميمنة ، واتخذ

(١٢٣) - بين الصنصال وانقرة وهي من اعمال استانبول على البر الشرقي ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٨ ، ص ٣٦١ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(١٢٤) - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(١٢٥) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦١ - ٦٢ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(١٢٦) - السعوني : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٢٠١ .

(١٢٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦١ - ٦٢ - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

المعتصم قبادة القلب ، وانقسم كل قسم من هذه الاقسام الى ميمنة وميسرة ،
واصدر المعتصم اوامره بالانتقام لما فعله البيزنطيون في زبطة وما ارتكبوه من حرق
وتخريب للقرى ، ووصل القواد جميعا الى عمورية ، حيث خصص قائده معين لحصار
عدد محدد من ابراجها الحصينة^(١٢٨) . ونصب مجانيق كبيرة يبلغ ارتفاعها ارتفاع
السور ، ويتسنم كل منجنيق منها لاربعة رجال ، وركزت هذه المجنائق على كراس
تحتها عجل لتتحرك بسهولة . وقام الجنود برمي اكياس مملوءة بالتراب في الخندق
ليتمكنوا من تخليه^(١٢٩) . رتحصن اهل عمورية بها ، وكفاحوا كفاحاً مريراً على
الرغم من علمهم بانهزام جيوشهم . وتمكنوا ان يهددوا بالفشل اول محاولة
للمسلمين باقتحام السور بعد ان تمكنوا من تصديعه^(١٣٠) .

قرر اهالي عمورية ارسال رسوليin ل الاخبار الامبراطور بتتصدع سور المدينة
وضعف القائمين عليها ، واحتمال دخول جيوش المسلمين اليها ، بسبب سوء احوال
الاهالي . ولكن الرسوليin لم يتمكنا من تنفيذ المهمة وقبض عليهم . وعلم من
الكتاب الذي يحملاته مدى الضيق الذي وصل اليه اهالي عمورية ، وانهم قرروا
الخروج من المدينة ، فقوى المسلمون بذلك وشددوا الحصار على الابواب ومنعوا
البيزنطيين من الخروج منها . وادى القتال الذي جرى بين الطرفين الى قتل وجرح
اعداد كبيرة من البيزنطيين . وضاق حراس الثلعة بالامر ، وخرجوا يطلبون الامان
مقابل ان يسلموا اليهم الحصن بما فيه^(١٣١) . فمنهم المعتصم الامان وتسلم الحصن
ثم تمكّن المسلمون من اسر قائده عمورية ، فاستسلمت المدينة^(١٣٢) ودخلها المسلمون
يوم الثلاثاء ١٧ رمضان سنة ٢٢٣ هـ ١٣٨ م^(١٣٣) . واسر من جيوش

(١٢٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦٤ .

(١٢٩) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦٥ - الخطب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ٣ ،
ص ٤٤ .

(١٣٠) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦٤ .

(١٣١) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، من ص ٦٤ حتى ٦٧ - العيون والحدائق ، ص ٣٩٣ .

(١٣٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(١٣٣) - اليعقوبى : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٢٠٢ .

المدينة واهلها عدداً كبيراً حتى امتلاً معسكر المسلمين بهم فوزعهم المعتصم على قواه وجنوده، وأطمأن إلى تحقيق غايته فارتاح متوجهاً إلى طرسوس^(١٤٤).

ويقال أن المعتصم عاد من سمورية بهذه السرعة لوصول أنباء هجوم البيزنطي على الشغور الشامية، إذ نزلت بعض قواتهم البحريية ميناء سلوقيه^(١٤٥) فاسروا قسماً من أهاليها، ثم ركبوا سفنهم وخرجوا، وكان نزولهم فيها في الوقت نفسه الذي كانت فيه جيوش المسلمين تحاصر عمورية للتخفيف عنها^(١٤٦). وقد ترتب على محاولات البيزنطيين المتكررة للهجوم على الشغور عن طريق البحر، وللحد من نشاط الأسطول الإسلامي في جزيرة كريت، اهتمام السلطات العباسية في بغداد بتدعيم قواعدها البحريّة في الشام ومصر، فنشط الأسطول العربي في عهد المعتصم وأخذ في مهاجمة البيزنطيين^(١٤٧).

ولم يعقب هجوم المعتصم على عمورية مضاعفات خطيرة على الامبراطورية البيزنطية، لأن المعتصم في زحفه على آسيا الصغرى اكتفى بالاتقان لمدينة زبطة، ثم قفل راجعاً، وبذلك استرد البيزنطيون أراضيهم في آسيا الصغرى حتى جبال طوروس، وبعد ذلك ساعدت المشاكل الداخلية لكل من الطرفين على عقد هدنة بينهما، استمرت حتى وفاة كل منهما في سنة ٢٢٧/٥ - ٨٤٣ م^(١٤٨).

وبعد حملة المعتصم على عمورية في سنة ٢٢٣/٥ - ٨٣٨ م قلت الغزوات

(١٤٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(١٤٥) - سلوقيه من جند انطاكية في الشام بعد طرسوس ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان جزء ٥ ، ص ١١٥ .

(١٤٦) - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(١٤٧) - العدوى : الاساطيل الفربية ، ص ١٠٥ .

(١٤٨) - عاشور : الحركة الصليبية ، جزء ١ ، ص ٥٥ ولكن يذكر خطأ أن اسم امبراطور الروم في مهد المعتصم قسطنطين ، بينما يرد اسمه في الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٥ ، شيوفيل بن ميخائيل ثيوفيل في كل من العدوى : الاساطيل الفربية البيزنطية ، ملحق ٦ ص ٢٠١ وفتحى عثمان : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٢٩ قائمة بالخلافاء المسلمين والإباطرة البيزنطيين وتاريخ ولاية كل منهم ، ص ٤٢٩ .

الاسلامية للدولة البيزنطية ، ويعود ذلك الى توادر الفتن في بغداد ، فقد واجهه الخليفة الواشق ازمات داخلية خطيرة . مما ادى الى عدم استطاعته الاستمرار في حرب البيزنطيين على نطاق واسع . كما كان يفعل من سبقه من الخلفاء . وشاعت الظروف ان يكون البيزنطيون كذلك ، وبذا للعيان فشلهم في صقلية . ولذلك كان الطرفان مستعدين لاقامة علاقات سلمية عن طريق فداء الاسرى . ووصل في سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م رسول البيزنطيين ليفاوض في امر الفداء لثلاثة الاف من الرجال وخمسماة من الارواح والنساء . وتم الفداء على نهر اللامس غير بعيد عن سلوقيا على مسيرة يوم من طرسوس ، وحضر العرب على رأس قوة كبيرة بلغ تعدادها اربعة آلاف رجل الى مكان الفداء^(١٣٩) . وكان البيزنطيون كذلك في مثل هذه القوة . وقد ترأس وفدهم اثنان من كبار قوادهم ، وخشيا كثرة عدد المسلمين في الفداء ، فطلبوا من رئيس وفد المسلمين ان يعقد معهما هدنة لاربعين يوما تكفي لوصول الاسرى الى مناطقهم . وكانت مفاوضات الفداء تفشل لأن البيزنطيين لم يرتكروا فداء العجزة من النساء والرجال وفداء الاطفال بمن في ايديهم من الاسرى . واستمر الخلاف اياما اى ان اتفقوا على فداء رجل برجل^(١٤٠) . والراجح ان عدد الاسرى المسلمين عند البيزنطيين كان اكبر مما عند المسلمين . يؤكد ذلك ان الواشق امر بشراء من يباع في بغداد والرقا من العبيد الروم ، فلم يكفل . عند ذلك قام باخراج من كان في بلاطه من نساء الروم . واستمر الفداء اربعة ايام . واتضح في هذا الفداء انه كان هناك مراسم حقيقة له^(١٤١) .

ولما انتهت هدنة الفداء المؤقتة غزا والي الشعور احمد بن سعيد بن مسلم ابن قتيبة الاراضي البيزنطية فجأة في الشتاء على رأس سبعة آلاف رجل . ولكنـه

(١٣٩) - ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٤ ظهر - فازيليف : المراجع السابق ، ص ١٧٦ .

(١٤٠) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١٤٢ - فازيليف : المراجع السابق ، ص ١٧٧-١٧٨ .

(١٤١) - انظر فازيليف : المراجع السابق : ص ١٧٧ - ١٧٨ و من ٩٧ - ١٩٨ وعن مراسم الفداء ، انظر العدوى : الامبراطورية البيزنطية .

ص ٩٦ - ٩٧ وكذلك ملحق ٥ ص ١٩٤ - ١٩٥ .

لم يستطع ان يحقق شيئاً • فعاد ادراجه في الاراضي البيزنطية • فسخط عليه الواثق
لفشلها وعزله واسند ولاية الشعور في ١٥ جمادى الاولى سنة ٢٣١ هـ / ١٨ يناير ١٨٤٦ م
الى نصر بن حمزة الخزاعي (١٤٢) •

والخلاصة التي يمكن ان توصل اليها بعد استعراضنا للحروب والصوائف
والشوائب التي قامت بين المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسي الاول ، ان الغزوات
كانت مستمرة تقريبا الا في أيام الفتن • وأن هذه الغزوات لم تتخلص عن تائج
ذات قيمة كبيرة سواء كان للمسلمين أم للبيزنطيين • فقد ظل خط الحدود بينهما
فيأخذ ورد دون ان يستطيع أحد الفريقين السيطرة التامة على معاقله ودوربه •
كما أن نجاح احدى الغارات أو غيرها كان متوقفا على الاحوال الداخلية عند
الفريقين المتنازعين • ولقد ترددت اصداء هذه الحروب في النشاط البحري
بينهما (١٤٣) • ومن المهم ان نلاحظ ان المنطقة التي كانت تجري فيها الحروب
بين الطرفين في هذه الفترات محصورة في الشعور الاسلامية والاراضي البيزنطية ،
ولم يحدث ان هاجم البيزنطيون الاراضي الاسلامية الداخلية أو اجتازوا منطقة
الشعور • وبالتالي فقد كانت خسائر البيزنطيين المادية اكبر من خسائر المسلمين •

وفي النهاية يمكننا القول بأن العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين لم تكن
علاقات عسكرية بحتة ، بل تخلل ذلك فترات سلمية تبادل فيها الطرفان الاسرى
والوفود وساهم البيزنطيون احيانا في الحركة العمرانية الاسلامية • فقد استقبل
المصوري سعيرا بيزانيا بعد انتقاله الى بغداد عاصمة العباسيين الجديدة الذي اشار
على الخليفة بآلا يبني السوق داخل سور المدينة حفظا للامن من الشعب والتجسس
كما كانت التجارة نشطة بين الدولتين برا وبحرا (١٤٤) •

(١٤٢) - فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٧٩ •

(١٤٣) - العدوبي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٥ •

(١٤٤) - فاروق عمر : العباسيون الراوائل ، جزء ٢ ، ص ١٨ طبعة دمشق ١٩٧٣ •

٢ - العلاقات مع الفرنجة (الكارولنجيين)

اغفلت المصادر العربية الحديث عن العلاقات بين الخلفاء العباسيين وملوك الفرنجة في أوروبا الغربية ، مما يجعلنا مضطرين إلى الاستعانة بالمصادر الغربية للتعرف على هذه العلاقة ، وان نعمل جاهدين على تحرير الحقيقة التاريخية عن طريق المناقشة ، ودراسة الأوضاع السائدة في فترة البحث في كل من الدولتين العباسية والكارولنجية . وأئمها بالنسبة للمصادر الغربية التي ذكرت وتحدثت عن هذه العلاقات فهي ثلاثة مصادر لاتينية الاخبار الملكية الفرنجية ، وسيرة الامبراطور شارلمان لاينهارد ، وما كتبه الراهب سانت كول^(١٤٥) .

وقد أخذ المؤرخون ماجاء في هذه المصادر فشرحوها وأولوها وحملوها أكثر مما تحمل . ويضاف إلى ذلك أن مؤرخي الغرب لم يتحدثوا عن هذه العلاقات بنفسية المؤرخ المتحرر الذي يذكر ماله وما عليه ، وإنما تحيزوا لأوربة الغربية ، وكتبوا عن هذه العلاقات التي قامت في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي بضوء ما عرفوه عن أوروبا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . ذلك القرن الذي بدا فيه تفوق الغرب المادي والثقافي . وتناسى هؤلاء المؤرخون ما كانت عليه الحضارة الإسلامية في الفترة التي يتحدثون عنها . والفارق الشاسع بينها وبين الحضارة الفرنجية المتدينة في تلك الفترة . لقد صور هؤلاء المؤرخون الماضي بضوء الحاضر ، فرأوا أن الغرب الذي استطاع أن يحصل على الامتيازات من الدولة العثمانية ، وحصلت دوله على حقوق حماية الأقليات المختلفة في هذه الدولة ، كان بمتقدوره أن يحصل على امتيازات وحقوق حماية الأقليات من الخلافة العباسية في العصور الوسطى^(١٤٦) .

فوق كل هذا ، فإن نظرة التعالي الغربية على الشرق الإسلامي ، والتي وضعها

(١٤٥) س. هشيد خديري : الصلات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان ، بغداد ١٩٣٩ ، ص ٤
الصدر لجوبي عمر .

(١٤٦) د. شهروك عمير : بحوث في التاريخ العباسي ، ص ١٨٢ .

مؤرخو الغرب في اذهانهم حين التحدث عن الشرق ، هذه النظرة حجبت عن المؤرخين كل ما للعرب والاسلام من حضارة اما قصدا للتشويه ، واما عن غير قصد بسبب ما اختزنه مسبقا من الافكار . وبالتالي فان كتابتهم لم تبد فيها حقيقة وضع العرب في ذلك الحين ، حيث كان المجتمع العربي الاسلامي متتفوقا فكريا وثقافيا واقتصاديا وعمرانيا في الدور العباسي الاول . ولكن ازدياد الاتصال بين الاوربيين والشرق سلما سواء أكان أم حربا أدى الى تعرف الاوربيين على حضارة المشرق ونظمها ، وأخذ بعض المستشرفيين يعترفون بما نقله الغرب عن العرب في العلوم المختلفة ، وأنصف بعضهم العرب ، ومن هؤلاء البروفسور بارتولد الذي درس هذه العلاقات بضوء العصر الذي قام فيه ، وعلى ضوء مادرسه عن الدولتين العربية الاسلامية ، والكارولنجية . وأوضح هذا الامر قائلا : نجد أن اوربا الغربية في القرون الوسطى كانت بلدا متأخرا تماما قياسا للشرق سواء أكان مسيحيا أم مسلما ، كتأخر الشرق اليوم بالقياس الى اوربا الغربية . ولكننا نجد الاسس المتبعة في طرق البحث التاريخية تجد صعوبة في ازالة الخرافه التي تعتبر اوربا في كل العصور تحمل تلك الاهمية العالمية سياسيا وحضاريا كالتى تتمتع بها الان (١٤٧) .

ثم سارت قضية ادراك الغرب لمعرفة الحضارة العربية الاسلامية قدما ، فكان ماكتبه مونيرية ونيري شاهدا على ذلك ، ثم تعاقبت البحوث والمقالات التي تعالج العلاقات السياسية والحضارية والحريرية بفترات مختلفة (١٤٨) .

ونستطيع القول أن ماكتبه المؤرخون عن العلاقات العربية الفرننجية (الكارولنجية) ، غالب عليه الطابع الاسطوري الغامض . ولم يكن هذا فحسب بل ان المؤرخين اختلفوا حول طبيعة هذه العلاقات وأهدافها . والمهم في الامر أن هؤلاء جعلوا آسيا قيام علاقات بين المسلمين والفرنجة ، هو عداء المطرفين

(١٤٧) - فاروق عمر : المرجع السابق . ص ١٨٢ تصدر دراسات في تاريخ فلسطين في المصور الوسطى

(١٤٨) - فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٨٣ - تصدر :

N : Daniel : Islam and the West: the making of an Image 1952 - H.A.R.
Gibb and Owen Islamic society and the west - R. Frye : Islam and the
West B. Lewis : The Middle East and West.

للبيزنطيين وأمويي الأندلس . فهناك خلاف وعداء بين الفرنجة وكل من البيزنطيين والأمويين في الأندلس ، وبين الخلافة الإسلامية العباسية ، وكل من البيزنطيين والأمويين في الأندلس ، وأن شارلمان أراد أن يتودد لل الخليفة العباسي هارون الرشيد رغبة في إقامة علاقات جيدة معه ، تسهيلاً لمحاجة الحجاج الوريين إلى الاماكن المقدسة ، وما يذكر في هذا المجال ، أن شارلمان امبراطور الإمبراطورية الكارولنجية بدأ يخطب ود الخليفة هارون الرشيد ، فأرسل له وفداً رسمياً سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٧ م ثم أرسل رسولاً إلى طريق القدس سنة ١٨٤ هـ / ٧٩٩ م ، وقبل الرشيد هذه المبادرة بمثلها . فأرسل في سنة ١٨٦ هـ / ٨٠١ م وفداً إلى شارلمان ، فقام شارلمان بالردد بارسال وفد آخر سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٢ م . فرد الرشيد عليه بوفد أرسله سنة ١٩١ هـ / ٨٠٧ م وقد تبادل الطرفان عن طريق الوفود ، الهدايا المختلفة ، ومن جملة ما أهداه الرشيد لشارلمان ساعة مائة دقاعة ، وفيلاً ، وأوانٍ نحاسية قديمة ، وصيواناً ملوناً وعطوراً واقمشة حريرية^(١٤٩) . كما أرسل شارلمان هبات إلى الاماكن المسيحية المقدسة في فلسطين ، مما دعا بطريق القدس بموافقة الرشيد إلى إرسال وفد سنة ١٨٥ هـ / ٨٠٠ م يحمل مفاتيح كنيسة القيامة ، ومدينة القدس وراثتها إلى شارلمان ، وأولوا هذه الأقاويل الخيالية تأويلاً بعد من ذلك ، فرأوا أن شارلمان أصبح بذلك حامياً للاراضي المقدسة في فلسطين ، وأميراً على القدس ، وكان برأهم - حصول شارلمان على حماية المناطق المقدسة مقابل موافقته على محاربة أمويي الأندلس باسم العباسين ، والوقوف في صف العباسين ضد البيزنطيين^(١٥٠) .

وقد أيد بعض المؤرخين حدوث هذه المعاهدة بين العباسين والفرنجة ، أمثال دي ريان . وعارض ذلك المؤرخ الروسي بارتولد في مقالة نشرها سنة ١٩١٢ م أنكر فيها أن يكون شارلمان فأوض الرشيد ، وثبت بقوله « إن الرشيد لم يعطه حق الحماية على فلسطين ، ولو كان ذلك حدث فعلاً لذكره المصادر العربية والبيزنطية ، ورأى بارتولد أن ما أطلق عليه اسم وفود بين الطرفين ، لم تكن وفوداً رسمية ، بل

(١٤٩) ... فاروق عمر : المراجع السابق ، ص ١٩٥ ، حاشية ٤١ تصدير -
 H.R. Bitterman : Harun Ar Rashid
 Gift of an Organ to Charlemagne.

زيارات من قبل تجار من اليهود الفرنجة ، وان اعطاء هذا الحق من قبل الرشيد لشارلمان لا ينسجم مع سياسة هارون الرشيد وروح العصر الذي عاش فيه وشاركه رأيه رنسيمان الذي دحض اسطورة الحماية مؤكدا انها من اختراعات الراهب سنت كول المستندة على روایات انهارد الغامضة ٠

وفي الحق فان ماكتبه بارتولد قد كتبه بعد معرفة روح العصر وقومة الخلافة الاسلامية و موقفها من العناصر الالخرى الموجودة خارج الخلافة ، والتي لا تدين بديانتها (أهل ديار الكفر) ٠ ثم درست اوضاع الفرنجة و ضعفهم عن حماية انفسهم ، فكيف يستعين بهم الرشيد لتهديد اموبي الاندلس ؟ وكيف يعطيهم مقاييس كنيسة القيامة ؟



الباب الثالث

عصر سيطرة الاتراك

م ٩٤٥ - ٨٤٧ / هـ ٣٣٤ - ٢٣٢

مقدمة :

ان الدور العباسي الثاني هو الدور الذي بُرَزَتْ فيه العناصر الاسلامية المختلفة على مسرح الاحداث . واصبح لها شبه سيطرة تامة على الخلفاء . ويمكن ان نحدد هذا الدور زمنياً بالفترة الواقعة بين سنتي (٢٣٢ - ١٢٥٨) هـ ٨٤٧ - ٥٦٥٦ ويفصل هذا الدور الى عصور ثلاثة بحسب جنسية العنصر الاسلامي الذي سيطر على الخلفاء .

- ١ - عصر نفوذ الاتراك ويمتد من سنة ٢٣٢ - ٨٤٧ / هـ ٣٣٤ - ٩٤٥
- ٢ - عصر النفوذ البوبي ، ويمتد من سنة ٣٣٤ - ٤٤٧ - ٩٤٥ / هـ ٤٤٧ - ١٠٥٥
- ٣ - عصر نفوذ السلاجقة وهو العصر الذي يقع بين سنتي (٤٤٧ - ٥٥٩٠) هـ ١٠٥٥ - ١١٩٣

وقد اعتقد المؤرخون ان يبدأوا هذا العصر حتى سقوط الخلافة العباسية .
علماً بأن الدولة الخوارزمية قد اطاحت بدولة السلاجقة في سنة ٥٩٠ / هـ ١١٩٣ م
وبالتالي فائضاً يمكن ان نضيف عصراً رابعاً يجعله للحدث عن استعادة خلفاء

العباسين للسلطة بين سنتي ٥٩٠ - ٦٥٦ هـ / ١١٩٣ - ١٢٥٨ م و قد تميز هذا الدور بالإضافة لما تحدثت عنه عن وضع الخلافة العربية الإسلامية تحت وصاية العناصر الإسلامية المختلفة بميزات أخرى متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر

- ازدياد قوة التيار الانفصالي ، مما ادى الى انقسام الخلافة الإسلامية الى دول كثيرة منفصلة ، وتبع ذلك انقسام الخلافة الإسلامية الى شعب ثلاث : الخلافة العباسية - والخلافة الفاطمية - والخلافة الاموية .

- بروز التيار الشيعي ، وتمكنه من تحقيق جزء من اهدافه . وبروز نزععة الغلوفية

- بروز التيار الصوفي لدى فئة كبيرة من السنة .

- نضوج الحضارة الإسلامية ، ووصولها الى الذروة في هذه الفترة .

- قوّة الدولة البيزنطية وتهديدها للخلافة الإسلامية وبروز دور الدول الإسلامية المنفصلة في الدفاع عن الخلافة .

الفصل الأول

عصر سيطرة الاتراك

عصر سيطرة الاتراك (٢٣٢ - ٣٤٤ هـ / ٩٤٥ - ٨٤٧ م)

١ - ظهور العنصر التركي في بلاد الخلافة الاسلامية :

كان المؤمن أول من اتخد من الخلفاء ، الاتراك للخدمة . فكان يشتري الغلام من الاتراك بسائنه ألف ومائتي ألف^(١) وبدأ ظهور الاتراك على مسرح الاحداث منذ ان ولی المتصنم الخلافة ، اذ وجد بأنه لا يستطيع الاعتماد على العرب بسبب عصبيتهم واعتزازهم بدورهم في الاسلام . ولضعف ثقته بهم . كما انه لا يستطيع الاعتماد على العنصر الفارسي لطموحه ومحاولته تحقيق مصلحته القومية ، بالإضافة الى كرهه لهم . فالبرامكة ، وبنو سهل وغيرهم من الذين قادوا الحركات ذات الاهداف المختلفة في العصر العباسي الاول ، كل هؤلاء كان لهم مطامع يريدون تحقيقها على حساب الخلافة العباسية^(٢) ، ومن جملة ما فعلوه في هذه الفترة انهم حاولوا جعل الخلافة للعباس بن المؤمن دون المتصنم ، لتحقيق مطامع قومية على حساب الخلافة العباسية وكانوا يتنافسون مع العرب منذ حدوث الخلاف بين الامين والمؤمن ، وقد تكون هذه الامور هي التي دفعت بالمتصنم الى ان يفكر بالاستعانة

(١) - المقرئي : المصدر السابق ، ورقة ١٢٨ ظهر و ١٣٩ وجه

(٢) - انظر ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٤ .

بعنصر جديد . فوجد في العنصر التركي ضالته المنشودة ، فامه ماردة منهـم ، بالإضافة لما يتضمنه هذا العنصر من القوة والشجاعة ثم انه لا يحمل الاهواء السياسية التي للعرب ، ولا المصالح الخاصة والمجد القديم الذي للفرس .

ادخل المعتصم الاتراك بصورة خاصة ضمن جيشه كمحترفين ، كما اتخذ منهم حرسه الخاص ، وبالتالي فانه شعر بأنه اصبح يملك جيشا بعيدا عن الصراعات العزيزية والقبلية ومرتبطة بالخليفة مباشرة ، وشعر بأنه ضمن خصوص هذا الجيش تماما لسلطته .

استقدم المعتصم هؤلاء الاتراك الذين استخدمهم في جيشه من بلاد ما وراء النهر ، وخاصة فرغانة واشروسنـه ، حيث كانت القبائل التركية المعروفة بالهياطلة . وكانوا على علاقة عداء مع الفرس المجاورين لهم قبل الاسلام وقد تميز هؤلاء الاتراك وهم بدو العجم كما اسماهم الجاحظ بالصفات الاصلية للبدو ، كحب الحرب والفروسية والتعلق بالنظام القبلي .

لم يكن ظهور الاتراك بالخلافة الاسلامية جديدا في عهد المعتصم ، بل وجدوا في عهد من سبقة في بيـوت سادات العرب على شكل خدم ، وقد انخرط بعضهم في الجيش العباسي منذ قيام الدعوة العباسية^(٣) . ثم تزايد عددهم بما كان يجلب منهم شراء ، أو كأسري في الحروب التي نشبـت بين العرب والترك على الحدود الشرقية . وكان بعضهم يرسل كهدايا الى الخلفاء من قبل ولاتهم في بلاد ما وراء النهر . أو كجزء من خراج خراسان . فقد كان عبد الله بن طاهر يرسل سنويـا الى الخليفة الفي غلام تركي كجزء من خراج خراسان^(٤) .

وهكذا توارد الاتراك الى بغداد وقارب عددهم سبعين الفا^(٥) . وتعلم هؤلاء العربـة كما بدأوا باعتماد الاسلام . وقد خصهم المعتصم بالنفوذ ورفع من شأنـهم

(٣) - فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ، ص ١٨ .

(٤) - شاكر مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

فقلدتهم قيادة الجيش وجعل لهم مركزا في مجال السياسة وال الحرب ، وفتح باب التطوع كمرتبة امامهم ، وحرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش ، كما سقط اسماءهم من الالواين^(١) وادر عليهم الهبات والارزاق ، واثرهم على الفرس والعرب في كل شيء ولم يكن هؤلاء اصحاب حضارة سابقة فبهرتهم بغداد بحضارتها . فأخذوا يعيشون بالامن في بغداد ، يسيرون في شوارعها راكبين خيولهم دون ان يعبأوا بالملارة فيصدموهم فيما يموت منهم جماعة من الصبيان والعميان والضعفاء لضغط خيولهم وتزاحمه^(٢) ، دون اكتراش . فتأذى من ذلك أهالي بغداد ، واضطروا الى رفع شكایاتهم الى الخليفة معلنين تآذى الناس من جنده ، وطلبوا منه الخروج بهم خارج بغداد ، والا فانهم سيعذلون العرب عليه ، وحين سألهم المعتصم عن كيفية حربه ؟ اجابوه : (نحاربك بسهام السحر ، قال : وما سهام السحر ؟ قالوا . ندعو عليك ، فقال المعتصم لاطاقة لي بذلك)^(٣) .

وامام شکوى العامة وخوف المعتصم على جنده ، قرر الاتصال الى القاطول ، موقع مدينة سامراء على بعد يزيد عن مائة كيلو متر عن بغداد العاصمة الى الشمال^(٤) ، وبنى مدينة جديدة سماها سامراء في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٤ م ، واحضر لها الصناع واهل المهن من سائر الامصار^(٥) . وقد خصص فيها معسكرات لجنده الاتراك بعيدة عن الاسواق ، وليس معهم في قطاعهم أحد من الناس يختلط

(١) - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ .

(٢) - وقد وصلنا من كتابه الذي ارسلت في هذا المجال الى ولاته . ذلك الكتاب الذي كتبه الى كيسرواني على مصر يأمره فيه باسقاط من في الديوان من العرب وقطع أعطيتهم . وكان ذلك اثره في ثورة قبائل لخم وجبلان على المعتصم ، انظر الحمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٩٨ .

(٣) - الطبری : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١٨ .

- ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ .

(٤) - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ - ابن تفري بردى : التجوم الزاهرة ، جزء ٢ ص ٢٣٣ - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٦ .

(٥) - بين بغداد وتكريت شرقى دجلة ، انظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٣ .

- انظر فيما بعد « بناء سامراء » .

بهم^(١١) . ولكن شعب الجندي الاتراك لم ينقطع ، فكانوا كلما وقعت البلاد في ضائقة مالية وتآخر دفع مرتباتهم شغبوا ونهبوا وسلبوا وقتلوا . ثم شرع كبار قادتهم يطلبون بولايات كاملة لاقطاعات يتصرفون بأموالها كيف شاؤوا . ومن هذا القبيل ولاية بكباك التركي على مصر وارساله نائبا عنه مع بقائه في العاصمة . أما صغار القادة فقد اعطوا اقطاعات من اراضي الخراج كي يجبوا ضريبتها لصالحهم أو أعطوا جباية ضرائب احدى المناطق عوضا عن الاجور النقدية . وكان هذا بداية للنظام الاقطاعي العسكري^(١٢) .

ونزأيد عدد الاتراك الذين اصطفاهم العتصم ، ودانوا بالاسلام ، وأخذوا يتعلمون علوم عصرهم ، ويتعلمون تدريجيا في وظائف الدولة . ولكنهم لم يحسنوا للخلفاء الذين اعتمدوا عليهم^(١٣) . حتى ان العتصم نفسه الذي استكثر منهم عبر في اواخر ايامه عن استيائه من الاعتماد عليهم^(١٤) اذ غرهم ما شعروا به من انهم يشكلون قوة الخلافة الرئيسية . كما لم يعلم هؤلاء الاتراك على اكتساب مجنة الاهالي بل تملکهم الزهو والغرور بقوتهم . فاستهانوا بحقوق الناس في الولايات الاسلامية ، كما أساءوا الى العرب . وتندمر المتمردون ، وقام المبرقع اليماني برفع راية العصبيان على خلافة العتصم ، بعد ان بلغه أن أحد الجنود الاتراك حاول دخول منزله^(١٥) . وكان كره الاتراك عاما بين الطبقات كافة ، فقد اخذ المحدثون يعبرون عن استيائهم واستياء العامة بوضع الاحاديث في ذم الترك . فرووا ان النبي (ص) قال : الترك أول من يسلب امتى ما خولوا . وعن ابن عباس انه قال : ليكونن الملاك في ولدي حتى يغلب على عزتهم الحمر الوجوه ، الذين كان وجوهم المجان المطرقة . وعن أبي هريرة انه قال : لا تقوم الساعة

(١١) - الميعوبي : البلدان ، ص ٢٤ - ٣١ .

(١٢) - البوري : نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ، بفلاد ١٩٧٠ ، ص ١٤-١٨ .

(١٣) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ وما بعدها .

(١٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١٢٢ .

(١٥) - بيطرار : الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام ، ص ٩٨ .

حتى يجيء قوم عراض الوجوه صغار الاعين ، فطس الانوف ، حتى يربطوا خيولهم
بشاطئ دجلة^(١٦) .

وصفة القول : أن سياسة استخدام الاتراك في الجيش وايشارهم بالمناصب
العليا في عهد المعتصم ومن جاء بعده ، حملت العرب على الانصراف عن تأييد
العباسيين . وكان سكوتهم عن الدفاع عن حقوقهم بسبب عدم توحدهم في وجه
الخطر الذي احذق بهم ، نتيجة السياسة التي اتخذها الخلفاء في الاعتماد على
العناصر الاسلامية . فحرص كل فرع قبلي في منطقة محددة من العالم الاسلامي
على تشكيل كتلة منفصلة ، وعمل لصلحته دون سواه .

٢ - الصراع حول السلطة في عصر النفوذ التركي :

بلغ الاتراك عايتهم منذ عهد الخليفة المعتصم . فقد تمكنا من السيطرة
على شؤون الخلافة الهامة . وكان رئيسهم ايتاخ يتسلم أعلى المناصب ، إليه
قيادة الجيش ، والاشراف على دار الخلافة ، وازداد تفوذهم تدريجيا ، واصبحوا
مصدر قلق واضطراب . فهم يكرهون الفرس والعرب دون ان يكونوا يدا واحدة .
فالدسائس بين قادتهم مستمرة ، وبجهلهم وتفرقهم تحكموا وتدخلوا في تولية
وعزل الخلفاء . وقد فسح لهم المجال لأول مرة حين توفي الخليفة الواقف دون ان يعهد
ل احد بالخلافة من بعده . فنهشوا بالأمر ، واختاروا جعفر بن المعتصم بلقب
المتوكل (٣٢ - ٢٤٧ / ٨٦١ - ٩٤٧ م) وقد عمل المتوكلى على قتل كبارهم
ایتاخ للتخلص من سلطته . فاكتسب حقد الاتراك عليه ، لأنهم خشوا ان يكون
مصيرهم كمصير ايتاخ فتآمروا على الخليفة . وشعر المتوكلى بما يكتنه له هؤلاء
فحاول التخلص منهم بنقل حاضرة الخلافة من العراق الى الشام^(١٧) . لعله يجد
فيها من المنصر العربي ما يعنيه عن العنصر التركي . ولما فعل ثار عليه الاتراك ، كما

(١٦) - ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٣ - احمد أمين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٨٧ .

(١٧) - حسن محمود وابراهيم للشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص ٣١ .

لم يسلم من شعب جند الشام عليه مطالبين باعطائهم فاضطر الى العودة من حيث اتي^(١٨) .

اضرب الاتراك السوء للمتوكل ، واستغلوا فرصة تأزم الاوضاع بين الخليفة وابنه وولي عهده المتصدر الذي رأى ان يحتفظ لنفسه بولاية العهد ، بعد أن رأى عزم ابيه على عزله عنها، اثر تحريض وزيره عبيد الله بن خاقان ، ونديمه الفتح بن خاقان فتأمروا على قتل المتوكل . ولما فعلوا بايعوا للمتصدر في سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م بالخلافة .

يعتبر قتل المتوكل اول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين ، فقد خلفاء العباسيين بعدها ما كان لهم من سلطة . واصبحت حياتهم معرضة للخطر على ايدي الاتراك . ولم يكن على الخلفاء الا الاذعان للامر الراهن ، اذا ارادوا الحفاظ على حياتهم والاقتناع بما يقى لهم من سكة وخطبة . الا من استطاع منهم ان يثبت وجوده ومقدراته على التصرف بأمور الدولة بعزم وحزم .

اصبح المتصدر في قبضة الاتراك بسبب ظروف تسلمه العرش . واصبح لا يستطيع القيام بعد دون مشورتهم . فقد لبى طلبهم بخلع اخويه المعتر ومؤيد من ولاية العهد — كان لهما بيعة بولاية العهد بعد اخيهما المتصدر من قبل ابيهما المتوكل — خوفا من ان يتلقى من قتلة المتوكل ، فأحضر المتصدر اخويه وطلب منهما خلع انفسهما امام الاتراك موصحا انه لم يفعل هذا رغبة في تولية احد ابنائه ، بل طاعة للاتراك ، وخشية عليهم من القتل . فقال : (اترىاني خلعتكم طمعا في ان اعيش حتى يكبر وادي وابايع له ؟ والله ما اطمعت في ذلك ساعة قط . وذا لم يكن

(١٨) — بيطار : المرجع السابق ، ص ١٠٤ - ١٠١ - وانظر عن اسباب ترك المتوكل للدمشق ، المسعودي : هروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٢٧٦ - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢١٠ - ابن الآثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٢٩٨ - كرد علي : خطط لالشام ، جزء ١ ، ص ١٩٣ .

في ذلك طمع ، فوالله لأن يليها بنو أبي احب الي من ان يليها بنو عمي ٠ ولكن هؤلاء الحوا علي في خلعكمـا فҳخت ان لم افعـل ان يعترضكمـا بعضـهم بـجـديـدة فـيـأـنـيـ عـلـيـكـمـا)١٩)

حرص المتنصر على الرغم من قصر مدة حكمه على توفير اسباب السعادة والرفاهية لشعبه فأحسن الى العبيدين ، والنـى ما كان قد صدر بـحـقـهمـ في عـهـدـ اـيـهـ ٠ الاـنـ الـاتـراكـ لمـ يـتـرـكـوهـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ خـضـوعـهـ مـنـ الـوـجـهـ الـعـمـلـيـةـ لـهـمـ ٠ وـلـمـ يـكـنـ مـنـ عـنـدـ لـهـمـ فـيـ قـتـلـهـ : سـوـىـ زـلـةـ لـسـانـهـ وـتـبـيرـهـ عـمـاـ يـجـيشـ فـيـ صـدـرـهـ تـجـاهـهـمـ بـقـوـلـهـ : هـؤـلـاءـ قـتـلـةـ الـخـلـفـاءـ ٠ فـقـتـلـوـهـ بـعـدـ حـكـمـ لـمـ يـدـمـ اـكـثـرـ مـنـ سـتـةـ اـشـهـرـ وـعـمـرـهـ مـتـ وـعـشـرـونـ سـنـةـ ٠ وـيـقـلـ بـاـنـهـ اـغـرـوـ طـبـيـبـهـ اـبـنـ طـيفـورـ بـذـلـكـ ، وـاعـطـوـهـ ثـلـاثـيـنـ اـلـفـ دـيـنـارـ ٠ فـفـصـدـهـ بـرـيـشـةـ مـسـمـوـةـ فـيـ رـيـبـعـ الثـانـيـ سـنـةـ (٢٤٨/٥ـ ٨٦٢ـ مـ) ٠

على اثر مقتل المتنصر بـرـزـ قـادـةـ الـاتـراكـ ، اـمـثالـ بـغـاـ الكـبـيرـ وـبـغـاـ الصـغـيرـ وـاـتـامـشـ وـوـصـيـفـ ، وـقـدـ اـجـتـمـعـ هـؤـلـاءـ وـبـاـيـعـوـ لـاحـمـ بـنـ مـحـمـدـ المـعـتـصـمـ خـلـيـفةـ بـلـقـبـ الـمـسـتـعـينـ بـالـلـهـ (٢٤٨ـ ٢٥٢ـ ٨٦٢ـ ٥ـ مـ) وـغـايـتـهـ الـاـسـتـشـارـ بـالـسـلـطـةـ دـوـنـهـ ٠ وـقـدـ قـادـمـ لـهـمـ الـمـسـتـعـينـ كـلـ مـاـ يـسـتـطـعـ مـنـ تـنـازـلـاتـ (٢٠) ، حتـىـ اـصـبـحـ أـسـيـراـ بـيـنـ أـيـدـيـهـمـ ، وـلـاـ أـدـلـ عـلـىـ وـضـعـهـ بـيـنـ يـدـيـ الـاتـراكـ مـنـ وـصـفـ اـحـدـ الشـعـرـاءـ لـلـوـضـعـ قـائـلاـ :

خـلـيـفـةـ فـيـ قـفـصـ بـيـنـ وـصـيـفـ وـبـغـاـ
يـقـسـوـلـ مـاـ قـالـ لـهـ كـمـاـ تـقـولـ الـبـغـاـ

ادى ازدياد نفوذ الـاتـراكـ فيـ عـهـدـ الـمـسـتـعـينـ ، وجـشعـهـمـ الـمـتـانـيـ للـمـالـ ، الـىـ قـيـامـ الـخـلـيـفـةـ بـقـتـلـ باـغـرـ التـرـكـيـ قـاتـلـ المـتـوـكـلـ (٢١) ٠ وـخـوـفاـ مـنـ نـقـمـتـهـ وـلـشـعـورـهـ بـالـؤـامـرـاتـ تـحـاكـ ضـدـهـ تـرـكـ سـامـرـاءـ ، وـالتـجـأـ الـىـ بـغـدـادـ فيـ سـنـةـ (٢٥١ـ ٨٦٥ـ ٥ـ مـ) ٠

(١٩) - الطبرى : المصدر السابق جـزـءـ ٩ـ ، صـ ٢٤٥ـ ٢٤٦ـ ٠

(٢٠) - انظر هذه التنازلات في الطبرى : المصدر السابق ، جـزـءـ ٩ـ ، صـ ٢٨٣ـ ٠

(٢١) - الطبرى : المصدر السابق ، جـزـءـ ٩ـ ، صـ ٢٧٨ـ ٢٨٢ـ ٠

- ابن تفري بردى : المصدر لـالـسـابـقـ ، جـزـءـ ٢ـ ، صـ ٣٣٢ـ ٠

ولم يرض الاتراك بهذه البدرة ، فلحقوا بال الخليفة ، وطالبوه بالعودة الى سامراء ، ولما ابى ويسروا من عودته ، بايعوا ابن عمه المعتز بالله وانقسم الناس والجناد بینهما . ودارت رحى حرب اهلية بين الفريقين (٢٢) . ولما كانت غالبية القوة العسكرية في جانب الاتراك وهم يناصرون المعتز . فقد كان النصر الى جانبهم ، واضطرب المستعين الى التنازل عن الخلافة في محرم سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م . ورحل الى واسط . وعلى الرغم من ذلك فقد اوجسوا خيفة من بقائه حيا ، وكتبوا الى احمد بن طولون الذي كان يدبر امور المستعين في واسط . يطلبون قتلها مقابل ولاية واسط ، فأبى ، فارسلوا اليه سعيدا الحاجب حيث قتلها (٢٣) .

اختل توازن الخلافة في عهد المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ - ٨٦٩ م) من جراء استفحال نفوذ الاتراك ، واحتلالهم فيما بينهم . ولم يكن للخلافة الا مساراتهم حينا ، وتدمير الدسائس والمؤامرات للتخلص من نفوذهم أحيانا اخرى . ولذلك فان الامر لم يرق لهؤلاء الاتراك ، وثاروا ضده ملحين في طلب مرتباتهم وزيادة خمسين ألف دينار ، ولما عجز عن التنفيذ ، اخرجوه عنوة من القصر وانزلوا به اروع ضروب الاهانات حتى اضطروه الى التنازل عن الخلافة . وعملوا على التخلص منه (٢٤) . كما صادروا اموال امه ، وكان لهذه الاعمال كبير الاثر في الهاب قريحة الشعراه فأخذوا ينشدون الشعر يصفون فيه ما اصاب البلاد (٢٥) .

بايع الاتراك اثر ذلك محمد بن الواثق . ولقبوه المهتمي بالله (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ - ٨٧٠ م) ، وكان رجلا عادلا محبا للشعب . على مقدرة ممتازة وكفاية منقطعة النظير . وكان يتشبه بعمر بن عبد العزير ويقول : اني استحي ان

(٢٢) - عن هذه الحرب الاهلية انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٨٣ - ٤١٧ .

- ابن تفري بردى : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

(٢٣) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٦ .

- ابن تفري بردى : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٦ .

(٢٤) - عن طريقة قتلها ، انظر ابن الاتير : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ١٩٥ - ١٩٧ .

(٢٥) - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٣ .

يكون في بني امية مثله ولا يكون مثله في بني انبياس . ولما كانت قوة الدولة في عهده بيد الاتراك فانه اراد ان يعيدها للخلفاء ، مستغلًا في سبيل ذلك شجاعته وقوته اللتين اشتهر بهما ، بالإضافة الى قوة ايمانه ، وتأييد الشعب له ، وحاول ضرب قادة الاتراك بعضهم بالبعض . الا انه فشل في ذلك واصبح هدفا لهم . وعلى الرغم من ذلك فانه اظهر عدم اهتمامه بتآمرهم عليه . وافهمهم انه واقف لهم بالمرصاد . وانه غير راض عن عدم قيامهم بواجبهم العسكري تجاه البيزنطيين^(٢٦) .

وقد وقع المهدى نتيجة صلابته وحزمه ، وتشدده في وجه الاتراك دون ان يملك القوة العسكرية والاقتصادية الى نهوض الاتراك لقتاله والتخلص منه . وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلها الخليفة وبلائه الحسن ، فانه لم يستطع ان يحقق نصرا . فقد انضم من معه من الاتراك الى اخوانهم ، فوق في ايدي أعدائه . وقد عمل هؤلاء على خليعه من الخلافة . وكانت نهايته بعد ذلك بقليل في رجب سنة ٢٥٦ هـ / يونيو حزيران ٨٧٠ م^(٢٧) .

بويع على اثر ذلك احمد بن المتوكل ولقب بالمعتمد على الله (٢٥٦ - ٥٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) فاستدعي اخاه ابا احمد طلحة من مكة ليعاونه في صد خطر الزنج . ثم جعله ولیا للعهد بعد ابنه جعفر في سنة (٤٦١ هـ / ٨٧٥ م) . وحجر الموفق على أخيه الخليفة ، ولم يترك له سوى الخطبة والسلكة ، والامر والنهي والقول الفصل للموفق . ويبدو أن الموفق كان رجلا حازما ذا مقدرة عسكرية ممتازة ، يتضمن ذلك من وصف ابن طباطبا للدولة في عهد المعتمد حيث يقول : كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع . كان هو وأخوه الموفق طلحه كالشريكين في الخلافة ، للمعتمد الخطبة والسلكة والتسمي بأمرة المؤمنين ولاخيه طلحه الامر

(٢٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ - احمد امين : ظهر ل الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٤ .

(٢٧) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٢٨ .

والنبي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء
وكان المعتمد مشغولا عن ذلك بذاته ^(٢٨) .

لم يكن للاتراك في خلافة المعتمد ما كان لهم في خلافة من سبقة . و يبدو ان ذلك كان لقوة الموفق من جهة ، ولتأثير الحركة التي قام بها المهتمي من جهة أخرى . فقد استعاد العباسيون شيئاً من سلطانهم وركن موسى بن بغا ^(٢٩) الى الهدوء في هذه الفترة . وقد حدث في خلافة المعتمد بعض الاحداث الهامة . منها ثورة الزنج ^(٣٠) واختفاء الامام الثاني عشر عند طائفة الائمة عشرية ، ونشاط طائفة الاسماعيلية في أرجاء الوطن العربي الاسلامي ^(٣١) .

توفي الموفق في حياة أخيه الخليفة في اوائل سنة ٢٧٨ هـ / ٩٦١ م ، فاجتمع كبار القواد ، وبايعوا ابنه ابا العباس بولالية العهد بعد المفوض الى الله . ولقبوه بالمعتضد ، فتحولت سلطة ابيه اليه ، وخلف عمه بعد وفاته .

كان المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ - ٨٩٢ م) من خيرة خلفاء العباسيين ، عاقلاً شهماً فاضلاً ، ولي الخلافة وهي بحاجة الى رجل قوي السياسة شديد على اهل الفساد . فقام بما يتطلبه منه هذا المركز احسن قيام ^(٣٢) . فقد وطد الخلافة العباسية ورفع شأنها ، واضعف سلطة الاتراك بقدر ما يستطيع . الا انه وعلى الرغم من المجهود الضخم الذي بذله لاعادة سلطة الخلافة العباسية الى سابق عزها ، لم يستطع لترامك الفساد في الخلافة من عهد من سبقة . ولذلك فان

(٢٨) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٢٩) - درج موسى بن بغا في مراتب الجيش حتى اصبح من اكبر قواه . وقام بذلك واسع مع غيره من الاتراك مشتركاً في الثورات المتعددة التي قامت في وجه الخلفاء سلباً او ايجاباً . فطوروا يدب عن عرش الخليفة ، واخر بتهم مع المتمردين لشل هذا العرش . وقد استطاع الخليفة المعتمد ان يكتسب جانبه بمصانته وزيادة اكرامه . فارسله في سنة ٢٥٩ هـ للقتال صاحب الزنج ، وكبح جماح الخارجيين على الدولة ، كما خسمه لابنه موسى حين ولاده ولاده المنافق للفربية .

(٣٠) - انظر فيا بعد .

(٣١) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٣ .

(٣٢) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

عدها من الحركات الانفصالية والثورات الاجتماعية ظهرت في عهده . فقد خرج عليه عمر بن الليث الصبغار فاستولى على أكثر بلاد العجم ، وقوى نفوذه وعظمت ثروته ، حتى انه كان يقول : لو شئت ان اعقد على نهر بلخ جسرا من ذهب لفعلت ^(٣٣) . كما ظهر نصر بن احمد الساماني في ماوراء النهر ^(٣٤) . وظهر ابن حوشب في اليمن لنشر الدعوة للمهدي ^(٣٥) . وابو عبد الله الشيعي في المغرب ^(٣٦) . كما ظهر القرامطة في الكوفة على يد حمدان قرمط ، وفي البحرين على يد أبي سعيد الجنابي ^(٣٧) .

قام المعتصم بالحد من نشاط هذه الحركات . فأنشد ابن العتز ملحمة بتأها بذم الاتراك وفسادهم في البلاد ، ثم عدد اعمال المعتصم وما قام به من حروب وما اتى به من اصلاح وهي تعد الى جانب أهميتها الادبية ، ووثيقة تاريخية هامة للاحاديث في عهد المعتصم ^(٣٨) .

توفي المعتصم بعد أن حكم عشر سنوات ، وترك لابنه وخليفته المكتفي ^(٣٩) - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م مهمة القضاء على بعض الحركات التي لم يمهله القدر بالقضاء عليها . ولم يكن المكتفي اقل من ابيه مقدره ، الا اذ الحركات التي بدأت في عهد اسلافه تمسكت في عهده ^(٤٠) . فقد اضطر الى قتال القرامطة ، وتسيير الجيوش الكثيرة لايقافهم عن قطع الطرق على الحاج ^(٤١) كما عمل على

(٣٣) - ابن طباطبا : المصدر السابق . ص ٢٥٦ .

(٣٤) - ابن الأثير : «المصدر الكامل» ، جزء ٧ ، ص ٤٥٦ .

(٣٥) - القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، تحقيق فرحات البشاوى ، الشركة التونسية للنوزيز ،

ص ٦ - ٢٥ .

(٣٦) - القاضي النعمان : المصدر السابق . ص ٤٠ وما بعدها .

(٣٧) - الطبرى : المصدر لـ«السابق» ، جزء ١٠ ، ص ٢٣ - ٢٧ .

(٣٨) - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٤٠) - ابن الأثير : المصدر السابق . جزء ٧ ، ص ٥٤٨ .

(٤١) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

القضاء على الدولة الطولونية ، واستعاد بذلك السلطة على مصر والشام
والث سور (٤١) .

سُئِمَ الاتراك واصحاب السلطة من اختيار الخلفاء القادرين الاكفاء من ذ عهده المهدى حتى المكتفي اذ لم يترك هؤلاء سلطة للمتنفذين ، وقاموا بامر الخليفة بنفسهم . فاجتمع اصحاب السلطة بعد وفاة الخليفة المكتفي لاختيار من يرثون عنه . واسفرت اجتماعاتهم ومشاوراتهم عن اختيار جعفر ابن المعتصم باسم المقىدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ - ٩٠٨ م) ، وعلى الرغم من وجود من هو اقدر منه . امثال عبد الله بن المعتز (٤٢) وهو كفاء واديب . كان المقىدر في الثالثة عشرة من عمره . فترك أمور الخليفة لغيره ، وانشغل عنها باللعبة واللهو ، فساعت حالة العباسية في عهده . وازداد نفوذ الاتراك وانقسموا في تأييدهم لل المقىدر . وناصر فريق منهم ابن المعتز وتدخل النساء وافراد الحاشية في الحكم (٤٣) ، ومن المهم ان نذكر ان اقسام الجندي على المقىدر كان لاسباب متعددة : على رأسها مصالح الاتراك المتضاربة ومحاولات كل فئة تأييد من ترى فيه مصلحتها ، وقد ادى ذلك الى حدوث ثورتين ضده ، وازيج المقىدر عن العرش مرتين ، كانت المرة الاولى حين وقف ابن المعتز وانصاره في وجه المقىدر في سنة (٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م) (٤٤) . اما الثانية فكانت حين بيع القاهر بالله (٤٥) .

وقدر وصف على تصوير وضع المقىدر ما ذكره المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف (٤٦) ، حيث قال : (افضلت الخليفة اليه وهو صغير غر ترف ، لم ييان الامور ، ولا وقف على احوال الملك ، فكان الامراء والوزراء والكتاب يدبرون

(٤١) - انظر بيطار : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٩ .

(٤٢) - عن الاجتماعات والمشاورات التي جرت لاختيار الخليفة المقىدر ، انظر مسكويه : تجارب الامم ، جزء ١ ، ص ٣ وما بعدها .

(٤٣) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٠٦ - ٢٤٢ .

(٤٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ١٤٠ وما بعدها .

(٤٥) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٠ .

(٤٦) - ص ٣٢٨ .

الامور ، ليس له في ذلك حل ولا عقد ، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة . وغلب على الامر النساء والخدم وغيرهم . فذهب ما كان في خزائن الخلافة من الاموال والعدد بسوء التدبير الواقع في المملكة . فأداء ذلك الى سفك دمه ، واضطربت الامور بعده . وزال كثير من رسوم الخلافة ^(٤٤) . وهكذا تلاشت هيبة الخلافة نهائيا في عهد المقتدر بعد ان عمن كل من المحتدى والمعتضد والمكتفي على اعادتها الى سابق عهدها .

ولابد لنا في هذا المجال من ان نذكر كيف كان اصحاب النفوذ في الدولة يرون الحجر على من يرشح للخلافة . لينشأ جاهلا غرا . فينصرف الى لهوه ولذته ، ويترك لهم امور الخلافة ، وسنورد مثلا على هذا - على الرغم من كثرة الامثلة والادلة — ماذكره الصولي من انه عهد اليه بتربية الراضي بالله و أخيه هارون فكان يلقاهم مرتين في الأسبوع ، وقد رآهما فطnin عاقلين . الا انهم خاليان من العلوم . فحبب الصولي العلم اليهما . واشترى لهما من كتب الفقه والشعر واللغة والاخبار الكثير ، حتى تنافسا في العلم ، وعمل كل واحد منهمما خزانة لكتبه ، وقرأ الاشعار والاخبار على الصولي

وتقديم الاخير في تعليمهما ، فقيل له على لسان اهل القصر (ما زيد ان يكون اولادنا ادباء ولا علماء وهذا أبوهما قد رأينا كل مانحب فيه وليس بعال) ^(٤٥) .

تولى القاهر بالله (٩٣٠ - ٩٣٢ هـ / ١٠٣٤ - ١٠٣٦) عرش الخلافة بعد أخيه المقتدر ، ولم يكن افضل منه . اذ اشتهر بالقسوة وقبح السيرة . كان سفاحاً كثيراً التلوز ، مدمداً للخمر . لم تمض على خلافته سنة واحدة حتى شغب عليه الجند ، واتفق بعضهم على خلعه . واكتشف القاهر المؤامرة فابتدرهم قبل ان يبدأوا به . وبعد ان هدأت الاحوال اعطى الخليفة الجندي ارزاقهم وبغض على الامور بحزن ،

^(٤٤) ... ازداد نفوذ نساء القصر في عهد المقتدر . وكانت السيدة والدة المقتدر تولي وتعزل ، حتى ان الامر تدعى ذلك الى قبرماناتها ، انظر : المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٨ - ٣٢٩ .
^(٤٥) ... المسوبي : اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، وهو جزء من كتاب الاولاق ، دار المسيرة بيروت س ٢٤ - ٢٦ - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٧ .

الا ان المؤامرات لم تنته ، فقد خاف البعض بطش القاهر ، فقبضوا عليه واستحضروا الطبيب بخيتشوع بن يحيى ، فسألوه ان يدلهم على من يحسن السمل – وكان اول من سمل من الخلفاء – فسمل ثم سجن ^(٤٩) و استمر في السجن الى ان توفي سنة (٩٥٠ هـ / ٣٣٩ م) في خلافة الطائع لله ^٠

ج - ظهور منصب امرة الامراء واسبابه :

ازداد ثقود قادة الاتراك في عهد الراضي (٩٤٠ هـ / ٣٢٩ - ٩٣٤ هـ / ٣٢٢) وبدأ الصراع الثلاثي بينهم وبين الخليفة والوزير ^(٥٠) . وبذل عجز الوزراء عن ادارة الدولة نتيجة لهذا التسلط ^٠ وامام الاضطرابات في العلاقات بين كبار رجالات الدولة ، واستشارة الازمة المالية في عهد الخليفة الراضي ، رأى الراضي ان يستميل محمد بن رائق اليه ويسلمه صلاحيات الوزير ، وقاده الجيش معا ^٠ اي ان يكمله بكل المهام الادارية والعسكرية ^٠ ويخطب له على جميع المنابر بعد اسم الخليفة ^(٥١) ، ويعطى لقب امير الامراء ^٠

كان محمد بن رائق – قبل ان يستدعيه الخليفة – يلي واسط والبصرة ^٠ فتولى منصب امير الامراء سنة (٩٣٥ هـ / ٣٢٤) واصبح هذا المنصب من المناصب التي يتنافس عليها الاتراك ، وطغى صاحبه على الخليفة ^٠ وقال ابن طباطبا ^(٥٢) متحدثا عن وضع الخليفة والوزير مع امير الامراء ابن رائق ^٠ (امير) ابن رائق امير الامراء بالامور ، وولي النظار والعمال ورفعت المطالعات اليه ، ورد الحكم في جميع الامور الى نظره ^٠ ولم يبق للوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير ، ومن تلك الايام اضطهدت الخلافة العباسية ، وخرجت

((٤٩)) - المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٣٣٦ .

((٥٠)) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣١٢ - ٣١٣ وما بعدها .

((٥١)) - الصولي : المصدر السابق ، ص ٨٤ - ٨٥ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص

٣٢٢ - ٣٢٣ ، وقد اصبحت الوزارة اسمية ، والوزير يملك ولا يحكم ^٠ .

((٥٢)) - ابن طباطبا : (المصدر السابق) ، ص ٣٨٢ .

الامور منها ، واستولى الاعاجم والامراء وارباب السيوف على الدولة ، وجبووا الاموال ، وكفوا يد الخليفة وقرروا له شيئاً يسيراً) حتى عجز عن دفع ارزاق الجند والحصول على ما يكفي ثقاته *

اصبح منصب امرة الامراء الذي اوجده ليستعيين الخليفة بصاحبته على ادارة شئون الدولة مجالاً للمنافسة . وادى الى بلبة الاوضاع عوضاً عن تهدئتها ، فقد نافس بحكمـ احد قواد ابن رائقـ سيده واقع به الهزيمة ودخل بغداد وحل مكانه في امرة الامراء (٥٣) *

تجلى الاضطراب في العراق في ولاية بحكم لمحاولة ابن رائق استعاده منصبه . وتوسط الخليفة بين المتنافسين ، وقرر أن يبقى بحكم معه كأمير الامراء ، وان يخرج ابن رائق الى الشام ولها عليها ، وبقي بحكم في امرة الامراء حتى نوفي الخليفة الراضي بالله (٥٤) *

وقد اورد ابن الاثير (٥٥) فقرة تدل على مبلغ تسلط رجال الاطراف على اراضي الخلافة في عهد الراضي فقال : ولم يبق للخليفة غير بغداد واعمالها والحكم في جميعها لابن رائق وليس للخليفة حكم . واما باقي الاطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق . وخوزستان في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه ، وكرمان في يد أبي علي محمد بن الياس ، والري واصبهان والجليل في يد ركن الدولة ابن بويه ويد شمسكير اخي مرداويح يتنازعان عليها ، والموصل وديار بك ومضر وريمة في يدبني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طفع ، والمغرب وافريقيا في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدى العلوى ٠٠٠ والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الاموى ، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي *

(٥٣) - المصوّلي : المصدر السابق ، من ص ١٠١ - ١٠٧ .

(٥٤) - المصوّلي : المصدر السابق ، من ص ١٠٩ وما بعدها .

(٥٥) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ص ٢٤٣ - ٣٤٤ .

توفي الراضي سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م فخلفه ابراهيم بن المقذر بلقب المتقى الله (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤ م) وفي عهده قتل امير الامراء بحكم على يد بعض الاكراط فعاد ابن رائق الى بغداد و وسلم منصب امرة الامراء^(٥٦) .

لم تصف الامور لابن رائق هذه المرة ايضا فقد نافسه ابو عبد الله البريدي، وهزمه في معركة عسكرية ونهب البريديون دار الخليفة ، وفعلوا مالهم يفعله احد قبلهم^(٥٧) . ففر الخليفة مع ابنه ومحمد بن رائق الى الموصل ، طالبين مساعدة الحسن بن عبد الله بن حمدان . ويبدو أن ابن حمدان طمع في منصب امرة الامراء، فبادر الى مساعدة الخليفة وارسل معه اخاه ابا الحسين علي بن عبد الله ، واغتال محمد بن رائق مبررا فعلته للخليفة بتآمر ابن رائق عليه^(٥٨) .

اصبحت امرة الامراء بيد العرب بشخص ناصر الدولة بن حمدان حسب اللقب الجديد الذي حصل عليه من المتقى لله ، كما اطلق على اخيه لقب سيف الدولة^(٥٩) ولم يعمل ناصر الدولة بعد تقلده منصب امرة الامراء على رعاية حقوق الخليفة ، بل استأثر بالسلطة دونه . وضيق عليه وعلى اهل داره في النفقات، واتزع ضياعه وضياع والدته ، ثم لم يلبث ان ترك بغداد وعاد الى الموصل^(٦٠) .

اصبح منصب امرة الامراء فارغا برحيل ناصر الدولة . وكان الخليفة بحاجة الى الحماية خشية من البريديين . ولذلك فانه استجذب بتوزون ومهده له السبيل لدخول بغداد في رمضان سنة (٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) وخلص عليه واعطاه امرة الامراء^(٦١) . ولم يكن توزون اكثر اخلاصا للخليفة . بل ان اعماله دعت الخليفة

(٥٦) - الصولي : المصدر السابق ، ص ١٩٧ وص ٢٠٦ وص ٢٢٥ وما بعدها - السيوطي : تاريخ الخطفاء ، ص ١١٤ .

(٥٧) - الصولي : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٥٨) - الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ وص ٣٨٢ وما بعدها - مسكونيه : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٢٧ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٨٢ .

(٥٩) - الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٦٠) - الصولي : اختيار الراضي بالله والمتقى لله ، ص ٢٣٥ وص ٢٤١ .

(٦١) - الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٤٤ وما بعدها .

الى الاتجاء الى ابن حمدان ثانية ، ومن عاصمة الحمدانيين استنجد بمحمد بن طفح الاخشيد ، كما سعى الى مصالحة توزون ، وذلك لأن ابن حمدان لم يحسن استقبال الخليفة ، وبدا منه الملل والضجر ، بالإضافة الى أنه لم يستطع التغلب على توزون ^(٦٢) .

رحل الخليفة الى بغداد برقة توزون بعد أن أنهى في محرم سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ولكنه مابث ان قبض عليه وسلمه وسجنه . وبایع ابن المكتفي بلقب المستكفي بالله (٣٣٣ - ٩٤٤ هـ / ٣٣٤ م) ^(٦٣) ، وقد ساعده على القيام بفعله الخلاف والتنافس والتآمر بين افراد البيت العاسي بغية الوصول الى السلطة ، بالإضافة الى دسائس النساء ، وتفضيل الاتراك لمرشح دون اخر لتحقيق مصالحهم ^(٦٤) .

بقي توزون أميرا للامراء في عهد المستكفي المغلوب على أمره ^(٦٥) ، واتقلت امرة الامراء بعد وفاة توزون سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م الى كاتبه ابن شيرزاد . ولم يكن هذا افضل من سابقه . فقد لجأ الى مصادر أموال الناس لزيادة في أرزاق الجناد الاتراك والديلم . كما فرض الاموال على الكتاب والعمال والتجار وغيرهم من افراد الشعب . وازدادت الضرائب في أيامه بشكل كبير حتى اضطر التجار الى الهرب من بغداد ^(٦٦) . واستاء كثير من قواد بغداد فدعوا أحمد بن بوبيه للمسيير اليهم . فرحل من الاهواز قاصدا بغداد في ١١ / جمادي الاولى سنة ٣٣٤ هـ / ٨ يناير كانون الثاني ٩٤٦ م حيث قابل الخليفة واحتفى به ، وخلع عليه ، ومنحه

(٦٢) - الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ وما بعدها - السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٢ .

(٦٣) - السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٦٤) - حسن ابراهيم حسن : المراجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٥ .

(٦٥) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٤ ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٦٦) - مسکویه : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٨٣ - ابن الاثیر : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص

٤٤٨ - ٤٤٩ .

امرة الامراء ولقبه معز الدولة^(٦٧) . وينتهي بهذا عصر نفوذ قادة الاتراك ليبدأ عصر جديد هو عصر سيطرة البوبيهين .

ومن ابرز صفات عصر نفوذ الاتراك ازدياد شوكة القادة من الاتراك . وضعف شأن الوزراء في هذا الدور . فقد سحبت ضياعهم وفرض لهم رزق ثابت قدر بخمسة آلاف دينار^(٦٨) في الشهر كما انتقصت اختصاصاتهم ، وقطن الوزير منذ سنة (٩٣٣ هـ / ١٥٢٥ م) في دار الحاجب بعد ان كان يسكن في دار خاصة بقصر الخلافة^(٦٩) وكان بقاء الوزير في منصبه مرهوناً ببراءته في التوفيق بين مصالحه ومصالح انصاره ومؤيديه من جهة ، ومصالح الخليفة من جهة ثانية . مصالحه ومصالح انصاره ومؤيديه من جهة ، ومصالح الخليفة من جهة ثانية ، كانت تلعب دورها في اعتماد الوزير وخلعه .

أصبح منصب الوزارة^(٧٠) في هذا العصر أشبه بمنصب وراثي فانحصرت الوزارة في أسر معينة كآل خاقان وآل الفرات وآل وهب^(٧١) . كما كان الخلفاء يختارون وزراءهم من المثقفين ثقافة ادبية ، ويأبون اسنادها الى العلماء واصحاب الطيالس ، كما اتضحت في هذا العهد عدم اتصف الوزراء بالصفة الحربية وانحصر قيادة الجيش بيد القادة من الاتراك .

— كان عصر نفوذ قادة الاتراك عهداً سادته الفوضى وابرز مثال على ذلك ما يروى من أنه حين توجه ابن رائق الى الشام بعد ان تقلد ولايتها من الخليفة ، جاء رسول الاخشيد الى دار الخلافة يستعلم الامر ، لأن الاخشيد كان والياً عليها معترفاً به من قبل الخليفة . وكان مجلس الخليفة يضم بحكم امير الامراء ، فأنصن

(٦٧) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٤٩ .

(٦٨) - وصل هذا الرزق احياناً الى سبعة آلاف دينار (انظر محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة للإسلامية ، ص ٣٧) .

(٦٩) - انظر محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٧٠) - انظر عن ذلك الوزارة في عهد الخليفة المقتصد في كتاب مسكونيه : تجارب الامم ، جزء ١ من ص ٣ - ٢٠٠ .

ال الخليفة ولم يتقوه بشيء ، بينما اجاب امير الامراء ، ولعل جوابه يعبر عن الوضع في بلدان الخلافة في تلك الفترة ، ويوضح عجز الخليفة عن حماية أي من الطرفين . فقد قال بحكم : (من ضرب بالسيف وهزم صاحبه فالعمل له) . وليس هذا الامر غريبا على الخلافة العباسية في ذلك الوقت ، ونحن نعلم أن أمير الامراء كان له الامر والنهي ^(٧٢) .

— مرت الخلافة العباسية خلال هذا العصر بأزمات مالية خانقة ناجمة عن قلة الموارد من الجبييات لانفصال الاطراف ، وسوء المواسم الزراعية ، وكساد التجارة بسبب كثرة الفتنة والثورات كثورتي الزنج والقرامطة . وفوق ذلك فقد تزايدت نفقات البلاط والخليفة ، وقد ادى ذلك الى عقد قروض مع التجار الرأسماليين ، وتضمين الولايات لكتاب التجار ، او لبعض الاسر الغنية ، وقد قدم بعض الوزراء آراء اقتصادية للقضاء على الازمات المالية . فقد رأى علي بن عيسى تخفيف النفقات لاصلاح مالية الدولة ، ولكنه حين بدأ بتنفيذها شعر بأنه اصبح بعيدا عن قلوب رجال القصر والحاشية وغيرهم وتعرض لسوء ادبهم فاستعفى ^(٧٣) .

— وعلى الرغم من ضعف الخلافة العباسية بصورة عامة في هذا العصر فقد تقدم العلم والادب عما كانوا عليه من قبل . ذلك ان حركة الترجمة التي بدأت في الدور الاول ونتقلت ذخائر الامم المختلفة ، قد نضجت . وأخذ المسلمون يتهمون هذه المؤلفات ويشرونها ، يهضمها البعض ، يبتكر فيها ويزيد عليها .

وفي عصر نفوذ الاتراك ، بدأ استقلال بعض الاقطاع الاسلامية بمن مركز الخلافة واصبح مركز كل دولة مكانا هاما للعلم والادب . فقد اخذ امراء هذه الاقطاع يكرمون العلماء والادباء ليستقطبوا اليهم هذه الفئة ويفاخروا بأمراء

(٧١) - انظر ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٤٧ - ٢٥١ - ٢٦٥ - ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٦٦ .

(٧٢) - ابن العميد : تاريخ المسلمين ، طبعة ليدن ١٠٤٤ ، ص ٢٠٣ .

(٧٣) - انظر مسكونيه : تجارب الامم ، جزء ١ ، ص ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ . وانظر المصاين : الولياء والكتاب ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ . حسام قوام السامرائي : المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال للفتره ، ص ١١٦ - ١١٧ ، ص ٣٣٤ - ٣٤٧ .

الاقطاع الآخر في الثروة العلمية والأدبية . كما يتفاخرون بعظمة الجندي وعظمته المباني ، وهكذا انتشرت وتعسّدت مراكز العلم والادب ، وبدأت المنافسات والمفاخرات والمساجلات بين علماء قطر وآخر . ولم تكن هذه الظاهرة تقتصر على الامراء الذين يحسنون العربية . بل تعدى ذلك الى امراء الاتراك الذين لا يجيدونها . وما يذكر في هذا المجال : ان بحكم التركي وكان بواسط استدعى المصوبي اليه من المسجد . فتقهم البعض عليه بسبب ذلك لانه لا يجيد العربية . فدافع عن نفسه قائلاً : انا انسان ، وان كنت لا احسن العلوم والأداب ، احب ان لا يكون في الارض اديب ولا عالم ولا رأس في صناعة ، الا كان في جنبي وتحت اصطناعي ، وبين يدي لا يفارقني ^(٧٤) .

يتضح من هذا أنه ليس من الضروري ان تترافق سوء الحالة السياسية مع انحطاط العلم والادب . فقد يحمل الظلم كثيرا من عظام الرجال وذوى العقول الراجحة ان يفروا من العمل السياسي الى العمل العلمي ، لأنهم يجدون العمل السياسي يعرضهم لمصادرة اموالهم ، واحياناً الى ازهاق ارواحهم . على حين ان العمل العلمي يحيطهم بجو خاص هادئ . ويبدو أن الخلفاء والامراء جعلوا للعلماء حرمة ، ولم يتعرضوا لهم طالما لم يتعرض هؤلاء للسياسة . مما ادى الى قيامهم بأبحاثهم العلمية في هدوء وطمأنينة ^(٧٥) .

— كان عصر سيطرة الاتراك بداية ظهور نظام الاقطاع العسكري . فقد اقطع هؤلاء أكثر أعمال السواد ، فتمسّك الرابحون منهم بما حصل في أيديهم من اقطاعاتهم ورد الخاسرون اقطاعاتهم فعوضوا عنها . فصار القانون المتبع أن يخرب الجندي اقطاعاتهم ثم يردوها ، ويعاضوا عنها من حيث يختارون . واقتصر المقطعون على تدبير نواحיהם بعلمائهم ووكالائهم . وبذلك كانت الاراضي العاملة تحول الى خراب وأدى ذلك الى فساد الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ^(٧٦) .

(٧٤) — المصوبي : اخبار الراضي والمتقي ، ص ١٩٥ .

(٧٥) — احمد أمين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٩٦ .

(٧٦) — مسکویہ : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ .

الفصل الثاني

الصراع الاجتماعي والسياسي والديني — المذهب الاسلامية

ان التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تبدت بشكل ظاهر في عصر سيطرة الانراك ، ادت الى نشوء حركات اجتماعية متعددة ، وبروز تيارات دينية مختلفة ، فقد بدأ الفساد والانحلال يدب تدريجيا في جسد الخلافة العباسية منذ نهاية الربع الاول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وبدأت الخلافة العباسية تفقد سيطرتها على اجزاء كثيرة من امبراطوريتها الواسعة . فادى ذلك الى حدوث حركات اقصالية وقيام دويلات جديدة^(١) . وبالاضافة الى ذلك فان هذا القرن تميز بميزات أخرى منها اهتمام الكثirين بالزراعة والتجارة ، وبشكل خاص الزراعة الواسعة والتجارة الكبيرة الرابحة . مما نتج عنه قيام طبقة من أصحاب الثروات العريضة ، وقيام ملكية زراعية واسعة ، الى جانب طبقة كبيرة جدا من الفقراء^(٢) .

وتتجة لهذا التمايز الطبقي الذي ظهر في هذه الفترة ، ونتيجة لكون أصحاب الملكيات الكبيرة اما من الحاشية او من المقربين الى البلاط . فان جباة الضرائب المختلفة كانوا يتغاضون عن جزء او كل الضرائب المستحقة على كبار المالك . في

(١) — انظر فيما سبق .

(٢) — فيصل السامر : ثورة الرنج ، ص ٢٦ .

حين تعرض صغار الفلاحين الى قسوة هؤلاء الجباء ، فأخذوا يلجئون^(٣) اراضيهم الى كبار الملوك كوسيلة للتخلص من قسوة العمال وعبث الجباء^(٤) . وبازدياد الملحدين اضطرت الخلافة الى انشاء ديوان للضياع ، وتنج عن ذلك تحول الملحدين الى مستخدمين في الارض بينما اصبح الملجأ اليه مالكا لها^(٥) . وهكذا أدى الجاء الاراضي الى كبار الشخصيات مع انتعاش التجارة الى انتشار الملكيات الفردية الواسعة على حساب صغار الفلاحين ، مما دفعهم الى التذمر . وشعر هؤلاء المتذمرون من العرب والفرس بضرورة التكائف فيما بينهم لمواجهة وضعهم السيء امام الملوك الذين تعاقبوا بدورهم بداعي المصلحة المشتركة .

حين كان الوضع الاقتصادي للخلافة الاسلامية يسير بهذا الاتجاه بدا الضعف على خلفاء العباسيين وتسلط عليهم الاتراك . فقتل اربعة من الخلفاء على أيديهم في خلال تسع سنوات من سنة ٢٤٧ - ٢٥٦ / ٨٦٢ - ٨٧٠ م ولم يكن هذا فحسب بل ان الصغار كانوا يسرخون بأعمال الكبار . واذا اضفتنا الى ذلك ان القرن الثالث الهجري شهد حركة فكرية واسعة ومتقدمة أدت الى تحرير الفكر وشعور الانسان بكبرامته وحقه في الحياة الحرة الشريفة ، لادركتنا الاسباب التي أدت الى الصراع بين النشأت التي يتالف منها المجتمع . وخاصة وأن المستغلين من العناصر كافة شعروا بضرورة التكائف فيما بينهم لمواجهة هذه الوضائاع والوقوف بحزم امام كبار الملوك .

١ - حركة الزنج :

اطلق هذا الاسم على الثورة التي قامت في جنوب العراق في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، ودامت ما يزيد عن اربع عشرة سنة ، وهي الحركة التي

(٣) - الاجاء : هو تسجيل صاحب الملكية الصغيرة ما يملكه باسم احد كبار الشخصيات على اتفاق بينهما باخذ جزء من الم الحصول وذلك نظير حمايته من عبث جبة الخارج .

(٤) - محمد عبد الفتاح عليان : قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ص ٢٣ .

(٥) - المجهشاري : الوزراء والكتاب ، ص ١١٨ . ويبدو مما ورد في هذا الكتاب ان قضية الاجاء ليست وليدة عصر سيطرة الاتراك ، بل وجدت منذ عصر الخليفة المنصور .

قام بها جماعة من الزنوج ^(٦) كانوا يكسحون السباخ في الاراضي قرب البصرة .
كان هؤلاء ملكاً لأصحاب هذه الاراضي يعملون في الارض فيعزونها ويرفعون
عنها الطبقة المالحة ليصلوا إلى الارض الخالية من الاملاح الصالحة للزراعة . وكان
هذا العمل شاقاً ، والعيشة العامة لهؤلاء متدينة . فهم لا يتقادرون اجرا عن عملهم
ويقتاتون بقليل من الدقيق والتمر والسوقي ، وبالتالي فانهم كانوا مستعدين
لتلبية دعاة التحرر الاجتماعي ^(٧) .

لقد سلطت الاوضواء على هذه الثورة التي هددت أمن المنطقة من قبل
المؤرخين على اتساعاتهم كافة ، وعلى الرغم من كل الدراسات المقدمة في هذا
المجال ، فان الدارسين لم يصلوا الى حقيقة ثابتة عن معتقدات صاحب الزنج .
وما يذكر في هذا المجال هو أن علي بن محمد صاحب الزنج وهو من اهالي
الطالقان . تمكّن من استغلال الظروف الاقتصادية والاجتماعية الى حد كبير فادعى
أنه من ولد علي زين العابدين ، كما ادعى ادعاءات أخرى ليثبت مركزه ويزيد في
عدد انصاره . فهو الى جانب ادعائه النسب العلوي ، قد تمسّك بالمبادئ
الديمقراطية الخارجية اعتقاداً منه انها تلائم اتجاهات المساوة والديموقراطية
التي يتطلع اليها العديد من افراد الطبقة الدنيا . وفوق كل ذلك فانه ادعى علم
الغيب ، واتحلل النبوة . وزعم ان له آيات عرف بها ما في ضمائير أصحابه ^(٨) ،
وبالتالي فانه تمكّن من ان يضم اليه هؤلاء الزنوج . بالإضافة الى العبيد الفارين
من القرى والمدن المجاورة تخلصاً من سوء حالتهم ^(٩) .

بدأ علي بن محمد يدعو لنفسه بين الفئات الفقيرة . فتنقل في بداية الامر
بين أهالي هجر والبحرين والعراف واقام سنة في بغداد . ثم استقر به المقام اخيراً في
البصرة سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م حيث نزل فيبني ضبيعة ، فاتبعه جماعة كبيرة منهم ،

(٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٤١٠ .

(٧) - الدورى : دراسات في المصود العباسية المتأخرة ، ص ٧٦ - ٧٧ .

(٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ص ١٧٦ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٠٧ .

(٩) - الدورى : المرجع السابق ، ص ٧٦ - ٧٧ .

الا ان قوة والي البصرة محمد بن رجاء الحضاري في ذلك الوقت أجبرته على ترك البصرة ، فاتجأ الى بغداد ، ولكنها لم يكف عن دعوتها . وساعدته الظروف بالعودة الى البصرة بعد سنة من خروجه منها ، وذلك بعد عزل ابن رجاء ، ونشوب ثورة فيها . وحين دخلها أخذ يدعو الى نفسه بين الفئات المستضعفه ، ويعدهم التحرر، فالفتح، حوله عدد من المظلومين ، ادعى فيهم بأنه ملهم ، وانه تنزل عليه الآيات ، ويبدو انه كان يبيت اعواه بين هذه الفئات ليعلم اخبارهم . تم يسردها لهم مدعيا الغيب . وقد أخذ نجمه ياسع منذ ان استطاع استسال بعض غلمان البصرة الذين اقبلوا عليه لبادئه في تحرير العبيد والفقراء ، فوعدهم بأن ينودهم ويسلكهم الاموال اذا وقفوا الى جانبه وقمة قوية حازمة . وحلف لهم اليمان بأن لا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئا من الاحسان الا التي به اليهم^(١٠) وقد نفذ وعده حين سمح لهؤلاء بضرب سادتهم الذين جاؤوا لمناولة صاحب الزنج لردهم^(١١) مقابل خمسة دنانير عن كل منهم^(١٢) .

كانت حركة صاحب الزنج في باديء الامر حركة ضد كبار الملوك ، ثم تطورت فصارت حركة ضد الدولة . لأن الخلفاء والولاة ظالمون يتتهكمون حرمة الله^(١٣) ، فسمح صاحب الزنج لرجاله القيام بسلب السلاح والاموال لاستخدامها في قتال اعدائهم ، وان من يأسر رجالا يصبح عبدا له ، وبذلك تحولت جموع هؤلاء الى قوى مسلحة ، واستطاعوا — بما بذلوا من جهد وبما قدموا من تضحيات — الاتصار على جيوش الخلافة العباسية . وتمكوا الابلة وعبادان والاهواز ثم البصرة وواسط والنعمانية ورامهرمز ، كما انهم اغتنوا ماليا . واصبح هؤلاء الزوج يملكون البعض من السادة . وقد جاء في المسعودي^(١٤) ان صاحب الزنج كان ينادي على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر

(١٠) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩

(١١) - حسن ابراهيم حسن التاريخ السياسي ، جزء ٣ ، ص ٢١٠ نقل عن نولده .

(١٢) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٠٩

(١٣) - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٧٠

(١٤) - مروج الذهب : جزء ٤ ، ص ٢٠٨ .

العرب ، وابناء الناس ، تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ، وينادي عليها بنسبيها . هذه ابنة فلان الفلاني ، لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون ، يطؤهن الزنج ، ويخدمن الزنجيات كما تخدم الوصائف . ولقد استغاثت الى علي ابن محمد امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت عند بعض الزنج ، وسألته أن ينقلها الى غيره من الزنج أو يعتقها مما هي فيه . فقال هو مولاك وأولى بك من غيره .

وهكذا انقلب الوضع في هذه الفترة وعاش الزنج عيشة كريمة عزيزة ، بينما لم تدع هجمات الزنج لاهالي البصرة ما يعيشون منه . ووقع الرعب في نفوسهم ، وقتل منهم اعداد كبيرة . واستخفى من سلم من أهل البصرة في آبار الدور . فكانوا يظهرون ليلا ، ويطلبون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها ، ويأكلون الفئران والستانير ، وصار اذا مات الواحد منهم أكلوه^(١٥) .

دامت هذه الثورة أربع عشرة سنة نشب خلالها قتال مرير بين صاحب الزنج وجيوش الخلافة العباسية ، التي ارسلت الجيوش لمتابعة قمع هذه الحركة التي هددت طرق التجارة بين بغداد والجنوب . وأفسدت الزراعة وأضفت الاقتصاد .

وقد وضع الخليفة المعتمد على الله في يد أخيه الموفق كل امكانيات الخلافة بعد الجيش على النحو الذي يريد . فبني الموفق قلعة تواجه مدينة المختارة التي كان صاحب الزنج قد اتخذها عاصمة له ، واقام كل فريق يرابط ضد الفريق الآخر . وفي آخر الامر كانت الغلبة للجيش العبسي الذي أباد الزنج قتلا وأسرا . وقتل صاحب الزنج ودمرت مدنته ، وانتهت هذه الحركة بعد ان ذهب ضحيتها مليونان ونصف من الفريقين في رواية ابن طباطبا^(١٦) ومليون ونصف في رواية السيوطي .

(١٥) - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٣٥

(١٦) - المصدر السابق ، ص ٢٥١

٢ - حركة القرامطة :

آ - ظهور قرامطة العراق والشام :

اختلف المؤرخون في نشأة هذه الحركة وموطن انطلاقها الأول . كما اختلفوا حول مؤسسيها ، ومتى كانت . وما يُعرف عنهم هو أنهم طائفة من طوائف الاسماعيلية . دانوا بالذهب على يد دعوة الذهب الاسماعيلي ^(١٧) . ولم يجتمع رأي المؤرخين حول هذه التسمية . ويدرك الطبرى عن ظهور القرامطة ، ان ابتداء أمرهم كان على يد رجل قدم من بلدة خوزستان انى سواد الكوفة . ونزل في موضع يقال له النهرين ، وانه عرف باسم كرميته لاسباب يختلف حولها المؤرخون . وهنا تظاهر بالزهد والورع والتقوى ، وحدث اصحابه عن ذلك وعن الصلاة وفراضها . ثم اعلمهم بأنه يدعو الى امام من أهل البيت . فاتتف حوله جمع كبير من الناس ، اتخد منهم اثنى عشر نقبا ، أمرهم ان يدعوا الناس الى دينهم ^(١٨) . وقد استدعي نشاطه هذا اتباعه رجل اسمه الهيسن ، من كبار الملائكة . فسعى الى القضاء على الحركة في المهد ، ففشل . وفي هذه الآونة كانت ثورة الزنج قائمة نشيطة في منطقة البصرة ، فذهب قرمط الى صاحب الزنج فناوله . ولما وجد آراءه تختلف عن آرائه ، تركه وانصرف . ويقال بأنه خرج الى الشام فلم يعرف له خبر ^(١٩) .

وإذا أردنا ان نحلل اسباب ظهور القرامطة في القرن الثالث الهجري /
التاسع الميلادي لوجدناها متشابهة مع اسباب قيام حركة الزنج ، وتعود الى سوء
الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة .

استغل حمدان قرمط الفئات المتضررة من سوء الوضاع غاية الاستغلال ،

(١٧) - انظر حول ذلك دي خويه : القرامطة نشائهم دولتهم وعلاقاتهم بالفارسيين ، ترجمة وتحقيق حسني زينة ، ص ١٥ - ٣٠

(١٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٢٣ - ٤٤

(١٩) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٢٤ - ٢٥

ونادى بمبادئه تقبلتها . قام أول الامر بنشر الدعوة الاسماعيية في سواد العراق، واعتمد على صهره عبдан الذي كان من أكبر من نشر الدعوة . وصادفت الدعوة الاسماعيية على يد عبدان كثيرا من النجاح . حتى ان أبا سعيد الجنابي مؤسس دواة القرامطة في البحرين وزكرويه بن مهرويه زعيم قرامطة شمالي غربي ببلاد العراق وبادية السماوة قد أخذها عنه (٢٠) .

وقد حدث صراع بين زعماء القرامطة في العراق حول رئاسة الطائفة بعد حمدان قرمط . فعلى حين كان عبдан عقل القرامطة المفكر ، كان آل زكرويه يشعرون بأصالتهم في الدعوة واتهتم المنافسة لصالح زكرويه وقتل عبдан (٢١) .

تلقي القرامطة في اثناء رئاسة زكرويه ضربات متتالية من الخلافة العباسية في العراق منها تلك الضربة التي وجهت اليهم في نواحي الكوفة سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م (٢٢) . وعلى الرغم من ذلك فلم يكتف القرامطة عن نشاطهم ، وزاد انتشارهم بشكل واضح في سواد الكوفة . الا ان الخليفة المعتصم كان قد وطد عزمه على استئصال شأنهم في هذه المنطقة . فوجه اليهم عدة حملات تمكنت من قتل اعداد كبيرة منهم .

فكر زكرويه بن مهرويه بتوجيه نشاط القرامطة الى بلاد الشام ليوسّع منطقته دعوته ولضم عناصر جديدة اليها ، مستفيدا من التفكك السياسي فيها . ولمعرفة أهالي الشام بالدعوة الاسماعيية التي كانت قد تسرّبت اليهم بشكل عام من سلنية وتحمل المهدى على الموافقة على توليتهم (آل زكرويه) رئاسة الدعوة (٢٣) .

اسند القرامطة في الشام رئاستهم في بادئ الامر الى يحيى بن زكرويه المعروف (بالشيخ) . فأأخذ يدعو الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ،

(٢٠) - دي خويه : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ نقلا عن ابن حوقل المسالك والممالك ، ص ٢١٠ .

(٢١) - هناك اسباب اخرى يذكرها دي خويه عن سبب مقتل عبدان انظرها في المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٢٢) - محمد عبد الفتاح عليان : قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ص ١٠٠-١١٩ .

(٢٣) - عليان : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

و تظاهر بالقدرة على اتياً المعجزات . وقد استغوت ادعاءاته بني العلیص فخذل من كلب (٢٤) ، وكذلك جماعات كثيرة بجوار دمشق (٢٥) .

اشتد أمر القرامطة بعهده في بادية الشام ، وأخذوا يفسدون في المناطق والقرى التي حولهم فنهضت القوى الإسلامية المسؤولة للدفاع عن الشام كالطولانيون وولاتهم ففشلوا في ذلك على الرغم من قتلهم ليعي زعيم القرامطة على أبواب دمشق . تم تولي الخليفة المكتفي هذا الامر ، وارسل الجيوش الواحد تلو الآخر حتى تمكن من الانتصار على القرامطة (٢٦) . فأسر اعداداً كبيرة منهم ، كما أسر الحسين بن زكرويه ، وفر من بقي إلى البادية (٢٧) . وعلى هذا الشكل ضعف أمر القرامطة في الشام لقتل أكثر زعمائهم واستئمان البعض الآخر . الا أن زكرويه الذي كان مختبئاً ، واصل تحركه ضد العباسين وبعث بدعائه إلى بلاد الشام ثانية . حيث تركزوا في صحراء السماوة ، وهاجموا مدن الأردن ونهبوا هيست على الفرات ، وهاجموا الكوفة ، ونهبوا قوافل الحجاج وفتكتوا فيها . واستمرروا في نشر الذعر والرعب بين السكان حتى سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م حيث قبضت عليهم جيوش العباسين (٢٨) .

(٢٤) - الطبری : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٣٥ - ابن الأثیر : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١ - ١٠٤ - العینون والحدائق ، جزء ٤ ، قسم اول ، ص ١٠٨

(٢٥) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ١٠٤
عليان : المرجع السابق ، ص ٩٤

(٢٦) - الطبری : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ١١١

(٢٧) - ثابت بن سنان وابن العديم : المصدر السابق ، ص ٧٦

(٢٨) - انظر عن ذلك المسعودي : التشبيه والاشراف ، ص ٣٧٣ وما بعدها - عريب بن سعد : المصدر السابق ، ص ١٠ وما بعدها - ابن الأثیر : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١١٢ وما بعدها - ثابت بن سنان وابن العديم : المصدر السابق ، ص ٢٨-٢٧-٢٦ و ص ٨١ - عليان : المرجع السابق ، ص ٩٩ وما بعدها - عارف ناصر : القرامطة أصلهم نشأتهم تاريخهم حروبهم ، ص ١٠٥ وما بعدها .

ب - قرامطة البحرين :

كان ابتداء امر القرامطة في البحرين ان رجلا يعرف بيعيبي بن المهدى قصد قطيف فنزل على رجل يعرف (علي بن المعلى) ، فأظهر له يحيى انه رسول المهدى . وذكر انه خرج الى شيعته في البلاد يدعوهم الى أمره ، وأن ظهوره قد قرب . فأخبر علي بن المعلى الشيعة من اهل القطيف بالامر ، وقرأ عليهم الكتاب الذي مع يحيى ، فأجابوه واعلموا بأنهم خارجون معه اذا ظهر أمره . ووجه الى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه . وكان فيمن أجابه ابو سعيد الجنابي (الحسن بن بهرام) الذي تسلم رئاسة الدعوة ، وأخذ يعيش على نشرها بالبحرين (٢٩) منذ سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩١ م . وقد وجدت تعاليمه مرعى خصياً لدى الاهالي ، وعلى الاخص الاعراب الذين كانوا دائمآ على استعداد للانضمام الى أي حركة ثورية مادامت تبيح لهم فرصة السلب والنهب . واتخذ الجنابي مدينة الاحساء عاصمة لدولة القرامطة الجديدة التي اسسها سنة ٢٨٦ هـ ، واستطاعت هذه الدولة القرمطية من بسط سلطانها على كثير من ارجاء جزيرة العرب . ففتح اليمامة وتطاول الى عمان ولما طمع بدخول مدينة البصرة اصطدم مع قوات الخليفة العباسى المعتمد سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م واتصرر عليها . كان الحكم وراثياً في أسرة أبي سعيد يعاونه مجلس يتكون من اثنى عشر عضواً (٣٠) . كما وضع أبو سعيد نظاماً حربياً دقيقاً لدولته استطاع بمقتضاه اعداد جيش قوي من رعاياه . فقد جمع الاطفال في دور خاصة ، وعين لهم جماعة تشرف على مصالحهم . وأجرى عليهم ما يحتاجون اليه وأخذ يدرّبهم على ركوب الخيل ، واستخدام الاسلحة الحربية فنشأوا نشأة عسكرية .

اصطدم أبو سعيد نتيجة لمطامعه التوسيعة في جزيرة العرب وغيرها من بسط العباسيين وجرت بينهما حروب متعددة تمكّن أبو سعيد اثراها من بسط

٢٩ - ذي خوبه : «الراجح السابق»، ص ٤٠ . وما بعدها .

٣٠ - سرور : «النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب»، ص ٢١ .

نفوذه على معظم أرجاء جزيرة العرب ^(٣١) . ومالبث أن اغتيل سنة / ٣٠٣ هـ على يد خادم له كان قد ضمه إلى جيشه من انجيش العباسي بعد أن وثق به . وخليته ابنه سعيد الذي ظل يدير أمور دولة القرامطة حتى ثورة أبي طاهر سليمان أخيه الأصغر الذي قتلته ، وتقلد زمام الحكم في دولة القرامطة . حصل أبو طاهر على كتاب توليته من عبيد الله المهدى ، مما يثبت لنا ولاء القرامطة في بحرین للخلافة الفاطمية ببلاد المغرب . ويزيد هذا الامر رسوحا ، اتحاد الطرفين في سياسة العداء ازاء العباسين . فقد عمل ابو طاهر على اشغال العباسين في الشرق بحملاته التي وجهها الى بلادهم ، حتى يتبع للمهدى توطيد نفوذه في المغرب . فهاجم البصرة والكوفة مرات متعددة ، وكاد في سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٩ م ان يدخل بغداد ^(٣٢) . كما انه قام في العام التالي بحملة جريئة فأغار على مكة في ذي الحجة سنة ٣١٧ هـ في عدد من اصحابه ، وغايتها اظهار الخليفة العباسي بمظهر العاجز عن حماية الاماكن المقدسة . فنهب الحجاج وقتلهم في المسجد الحرام ، كما انه قلع باب البيت وقبة زمز وحجر الاسود ، وأخذ كسوة الكعبة فرقها بين اصحابه . ونهب دور أهل مكة وخطب للمهدى . وفرض على الحجاج اتساوة يؤدونها اليه مقابل حمايتهم . ثم عاد الى الاحساء حاملا معه الحجر الاسود ^(٣٣) .

حافظ القرامطة طوال النصف الاول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي على علاقتهم الودية مع الفاطميين في بلاد المغرب . وكان تعين أمراء القرامطة يتم بعد موافقة الخليفة الفاطمي . وكان لتعاون القرامطة والفاطميين في نشر آراء المذهب الاسماعيلي أكبر الاثر في صعود نجم العلوين بالقرن الرابع الهجري . على حين بدأ أمر العباسين بالضعف . وبسط الفاطميون سلطانهم على مصر والشام وكثير من احياء جزيرة العرب .

(٣١) - المقريزي : اتفاق الحنفاء ، ص ٢١٨

(٣٢) - المقريزي : المصدر السابق ، ص ٢٤٢

(٣٣) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٨٩ - سرور : الشفاعة الفاطمي ، ص ٣٥ نقلًا عن ابن الأثير .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حدث نزاع بين أفراد اسرة أبي طاهر على العرش ، فقبض سابور بن أبي طاهر على عمه أحمد بن أبي سعيد الملقب بأبي المنصور سنة ٣٥٨ هـ وسجنه ، غير انه مالبث ان خرج من اعتقاله وقتيل سابور وتهى اخوته واشياعه الى جزيرة أول ، وانقسم القرامطة بسبب ذلك الى فريقين احدهما بزعامة بيت أبي طاهر ، وثانيهما بزعامة بيت أحمد بن أبي سعيد وعلى رأسه ابنه الحسن الملقب بالاعصم الذي آلت اليه اماره البحرين بعد وفاة أبيه سنة ٣٥٩ هـ^(٣٤) .

اتبع الحسن بن احمد الاعصم سياسة جديدة ازاء الفاطميين تختلف سياسة من سبقه من أمراء القرامطة الذين كانوا يحرصون على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الخلفاء الفاطميين . فلم يتعذر اثناء وجوده في مكة على اقامة الخطبة لل الخليفة العباسي المطيع . ولم يلبث أن اصبح محارباً للفاطميين وراغباً في القضاء عليهم . فطالب الفاطميين بالاتواة التي كان يدفعها الاخشidiون للقرامطة في الشام فرفض القائد الفاطمي أداءها اليه ، واسفر ذلك عن وقوع صدامات مسلحة بين الفاطميين والقرامطة . وأضاف الاعصم بحذف اسم المعز من الخطبة في بلاد البحرين واقامتها لل الخليفة العباسي المطيع^(٣٥) .

وإذا كان الخليفة العباسي قد رفض مخالفة الحسن الاعصم وجماعته القرامطة ، لأنهم في رأيه ملاحقة خارجون على الاسلام^(٣٦) ، فانبني بويسه المسلمين على الحكم في بغداد امدوهم بالاموال ، كما قدم الحمدانيون لهم الجديد والمالي^(٣٧) .

قامت الخلافات الداخلية بين قرامطة بلاد البحرين بعد وفاة الحسن بن احمد ، سنة ٣٦٧ هـ وانكر قسم كبير سياسة القرامطة المعادية للفاطميين . وعمل

(٣٤) - سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٤٨

(٣٥) - سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٤٩ - ٥٠

(٣٦) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٨٩

(٣٧) - المقربي : انهاق الحنفاء ، ص ١٣١ - ١٣٢

اتباع أبي طاهر على اقصاء ولد أبي سعيد عن الامارة ، ثم استقر الرأي على أن يتولى الحكم في بلاد البحرين اثنان من سادتهم ، وهما جعفر ، واسحق ، فأعادا ثانية الدعوة الفاطمية ، وأخذوا في محاربة بني العباس ، ولكنهم انهزوا على يد صمصم الدولة أمير بنى بويه في سنة ٣٧٥ هـ واجروا من العراق .

ضعف أمر القرامطة منذ اواخر القرن الرابع الهجري حتى لم يبق لهم الا ولاية صغيرة على الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية ، لا تستطيع قطع الطريق على الحجاج ، وأدى التنافس بين ساداتها الى التعجيل باضمحلال دولة القرامطة البحرين وزوالها في نهاية القرن الرابع الهجري .

جـ - الوضع الاجتماعي عند القرامطة :

ذكر ابن الجوزي (٣٨) نصاً أوضح فيه الفئات التي دخلت في الدعوة القرامطية فذكر ان هذه الفئات اما ان تكون من ضعفاء العقول والبصائر الذين غلبت عليهم البلادة والبله ، ولم يأخذوا شيئاً من العلوم . وأما ان يكونوا من ملاحدة الثنوية الذين اعتقادوا ان الشرائع ليست الا معجزات أتى بها الانبياء فإذا رأوا من يعطفهم شيئاً من اغراضهم مالوا اليه . ويدرك من هؤلاء الاكاسرة والدهاقين وأولاد المجنوس . ويرى ان انضمامهم الى القرامطة كان بسبب الحقد الذي يسكن في صدورهم .

سار القرامطة في تعميق نفوذهم في المناطق التابعة لهم على سياسة فرق تسد فاستغلوا الاضطلاع الاجتماعية ، واعتمدوا على الطبقة الفقيرة الحاقدة ، وأثاروها ضد الآثرياء . وأدى ذلك الى حدوث اضرابات في بادية السماوة وفي مناطق اخرى في الشام . فحمل موالي بنى العباس على اسيادهم فقتلوا جماعة منهم وأذلوهم (٣٩) . وتمكن القرامطة بذلك من التأثير بشكل كبير على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام .

(٣٨) - عليان : المصدر السابق ، ص ٩٢ نقلًا عن ابن الجوزي

(٣٩) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ١٠ - ص ٩٥

رتب القراءطة نظاماً مالياً اشتراكيَا ساعد على نجاح هذه الحركة . فكان من مباديء القراءطة ان يؤدي افرادها خرائب محددة عينية في كل سنة . ثم يدفع هؤلاء خمس ما كانوا يسلكون او يكسبون^(٤٠) ويبدو أنهم تنازلوا عن خمس ما يملكون ثم دفعوا خمس ما يكسبون . ويقال بأن اهل القرى كانوا يحملون ما يملكون فإذا جمع جعل مشاعاً بين الاعضاء ، وتولى توزيعه رجل من بينهم يتلون به . اذ أوضح قرمط لاصحابه انهم لا حاجة بهم الى الاموال ، لأن الأرض بأسرها ستكون لهم^(٤١) .

كان القراءطة لا يرون بوجود طبقات متميزة وآخري محرومة في المجتمع ، فأفراد اسرة أبي طاهر الجنابي لم يكونوا يمتازون عن غيرهم من الوزراء أو أعضاء المجلس الاداري المعروف عندهم بالعقدانية الا في قيادة الجيش ورئاسة مجلس الوزراء ، والاشراف على بعض الاعمال الثانوية مما كانت تقتضيه ضرورة التنظيم وحسن الادارة . وكانت السلطات من تشريع وادارة وتنفيذ محصورة في اعضاء مجلس العقدانية المؤلف من ستة افراد يختارهم الشعب . وكان لهؤلاء وكلاء يساعدونهم وينوبون عنهم .

اما عن ملكية الأرض فلا تتوفر معلومات عما آلت اليه . ومن المرجح ان القراءطة لم يلجأوا الى نزع الارضي من أيدي أصحابها . وكان هؤلاء يفرضون صاحب كل حرفة ما يحتاجه من المال حتى يستغل ، ويجمع من المال ما يكفيه ويكتفي اسرته . كما كانت الحكومة تقدم المساعدات لمن تحل بهم مصيبة او كارثة . وقد ضرب القراءطة نقوداً خاصة بهم في البحرين من الرصاص لم تكن متداولة الا في منطقتهم ، ومن المرجح انها سكت من الرصاص كي لايطمع احد بجمعها واحراجها .

(٤٠) - المقرني : انتهاك العنف بالأخبار الاتهمة الفاطميين الخلفاء ، ص ١٠٤ - ١٠٥

- دي خويه : القراءطة نشائهم ذواتهم وعلاقتهم بالنظاميين ، ترجمة وتحقيق حسني زينة ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٤١) - التويري : نهاية الارب ، جزء ٢٣ ، ٦٩ . ورقة

- دي خويه : المرجع السابق ، ص ٤٥

وقد اسهمت المرأة في المجتمع القرمطي في تحمل الاعباء المالية التي يتطلبها بناء المجتمع ، وادت الضرائب مع الرجل ، وكما قدم الرجل خمس مائيلكه قدمت المرأة خمس ماتغزل (٤٢) ، وحين يدعوا الامر للتبرع تسارع النسوة بتقديم مايملكه من حلي ومتاع ، وما يحصلن عليه ويتكسبنه من الاشتغال بالغزل (٤٣) .
ويبدو ان المرأة اخذت حقها في التنظيم القرمطي واخذت حريتها كاملة ، ولا رقيب عليها غير المصلحة العامة . وبالتالي نجد ان ما قبل عن الاباحية في التنظيم القرمطي لا يمكن الاخذ به (٤٤) لما تمنت به المرأة من احترام في ذلك المجتمع ولما عرف عن قوة الرابطة الزوجية . ومن اهم ماجاء عن المرأة في قوانين القرامطة تحديد الزواج بواحدة ، والغاء المهر ، وحق المرأة في العمل ، وفي التعليم ، وفي الطلاق ، وفي رفض الزواج بتاتا ، واغفاء المرأة من الاعمال الشاقة ، ومنها طحن الحبوب ، واستخدام القرامطة كتعويض لذلك مطاحن تدور بقوة الماء جعلت مجانية ، وذلك لتخفيف الاعباء عن النساء .

وهكذا فانه من خلال دراستنا للحياة الاجتماعية في المجتمع القرمطي ندرك بأن حياة القرامطة في هذا المجال كانت متقدمة ، ويبدو كما اوضح الدكتور الدوري في كتابه تاريخ العراق الاقتصادي ان هذا التقدم الاجتماعي كان على حساب الجانب الديني . ويبدو ان القرامطة اعتبروا ان الدين قضية اجتماعية تهدف الى تحقيق العدالة للمجتمع الذي له الحق ان يمارس طقوسه الدينية كيما اراد . ويبدو ان الخلاف الذي قام بين الفاطميين والقرامطة كان نتيجة للتطرف المادي للحركة القرمية ، وبقاء الدعوة الاسماعيلية دعوة روحية .

٣ — التيارات السننية والشيعية :

برز في هذا العصر التمايز بين المذاهب الدينية المختلفة من سنية وشيعية ،

(٤٢) — ثابت بن سنان : اخبار القرامطة ، ص ٩٩

— دي خوبه : المرجع السابق ، ص ٣٥

(٤٣) — التوبي : نهاية الارب ، جزء ٢٣ ، ص ٥٨

(٤٤) — دي خوبه : المرجع السابق ، ص ٣٦

وبدا النزاع في أوجه بينهما • فالخلفاء العباسيون ومن تبعهم سنيون يتذمرون للسنة والفاتحية في شمال إفريقيا ثم في مصر والشام شيعة اسماعيلية ، والحمدانيون في ديار ربيعة وبكر ومضر من الشيعة ، وغيرهم ، وكان الخلاف بين الفريقين في نظر كل منهما إلى الخلافة^(٤٥) • ولم يكن هذا فحسب بل إن الخلاف شديداً بين الفقهاء بعضهم مع البعض • حتى اصطبغ هذا العصر بصبغة الخلافات الدينية والمذهبية • وسنحاول أن تتحدث بشيء من الإيجاز عن هذه الفرق السنية والشيعية والخلافات التي قامت بينها •

أ - الشيعة : الشيعة في اللغة الصحب والاتباع^(٤٦) وهم اتباع علي بن أبي طالب ، لأن هؤلاء رأوا أن علياً وذراته أحق الناس بالخلافة ، وأن النبي عهد له بها من بعده •

وأن من تولى الخلافة دونه مغتصبون • وواجب شيعته رد الحق لصاحبه ، والعمل سراً وجهراً لتحقيق ذلك ، ويررون أن الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوح إلى نظر الأمة ، ويتعين القائم بها بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة • بل يجب عليه تعين الإمام لهم ، ويكون معصوماً من الكبائر والصغرى^(٤٧) • وعلى هذه الحال يتضح بان نشوء هذا الحزب ليس جديداً في هذا العصر العباسي ، إنما الجديد في الأمر هو قوة هذا التيار في هذه الفترة ، وتمكنه من تحقيق جزء من أهدافه • وقد يكشون السبب في ذلك هو عدم قيام خلفاء العباسين بتقريب أبناء عمومتهم من آل علي إليهم • ونخاصة بعد اخفاق تجربة المؤمنون في البيعة لعلي الرضا (علي بن موسى الكاظم) • وقد اتخد الشيعة في نشاطهم في هذا الدور طابعاً ثورياً ثارياً ، ودعائياً ثارياً آخر ، وأثمر ذلك عن قيام بعض الدول الشيعية • فقد نجح الشيعة الزيدية باقامة دولة الادارسة في شمالي إفريقيا منذ الدور العباسي الأول ، كما انشأ هؤلاء

(٤٥) - أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جزء ٢ ، ص ٥

(٤٦) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٥

(٤٧) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٥ - ١٧٦ •

دولة في اليمن وآخر في طبرستان ^(٤٨) . وتشيع الحمدانيون في حلب والموصل ، وقام الفاطميون من الشيعة الاسماعيلية بتأسيس خلافة لهم في شمال افريقيا اولاً . ثم امتدت الى مصر وجنوب الشام . وسارت الدعوة الفاطمية قدما الى العراق نفسه . ونجح هؤلاء في السيطرة على بغداد سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ^(٤٩) .

وقد انضم الى هذا الحزب المخلصون لمبادئه . ثم انضم اليه كل من كره الحكم الاموي ثم العباسي ، وتشيع كثير من الموالي لأنهم لم يحظوا بالمساواة في ظل الحكم الاموي ، كما تشيع اكثر الفرس لأنهم تمرسوا أيام حكم الدولة الفارسية على تعظيم البيت المالك وتقديسه ^(٥٠) .

وأنقسم الشيعة الى فرق عدة لاختلافهم حول نقطتين ^(٥١) النقطة الاولى : كانت تتعلق بالأمام والنقطة الثانية : تخص المبادئ والتعاليم ، ومن أشهر فرقهم :

آ - الإمامية الاثني عشرية :

جعل هؤلاء الاشتراك بالأمام جزءا من الایمان . فالرسول نص على خلافة علي . وقد انتقلت الامامة منه الى اولاده من فاطمة الى الحسن فالحسين ، ثم الى احفاده من ابناء الحسين حتى الامام الثاني عشر . وهو محمد المهدي الذي اختفى سنة (٣٦٥ هـ / ٨٧٨ م) في سردار فيحلة ^(٥٢) ويدرك بعضهم ان الاختفاء كان من سامراء ^(٥٣) وهم يتبرؤون من ابي بكر وعمر ، ويعتبرانهما معتصبين ظالمين ^(٥٤) .

(٤٨) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٨١ - ٣٦٧ - ١١٢-١١١ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٨١ - ٣٦٧ - ١١٢-١١١ Wiet : op. Cit., p. 230.

(٤٩) - احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٢٠٩ .

(٥٠) - لم يبدأ انقسام الشيعة في هذا الدور ، بل ان ذلك بعد ما نفذ العصر الاموي ، وتزايد في العصر العباسي .

(٥١) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٧ .

(٥٢) - ذكر ذلك حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص ٣٥ ولكن الم يوثق ماكتب وبالتالي فقد رأيت ترجيح ما جاء في مقدمة ابن خلدون من ان الاختفاء كان من الجلة .

(٥٣) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٦ .

اما تسلسل هؤلاء الائمة فهو كما يلي : علي بن ابي طالب - الحسن بن علي - العباسين بن علي - علي زين العابدين - محمد الباقر - جعفر الصادق - موسى الكاظم - علي الرضا - محمد الجواد (النقي) - علي الهادي - ابو محمد الحسن العسكري - محمد المهدي المنتظر ^(٥٥) . وهو سوف يخرج آخر الزمان فييلاً الارض عدلاً ^(٥٦) كما ملئت جوراً . وهم الى الان يتذمرون ويسموه المنتظر . كما يرون بأنه غاب غيتيين : الغيبة الصغرى - والغيبة الكبرى ، وقد تبنت الاسرة الصفوية التي حكمت فارس وغيرها منذ سنة (٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م) مذهب الامامية الاثني عشرية . وجعلته مذهب الدولة الرسبي . ولما كان محور الاهتمام في هذا المذهب هو الامام ، ولذلك فانتا سنعمل على ايضاح بعض الصفات التي اتصف بها الائمة فمن اولى هذه الصفات :

- العصمة : ويقصد بها ان الامام معصوم عن الكبائر والصغراء وهو حافظ للشريعة ^(٥٧) . وان الایمان بالامام يجب المعاصي ^(٥٨) . ويتصل بهذه العصمة ماجاء من ان الائمة وسطاء بين الله والناس وشفاء . وان الاعتقاد فيهم يكفي لمحو السيئات ورفع الدرجات ^(٥٩) .

- الغيبة والرجعة : ومعنى ذلك ان الامام قد يغيب عن انظار اتباعه الا لابد ان يرجع . وسموا الامام الغائب بالمهدي المنتظر . وحين يعود يذهب من اعتدی على الائمة وغضبهم حقهم ^(٦٠) الا ان بعض دعاة هذه الدعوة الجريئين ملوا من انتظار عودة الامام الثاني عشر ، فعملوا على تحقيق آمالهم في ظل امام الاسماعيلية المستور الذي يتربّب الفرص المواتية لكي يظهر للناس ^(٦١) .

(٥٥) - انظر شجرة النسب في ضحى الاسلام : جزء ٣ ، ص ٢١١ - وانظر المقدمة لابن خلدون ص ١٧٩ - ١٨٠

(٥٦) - ابن خلدون : مقدمة ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٥٧) - احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٢٢٧ .

(٥٨) - احمد امين : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٥٩) - احمد امين : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٣٤ .

(٦٠) - احمد امين : الرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٤٦ .

(٦١) - حسن ابراهيم حسن : الدولة المفاطمية ، ص ٣٦

ـ التقية : هي اخفاء ما يضر الانسان مخافة عدوه . فهي مداراة وكتمان ، غايتها ان يحافظ المرء على عرضه ونفسه وماله مخافة عدوه . كما يحافظ بواسطتها على حياة الامام . ولذلك يطلب من الانصار حين البيعة لامام مستور الكتسان . والظهور بالطاعة ، ريثما تنسج الثورة ، ويحين الوقت الملائم ويعلنون الخروج ويحصلون السلاح في وجه الدولة . وقد فسر هؤلاء كثيرًا من اعمال الائمة على انهم فعلوها تقية . فسكتوت علي على ابي بكر وعمر وعثمان كان تقية ، ومصالحة الحسن لعاوية كانت تقية . وقد كان الخوارج مخالفين للشيعة اشد الخلاف في هذا الباب . ورأيهم في ذلك لا تتجاوز التقية بحال من الاحوال ، ولو عرضت النفس والمال والعرض للخطر (٦٢) .

نعرض أئمة هذه الفرقة للاضطهاد من جانب خلفاء العباسين ، ما عدا مكان من المؤمن الذي اوصى بولالية العهد للامام الثامن علي الرضا (٦٣) ونهاية علي الرضا مشكوك فيها . ويرى البعض ان المؤمن تراجع عن هذه البيعة وانه تخلص من ولبي عهده بالسم حين اكتشف بأن كل ما جرى في العراق ، ومباعدة عنه بالخلافة ، انتها كان بسبب هذه البيعة . ولو حق هؤلاء في عهد المتوكل ومن اتى بعده . وبالتالي فان مركز هؤلاء قد ضعف ، ولذلك فان قسمًا منهم التحق بطائفة الاسعاعية ، وامدها بمشهوري الدعاة الذين كان لهم اثر كبير في تاريخ الاسعاعية ، مثل ابن حوشب وابن فضل اليمني اللذين قامت الدعوة الاسعاعية في بلاد اليمن بفضل جهودهما ، وابي عبد الله الشيعي الذي يرجع اليه الفضل في نشر الدعوة الاسعاعية وتأسيس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب .

ومع كل ما تحدثنا عنه عن عدم تحقيق هذه الفرقة لاهدافها ، فإنه يمكن القول : بأن هذه الفرقة تغلغلت في دوائر الدولة . واصبح عدد من افرادها ضمن موظفيها . وكان هؤلاء الموظفوون يعملون ضمن خلية تتبع لهذه الفرقة ، وكثيراً ما سلبو بيت المال لصالحها . واتعشت باتساب الحمدانيين اليها . وخاصة حين

(٦٢) - احمد امين : المرجع السابق . جزء ٣ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .
(٦٣) - انظر فيما سبق .

اسس هؤلاء دولة لهم في الموصل . ثم اضافوا إليها حلب ، ونشر هؤلاء معتقداتهم في أنحاء الجزيرة وشمال بلاد الشام ، واضافوا إلى آذانهم عبارة حي على خير العمل . كما بني سيف الدولة على ضريح أحد أبناء الحسين مشهداً كتب عليه عمر هذا المشهد المبارك ابتغاء لوجه الله وقربة إليه على اسم مولانا المحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الامير الاجل سيف الدولة ابو الحسن علي بن عبدالله ابن حمدان (٦٤) .

كما انشد شعراؤهم القصائد التي يكتوا بها مقتل الحسين . وعلى رأسهم أبو فراس الحمداني (٦٥) . وقد غالب التشيع على أهل حلب بعد سنة (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) بسبب ذلك (٦٦) . ثم قام ناصر الدولة بن حمدان حين تولى أمره الامراء في بغداد بالعمل على بناء مسجد للشيعة الامامية . وكان هو المسجد الرابع لهم وهو مسجد باراثا .

ب - الاسماعيلية :

عين جعفر الصادق ابنه اسماعيل خلفاً له . ويسرى البعض ان اسماعيل توفي قبيل ابيه بخمس سنوات في سنة ١٤٣ هـ / ٧٦١ م ، واستتر في رأي آخرين . فاضطر ابوه الى ان يعطي الامامة الى ابنه الاصغر موسى الكاظم ، ولكن انصار اسماعيل الذين لم يؤمنوا بموته ، ولم يقبلوا بتحويل الامامة عنه ، رأوا بأنه اظهر موته تقية من خلفاءبني العباس . وهكذا انقسم اتباع جعفر الصادق على انفسهم . اذ اختلفوا حول الامام بعد جعفر فبعضهم كان يرى ان الامام بعد جعفر الصادق هو موسى الكاظم (٦٧) . وآخرون يرون ان الامامة يجب ان تكون

Canard : Histoire de la Dynastie de Jazira et de Syrie., pp 656-657 (٦٤)
Sauvaget : Les perles chaisies - D'Ebn Achihna., pp. 85-88.

(٦٥) - ديوان أبي فراس الحمداني جمهه ونشره وعلق على حواشيه سامي الدهان مطبوعات المهد الفرنسي بدمشق ١٣٦٣ هـ ، جزء ٣ ، ص ٤٢٢ - ٤٢٤ ، وص ٤١٥ وص ٤٢٧ .

(٦٦) - الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، جزء ١ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٦٧) - حسن ابراهيم حسن وطه شرف : عبد الله المهي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية ، الازهر ١٩٤٧ ، ص ٣٠ .

في ابنه الأكبر اسماعيل وابنائه من بعده • لأن النص لا يرجع القهقري^(٦٨) • وانه لوجاًزت امامية موسى الكاظم فهو امام مستودع^(٦٩) • كالحسن بن علي بن أبي طالب الذي لم يورث الامامة لابنائه • وان اسماعيل هو الامام المستقر^(٧٠) ، الذي يورث الامامة لابنائه ، وسمي الذين نادوا بامامة اسماعيل وأبنائه من بعده بالاسماعيلية •

ونادي الاسماعيلية بالتأويل ، واهتموا بالمعنى الباطن للقرآن ، فلازمهم بذلك لقب الباطنية^(٧١) وكان للدعوة الاسماعيلية ثلاثة اركان وهم الامام والحجبة والداعي^(٧٢) • كما استتر الاسماعيلية بعد محمد بن اسماعيل ويمكن تلخيص اسباب هذا الاستثار بما يلي :

– اخفاق ثورات الشيعة المتكررة : وتعرض القائمين بها الى القتل والانبطاح مع انصارهم ، وتتبع العباسين لهؤلاء للتخلص منهم ، حتى اضطر من بقي منهم على قيد الحياة الى الفرار الى بلاد بعيدة عن مركز الخلافة العباسية • فقد تكفل المنصور ببني الحسن • وانتهت ثورة محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن عليه بقتلهم • وسجن المهدى علي بن العباس بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، ثم دس اليه السم • وقتل الحسين بن علي بن الحسن في خلافة الهادى • وكانت نهاية يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين في عهد الخليفة الرشيد غامضة • وسجين الرشيد ابنه محسد حتى مات في السجن • كما تخلص من موسى الكاظم بالسم بعد ان سجنه • وما يقال عن المؤمن انه تخلص من الامام علي الرضا بالسم ايضا ، ولا ننسى اخيرا موقف المتكمل الصارم من الشيعة^(٧٣) •

(٦٨) – الشهرستاني : الملل والنحل ، جزء ٢ ، ص ٢٨ .

(٦٩) – الامام المستودع هو الذي يتمتع بالامامة في حياته ، ولا يستطيع ان يحولها الى ابنائه من بعده.

(٧٠) – الاسم المستقر هو الذي يتمتع بالامامة في حياته ، ويستطيع ان يحولها من بعده الى ابنائه كالحسين بن علي .

(٧١) – الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩ .

(٧٢) – دائرة المعارف الاسلامية : مادة الاسماعيلية ، ص ١٩٣ .

(٧٣) – عن موقف العباسيين من الشيعة انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٠ – حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٥ – محمد جواد مغنية : الشيعة والحاكمون ، ص ١٤٦ – ١٦٤ .

— دهب الاسماعيلية الى ان الامام يجوز له ان يستتر ان لم تكن له قوة يظهر بها على اعدائه . ومن المرجح انهم نهجوا هذه الطريقة خشية ان يلحق بهم مالحق اتباع طائفة الاثني عشرية من الاضطهاد والقتل .

وقد تمكنت الاسماعيلية من الاستفادة من الظروف المحيطة بهم ، فعملوا على اسـ فـطـابـ أـنـصـارـ الفـرقـ الشـيـعـيـةـ الـاخـرـىـ المـضـطـهـدـةـ ،ـ بـعـدـ فـشـلـ ثـورـاتـ الشـيـعـةـ جـمـيعـهـاـ التـيـ قـامـتـ قـبـلـ ذـلـكـ وـعـدـ تـمـكـنـهـاـ مـنـ اـحـراـزـ نـصـرـ سـيـاسـيـ (٧٤)ـ ،ـ كـمـاـ انـهـمـ وـبـدـوـ اـنـ الـمـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ غـيرـ صـالـحةـ لـبـقـائـهـمـ خـشـيـةـ اـنـكـشـافـ اـمـرـهـمـ ،ـ فـقـرـ مـحـمـدـ اـبـنـ اـسـمـاعـيلـ وـتـوـغـلـ فـيـ شـرـقـيـ الـمـلـكـةـ اـلـاسـلـامـيـةـ ،ـ حـيـثـ وـضـعـ مـعـ حـجـتـهـ اـسـسـ الدـعـوـةـ اـلـاسـمـاعـيلـيـةـ ،ـ وـلـمـ يـسـتـ حـتـىـ كـانـتـ اـسـسـ الدـعـوـةـ قـدـ وـضـحتـ .ـ

وـتـنـجـ عنـ اـسـتـتـارـ الـائـمـةـ بـعـدـ مـحـمـدـ بـنـ اـسـمـاعـيلـ تـيـجـةـ خـطـرـةـ ،ـ وـهـيـ اـخـلـافـ الـمـؤـرـخـينـ فـيـ اـسـمـائـهـمـ وـالـتـبـاسـ الـاـمـرـ بـحـولـ اـسـمـاءـ الـائـمـةـ وـحـجـجـهـمـ ،ـ وـهـذـاـ مـاجـعـلـ التـحـقـقـ مـنـ شـخـصـيـةـ الـائـمـةـ الـمـسـتـورـينـ اـمـرـاـ مـتـعـذـرـاـ عـلـىـ النـاسـ سـنـيـنـ اـمـ شـيـعـيـنـ .ـ كـمـاـ اـصـبـحـ مـنـ الصـعـبـ التـفـرـيقـ بـيـنـ الـحـجـجـ وـالـائـمـةـ لـاتـقـاـنـ اـكـثـرـهـمـ فـيـ التـسـمـيـةـ ،ـ اـضـفـ إـلـىـ ذـلـكـ اـنـ رـؤـسـاءـ الـدـعـوـةـ فـيـ مـرـاكـزـ الـدـعـوـةـ الرـئـيـسـيـةـ كـانـوـاـ يـخـلـفـونـ فـيـماـ بـيـنـهـمـ فـيـ ذـكـرـ اـسـمـاءـ الـائـمـةـ حـتـىـ كـانـ ذـلـكـ مـنـ اـكـبـرـ الـعـوـاـمـلـ فـيـ اـخـلـافـ الـمـؤـرـخـينـ حـولـ ،ـ نـسـبـ الـفـاطـمـيـنـ (٧٥)ـ ،ـ وـمـنـ الـعـوـاـمـلـ الـتـيـ حـفـظـتـ الـائـمـةـ الـمـسـتـورـينـ ،ـ وـحـالـتـ دونـ اـنـتـرـعـضـ لـاـشـخـاصـهـمـ (٧٦)ـ .ـ

وـمـاـ يـدـلـنـاـ عـلـىـ اـمـعـانـ الـائـمـةـ الـمـسـتـورـينـ فـيـ التـخـفـيـ مـاـذـكـرـهـ الدـاعـيـ اـدـرـيـسـ بـأـنـ

(٧٤) — حسن ابراهيم حسن وطه شرف : عبد الله المهدى ، ص ٢٩

(٧٥) — انظر ماكتبه المؤرخون حول نسب الفاطميين في المواردي : كنز الدرر وجامع الفرد ، جزء السادس الدرة المقienne في اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق المنجد ، طبعة القاهرة ١٩٦١ من ص ٤ حتى ١٥ حيث يعدد اقوال المؤرخين الذين سبقوه في نسب الفاطميين .

— العيون والعدائق ، جزء ٤ - القسم ١ ، طبعة دمشق ١٩٧٢ ص ٢٥١ .

— ابن التديم : الفهرست ، ص ٢٦٤ - ٢٥٦ .

— البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٧٦) — حسن ابراهيم حسن : المراجع السابق ، ص ٤١ .

استئثار الامام كان كظلمة الليل الشديد ، لانه رأى ان الباطل غالب على الحق ، ولشدة طلب العباسين لمعرفة هؤلاء الائمة والخلص منهم ٠ ولم يكن يذكر اسم الامام لاتباع الدعوة ٠ ومن علت درجته كان يعرف اسم الحجة فقط (٧٧) ٠

ويبدو ان عبد الله بن محمد ، او عبد الله الرضي الذي عرف عند الاسماعيلية بالامام عبد الله الاكبر كان اول الائمه المستورين الذين استقروا بسليمية ، وذلك ان العباسين تتبعوه في عهد المؤمنون ، وتمكنوا من قتل ابنائه وقتلوا بعامة اسرته ٠ فهرب مع ولی عهده في الامامة ابنه احمد ، وقصد سليمية (٧٨) ٠ فأصبحت دار هجرة لأئمة الاسماعيلية ، والمركز الرئيسي للدعوة ٠ وادعى عبد الله هناك وليبعد الشبهة عن نفسه بأنه عباسي ، ظلل في سليمية موضع الاحترام والتقدیر لورعه وتقواه (٧٩) ٠ وكان اختيار عبد الله لهذه المدينة يعود الى موقعها الجغرافي على طريق التجارة العالمية في ذلك الوقت ، بالإضافة الى اضطراب احوالها ٠

كان هرب الامام عبد الله بن محمد مفاجأة لكثير من دعاته الذين لم يستطعوا العثور عليه الا بعد مشقة (٨٠) ٠ وتوالى ارسال الاموال والذخائر على الائمه من كل بلد من قبل دعاتهم الى سليمية ٠ وتتألف هذه الاموال مما كان يدفعه انصار الاسماعيلية – والذين يطلق عليهم اليماني اسم (المؤمنون) من اخماسهم وبما يتلقون به من الائمه ٠ وكانت هذه الاموال تصل الى دار الامام عن طريق سرداد محفور من القصر الى مسافة اثنى عشر ميلا خارجه ٠ حيث يوجد هناك باب مغطى بالتراب ، تدخل منه الجمال باحملها حتى تصل الدار دون ان يعلم احد بما يجري ٠ وكانت الاموال كثيرة حتى يقال ان المهدى ماكسب بعد ان

(٧٧) - ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٦٤-٢٦٥ - البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٧٨) - محمد جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٧.

(٧٩) - محمد بن محمد اليماني : سيرة جعفر مجلة كلية الاداب ، القاهرة ، جزء ٤ ، مجلد ٢ ، ص ١٠٨.

(٨٠) - انظر تفاصيل هربه واستقراره في سليمية في النيسابوري : استئثار الامام ، ص ٩٣-٩٥.

فتح الله اه الا نحوا مما خلف بسلمية (٨١) . وان دل هذا على شيء فانما يدل على مدى انتشار الدعوة لأئمة الاسماعيلية في ذلك الحين . وعلى تفاني أنصارها في دعمها مادياً ومعنوياً .

ويبدو أن بداية انتشار المذهب الاسماعيلي في الشام كان قبل هجرة عبد الله ابن سعيد إلى سليمية واتخاذها موطنًا ودار هجرة . ثم توسيع هذه الدعوة بعد تسربها من سليمية . وأصبح لهذا المذهب في مدن الشام وباديتها كثير من الانصار والاتباع . وعهد الأئمة إلى كبار رجال الدعوة بنشر المذهب الاسماعيلي في أرجاء العالم الإسلامي .

ظللت الأمور على هذا الشكل أيام الإمام الحسين بن أحمد بن عبد الله ، الذي استطاع أن يقيم في سليمية آمناً مطمئناً دون أن تطاله يد العباسين . والواقع أنَّ ترميَّم الإمام الحسين وبذله الاموال الكثيرة وتفانيه في اظهار حبه للهاشمين ، وتفاني انصاره في طاعته ، كل ذلك ساعد على ذيوع الدعوة في سليمية ثم في غيرها .

ثم انتقلت الإمامة في سليمية إلى عبيد الله المهدي أو عبد الله ، ويبدو أن ظروفاً دعت أمام الاسماعيلية في سلسلة إلى تركها . ومن هذه الظروف : ظهور بوادر انشقاق من آل زكرويه بعد قتلهم لعبدان . وابعادهم عن رئاسة الدعوة بالكونفة مما اشعر المهدي بعداوتهم له . ومنها أن إبا عبد الله الشيعي ارسل له يغريه بالذهاب إلى بلاد المغرب ، فقد ارسل له وفداً من كتاباته قاتله في سليمية ووقف منه المهدي على مدى نجاح الدعوة في بلاد المغرب فقرر التوجه إليها . إلا أنه أخبر انصاره بأنه سيتوجه إلى اليسن . وذلك حرصاً منه على البقاء في قبضة العباسين . واهم بهذه الظروف تنبه العباسين إلى خطورة مركز سليمية وذيوع الدعوة الاسماعيلية في بلاد اليسن والمغرب ، الأمر الذي دفعهم إلى تعقب الإمام

(٨١) -- سيرة جعفر : مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة المجلد ٢ ، الجزء ٤ ، يفانوف - مذكرات في حركة المهدي مايو ١٩٣٦ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

ومحاولة القبض عليه (٨٢) . فقد أدرك كل من المعتقد والمكتفي أن الدعوة لامام مستور قد بلغت ذروتها ، وان نشاط الاساعية يزداد في سلسلة . وانه أصبح لزاماً عليهم ان يعملا على القضاء على هذه الحركة قبل ان يستفحل خطرها . ومما نبه العباسين الى ذلك ان احد ولاة سلسلة من قبلهم قد ثارت شكوكه حول المهدى لانه وجده صاحب مقام كبير في سلسلة . ورجح لديه انه هو الذي تروج الدعوة باسمه في اجزاء العالم الاسلامي كافة (٨٣) .

وبقي المهدى بعد تركه لمدينة سلسلة في الرملة فترة ليست قصيرة ، ومن الجائز ان يكون بقاوئه لوجود انصار له هناك ، تمكنا من كتمان أمره عن العباسين الذين أرسلوا الى ولاتهم في مدن الشام ومصر وشمال افريقيا بالعمل جادين للقبض عليه . وكذلك لتضليل هؤلاء عن مكان وجوده .

وما لبث المهدى ان غادر الرملة في اوائل سنة (٩٠٣ / ٢٩١ هـ) ونجحت رحلة المهدى نجاحاً كبيراً ، ويعود ذلك الى أنها كانت منظمة تنظيماً دقيقاً . فقد كانت الاخبار تصله بسرعة فائقة عن طريق الحسام الزاجل . كما ان بعض الحكماء من كانوا في خدمة العباسين ويقطنون بعقارتهم السنية كانوا يدينون بالمذهب الاساعيلى ، وينتصرون لقضية الاساعيلى . ويشاركون المهدى المنتظر ويعملون على نجاح دعوته . وكان عامل مدينة الرملة من قبل الطولونيين من احسن الامثلة التي تؤيد هذا الرأى . فقد كان اسماعيليا ينتشر على المهدى وحاشيته (٨٤) . مما ادى الى نجاح المهدى في الهجرة على الرغم من جهود العباسين في القبض عليه .

تشابهت معتقدات الاساعيلى حول الامامة مع معتقدات الفرقان الثانية عشرية . وكانت الاساعيلى اكثر مرجحاً لتعاليسها بالافكار الفلسفية التي داحتها مع

(٨٢) - محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢١

(٨٣) - محمد بن محمد اليهاني : سيرة جعفر ، ص ١٠٩ - ١١٠

(٨٤) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

تطورها . ومن المهم ان نذكر ان مبادىء هذه الفرق قد تطورت مع مرور الايام .
وي يمكن على الرغم من كل شيء ان نذكر بعض هذه المعتقدات :

— التأويل : اي أن لكل نص ديني معنى ظاهرياً وآخر باطنياً يفهمه الأئمة
ولذلك لازم هذه الفرق اسم الباطنية ^(٨٥) .

— مرائب المجتهدين : كان هناك سبع مراتب للمجتهدين ولكل مرتبة من
هذه المراتب تعاليم خاصة ولا يستطيع المرء الانتقال من مرتبة الى أخرى الا بعد
قضاء مدة من الزمن يتعلم فيها تعاليم تلك المرتبة على يد الداعي الخاص . وعلى
رأس الدعوة داعي الدعوة أو الحجة . وهذا المنصب من أعلى المناصب .

— اجاز الاسماعيلية للامام ان يستتر ان لم تكن له قوة يظهر بها على اعدائه .
ومن المرجح انهم نهجوا هذه الطريقة خشية ان يلحق بهم مالحق اتباع الاثني
عشرينية من الاضطهاد والقتل ^(٨٦) .

ج - الزيدية :

فرقة من فرق الشيعة المعتدلة ، وهم اتباع زيد بن علي بن الحسين ^(٨٧) الذي
ثار أيام هشام بن عبد الملك ، طامحاً إلى الخلافة . فقد شجعه على الثورة شعوره
بمسكانه العلمية والدينية ، وشعوره بعدم تحقيق الامويين للعدالة . وفوق كل
ذلك ما كان من استهتار الخليفة هشام به وعدم حساته امام والي العراق الذي
اتهمه بوديعه مالية لخالد بن عبد الله القسري ، كما شجعه على الاسراع بالثورة
الحادي انصاره عليه في اعلان امره ^(٨٨) .

ويرى المؤرخون ان الزيدية اكثر فرق الشيعة اعتدلاً ، فهم يرون ان علياً

(٨٥) . الشهيرستاني : الملل والنحل ص ٢٩ احمد امين ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٢٠

(٨٦) . سریز : الحساة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، ص ١٧

(٨٧) . زيد بن الحسين وعلمه ، انظر ضحي الاسلام : جزء ٢ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٨٨) . ماتنز : دراسات في تاريخ بنى امية ، ص ٢٦٥ - ٢٧٠ .

احق بالخلافة من أبي بكر وعمر ولكنهم لا ينكرون خلافتهما لاجتماع اكثرا الصحابة على يعتههما . وذلك لأن الصحابة قدروا الظروف المحيطة بهم ^(٨٩) ، كما يرى هؤلاء ان الامام بالاختيار لا بالنص . كما يرون ان الامامة في ابناء علي شرط ان يكون عالما زاهدا جوادا شجاعا . ويخرج داعيا الى امامته ^(٩٠) . وقد اعترف امامهم زيد بامامة الشيختين ، فاحتاج بعض انصاره على ذلك، ورفضوه فسموا بالرافضة ^(٩١) .

ولما خرج زيد بن علي على الامويين وقتل وصلب بالكناسة ^(٩٢) قال الزيدية بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل بالجوزجان بعد ان اوصى بالأمر الى النفس الزكية محمد بن عبد الله ^(٩٣) .

واختلفت الزيدية حول الامام بعد النفس الزكية ^(٩٤) . وقد تمكنت هؤلاء من تحقيق بعض اهدافهم فأسسوا دولة الادارسة في المغرب . وكان منهم الداعي الحسن بن زيد الذي ملك طبرستان ، وكذلك كان الاطروش منهم ^(٩٥) . ومن مبادئ هذه الفرقية بالإضافة لما ذكر .

— ان الامامة في اولاد فاطمة ولم يجوزوا ثبوت امامنة في غيرهم . ولم يفضلوا ابناء الحسين عن ابناء الحسن ، واشتغلوا في الامام العلم والزهد والشجاعة والسخاء والخروج للامامة .

— جواز امامنة المفضول مع وجود الافضل ^(٩٦) .

(٨٩) — احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٣٦ .

(٩٠) — ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٦ .

(٩١) — ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٧ .

(٩٢) — موضع بالковفة .

(٩٣) — ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٥ ، وانظر عن ثورة محمد النفس الزكية فيما سبق .

(٩٤) — عن ذلك انظر ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٩ .

— ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٩ .

(٩٥) — احمد امين ضمحي الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٢٧٦ .

(٩٦) — احمد امين : المراجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٦ .

— لا يحيى الزيدية التقية ، ولا يتبرؤون من أبي بكر وعمر ولا يلعنوها ، ولا يقولون بعصمة الأئمة ، كما لا يحيى التستر والاختفاء . ولذلك كان كثير من المتمم يخرجون فيقتلون (٩٧) .

— السنة :

كان رأي السنة ينحصر في الابتعاد عن سيطرة الفرد مهما كان فذا وعقريا . وكانوا يرون اجماع الأمة الإسلامية على ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله بشكل صريح . وإذا غابت النصوص الصريحة فإنهم يعتمدون على ما يفسره علماء الدين قياسا على نموذج موجود في القرآن والسنة . وقد سمح بالاجتهاد في الأمور الشائكة لفقهاء السنة . ثم أعلن في أواخر القرن الثالث الهجري إغلاق باب الاجتهاد وسمح بالتقليد فقط .

امتاز الدور العباسي الأول بظهور المذاهب الاربعة وارساله اركانها في الوقت نفسه الذي كان فيه علم الكلام في أوجه ، وعلماء المعتزلة يتدخلون في الحكم . ويتصدر الخلفاء لهم . وحين بدأ الدور العباسي الثاني وفي عهد المتوكل بالذات الذي كان أول خلفاء هذا الدور ، نادي بترك القول بخلق القرآن وعدم التعرض لمن لا يرى هذا الرأي ، كما انه أمر الناس بالتسليم والتقليد . وامر المحدثين باظهار السنة والجماعة (٩٨) . وساعد بموقفه هذا على ظهور جماعة من علماء الكلام عارضوا المعتزلة .

ويعتبر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي الفترة الفاصلة في تاريخ التشريع الإسلامي . فقد توقف فيه التكوين المستقل للتشريع الإسلامي انبنى على الاجتهاد المطلق . وعلى الحكم بالرأي في فهم القرآن والحديث واصبح الفقيه لا يستطيع اصدار حكمه الخاص الا في المسائل الصغيرة (٩٩) .

(٩٧) — أحمد أمين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٦
وظهر الإسلام ، جزء ٤ ، ص ١٣٦

(٩٨) — المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٣٦٩ .
(٩٩) — آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٩ .

كان اهم المذاهب بين اصحاب الحديث الحنابلة والاذاعية والثورية ، وقد اندر المذهبان الاخيران وبقي المذهب الحنفي جنبا الى جنب مع المذهب الشافعى والحنفى والمالكى . وقد انتشر مذهب ابن حنبل في العراق ولم يخرج خارجها الا في القرن الرابع الهجري ، وكانت مكة والمدينة اكبر مراكز الشافعية^(١٠٠) ، وكذلك الشام ومصر . وقد نافست المالكية الشافعية في مصر . وقد اقسم المالكية والحنفية بلاد المغرب ، وكانت السيادة في الاندلس لمذهب مالك . اما ببغداد نفسها فقد كان الحنابلة دون سائر اهل السنة اكبر من اقلق بالحكومة^(١٠١) .

وبعد انتصار مذهب السنة بشكل حقيقي على يد ابي الحسن الاشعري^(١٠٢) الذي ولد سنة (٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) وعلى الرغم من كل ما يقال عن هذا الفقيه ونشوئه على مذهب المعتزلة فانه في النهاية رفض هذا المذهب ، واخذ من خلال معرفته لمداخله ومخارجه يناقش انصار المعتزلة ، ويدحض آراءهم بالاسلحة المنطقية نفسها التي امدوه بها^(١٠٣) . وقد ساعد على انتشار مذهب الاشعري المؤلفات الكثيرة التي الفها في علم التوحيد مثل كتاب اللسع وكتاب الموجز ، وكتاب اياض البرهان وكتاب التبيين عن اصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل في الرد على اهل الافك والتضليل . وقد كان لجهوده اثر كبير في احياء السنة والحد من انتشار الاعزال^(١٠٤) .

وقد اختلف الاشعري عن الحنابلة ، في انه لم يمانع في المناقشة التي ترمي إلى التقريب بين تعاليم الدين ومبادئ العقل . على حين رفض الحنابلة اي كلام أو جدل في امور الدين خشية التأثير بأراء المجادل . ولذلك وقف الحنابلة موقفا

(١٠٠) - آدم ميتز : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣

(١٠١) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦

(١٠٢) - هو من ذرية ابي موسى الاشعري والي البصرة لعمرا ثم لعنان . ووالبي الكوفة لعنان وهو ممثل علي في التحكيم .

(١٠٣) - عن الاشعري البخاري احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ٦٥ حتى ٦٩ .

(١٠٤) - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ٦٧ - ٦٩ وص ٦٥ .

صلبا في وجه الاشعرية ، ووجهوا اليها حملاتهم مما ادى الى عدم انتشارها في بغداد . حتى اضطر بعض الاشعريين الى مغادرة بغداد .

ومهما يكن من امر ، فان الاشعرية التي قدر لها ان تصبح مذهب جمهور المسلمين ، قد وجدت النصر الافضل في نظام الملك وزير السلطان السلاجوقى الثالث ملك شاه . وكان احتواؤه لها لانه وجد لها اقدر من الحنبلية على الوقوف في وجه الشيعة الغالية .

وهكذا فانه يتضح بأن السنة لم تقو الا باتصار السلاجقة لها وتأييدهم لآرائها ، وذلك في القرن الخامس الهجري . وان الحنبلية التي كان اتباعها اكثر لم تستطع مقاومة الاوضاع السائدة لاسباب متعددة ، كان على رأسها تعصيمهم الشديد حتى ضد المذاهب السنوية الاخرى . واستخدامهم القوة ضد كل من يخالفهم مما زاد في عدد اعدائهم . وما قاموا به نتيجة تعصيمهم قتال الشيعة ، فهاجموا مساجدهم في باراثا مرتين ، وتبنوا محو كتابات اللعن لابي بكر وعمر . كما انهم حالوا في سنة (٩٣٠ هـ / ٥٢٣ م) دون دفن المفسر والمؤرخ المشهور محمد ابن جرير الطبرى ، لانه لم يجعل أحمـد بن حنـيل من الفقهاء . كما انهم تقدوا على فقهاء المدرسة الشافعية . ووقفوا بحزم امام شاريـي الخـمر . وقد ادت شدتهم امام مخالفـي مذهبـهم الى وقوـف الخليـفة الراـضـي في وجهـهم سنـة (٩٣٥ هـ / ٥٢٤ م) فهدـدهـم بالقتل ، ومنع اجتماعـاتـهم (١٠٥) .

ومن اهم ميزات هذا الدور بالنسبة للمذاهب الاسلامية ظهور المذاهب الاربعة . وهي على الترتيب المذهب الحنفي ، المذهب المالكي - المذهب الشافعى - المذهب الحنفىي .

(١٠٥) - مسكونية : «تجارب الامم» جزء ١ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

- التصوف

ساير اتصاد السنة ، تيار آخر هو تيار التصوف .

ويرى بعض العلماء ان التصوف نزعة من النزعات الاسلامية لا فرقة مستقلة ، لذلك يصح ان يكون الانسان معتزلياً وصوفياً ، شيعياً وصوفياً في آن واحد وغير ذلك ، كما يرى آخرون بأن الصوفية طائفة من اهل السنة ^(١٠٧) . والاصل في التصوف العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمّور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ^(١٠٨) .

انتشرت الصوفية بعد ان فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس الى التمتع بالدنيا ^(١٠٩) ، ولكن نشأة التصوف كانت قبل هذا العصر . فقد وجد رجال كثيرون من بداية الاسلام يعرفون بالزهاد ، وهم رجال الصفة ، كما وجد غيرهم كأبي ذر الغفارى والحسن البصري ، دون ان يطلق عليهم اسم متصوفة ^(١١٠) .

وقد اختلف الناس في اصل التسمية هل هي من الصفة او الصفاء او الصوف لانهم اختصوا به . ويرجح البعض ومنهم ابن خلدون انها نسبة الى الصوف لما كانوا عليه من مخالفـة الناس في لبس فاخر الشـباب الى لبس الصوف ^(١١١) . وقد زهد المتصوفة عن الدنيا . وانفردوا عن الخلق بالاقبال على

(١٠٦) - يمكن العودة الى مقال هامiltonon جب دراسات في حضارة الاسلام ، دار العلم للملايين ، من ص ٢٧٥ - ٢٨٨ .

(١٠٧) - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٤٩ .

(١٠٨) - احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٥٢ .

(١٠٩) - ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٩ .

(١١٠) - احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٥٠ .

(١١١) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٣٩ .

العبادة حباً بالله وتقرباً إليه . ثم دخلت الفلسفة إلى التصوف وخاصة الفلسفة الأفلاطونية الحديثة وغيرها ، وذلك لاتصال الصوفية بأهل الديانات الأخرى^(١١٢) .

نبدأ مراحل التصوف من مرتبة المريد ولا يزال المريد يترقى من مقام السى مقام إلى اذ يتنهى إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة . وإذا وقع تقصير في النتيجة او خلل فيعلم انه انساً اتى من قبل التقصير في الذي قبله . ويحتاج المتتصوف لاجتناب هذه المراحل إلى محاسبة نفسه فيسائر اعماله والنظر في خفاياها لأن حصول النتائج عن الاعمال ضروري ، وقصورها من الخلل فيها كذلك^(١١٣) . كما يحتاج كذلك إلى المجاهدة والخلوة والذكر ليصل إلى كشف حجاب الحسن ، والاطلاع على عوالم من امر الله ليس لصاحب الحسن ادراك شيء منها . وسبب هذه الكشف أن الروح اذا رجعت عن الحسن الظاهر إلى الباطن ضفت أحوال الحسن وقويت الروح . وغلب سلطاته^(١١٤) .

كان الصوفية خصوماً لأئمَّةِ الْفُقَهَاءِ ، وقد عبروا عن احتقارهم لعلم الفقه الذي يسمونه علم الدنيا تعبيراً قاسياً ، وقد انتصر الصوفية في هذا الباب وبشكل خاص على يد الغزالى امام جمهور المسلمين المتأخرین ، فجاءه بأن علم الفقه علم ديني لا ديني ، كما وجد بين الصوفية طوائف كثيرة ترفض العلوم جملة^(١١٥) .

ومن أشهر المتصوفة رابعة العدوية صاحبة الحب الالهي ، لاحسانه إليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة ، ولأنه اهل لهذا الحب . ثم جاء ابو يزيد البسطامي الذي بدأ بفكرة الفتنة في الله ، وهذه الفكرة كثيرة الشيوع في كلام الصوفية .

(١١٢) - احمد أمين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٥٨ - هاملتون جب : المرجع السابق ، ص ٢٧٦

(١١٣) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٤٠ .

(١١٤) - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤٤١

(١١٥) - آدم ميتز : المراجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٤

فلكثرة اندماجه بعبادته يصل الانسان الى انعدام النفس . ويصف السري السقطي من وصل الى هذه الحالة بقوله : (انه لو ضرب بسيف على وجهه لما شعر به) (١١٦) .

ونسب الى ذي النون المصري ادخال الكلام في المقامات والاحوال في الصوفية ، حتى شغلت جزءاً كبيراً منها . فللصوفية كلام طويل في الاحوال والمقامات التي وضع فكرتها ذو النون ، خلاصتها ان طريق الوصول الى الله شاق ، وعسير يجب ان يتدرج فيه المريد في مراحل يسلم بعضها الى البعض وهذه المراحل المتعددة تسمى بالمقامات ، وقد جعلها الطوسي صاحب كتاب اللمع وهو من اقدم الكتب الصوفية سبعاً كل واحدة تسلم الى ما بعدها . وهي مقام التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا ، ويررون ان الطالب بعد التوبة يجب ان يتبع مرشد او شيخاً يطيعه طاعة عمياء . ويحترق المتصوفة من يسير في الطريق من غير مرشد (١١٧) .

والى جانب المقامات فقد كانت الاحوال ، فعدوا منها انتأمل والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والانس والطمأنينة والمشاهدة والتعيين . ويررون ان المقامات يتوصل اليها بجهود الشخص ، اما الاحوال فموهبة من الله لا حكم للانسان عليها . وهذا معنى قولهم فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب (١١٨) .

وقد تطور التصوف قدماً على يد الحلاج الذي كان يرى الغلو في الفناء أي فناء المحب في المحبوب حتى لا يرى شيئاً الا هو ، وبالتالي فانه كان يرى حلول الله في الانسان ، أي انه هو والله شيء واحد ، ثم تجلى بعد ذلك وحدة الوجود في ابن العربي وابن القارص وابن سبعين العفيف التلمساني وغيره . ومعنى القول بوحدة الوجود ان العالم والله شيء واحد (١١٩) . وليس مظاهر العالم المختلفة

(١١٦) - امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(١١٧) - احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٦٠ .

(١١٨) - احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٦٠ .

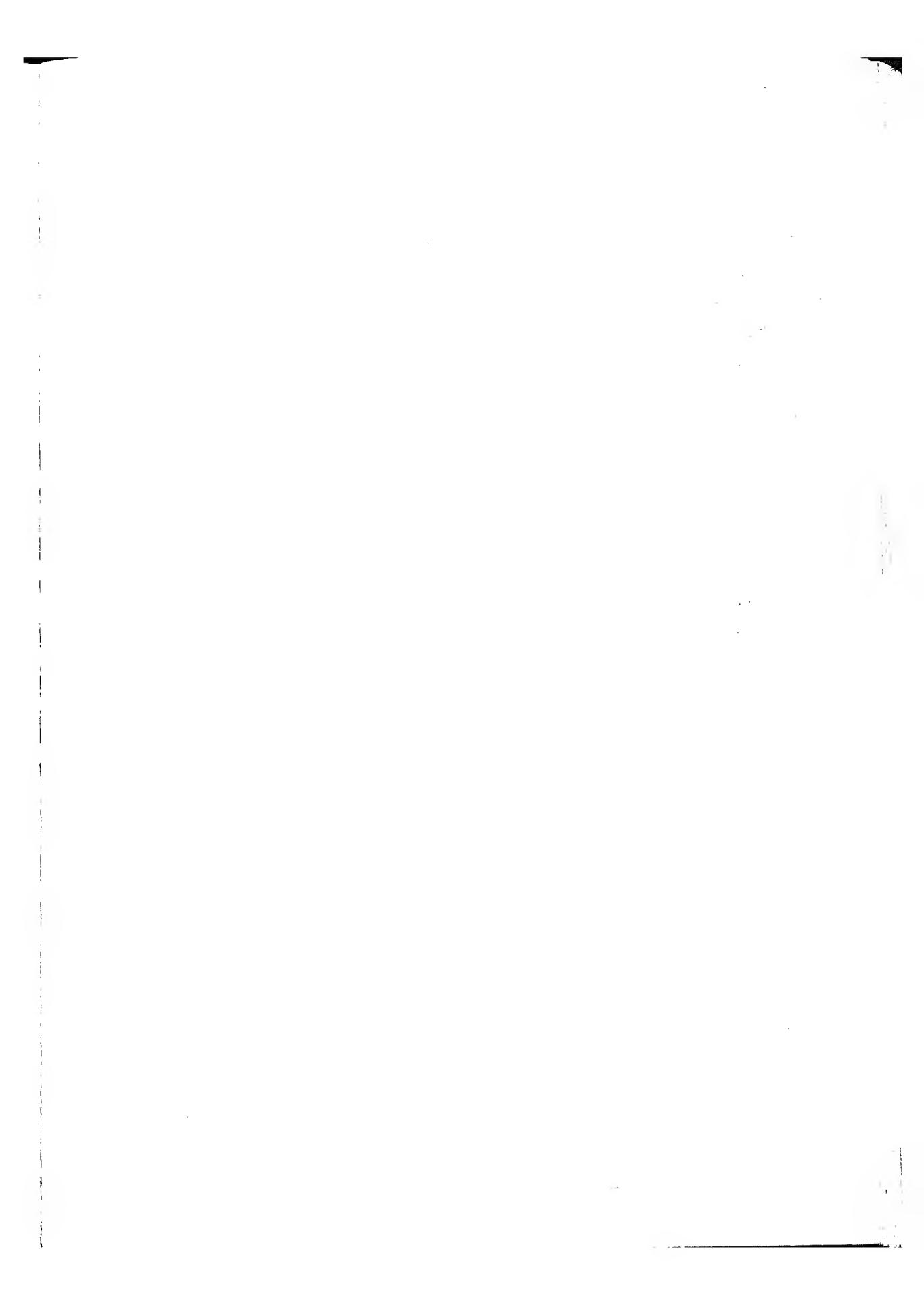
(١١٩) - احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٦٢ .

الا مظاهر لله تعالى ، اي ليس لله وجود الا الوجود القائم بالمخلوقات . وليس هناك غيره ولا سواه ، وان العبد انما يشهد السوى مادام محجوبا ، فاما انكشف الحجاب رأى انه لا اثر للغيرية ولا للكثرة . وعليه فعين الرائي عين المؤسي والشاهد عين المشهود (١٢٠) .

— كان المتصوفية ادب غزير له خصائص متميزة ، كالسمو الروحي ، والمعاني النسبية العميقية ، والخضوع لارادة الله القوية ، وبعد الخيال كما يتصرف بالغموض والمعاني الرمزية (١٢١) .

هذا ويجب ان نذكر انه لم يكن للمتصوفة في القرن الثاني جامعة تجمعهم ولا امكانية خاصة يؤدون فيها شعائرهم . وانما كانوا افراداً متفرقين ، قد يكثرون بعض منهم تلاميذ ، ثم تزايد اعداد التلاميذ حول المرشد بعد ذلك فكونوا مجموعات متميزة .

(١٢٠) — احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٦٣
(١٢١) — احمد امين : المرجع السابق جزء ٤ ، ص ١٧٠ .



المفصل الثالث

تفكير وحدة الخلافة الإسلامية

عجزت الخلافة العباسية منذ الدور الاول عن المحافظة على وحدة أراضيها ويعود ذلك الى قوة التيار الانفصالي . وقد ازداد هذا التيار قوة اثر تسلط العناصر الاسلامية على الخلافة . فمنذ استئثار الاتراك بالنفوذ فيها دون الخلفاء ، تعرضت الخلافة الى الكثير من الاضطرابات السياسية ، وأخذت العناصر المختلفة التي نشَّكل شعوب الخلافة تعمل على تأسيس دول مستقلة . وما لاشك فيه ان هذه الحركات الانفصالية قد اظهرت الخلافة العباسية بمظهر التفكك . واصبح الخلفاء العباسيون في بعض فترات تاريخهم المتأخر لا يسيطرون الا على مدينة بغداد . وعلى الرغم من هذا التقسيم ، فان اقطاراً كثيرة تمت بكمير من الطمأنينة والرخاء . وبذل حكام هذه الدول جهدهم في سبيل توطيد دعائم ملوكهم . وانتفع كل قطر بموارده الخاصة . وصارت ايرادات الاقطار المستقلة المتجمعة من الخراج والجزية والضرائب الاجرى ، ينفق جزء كبير منها في اصلاح مرافقتها . كما عني حكامها بتعميم موارد الثروة في اقطارهم . مما ساعد على توفير اسباب المعيشة لرعاياهم ، واتعاش الحياة الاقتصادية في بلادهم ^(١) .

ولم يؤد التقسيم الى انشاء اقسام الدولة الاسلامية الى انقطاع الصلة بين اقاليمها وولاياتها المنفصلة عنها . بل كانت مجموع الاقاليم تؤلف دولة واحدة هي مملكة الاسلام .

(١) - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٩٣ - ٩٤

وقد كان المسلم يتمتع بحق المواطن في جميع احياء هذه المملكة . فلا يتعرض أحد لحرি�ته الشخصية . ويستطيع أن يتنقل بين اطراف الاقطار الاسلامية بأمان ، من دون رعايا دار الحرب ، الذين لا يستطيعون دخول هذه الاراضي الا باذن ، ويسمون مستأمين مفردها مستأمن ، و اذا دخلوها دون أمان ، فلا يمكن حمايتهم وتعرض حياتهم للخطر^(٢) .

يضاف الى هذا أن انقسام الدولة الاسلامية الى دول مستقلة ، لم يؤد الى تدهور او احتطاط الحضارة في تلك الدول . بل على العكس فان الاقطار الاسلامية كانت بعد استقلالها عن الخلافة في بغداد منيعة الجانب وافرة العدة عظيمة الخيرات . فقد نوه الرحالة بما بلغته دولة السامانيين في خراسان وما وراء النهر من ذي حضاري . كما أن الحضارة في مصر تقدمت تحت حكم الفاطميين بشكل أكبر واوضح مما كانت عليه ايام ولاة العباسيين . ولما اتيح للاندلس الاستقلال في بدء العصر العباسي ازدهرت فيها الحضارة واسهمت في تقدم العلوم والآداب^(٣) . ويمكن رد أسباب نشوء هذه الدول الى عوامل متعددة منها :

١ - سياسة الدولة العربية الاسلامية التي سلمت الاشراف على الجيش والبريد والخارج . وترك ما تبقى من شؤون الدولة بيد الاسر المستفدة والغنية في بعض الاقاليم . مما دعا هذه الاسر الى استغلال ثروتها ، وتحقيق غايتها في الاستفلال .

ويضاف الى ذلك تطرق الفساد الى النظام المالي ، فقد ساعت الجباية وأخذت جباية منطقة من المناطق تعطى للأشخاص على سبيل الالتزام . وغاية الدولة من ذلك الحصول على أكبر قدر مالي ، دون النظر الى مصالح أهالي المناطق . ونهض عولاء الملتزمون لجمع اضعاف مادفعوه . فاشتد عسفهم بالناس في كثير من الاحيان . وقد ولد ذلك تذمر الطبقة الفقيرة التي لم تظفر بالقرب من الحكم .

(٢) - آدم ميز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣-٤

(٣) - درود الحضارة الاسلامية في الشرق ، ص ٧٠ - ٧١ - احمد امين ، ظهر الاسلام ، جزء ١ ص ٩٣

وقد ترتب على تدمير السكان قيام الثورات ، ثم طمع البعض باستغلال الثورات لصالحهم .

٢ - عدم تمازج العناصر التي تشكل الخلافة الإسلامية بعضها . وشعور بعض هذه العناصر بذاتها نتيجة البقاء على الحضارات السابقة . واقتباس الخلافة العباسية بعض مظاهرها .

٣ - شعور بعض الأقاليم بأهميتها الاقتصادية والثقافية في المجتمع الإسلامي ، فأخذت بالانفصال لتعبر عن ذاتها .

٤ - ضعف السلطة المركزية في العاصمة ممثلة بالخلافة التي سلط عليها الأعلام . ويمكن القول بأن الحركات الانفصالية كانت كثيرة لهذا السبب ، حتى ان خريطة العالم الإسلامي خلال دور العباسي الثاني ، كانت مضطربة غاية الاضطراب .

٥ - اتساع اراضي الخلافة الإسلامية ، وتباعد اطرافها عن المركز .

وقد بدأت بعض المناطق الإسلامية في الاستقلال عن الخلافة العباسية منذ الدور العباسي الأول ومن أمثلة ذلك . الدولة الأموية في الاندلس ١٣٨ - ٣٩٧ / ٧٥٦ - ١٠٩٢ م ، ودولة الادارسة في المغرب الأقصى ١٧٢ - ٣١١ / ٧٨٨ - ٩٣٣ م ودولة الاغالة في تونس ١٨٤ - ٢٩٦ / ٨٠٠ - ٩٠٨ م والدولة الطاهرية ٢٠٥ - ٢٥٩ / ٨٢٠ - ٨٧٢ م في خراسان وازاد عدد هذه الدول في الدور العباسي الثاني ، فكانت الدولة الصفارية ٢٥٤ - ٢٩٨ / ٩٠٣ - ٧٦٨ م التي ورثت الدولة الطاهرية ، والدولة السامانية ٣٦٦ - ٣٨٩ / ٨٧٤ - ٩٩٩ م والدولة الطولونية ٣٥٤ - ٣٩٢ / ٨٦٨ - ٩٠٥ م ، والدولة الاخشيدية والحمدانية والمرداشية والعقيلية إلى جانب الخلافة الفاطمية . وسنقتصر في دراستنا على أهم الدول المنفصلة التي نشأت في عصر سيطرة الاتراك ويمكن تقسيم هذه الدول بحسب جنسية حكامها في هذه الفترة إلى قسمين .

— الدول الفارسية

— الدول التركية

وكانَت هذه الدول تابعةً من الناحية الاسمية للعباسيين • وكان امراؤها يعترفون بالخلافة العباسية ويُتضح هذا الاعتراف بأمور ثلاثة :

- ١ — الدعوة لل الخليفة على المنابر على أنه أمّام المسلمين
- ٢ — ذكر اسم الخليفة على النقود ويليه اسم الأمير •
- ٣ — إرسال قسم من الخراج إلى بيت مال الخليفة إلا في بعض الظروف^(٤) •

— الدول الفارسية :

قامت دول مستقلة في شرقى الخليفة الإسلامية على يد عناصر فارسية ، ومن هذه الدول :

١ — الدولة الطاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ / ٨٢٠ - ٨٧٢ م)

كانت الدولة الطاهرية أول دولة في الشرق تظفر بشبه استقلال عن حكومة بغداد ، ونسج غيرها على منوالها • أسس هذه الدولة طاهر بن الحسين وهو من قواد المأمون ، وساعدته الآیمن في حربه ضد الأئمّة ، وقاده في قتال نصر بن شبت العقيلي^(٥) • ثم منحه ولاية المناطق الواقعة من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق^(٦) ، وجعل على القيادة ابنه عبد الله بن طاهر • وقد اتخذ الخليفة هذا الإجراء أثر عجز واليه السابق عن إدارة الأمور •

جعل طاهر بن الحسين من مدينة نيسابور عاصمة له ،

(٤) — يوسف العش : الخليفة العباسية ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٥) — ابن خلدون : الخليفة العباسية ، جزء ٣ ، ص ٢٥١

(٦) — ابن خلدون : الخليفة العباسية ، جزء ٣ ، ص ٢٥١ - محمد جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ٧٨ .

وخلمهـ أبناؤهـ في ادارة هـذهـ الدولةـ وعملـواـ منـذـ النـصفـ الـأولـ منـ القـرنـ الثـالـثـ عـلـىـ اـشـاءـ حـكـمـ مـسـتـقـرـ فـيـ خـراسـانـ ، وـمـراـقبـةـ تـحـركـاتـ التـائـريـنـ لـقاـوـنـهـمـ ، كـماـ شـجـعـواـ التـعـلـيمـ ، وـاهـتـسـواـ بـشـكـلـ خـاصـ بـشـؤـونـ الزـرـاعـةـ ، وـوجـهـواـ اـهـتـمـامـهـمـ إـلـىـ تـطـوـيرـهـاـ

ويـبـدـيـ انهـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ هـذـاـ الاـسـتـقـلـالـ الـذـيـ اـظـهـرـهـ الـطـاهـرـيـوـنـ فـيـ المـنـاطـقـ الـشـرـقـيـةـ ، فـانـ ثـقـةـ الـخـلـفـاءـ بـهـمـ كـانـ كـبـيرـةـ . وـقـدـ اـسـتعـانـ الـعـبـاسـيـوـنـ بـهـمـ فـيـ الـقـضـاءـ عـلـىـ الـشـورـاتـ الـتـيـ نـشـبـتـ فـيـ وـجـهـهـمـ . وـمـنـ مـظـاهـرـ الـثـقـةـ بـيـنـ الـطـاهـرـيـنـ اـنـ الـطـاهـرـيـنـ كـانـوـاـ يـدـفـعـونـ مـبـلـغاـ مـالـياـ سـنـوـيـاـ لـلـخـلـفـاءـ ، وـقـدـ يـكـوـنـ هـذـاـ مـالـ فـائـضـ الـخـرـاجـ . فـقـيـ

سـنـةـ ٢٢١ـ هـ /ـ ٨٣٦ـ مـ اـرـسـلـ آـلـ طـاهـرـ إـلـىـ بـغـدـادـ شـمـائـلـةـ وـثـلـاثـيـنـ مـلـيـونـ دـرـهـمـ مـنـ جـمـلـةـ وـارـدـ يـقـدـرـ بـشـمـائـلـةـ وـارـبعـينـ مـلـيـونـ دـرـهـمـ . كـماـ اـنـ الـخـلـفـاءـ اـسـتعـانـوـاـ بـهـمـ فـيـ الـقـضـاءـ عـلـىـ شـورـاتـ الـعـلـوـيـنـ وـالـخـوارـجـ . وـأـبـقـواـ شـرـطةـ بـغـدـادـ فـيـ أـيـديـهـمـ حـتـىـ سـنـةـ ٣٠١ـ هـ /ـ ٩١٤ـ مـ . وـوـقـفـ الـعـبـاسـيـوـنـ إـلـىـ جـانـبـهـمـ فـيـ نـزـاعـهـمـ مـعـ الصـفـارـيـنـ .

حتـىـ تـمـكـنـ يـعقوـبـ الصـفـارـيـ مـنـ الـقـضـاءـ عـلـىـ أـسـرـهـمـ^(٧) .

بـ - الـدـوـلـةـ الـصـفـارـيـةـ ٢٥٤ـ - ٢٩٠ـ هـ /ـ ٨٦٨ـ - ٩٠٣ـ مـ

عاـصـرـتـ هـذـهـ الدـوـلـةـ ، الدـوـلـةـ الطـوـلـوـنـيـةـ ، وـكـانـ يـعقوـبـ بـنـ لـيثـ الصـفـارـ

مـؤـسـسـهـاـ مـنـ الصـنـاعـ الـذـينـ يـعـمـلـونـ بـالـصـفـرـ . وـقـدـ سـنـحتـ الـفـرـوـفـ لـهـ أـنـ يـؤـسـسـ

دـوـلـةـ عـاـشـتـ سـتـاـ وـارـبعـينـ سـنـةـ ، اـبـدـأـتـ فـيـ سـجـسـتـانـ ، ثـمـ توـسـعـتـ إـلـىـ فـارـسـ

وـالـاهـواـزـ وـخـراسـانـ . كـانـ سـجـسـتـانـ مـنـ الـمـنـاطـقـ التـابـعـةـ لـلـدـوـلـةـ الـطـاهـرـيـةـ يـحـكـمـهـاـ

عـاـمـلـ مـنـ قـبـلـهـمـ . وـقـدـ اـسـتـقـحلـ فـيـهاـ نـفـوذـ الـخـوارـجـ ، فـأـخـذـوـاـ يـعـيـشـونـ فـيـ الـأـرـضـ

الـفـسـادـ يـقـتـلـوـنـ وـيـنـهـبـوـنـ . فـأـرـسـلـ عـاـمـلـ سـجـسـتـانـ جـيـشـاـ لـقـتـالـهـمـ وـتـأـديـهـمـ . جـلـ

عـلـىـ قـيـادـتـهـ صـالـحـ بـنـ النـصـرـ الـكـنـانـيـ^(٨) ، وـعـرـفـ باـسـمـ صـالـحـ الـمـطـوـعـيـ . وـكـانـ فـيـ

صـحـبـةـ هـذـاـ جـيـشـ يـعقوـبـ بـنـ لـيثـ الصـفـارـ . تـمـكـنـ هـذـاـ جـيـشـ مـنـ التـغلـبـ عـلـىـ

(٧) الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٨) - ابن خلدون : المصادر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٠٩

(٩) - ابن خلدون : المصادر السابق ، جزء ٣ ، ٢٩٢

سجستان . وقد بدت مواهب يعقوب الصفار العسكرية في الظهور من خلال ماقدمه من مهارة عسكرية في قتال الخوارج ، واعادة الاستقرار الى سجستان (١٠) .

أخذ يعقوب بن الليث يعمل على تقويب الجنود اليه ، وكذلك عمل على تحييب الشعب به باغداقه للاموال . وقد اثرت جهوده فأصبح رئيساً للجند ثم حاكماً لسجستان (١١) . ولم يلبث أن بسط سلطانه على وادي كابل وأنسند ومكران وفتح هرآة من مدن خراسان . ثم استولى على كرمان وفارس ، وضم بلخ الى حوزته (١٢) .

لم يكن يعقوب بن الليث الصفار في بادئ الأمر يريد الاستقلال عن الخليفة العباسية ، وكانت رغبته أن يكون أميراً للعباسيين . الا ان وقوف العباسيين الى جانب آل طاهر ، ثم مالمسه من ضعف العباسيين تحت نفوذ الاتراك . جعلاه يفكر في فتح خراسان دون اذن العباسيين . وتمكن حيوشه من دخول نيسابور عاصمة الدولة الظاهرية مخالفًا أوامر الخليفة ، وادعى في سبيل تحقيق هدفه ، أن أهل خراسان أرسلاوا اليه يطلبون انقادهم من آل طاهر (١٣) .

ادرك الخليفة العبسي مدى الخطر الذي يقع على دولته من جراء ازدياد نفوذ الصفار ، فأضمر له العداء ، وأراد أن يضعف مرکزه باظهار سخطه ، وعدم رضاه عنه . فجمع حجاج المناطق الشرقية في بغداد ، وكلف من يقرأ عليهم كتابه بلعن الصفار ، وأرسلت عشرات النسخ من هذا الكتاب الى الامصار لتداعي بين الناس (١٤) .

(١٠) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ٢٩٤ .

(١١) - يوسف العش - الخليفة العباسية ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(١٢) - محمد جمال الدين سرود - المراجع السابق ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(١٣) - ابن خلدون : الخليفة العباسية ، جزء ٣ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(١٤) - الطيري : المصدر السابق جزء ٣ ، ص ٥٧ - ٦٠ . ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ٣٠٨ - ٣٠٩ .

ولما شعر الصفار بقوته ، أراد أن يفرض على الخليفة المعتمد الاعتراف به . ولما رفض قرار قصد العراق ، فأعاد عدته وسار إلى الاهواز ، حيث استولى عليها^(١٥) ، مستغلاً انشغال الخليفة في صراعها مع الرنج ، ومن هناك كاتب الخليفة وسائله ولاية خراسان وفارس وكرمان وسجستان والسندي ، وطلب منه أيضًا أن يحضر من قرأ عليهم كتابه الأول ، ويقرأ عليهم خلاف ذلك ليبطل الأول بالثاني . ولما كان الخليفة المعتمد على الله وأخوه الموفق في شغل بقتل صاحب الرنج اجبر الصفار على ما طلب^(١٦) .

الآن اطماع الصفار لم تقف عند حد ، فطمع في بغداد نفسها . ويدو أنه كان يطمع في أن يكون له من النفوذ ما للاتراك . وشجعه على ذلك جيش قوي يأتمر بأمره . ولكنه فشل في مشروعه هذا ، فأخذ يتسع على حساب الامراء المجاورين^(١٧) .

انصرف اهتمام يعقوب بن الليث الصفار إلى تكوين جيش قوي مطيع له ، كما انه اعتمد في ادارة البلاد على قوته الشخصية ؛ على الرغم من عدم اظهاره مقدرة سياسية في ادارتها^(١٨) . وكان يصل على ايجاد اتباع مخلصين له ، فيحسن تدريبهم . وكان قدوة لهم في التقشف ليكونوا جنوداً مخلصين . مما جعله يترك خزائنه عامرة بالأموال . فسرا جاء حول ذلك (كان لا يجلس إلا على قطعة مسح يشبه ان يكون طوله سبعة أشبار في عرض ذراعين أو أرجحه ، والى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه . وليس في مضربه شيء غيره) فإذا أراد أن ينام من ليله او نهاره اضطجع على ترسه) . وقد اجاب رسول الخليفة الذي سأله عن سبب تقشفه

ابن حليدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢١٦ .

ذلكان : وفيات الاعيان ، جزء ٢ ، ص ٢١٦ .

ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٦٦ .

برهان الدين : مرجح الذهب وعماد الجوهر ، جزء ٤ ، ص ٢٠٠ - محمد جمال الدين سرور :
السابق ، ص ٨٠ .

(ان رئيس القوم يأتى به أصحابه في افعاله وسيرته ، فلو استعماط ماذكرت من الآثار ، لأنقلنا البهائم ، ولا نتم بي في فعلى من في عسكري)^(١٩)

وهكذا نجح يعقوب بن الليث الصفار ، على الرغم من انه لم يكن من بيت خريق ، من تأسيس دولة استطاعت مع قصر عهدها ان تنشر قوادها ليس في سحسنان وحدها ، حيث بدأت ، بل في معظم آرجاء فارس ، ووصلت الى أسوار بغداد تقريباً^(٢٠) .

نوفي يعقوب بن الليث في سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٧ م دون ان يستطيع انهاء الخلاف بينه وبين الخليفة العباسى ، وبایع الجناد أخاه عمرو بن الليث ، وتحسن العلاقات في البداية - بين الاخير وال الخليفة المعتمد ، فاعترف به كامير على خراسان واصبهان وال Sind و سجستان ، كما أضاف اليه شرطة بغداد^(٢١) . وقد احسن عمرو التدبير والسياسة فيما اوكل اليه^(٢٢) . الا ان العلاقة بينهما مالت اذ ساعت ، وعادت الى ما كانت عليه في عهد يعقوب .

نميز عمرو بن الليث بكفایته في ادارة شؤون دولته ، وأحب اذ يطلع دائماً على شؤون قواده ، وان يجعل هؤلاء يأترون بأمره ، فمنع أصحابه وقواده من أن يضرب أحد منهم غلاماً الا بأمره . وكان يشتري المالك الصغار ويربيهم ويهبهم لقواده ، ويجري عليهم العجازات الحسنة سراً ليطلعوه باحوال قواده^(٢٣) .

ادى اعتزاز عمرو بن الليث بنفسه ومقدراته ، وثقة بجنده الى وقوعه أسرى في قضبة اسماعيل بن أحمد الساماني وتشتت شمال جيشه في موقعة عسكرية .

(١٩) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٤ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢٠) - حسن ابراهيم حسن : المراجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٦٧

(٢١) - ابن خلدون - المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣١٨

محمد جمال الدين سرور : المراجع السابق ، ص ٨١ - حسن ابراهيم حسن : المراجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٦٧ .

(٢٢) - ابن خلkan : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٠ .

(٢٣) - المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٠٥ - ابن الاثير : جزء ٧ ، ص ٥٠ .

وهذه الموقعة من الواقع الهامة التي أدت الى سقوط الدولة الصفارية ، وقيام الدولة السامانية على انقضائها ^(٢٤) .

ولما أسر عمرو ، آل حكم الدول الصفارية الى حفيده طاهر بن محمد بن عمر ابن الليث ، ولم يكن له من الامر شيء . فقد استبد غلمان جده بالسلطة . واستمر الحكم للصفاريين اسماً . حتى تمكن احمد بن اسماعيل الساماني من الاستيلاء على سجستان والقبض على محمد بن علي بن الليث الصفاري ، وأرسله الى بغداد في سنة ٢٩٨ هـ / م ٩١٠ م .

ويرجع ضعف الدولة الصفارية وزوالها الى موقف الخليفة العباسية العدائي منها . والجهود المتصلة التي بذلتها للقضاء عليها . الى جانب ما كان من السامانيين الذين قضوا عليها . يضاف الى كل ذلك مناورة بعض قوادهم لهم في الفترة الاخيرة ^(٢٥) .

كان الصفاريون يعتقدون المذهب السنّي ، ويدعون للخليفة على المنابر لاكتساب رضا الجماهير . ولكنهم على الرغم من كل شيء ، حاولوا تقليل سلطته ومشاركته في مظاهر سيادته . فأمر يعقوب بذكر اسمه في الخطبة مع اسم الخليفة . كما نقش اخوه عمرو اسمه على الدنانير . ولم يرسل الصفاريون فائض خراجهم للخلفاء العباسيين ، بل تصرفوا بأموال المناطق الخاضعة لهم ، مما اكسبهم عداء الخليفة . ولكنهم وعلى الرغم من كل شيء طبقو مبادئ العدل والمساواة بين أتباعهم ، فأيدتهم الطبقات الفقيرة ^(٢٦) .

(٢٤) - ابن الانباري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٠٠ - ٥١٠

(٢٥) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٧٠

(٢٦) - محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية في الشرق ، ص ٨٥

- الدوري : دراسات في العمارة العباسية المتأخرة ، ص ١١٨ - ١١٩

جـ - الدولة السامانية (٢٦١ - ٨٧٤ هـ / ٩٩٩ م)

تنسب هذه الدولة الى أسرة فارسية عريقة في المجد ، يرجع أصلها الى بهرام جور ، أصلهم من مدينة بلخ ، وقد بُرِزَ أحفاد سامان في عهد الخليفة المؤمن ، وسلمو ولاية بعض مدن خراسان وماوراء النهر لطاهر بن الحسين ، وتطور الامر حتى أسس هؤلاء دولتهم في ماوراء النهر وخراسان .

اشهر أحفاد سامان اسماعيل ونصر ، تسلم نصر بن أحمد الساماني ولاية سمرقند ، ثم وصله منشوراً بأعمال ماوراء النهر من الخليفة المستعين سنة ٥٢٥ هـ / ٨٦٥ م^(٢٧) ، وتأكد في خلافة المعتمد سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م^(٢٨) ، وبذلك تأسست الدولة السامانية^(٢٩) .

اشرك نصر اخاه اسماعيل معه في الحكم ، ثم ارسله في سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م لتولي مدينة بخارى على اثر الاحداث المؤلمة التي مرت بها المدينة^(٣٠) ، فأحسن معاملة أهلها فأحبوه ، وتمكن من جمع كلمتهم ، والقضاء على حركات التمرد التي كانت كثيرة^(٣١) ، وقد أدى ذلك الى اثارة روح الحقد في نفس أخيه نصر ، وخاصة بعد تدخل الوشاة بينهما^(٣٢) .

توفي نصر في سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م فأصبحت السلطة بيد اسماعيل منفرداً ، فنهض لتنعيم الدولة السامانية الناشئة ، وأخذ يسط سلطانه على خراسان ،

(٢٧) - الترشخي : تاريخ بخاري ، ص ١٠٦ ، ولكن يورد أن ذلك حدث في عهد الخليفة الواقف وهذا خطأ لأن المستعين هو الذي كان يحكم في هذا التاريخ .

(٢٨) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ١١٠

(٢٩) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ص ٤٨٠

(٣٠) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩

(٣١) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ١١١

(٣٢) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ١١٢ - ١١٦

واستخلصها من الدولة الصفاوية . كما ضم طبرستان الى حوزته وكذلك اري ^(٣٣) . وتمكن خلفه أحمد من القضاء على الدولة الصفاوية نهائيا ، والتوسع في منطقة سجستان ^(٣٤) . وحافظ ولی عهده نصر بن أحمد على حدود ولايته كما ورثها على الرغم من منافسة افراد اسرته له ^(٣٥) .

كان دعاة الاسعاعية في فارس وشرق الخلافة الاسلامية يبذلون جهودا كبيرة لجذب كبار الامراء الى زعيمهم عبيد الله المهدي ، ومن بين هؤلاء الدعاة أبو عبد الله بن أحمد النسفي ، الذي استطاع أن يضم الى الاسعاعية كثيرا من أهالي خراسان . وعزز نجاحه في خراسان بنجاح آخر في بلاد ماوراء النهر . ودخل بخارى حيث لقي اهتماما ومساعدة من بعض كبار رجال الدولة السامانية . وبفضل هؤلاء استطاع النسفي الوصول الى نصر بن أحمد الساماني الذي رحب بمبادرته ، ودعاه الى مقابلته بعد أن كان من أكبر معارضي المذهب الاسعاعي ، وهو الذي قبض على الحسين بن علي المروزي استاذ النسفي وسجنه ، وظل مسجونا حتى توفي . غير ان النسفي استطاع بدهائه وحسن سياساته ان يستميل نصر بن أحمد الساماني الى جانب الخليفة الفاطمي عبيد الله . كما دفع دية المروزي الى النسفي الذي ارسلها بدوره الى عبيد الله المهدي ليبرهن عن اخلاص نصر للدعوة الاسعاعية .

ارسل نصر بن أحمد الساماني كتابا الى عبيد الله المهدي ، يعترف فيه بسلطته الروحية ، ويعده بامداده بالرجال . وقد قال في كتابه : (انا في خمسين ألف مملوك يطعونني وليس على المهدي بهم كلفة ولا مؤونة ، فان أمرني بالمسير ، سرت به ووقفت بسيعي ومنطقتي بين يديه ، وامثلت اوامره) .

ويبدو ان ازدياد ثقہ الداعي النسفي في عهد نصر . أدى الى غضب كبار

(٣٣) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ١١٧ - ١٢٣

(٣٤) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ١٢٥

(٣٥) - الترشخي : المصدر السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦

رجال، الدولة السامانية منه . ودفع هؤلاء الى العمل على التخلص منه . وقد أدرك نصر الخطر المحدق به ، وآراد أن يحتفظ بالamarة في أسرته ، فتنازل عنها لابنه نوح . وكان الابن على غير رأي والده . فوجه اهتمامه الى القضاء على الدعوة الاسماعيلية وانصارها في بلاده . وقتل النسفي مع عدد كبير من القواد الذين دخلوا في المذهب الاسماعيли سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م^(٣٦) .

تعرض السامانيون لهجمات البوهيين من جهة ، وتمرد القبائل التركية فيما وراء سينجون من جهة أخرى ، بالإضافة الى تمرد مواليهم عليهم . وقد بدأ الصراع بين البوهيين والسامانيين منذ عهد نوح بن نصر من أجل مدينة الري ، ولما فشل نصر أمام البوهيين ، طمعوا في القضاء على الدولة . وقام الصراع بين الطرفين حتى سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م^(٣٧) . وقد تعرض هؤلاء الى هجمات الاتراك على حدود دولتهم الشرقية^(٣٨) ، كما قام مواليهم من الاتراك الذين تقلدوا للسامانيين مناصب عالية في الجيش والادارة بمنافستهم ، واصبحوا خطراً يهدى السامانيين . وقد أدت هذه العوامل الى جانب عوامل أخرى الى ضعف سلطة السامانيين ثم انهيارها . وهذه العوامل هي :

— وقوع النزاع بين أفراد البيت الساماني ، ووصول أمراء للحكم ليسوا على قدر المسؤولية .

— اعتماد السامانيين على الاتراك في جيشهم . وتوليتهم مناصب عالية في الجيش والادارة وتمتعهم بسلطات واسعة جعلتهم خطراً يهدى السامانيين .

هذا وقبل ان اختتم الحديث عن الدولة السامانية يجب ان اعترف للسامانيين

(٣٦) — محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٨٤

(٣٧) — ابن نعري بودي الاتابكي : النجوم الظاهرة ، جزء ٤ ، ص ٦٢

(٣٨) — ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٣٥ . حتى

الذين اتخذوا من مدينة بخارى عاصمة لهم بما قدموه من خدمات في المجال الحضاري . حتى غدت بخارى وسمرقند في عهدهم موئلاً للعلم والادب والفن . كما تقدمت في عهدهم الدراسات بالعربية والفارسية . وقد وصف لنا الرحالة المقدسي الوضع في خراسان واقليم ماوراء النهر في عهدهم فقال (انهم أشد الناس تقها ، وبالحق تمسكا . وهم بالخير والشر أعلم) . كما قال عن أمراء السامانيين بأنهم احسن الملوك سيرة ، وانهم لا يكلفون أهل العلم تقييل الارض بين أيديهم ^{٣٩} .

(٣٩) - المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٩٤ - ٢٩٦

الدول التركية

آ - الدولة الطولونية في مصر والشام - ٢٥٤ هـ / ٩٦٨ م .

طولون هو أحد الاتراك الذين كان الولاية يرسلونهم من بلاد ما وراء النهر ضمن هداياهم إلى الخلفاء العباسيين . وقد أخذ الاتراك بالظهور على مسرح الاحداث منذ أن قرر المعتضم الاعتماد عليهم وتسلم بعضهم امرة الولايات الاسلامية وفصل هؤلاء البقاء في العاشرة للتمتع بالنعيم والترف ، وارسال من ينوب عنهم إلى حكم الولايات ، وكان هؤلاء التوابون يدعون لوالبي الاصلي على المنابر بعد الخليفة ، كما كان اسمه ينقش على السكة .

كلف أحمد بن طولون بولاية الفسطاط قصبة مصر ، نيابة عن واليها الاصلي باكبات التركي في سنة ٢٥٤ هـ / ١٠٧٣ م وحين دخل احمد بن طولون الى مصر وجدها مقسمة بين عدة أشخاص ^(١) . ولذلك فكان موقفه كان ضعيفاً لأنّه كان نائباً على منطقة محدودة من مصر ، وفي استطاعة واليها الاصلي عزله . اذا لم يحز رضاه . يضاف الى ذلك ما كان من منافسة ابن المدبر عامل الخراج في مصر ، ومحاولته الایقاع به عند الخليفة . ويبدو أن سباب كره ابن المدبر لاحمد بن طولون تکمن في ما لمسه من شهامة ، وما يعرفه من كره الاهالي له بسبب زيادة الضرائب عليها . واستعماله القسوة في الجباية .

(١) - ابن سعيد الاندلسي : المغرب في حل المغارب ، ص ٧٧

سارت الظروف في صالح أسد بن طولون . فقد قتل باكباك ، فتولى مصر يارجوخ صهر احمد بن طولون ، فكتب الاول للثاني (تسلم من نفسك لنفسك) ، وزاد في سلطته بأن استخلفه على مصر كلها . وحين توفي يارجوخ في سنة ٢٥٧ / ٨٧١ م تقلد ابن طولون ولاية مصر من الخليفة مباشر ة . فتوطدت قدمه في هذه البلاد ، وتمكن من تأسيس الدولة الطولونية في مصر .

عمل احمد بن طولون منذ أن ولد مصر على تقوية نفوذه بها . فشرع في تحصين البلاد واعداد الجيش وتسلیحه ، وانشاء السفن الحربية فبني مدينة القطاائع^(٢) وضرب دنایر خاصة عرفت بالاحمدية . ثم تطلع إلى حماية حدوده الشمالية . وأراد أن يمد نفوذه إلى بلاد الشام حتى الثغور . وكان يريد بذلك أن يظهر بظهور حامي دار الاسلام من أعظم خطر يهدده وهو الخطر البيزنطي ، وقد تحقق أمله حين قلده الخليفة ولاية الثغور الشامية وتبع ذلك توليته خراجها أيضا . ثم كلفه بقتل عيسى بن الشيخ الشيباني في الشام^(٣) ، ولكنه غير رأيه بسبب وشایة الوشاۃ .

انتظر أسد بن طولون ظروفا أخرى تمكنه من دخول الشام . فتهيأت له هذه الظروف في سنة ٢٦٤ / ٨٧٨ م اذ انه اصبح يملك جيشا قويا في الوقت نفسه الذي بدلت فيه الخلافة العباسية عاجزة عن القضاء على الثوار في مركز الخلافة نفسها^(٤) . ثم عجز قوات العباسيين عن الدفاع عن الحدود امام البيزنطيين ، فأدى هذا الى اعادة الثغور اليه . ثم ساعدته الظروف بموت كل من منافسيه موسى بن بغا وأماجرور . وحصل على وثيقة رسمية من قبل الخليفة بتوليته الشام .

(٢) - حسن محمود : مصر الاسلامية العصر الطولوني ، مكتبة التهفة العربية سنة ١٩٦٠ ، ص ٨٦

(٣) - عيسى بن المشيخ بن السليل من ولد جساس بن مرة بن ذهب من شيبان ، انظر ابن الوردي : تاريخه ، جزء ١ ، ص ٢٢١ - يوسف الياس الدبس : تاريخ سوريا ، مطبعة بيروت المعمومية سنة ١٩٠٠ ، مجلد ٥ ، جزء ٣ ، ص ٣١٧

(٤) - ابن ظافر الاذدي : المصدر السابق ، ورقة ٢٩ -

Zaky. M. Hassan: Les Tulunides Etude de l'Egypte Musulmane à la fin du IX^e siècle, Paris 1933., pp. 4. 64-65.

تمكّن أحمد بن طولون بذلك من فتح بلاد الشام بِكاملها بما فيها الشعور .
وتوحدت مصر والشام في عهده . وببدأً أحمد بن طولون حربه المقدسة ضد
البيزنطيين ، ولكنّه مالبث أن اضطر إلى ايقاف نشاطه هذا عقب الاخبار التي وصلته
عن ثورة ابنه العباس في مصر . وقبل أن يغادرها نظم شؤونها ، وترك بها قوات
عديدة ، بقيادة حاجبه لؤلؤ . وترك حامية في حران ، وأخرى في الرقة ، وثالثة
في دمشق . وكانت غايته من ترك الحاميات في مدن الشام تثبيت مركزه الجديد
والمحافظة على أملاكه^(٥) .

كان الطولانيون ولاة من قبل الخلفاء العباسيين وكانوا ينتشرون باسم الخليفة
على السكة ، ولم ينقش ابن طولون اسمه على السكة مع الخليفة ، الا بعد أن قام
بحملته الأولى على الشام^(٦) .

ـ علاقة الطولانيين بالخلافة العباسية

كانت سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م بداية النزاع بين أحمد بن طولون والموفق . وتعود
جذور هذا النزاع إلى أن ابن طولون كان يعمل على مراعاة شؤون الخليفة المعتمد
على الله ، وتنفيذ رغباته ، وخاصة المادية منها . ويبدو أن الموفق كان على علم
بذلك . وكان في حاجة إلى الأموال لاتفاقها في حربه مع صاحب الرنج . فأرسل
أحد رجاله إلى ابن طولون يستحثه على حمل الأموال وغايته مراقبة ابن طولون
وتحريض قواده ضده .

أخذ الموفق يعمل على تنفيذ سلطة ابن طولون . فعمل على حرمانه من
الشعور الشامي ، وأخذ يحتاج لدى الخليفة المعتمد على الله بأن ابن طولون
عجز عن حمايتها ، والقيام بأمر الجهاد . وأن الشعور تحتاج إلى من يقيم فيها
ويغزو بأهلها . ووصف أحمد بن طولون بأنه مهملاً في هذا الامر . واتخذ القرار

(٥) - مصطفى طه بدر : مصر الإسلامية ، جزء ١ ، ص ١١٥

(٦) - ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، جزء ٢ ، ورقة ٥٢ ظهر

بارسال ولاة الشعور من قبل الخليفة مباشرة^(٧) . أدى هذا التصرف من قبل الموفق الى ضعف القيادة في الشعور ، والى خسارة المسلمين لشغر لؤلؤة الذي سقط في يد البيزنطيين^(٨) .

كان سقوط لؤلؤة السبب المباشر الذي شجع الخليفة المعتمد على اعادة الشعور الى أحمد بن طولون . الا أن الموفق لم يرض عن ذلك . وأخذ يكيد لابن طولون عن طريق نايلب ولانه عليه في الشام والشعور .

وبعد العداء بين أحمد بن طولون والموفق ، وزادت حدة الامور حين عزم الخليفة المعتمد على الله في سنة ٤٦٩ـ٨٨٣ على ترك بغداد هربا من أخيه الموفق . وكان قد كتب الى ابن طولون يشكو اليه سوء حاله مع أخيه . فأجابه بكتاب هام حسن له فيه المجيء الى مصر . ووعده بأن تكون جميع قواته تحت امرة الخليفة . وأرسل له سفتبجة بمائة ألف دينار^(٩) ، وما بث ان جاءه جواب الخليفة يذكر وصول رسوله وكتابه والسفتبجة ، وأنه في طريقه اليه .

كان اهتمام ابن طولون هذه المرة بال الخليفة موجها ضد الموفق ، وتشير المصادر والمراجع الى هلع الموفق حين علم بتصميم أخيه على الخروج من العراق . وأدرك انه اذا تم هذا الامر ، استولى احمد بن طولون على أمر الخليفة ، ولم يبق لاحد معه شيء^(١٠) . ولكن الامر لم يتم ، ولم يستطع الخليفة الالتجاء الى ابن طولون بفضل تنبه الموفق الى المؤامرة .

أراد ابن طولون أن يضرب الموفق ، بعد أن ضرب مخطظه في نقل مركز الخليفة . فكتب من دمشق الى عامله في مصر ، ان الموفق قد نكث بيعة الخليفة

(٧) - ابن شداد : الاعلام الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزرية ، خطوطه مصورة بجامعة الدول العربية رقم ٤٣ تاريخ ، ورقة ٧٥ وجه .

(٨) - ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٥ وجه - البلوي : المصدر السابق ، ص ٩٠-٨٩

(٩) - البلوي : المصدر السابق ، ص ٢٨١ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٠٣-٣٠٤ Lane Poole : op. Cit., p. 68

(١٠) - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٤-٧٥

المعتبد على الله وطلب منه آذن يسير إليه الفقهاء والقضاة والاشراف إلى دمشق .
ولما حضروا إليه ، عقد معهم اجتماعاً انضم إليه قضاة وأشراف أهل الشام بما
فيها الشعور^(١١) . وقرروا في هذا الاجتماع خلع الموفق ، وأفتوا بذلك . وببروا
 عليهم هذا ~~بيان~~^{بيان} الموفق كل من يخالف المعتمد ويحصره ~~في~~^{في} فوجوب جهاده على الأمة .
وكتب الكتاب على عدة نسخ ، وألقيت في كل محظاته ~~نسخة~~^{نسخة} تقرأ على المنبر وذلك
في يوم الخميس ١٢ / ذي القعدة سنة ٢٦٩ هـ ٢٤ مايو ٨٨٣ م^(١٢) .

كان لهذه الاعمال من قبل أحمد بن طولون أثر كبير في نفس الموفق ، ولذلك
فانه أمر بلعنه أ Ahmed بن طولون في دار العامة وعلى المنابر . وقد صدر قرار اللعن
من قبل الخليفة المعتمد على الله نفسه ليكون له صفة شرعية ، ولا ضعاف من مركز ابن
طولون في الشام ومصر . كما اصدر قراراً بمنع ولائية المناطق التابعة لاحمد بن
طونون انى اسحق بن كنداج .

لقد كان الموفق الحازم من أحمد بن طولون اكبر الاثر على موقف
ابن طولون في الشام ، وخاصة رانه سبق ذلك هزيمة قواته في مكة على يد قوات
الموفق . فقد شغب الامراء في الولايات ، وكان لهذا أثره في موقفه العسكري .
فثارت ضده بعض المدن ، وحلت به الهزيمة في طرسوس^(١٣) . وفي غمرة هذه
الاحداث خرج ابن طولون بأمر آخر على الناس . فقد بنى على قبر معاوية بن
ابي سفيان اربعة اروقة ، ورتب عند القبر اناساً يقرأون القرآن ، ويوقدون الشموع ،
ومن المرجح ان يكون ذلك تحدياً لبني العباس لكرههم التقليدي للامويين .
ويبدو أن ما استحدثه ابن طولون ، استمر في عهد أبنائه ، من دعا الخليفة المعتمد
إلى الرد على مقام به الطولانيون من احياء ذكرى معاوية بلعنه على المنابر . وقام

(١١) - الكتبي : المصدر السابق ، ص ٢٣٦

Lane Poole : op. Cit., p. 69.

(١٢) - الكتبي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦

(١٣) - حسن محمود : العالم الإسلامي ، ص ٤٣٣ .

بإنشاء كتاب يقرأ على الناس حول ذلك الامر ، على الرغم من تحذير رجال الخليفة له^(١٤) .

كان ابن طولون سياسياً محنكاً وقائداً ماهراً • خيراً بأساليب الحروب ، ونعيئة العجيبة ، كما كان ادارياً حازماً ، وقف على موارد الثروة المختلفة ، واستغلها لصلاحة الدولة والاهالي ، كما عمل على نشر العدل بينهم ، فاستتب له الامن ، واستقرت له الامور ، وسادت الطمأنينة بين الناس • توفي سنة ٢٧٠ هـ خلفه ابنه خمارویہ •

ظلت املاك الطولونيين في مصر والشام في عهد خمارویہ ، كما كانت في عهد ابيه محظوظاً اطماع المتنافسين من القواد الاتراك ، ومثار حسد الموفق . ولذلك فان الموفق لم يجب خمارویہ على كتابه الذي يطلب فيه اقراره على سائر انبالاد التي في يده^(١٥) .

وادرك خمارویہ ان ولايته لن تكون مستقرة ، وان حكمه في البلاد لن يكون شرعاً لعدم حصوله على اعتراف الخليفة به ، وأن اعداءه سوف يكيدون له مستغلين ذلك • وخاصة وان الامير الشرعي للبلاد حتى ذلك الوقت هو اسحق ابن كنداج . ولذلك فإنه نظم اموره في هذه المنطقة وشحذها بالجيوش •

وحدث ما كان يتوقعه خمارویہ ، فقد أيدت الخلافة العباسية مطامع اسحق ابن كنداج فيأخذ الشام ، واعتاده بجيش عباسي قاده ابن الموفق «ابو العباس الخليفة المعتصم فيما بعد» وانضم اليهما ابن أبي الساج وساعدتهم الظروف بعصيان أحد فواد خمارویہ عليه وهو أحمد بن دوغباش^(١٦) .

(١٤) - ابن الجوزي : المنظم ، جزء ٥ ، ص ١٧١ - العيون بالعدائق ، جزء ٢ ، قسم اول طبعة دمشق ١٩٧٢ ، ص ٨٨ - ٨٧ .

(١٥) - ابن العديم : زينة الحلب ، جزء ١ ، ص ٨٠ .

(١٦) - ابن العديم : بغية الطلب ، جزء ٢ ، ورقة ١٢٠ ظهر - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٥ .

وتكرر خروج ابن أبي الساج وابن كنداح على خمارويه بتحريض من العباسين في سبيلأخذ البلاد التابعة له • وأزهقت لأجل ذلك أرواح كثيرة • ولم يستطع هؤلاء تحقيق حلمهم في القضاء على الدولة الطولونية أو حتى في ابعادها عن بلاد الشام • ولذلك نرى الموفق وبعد أن رفض الاعتراف بولاية خمارويه فيما سبق ، يقبل ذلك على ابن كتاب من خمارويه يطلب من الخلافة الاعتراف بولايته مقابل مال يبذله عما يده ، فأجيب إلى ذلك • وكتب له كتاباً أرسله إلى مصر مع فالق الخادم في رجب سنة ٢٧٣ هـ / ديسمبر كانون الأول ٨٨٦ م ذكر فيه أن المعتمد والموفق وابنه كتبوا بأيديهم تعظيمياً لخمارويه ، وترحيباً بهذا السلام • وحصل خمارويه بذلك على ولاية مصر والشام جميعه بما فيه التغور لمدة ثلاثين سنة ، وشرط المعتمد على خمارويه أن يحمل إليه في كل سنة بعد القيام بجميع مصاريف المنطقة التابعة له ، وأرزاق اجنادها مائتي الف دينار^(١٧) • وأضاف بعض المؤرخين شرط التوريث ، فذكروا أن الاعتراف كان لخمارويه وأولاده • فأمر خمارويه بالدعاء للموفق ، وبذلك استوفت الامارة الشكل • وأصبحت الدولة الطولونية دولة يعترف بها أصحاب النفوذ الاسمي والفعلي^(١٨) .

وعلى الرغم من هذا الاعتراف ، فقد عاد ابن أبي الساج إلى مطامعه ، وحاول استعادة نفوذه على شمالي الشام • فقاتلته خمارويه بجولتين كبيرتين ، وانتصر عليه فيما^(١٩) • ثم انتصر أيضاً بجولة ثالثة وعادت قوات ابن أبي الساج تجر أذىالخيبة •

وبذلك قضى خمارويه على أعدائه الذين كانوا قد اجتمعوا على قتاله ، وأقر السلام على حدوده • وامتد نفوذ الطولونيين إلى مناطق لم تكن تابعة لهم ، فاهتم

(١٧) — ابن ظافر : الم Saul المنقطعة ، ورقة ٣٢ - ٣٣ — ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٥٢

- حسن محمود : حضارة مصر الإسلامية ، ص ١٢٢

18 — Lane Poole : op. Cit., p. 73-Zaky Hassan : op. Cit., p. 115.

19 — Zaky Hassan : op. Cit., p. 116.

خمارويه بعدها بشؤون الشعور ، ليستألف امر الجهاد ضد البيزنطيين ٠ وصفت له الامور بشكل تام على اثر وفاة الموفق سنة ٢٧٨ / ٩١٥ م - ٨٩٢ م وبعده ابن كنداج في سنة ٢٧٩ / ٩٣٥ م . تم توفي الخليفة المعتمد على الله ، وتولى ابو العباس بن الموفق الخلافة بلقب المعتصم ٠ فبادر خمارويه بارسال الهدايا اليه ، وورد كتاب المعتصم اليه باقراره على ولايته ٠ وتجددت بذلك الوثيقة التي كان الخليفة المعتمد قد منحها لخمارويه ٠ وجعل اليه الصلاة والغراج والقضاء وجبيع الاعمال ، على ان يحمل في كل عام من المال مائتي الف دينار عما مضى وثلاثمائة ألف عن كل عام للمستقبل ٠ وتقديم خمارويه بتزويج ابنته قطر الندى لابن الخليفة المعتصم ، فاختارها لنفسه وتزوجها في سنة ٢٨١ هـ / ٩٤٥ م . وكان صداقها مليون درهم ٠ وقد قيل ان المعتصم اراد بزواجه من قطر الندى افتقار الدولة الطولونية ٠ وحدث ما أراد فقد فقد جهزت قطر الندى بجهاز لم يعلم بمثله ٠

وفي سنة ٢٨٢ هـ / ٩٥٨ م خرج خمارويه الى الشام فقتل هناك ٠ ويروي المؤرخون قصصا شتى عن مقتله واسبابه ٠ ومما يلفت النظر اضطراب هذه الروايات التي يؤكّد معظمها انه ذبح على فراشه بأيدي غلمانه في قصره بـ سفح جبل قاسيون اسفل دير مران في دمشق الاحد ٢٨ ذي القعدة سنة ٢٨٢ / ٩١٦ م (٢٠) ويختلف المؤرخون في ذكر السبب الذي دعا غلمانه الى قتله ٠ ولا يدعى لذكر كل ما قبل في هذا الامر ٠ الا ان لي رأيا في الموضوع عسى أن اصل به الى الصواب ٠ وقد بدا لي ذلك من خلال مطالعاتي في مخطوطة بغية الطلب لابن العديم ٠ مما جعلني ارجح أن غلسانه قتلواه بایعاز وتحريض من طفعج بن جف ٠

ينقل ابن العديم من أقدم مؤرخي هذه الفترة وهو ابن زولاقي ٠ فيذكر

... الكندي : المصدر السابق ، ص ٢٤١ - ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٢٥
 ابن العديم : زبدة الحلب ، جزء ١ ، ص ٨٦ . وهناك قصص كثيرة في اسباب قتله انظر
 ايضا ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٨٥ - سعيد بن البطريق : المصدر
 السابق ، ص ٧٢

ان حضور خمارويه الى دمشق في المرة التي قتل فيها كان على اثر غضبه الشديد من طفع بن جف لعدم تنفيذ اوامره التي اصدرها اليه بقتل راغب الخادم . وكان خمارويه مصمما على قتل طفع . وشعر الاخير بالامر ، وخاصة حين امتنع خمارويه عن الشرب على المائدة التي احضرها له طفع . ويبدو ان الحديث دار في هذه الجلسة بين خمارويه وطفع بن جف حول الموضوع نفسه . وأن خمارويه اعترف بأنه ماجاء الى دمشق الا من اجله فقط . وبذا الاضطراب على طفع بن جف ، مما اضطر خمارويه انى تغير الحديث . ثم انصرف كل منهما وطفع بن جف في أشد الحالات من الخوف لانه ادرك انه سيقتله ولما أصبح الصباح كان العَس قد حصل اذ وجد خمارويه مقتولا^(٢١) . وتظاهر طفع بن جف بأنه مع الطولونيين وأنه يفتش عن القتلة . وأخذ البيعة لجيش ابنه ليبعد عن نفسه الشبهة والشك .
الا انه ما لبث ان تغير على الطولونيين^(٢٢) .

- جيش وهارون ابنا خمارويه

اضطربت احوال الدولة الطولونية بعد موت خمارويه سنة ٢٨٢ هـ / ١٠٩٥، وتدخل الجندي في الحكم ، وتنافس الامراء الطولونيين فيما بينهم . واشتعلت الفتن والثورات . فقد أمراء البيت الطولوني عنصر القوة . كان جيش صبياً غراً لم يتجاوز الرابعة عشر ، الا انه كان أكبر أولاد خمارويه ، وتولى طفع بن جف حاكماً دمشق اخذ البيعة له من قواد الجيش^(٢٣) . ولم يكن جيش على مستوى المسؤولية التي حملها ، اذ انه لم يستطع ان يقوم بالمهام التي يتطلبها مركزه كحاكم مصر والشام ، ومدافع عن الثغور الشامية^(٢٤) .

ولم تكن مشاكل الامارة في عهد جيش تنحصر في سوء سياساته ، بل انه

(٢١) - ابن العديم : بقية الطلب ، مجلد ٦ ، ورقة ١٠ - ١٣

(٢٢) - انظر فيما بعد الدولة الاخشيدية .

Zaky Hassan : op. Cit., p. 134.

(٢٣) - سعيد بن بطريق : المصدر السابق ، ص ٧٢

تسليمها والخزانة فارغة من الاموال . وزاد من مشاكل الامارة تفكك الاسرة الطولونية وحصد افرادها بعضهم الى بعض .

وما نبشت بلاد الشام ان خرجت عن طاعة جيش ، وبدأت بها أولى مظاهر اختلال الحكم الطولوني . وحكم طعج بن جف ما يليه من اعمال الشام دون أن يقدم الطاعة للامير . كما ساءت أحوال مصر . وبقي الامر على هذه الحال حتى قتل جيش سنة ٢٨٣ هـ / ١٨٦ م .

كان هارون أقل خبرة من أخيه . و مما زاد الامر سوءا عدم اعتراف الخليفة العباسي المعتصم بamarته حتى سنة ٢٨٦ هـ / ١٨٩ م أي بعد ثلاث سنوات من ولايته على الرغم من الحاج هارون في ذلك . كما خرجت بلاد الشام ومنطقة الشغور عن طاعته . ولم يبق له من الامر سوى الاسم .

وفي سنة ٢٨٥ هـ / ١٨٩٨ م ترر هارون طلبه ، وأرسل الى الخليفة المعتصم طالبا منه الاعتراف بamarته على ما يليه من بلاد الشام ومصر . وعاد الرسول ويرفنته رسول الخليفة المعتصم ليقدم شروط الاعتراف بهارون . ويبدو أن هذه الشروط تتعلق بالشغور وبالاموال التي يجب ان يقدمها هارون الى الخلافة مقابل ذلك . الى جانب ارسال مولى تركي من قبل الخلافة للاشراف على أمير الطولونيين في مصر نفسها^(٢٥) .

وقد وافق هارون على شروط الخلافة مقابل اعتراف الخليفة به كأمير على البلاد التي في يده . وخاصه وانه وجد أن الشغور قد خرجت فعلا من يده ، وان تبعيتها اليه أساسية فقط . وان الخليفة المعتصم بدأ يتدخل بشكل مباشر في أمورها دون ان يتسلكن هرون من الاتيان بأي عمل . اذ كان المعتصم قد تدخل في شؤون الشغور . وأهتم بها لدفع البيزنطيين ورد عدوائهم ، منذ ان قدم اليه وفد من

٢٥ - التميمي : المصدر السابق ، جزء ١٠ ص ٧٠

أهالي طرسوس ينادونه العناية بشؤونهم ، وضبط امور ثغراهم . وتعيين من يقودهم في الجهاد ، قبل توقيع الاتفاقية مع هارون (٢٦) .

ويبدو أن سيطرة الخلافة على شمال الشام قبل سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م ، وفي نهاية عهد خمارويه . فقد وجدت نقود ذهبية في الرافقة تعود الى سنة ٢٨١ هـ / ٨٠٦ م لم يذكر عليها أسماء الامراء الطولوين ، ولم يذكر عليها سوى اسم الخليفة المعتصم (٢٧) .

ـ نهاية الدولة الطولونية

بدأت الدولة الطولونية تهوى أمام ضربات القرامطة في الشام . فلم تستطع جيوشهم الصمود ، وقتل معظم رجالها . وكان أميرهم هارون بن خمارويه سيء السيرة . حتى ان معظم قواه وأنصاره قد تركوه وانضموا الى العباسين . وخرجت بلاد الشام عن سلطتهم ، وأصبحت تتبع لهم تبعية اسمية منذ ان خرج عليهم طعج بن جف ، كما أن الخزينة الطولونية كانت فارغة ، وعجز الطولوين عن دفع روابط الجند . هذا فضلا عن تنافس أفراد الاسرة الطولونية للوصول الى كرسي الامارة .

وفوق كل ذلك فان الخلافة العباسية شهدت في عهد كل من الخليفتين العباسيين المعتصم والمكتفي فترة من فترات الاحياء ، تعود الى قوة شخصية هذين الخليفتين . وقد اتضحت اثر ذلك في عهد الخليفة المكتفي ، الذي تمكّن من استعادة هيبة الخلافة العباسية . وتمثل في انتصاره على القرامطة ، ثم فيما بعد في استعادة مصر والشام من الطولوين .

اهتم الطولوين بالعمران الى درجة كبيرة . فقد بذل امراؤهم الاموال

(٢٦) - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٦٧

Lane Poole : The Mahammadan Dynasties. p. 86.

(٢٧)

الضخمة على المباني الفخمة والمتزهات . ومن جملة ذلك بناء مدينة القطائع قرب القسطنطينية ، حيث بني فيها أحمد بن طولون المسجد المعروف باسمه حتى اليوم . والذى ضم مئذنة على نسق المئذنة الملوية في جامع سامراء في العراق .

كما بني خمارويه قصراً أقام فيه قاعة مذهبة حضرت فيها صورته وصور نسائه على الخشب بالحجم الطبيعي كما بني مارستانه للمرضى ، ووفر لهم سبل الراحة .

كما أنفق بسخاء على مطابخه . ويقال بأن ثقانته بلغت كل شهر ثلاثة وعشرين ألف دينار . وقد كانت مدينة القطائع أيام الطولونيين تعج بالفقهاء والمحدثين والمتتصوفة والأدباء والمؤرخين . ومن أشهر الفقهاء وأعلمهم بكار بن قتيبة ، ومن المتتصوفة ذو النون المصري ، ومن المؤرخين ابن عبد الحكم ، بالإضافة إلى وجود عدد كبير من الشعراء .

وفي نهاية هذا البحث يبقى لزاماً علينا أن نتساءل عن أسباب اشتداد نشاط اليساعيلية والقرامطة في عهد الطولونيين في بلاد الشام . والجواب على ذلك هو أن هؤلاء وأوائلهم بدأوا نشاطهم في بلاد الشام بعد أن دخلت الدولة الطولونية مرحلة الضعف ، وكذلك كانت الدولة العباسية . وكان هذا الضعف نتيجة للصراع النامي بين أحمد بن طولون والموفق ، إلى جانب الأسباب الأخرى .

ب - الدولة الاخشيدية (٢٨) في الشام ومصر (٣٢٣ - ٣٥٨ / ٩٣٥ - ٩٦٩)

لم ينجي طفعج بن جف والد مؤسس هذه الدولة منذ عهد الإمارة الطولونية . فقد قدمه خمارويه على جميع من معه ، وقلده دمشق وطبرية^(٢٩) . إلا أن خلافاً حدث بينهما وعزم خمارويه على الفتاك بطفعج ، غير أنه قتل قبل تحقيق ذلك .

(٢٨) - عن أصل الاخشيديين انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٤٩ - ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٤٧

(٢٩) - ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٤٩ - ابن ظافر الازدي : الدول المنقطعة ، ورقة ٣٤

وكان طفح معه في القصر ليلة قتله . وسخط طفح على جيش بن خمارويه وشق عليه عصا الطاعة في دمشق . وحكم الشام حكماً مستقلاً في عهد هارون . ومالبث أن حصل - بعد تسوية سلمية بينهما - على اقراره بولاية دمشق وإن يكون تابعاً للطولوين . وكان طفح من بين القواد الطولوين الذين لم يرضوا عن قتل هارون بن خمارويه ، ولم يعترفوا بخلفه شيبان . وكان لأنضام قادة الطولوين للجيش العباسي الذي يقوده محمد بن سليمان أثر كبير في انتصار هذه الجيش والقضاء على الإمارة الطولونية . ويبدو أن محمد بن سليمان أراد أن يفيد من خبرة طفح بن جف ويتخلص من وجوده في دمشق . فقرر أرساله إلى الشغور ، وجعله والياً على قنرين . وضم إليه طائفة من جندبني طولون .

لم يبق طفح في هذا المنصب طويلاً . إذ أنه اضطر إلى الذهاب إلى بغداد مع أولاده . حيث سجنوا أثر خلاف مع وزير الخليفة المكتفي^(٣٠) . وسنحت الفرصة لولدي طفح بقتل الوزير بعد وفاة والدهما في السجن . ثم توجه أهدهما وهو محمد ابن طفح إلى الشام ، حيث ساعده الحظ ، وأخذ يرتقي في المناصب ، حتى أصبحت له ولاية الرملة ، ثم ولاية دمشق^(٣١) .

وقد آتىح ناخشيد أن يؤسس لنفسه جيشاً ضم إليه طائفة كبيرة من الجندي . وأخذ يجمع المال بالطرق والوسائل المختلفة ، وعلى رأسها مصادرة الأموال عند من يعرف منهم الثراء .

وحين استقرت له الأمور في دمشق ، طمع إلى ولاية مصر . فدخلها بعهد من الخليفة الراطي في ٢٣ رمضان سنة ٣٢٣ هـ / ٢٧ آغسطس ٩٣٥ م بقوته السلاح^(٣٢) . وهكذا حقق محمد بن طفح كل ما يصبو إليه . فأخذ في تنظيم أموره في بلاد الشام ومصر . كما حصل في سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٩ م على لقب الأخشيد من

(٣٠) - طه بدر : المرجع السابق ، ص ١٦٩ - سيدنا كاشف : المرجع السابق ، ص ٦٠

(٣١) - ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

(٣٢) - ابن خلkan : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٤٨ - أبو الفداء : تاريخه ، جزء ٢ ، ص ٨٨٧

ال الخليفة الراضي . وفي اعطاء الاختسید هذا اللقب ، اعتراف من الخليفة بمكانته كما كان هذا صدى لما أصبح للاخسید من مكانة في العالم الاسلامي .

ولقد ساعد الاخسید في حكمه قائدہ کافور الذي كان مسلوكا خصيا جبشا ، الا انه مالبث أن ترقى في بلاط الاخسید فأصبح مريما لا ولاده الى جانب القيادة العسكرية .

وحيث أصبح الاخسید في أوج قوته ، استنجد به الخليفة المتقى لله - حين بدا له أن الحمدانيين ضجوا من مقامه بينهم ، بعد أن فر إليهم من ظلم توزون - وارسل له كتابا يشرح له فيه وضعه . وخرج على اثر ذلك الى الرقة مع أولاده وحرمه ، يرافقه وزير ابن مقله، فوصلها في أوائل رمضان سنة ٣٣٢ هـ / ابريل نيسان ٩٤٤م^(٣٣)

ولما ورد على الاخسید كتاب الخليفة المتقى لله سار الى الشام في رجب سنة ٣٣٣ هـ / مارس اذار ٩٤٤ م حنى وصل الى دمشق ، ودخلها . ثم انفذ مع احمد ابن سعيد الكلابي اموالا الى الخليفة المتقى ، وتوجه بدوره نحو شبابي الشام . فدخل حلب بعد أن فر منها الحسين بن حمدان امامه . وسار الاخسید حتى بلغ الرقة ، وأراده المتقى أن يعبر اليه ، فلم يفعل خوفا على نفسه أن يحدث له مثل ما حدث لابن رائق - فعبر المتقى اليه ، واجتمعا هناك^(٣٤) .

اظهر محمد بن طفع الخنسوع لل الخليفة . فامتنع عن الركوب بين يديه . وحمل إليه هدايا واموالا كثيرة . ولم يدع أحد من أصحاب الخليفة وحواشيه الابره ووصله . واجتهد بالمنقى لله أن يسير معه إلى الشام ومصر فأبى ، فأشار عليه بالبقاء مكانه . وصنف له أن يمده بالاموال فلم يفعل . ولا شك في أن تصرفه هذا كان لخوفه من الاتراك والحمدانيين .

وهكذا كرر الاخسید ما فعله ابن طولون ليجعل من مصر قاعدة للخلافة العباسية ، ولم ينجح في ذلك ، وظفر فقط باعتراف الخليفة له بولاية الشام ومصر

(٣٣) - سيده کاشف : المرجع السابق ، ص ٨٥

(٣٤) - ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٩١ .

له ولابنه او نوجور مدة ثلاثين سنة^(٣٥) . وبهذا الاعتراف من الخليفة المتقى بتبعية بلاد الشام لمحمد بن طعج الاخشيد ولابنه من بعده . فانه يكون قد حرمبني حمدان منها ، ووقتها في وجه مطامعهم . كما ضم الاخشيد الحجاز الى املاكه قبل ستين من وفاته فقط .

تعرض نفوذ الاخشيد للخطر في بلاد الشام حين نافسه محمد بن رائق أمير الامراء على حكمها . وما لاشك فيه أن هناك ظروفا دعت ابن رائق الى ترك مركز الخلافة في بغداد ، والتوجه بانظرائه نحو بلاد الشام . وتتلخص هذه الظروف فيما كان يسود مقر الخلافة العباسية من منافسات ومؤامرات للاستئثار بالنفوذ ، والاستيلاء على منصب أمير الامراء .

وسار ابن رائق في ربيع الثاني سنة ٣٢٧ هـ / يناير كانون الثاني ٩٤٣م الى أن أتى مدينة حلب فاستولى عليها^(٣٦) . وبدأت منذ ذلك الوقت سلسلة من الصدامات بينه وبين محمد بن طعج الاخشيد . اذ قام بتهديد الاخشيد في املاكه . وطالبه بدفع مقدار من المال كجزية على الممتلكات الاخشيدية في الشام . وقلق ابن طعج أشد القلق لهذا الوضع نم اشار عليه بعض معاونيه بأن يسترضي ابن رائق بالاموال ليكشف شره عنه . ولكن ما ثبت أن بدا للعيان ان المطالبة بالاموال لم تكن الا حجة أراد ابن رائق أن يتذرع بها للاستيلاء على الشام . فلما دفع الاخشيد الاموال المطلوبة ، لم ير ابن رائق بدا من أن يكشف عن نواياه الحقيقية . وهكذا خرج الى الشام على رأس جيش كبير . ولما بلغ الرقة ، بعث الاخشيد جيشا مقابلته فهزمه . وعلى اثر ذلك تمكّن ابن رائق من الاستيلاء على حلب وحمص وغيرها . كما استولى على دمشق بعد أن هزم فيها عبيد الله بن طعج . وسار ابن رائق حتى

(٣٥) - ابن العديم : زبدة المجلب ، جزء ١ ، ص ١٠٧ - حسن محمود وأحمد الشريفي : العالسم الاسلامي ، ص ٤٣٩

(٣٦) - ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠٠ - بيتهشوف : تحف الآباء في تاريخ حلب الشهباء ، طبعة بيروت ١٨٨٠ ، ص ٢٨

دخلن مدينة الرملة في آخر ذي الحجة سنة ٣٢٧ هـ / سبتمبر أيلول ٩٣٩ م وانصرف
اصحاب الاختشيد عنها دون فناء^(٣٧).

وأحس ابن طفع الاختشيد بخطر ابن رائق ، وعظم الجهد اللازم لصدّه ،
كما يبلغه ما كان يقال من أن الخليفة قلد ابن رائق ولاية الشام . فرأى أن يلجم إلى
الخليفة ليستطع جلية الامر . ومثل رسول الاختشيد امام الخليفة مقدما رسالة
الاختشيد . وكان مجلس الخليفة يضم بجكم امير الامراء . ولعل جوابه يعبر عن
الوضع في بلاد الخلافة في تلك الفترة . ويوضح عجز الخليفة عن حماية أي
من الطرفين فقد قال بجكم (من ضرب بالسيف وهزم صاحبه فالعمل له)^(٣٨) .
وليس هذا الامر غريبا على الخلافة العباسية في ذلك الوقت ، ونحن نعلم أن امير
الامراء كان له الامر والنهي^(٣٩) .

وحين علم الاختشيد بموقف الخليفة وأمير الامراء ثارت ثائرته ، وتبدلت
صلة المودة التي كانت تربطه بالخليفة العباسى الى كراهية ، لدرجة أنه اصدر اوامره
بتقطيع الخطبة للخليفة العباسى وذكر اسم الخليفة الفاطمى عوضا عنه^(٤٠) .

ووقع بين الاختشيد وابن رائق مناوشات ومعارك عديدة اتّهت لصالح
الاختشيد^(٤١) . ثم قامت وساطة بالصلح بين الفريقين على ان يحكم ابن رائق
الولايات الشامية شمالي الرملة ، وعلى أن يدفع الاختشيد اليه جزية سنوية ،
قدرها مائة واربعين ألف دينار^(٤٢) .

(٣٧) - ابن سعيد . المصدر السابق ، ص ١٧٤

(٣٨) - ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٧٦

(٣٩) - ابن العميد : المصدر السابق ، ص ٢٠٣

(٤٠) - انظر نحن موقف الاختشيد هذا كاملا في حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ١٢١-١٢٠

(٤١) - الصولي : اخبار الراضي بالله ثم المتقى لله ، ص ١٤٣ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٧٨

- ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ، ص ٣١٦ - سيده كاشف : المرجع السابق ،

ص ٨٢ - ٨٣ .

(٤٢) - الانطاكي : التاريخ المجهوع على التحقيق والتصديق ، جزء ١ ، ص ٧٢

ولاشك في أن الظروف المحيطة بالاخشيد هي التي دعته الى عقد الصلح على هذا الشكل . فقد اصبح يخشى تهديد الفاطميين له . حيث ان قوتهم تزايدت في المغرب ، واصبح في مقدورهم أن يهدده في مصر . كما أنه كان يعرف مكانة ابن رائق ولا يريد أن يستمر في حرب معه . اذ كان يخشى ان تواصل الخلافة العباسية الجمادات عليه ، على الرغم من انتصاره على خصمه . وقد عد بعض المؤرخين هذه المعاهدة دليلاً على ضعف محمد بن طفع ، اذ وقعت بينهما بعد ان كانت جيوش الاخشيد قد نجحت في الوصول الى حلب والانتصار على والي ابن رائق فيها .

وقد ساعدت ظروف الخلافة العباسية السيئة والنزاع على منصب امرة الامراء في عودة بلاد الشام الى الاخشيد . فقد استدعى ابن رائق الى بغداد . ثم انتهت حياته على يد ابن حمدان . ثم مالت الاخشيد ان وقع في صدام مع الحمدانيين لمطامعهم في بلاد الشام^(٤٣)

عهد الاخشيد الى كافور بالوصاية على ابنه ابي القاسم او نوجور . وقد تسلم الاخير الامارة بعد موته في ٢٤ ذي القعدة سنة ٣٣٥ هـ / يوليو تموز ٩٤٦ م وقام كافور بتدبير أمره فأصبح صاحب السلطان المطلق في ادارة الدولة الاخشيدية .

قام في وحه كافور في مبدأ حكمه بعض المشاكل الداخلية والخارجية ، فنجح في القضاء على ثورة قام بها أهالي مصر ، فارتفع شأنه بين الناس . ثم وردت الانباء باضطراب الامور في الشام ، واستيلاء سيف الدولة الحمداني صاحب حلب على دمشق ، وبأنه قد عول على انسنة الى الرملة لغزو مصر . فحاربه كافور ، وانتصر عليه انتصاراً حاسماً بالقرب من سرج عندراء بجوار دمشق . ودخل جيش الاخشيديين مدينة حلب ، وعقدت بين الفريقين معاهدة صلح بالشروط نفسها التي عقدت بها اواخر عمر طفع ، ما عدا الجزية التي وقف دفعها .

(٤٣) .. انظر فيما بعد الدولة الحمدانية .

وحصل كافور على موافقة الخليفة العباسي على تولية انجور على مصر والشام وعلى المدينتين المقدستين مكانة والمدينة . وحكم كافور هذه المناطق باسم انجور ، وخطبه عليه القوم بالاستاذ وذكر اسمه في الخطبة ، ودعى له على المنابر في مصر والبلاد الاخرى التابعة له^(٤٤) .

وبعد ان توفي انجور ، وتولى اخوه علي بن الاخشيد . ظل كافور يباشر الامور بنفسه . وبقي الامير الحقيقي قابعا في داره . يأخذ ماعينه له كافور ، وقدره اربعمائة ألف دينار في كل سنة . ومات في سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م .

كان احمد بن علي الوارث للعرش صغير السن . فحال كافور دون تعيينه بحججه انه غير صالح لصغر سنه . وبقيت مصر بغير امير نحو من شهر . وفي محرم سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م اخرج كافور كتابا من الخليفة العباسي ، بتقليده على ولاية مصر ، واظهر الخلع التي وصلت اليه من الخليفة العباسي ، وحكم باسمه زهاء ستين وأربعة أشهر حتى وفاته في جسادى الاولى سنة ٣٥٧ هـ / ٢٣ ابريل نيسان ٩٦٨ م^(٤٥) .

وبعد وفاته عقدت الولاية لاحمد بن علي الاخشيد . الا ان الحسن بن عبيد الله بن طفعج لم يبايعه اولا بل أخذ البيعة لنفسه . واستولى على ما كان لكافور من اموال في الرملة . ويبدو أن الامور سارت في النهاية على أن يدعى لاحمد بن علي الاخشيد على منابر مصر والشام والحرمين ، ثم من بعده للحسن بن عبيد الله بن طفعج^(٤٦) ، الا أن الامارة الاخشيدية في مصر مالت اذ سقطت في يد الفاطميين ثم تبعنها بلاد الشام . وبذلك وضع الفاطميون حدا لسلطان الدولة الاخشيدية . ويذكرنا ان تأييده اسباب سقوط الدولة الاخشيدية بما يلي :

(٤٤) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٤٠

(٤٥) - سيده كاشف : المرجع السابق ، ص ١٢ - بينما يذكر الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨١١ بأن كافورا توفي في ٢٠ جهادى الاولى سنة ٣٥١ هـ .

(٤٦) - الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨١١

— الخلافات بين أفراد الأسرة الأخشيدية ، وتنافسهم فيما بينهم للوصول الى عرش الامارة • الى جانب اختلاف القواد على تولي أمر الجند • وأخذ كل واحد منهم بتسبي بالامير • ويترbusn الفرمان للارتفاع بصاحبها • وقد ادى ذلك الى فرار قسم كبير من الجنود من مصر • واللحاق بالحسن بن عبيد الله في الشام، وما نتج عن ذلك من فلة عدد جنود الاخشيدين في مصر •

— وقد لعب ارتفاع الاسعار وتعدد الاقوات دوراً كبيراً في سقوط الامارة ، يتضح ذلك مما ذكره المقرizi^(٤٧) ، اذ قال : (مات كافور فكثر الاضطراب ، وتعده الفتنة ، ونانت حروب كثيرة بين الجند والامراء قتل فيها خلق كثير ، واتهبت اسواق البلد ، واحرقت مواضع عديدة • فاشتد خوف الناس وضاعت اموالهم ونغيرت نياتهم وارتفع السعر وتعدد وجود الاقوات حتى يبع القمح كل وبيه بدينار • واختفت العسکر فلحق الكثيرون منهم بالحسن بن عبيد الله بن طفع وهو يومئذ بالرملية • وكاتب الكبير منهم المعز لدين الله الفاطمي ، وعظم الارجاف بمسير القرامطة الى مصر ، وتوالت الاخبار بسعجيء عساكر المعز من المغرب) •

ومما لا شك فيه ان اضطراب الاسعار وزيادة ثمن الجبوب ، رافقه وباء عظيم • وقد امتد ذلك فترة طويلة يحددها الانطاكي^(٤٨) من سنة ٣٥٣ / ٩٦٤ — ٣٥٧ / ٩٦٨ م بينما يذكر المقرizi^(٤٩) انها دامت تسعة سنين متتابعة ، ابتدأت من سنة ٣٥٢ / ٩٦٣ م ويعزى سبب ذلك الى انخفاض ماء النيل • وما يذكر ان الامر تفاقم في سنة ٣٥٧ / ٩٦٨ م وهلك الصيف من الناس • وأكلوا العجينة وكانوا يسقطون موتى من الجوع • وزاد الوباء فكثر الموت ، حتى انهم لم يتمكنوا من دفن موتاهم جميعاً • وكانوا يحمررون لهم حفراً وينزل فيها عدد كبير من الموتى ، ويردم عليهم التراب من غير صلاة ولا غسل ولا كفن^(٥٠) •

(٤٧) — اغاثة الامة في كشف الغمة ، ص ١٣

(٤٨) — المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨١٢

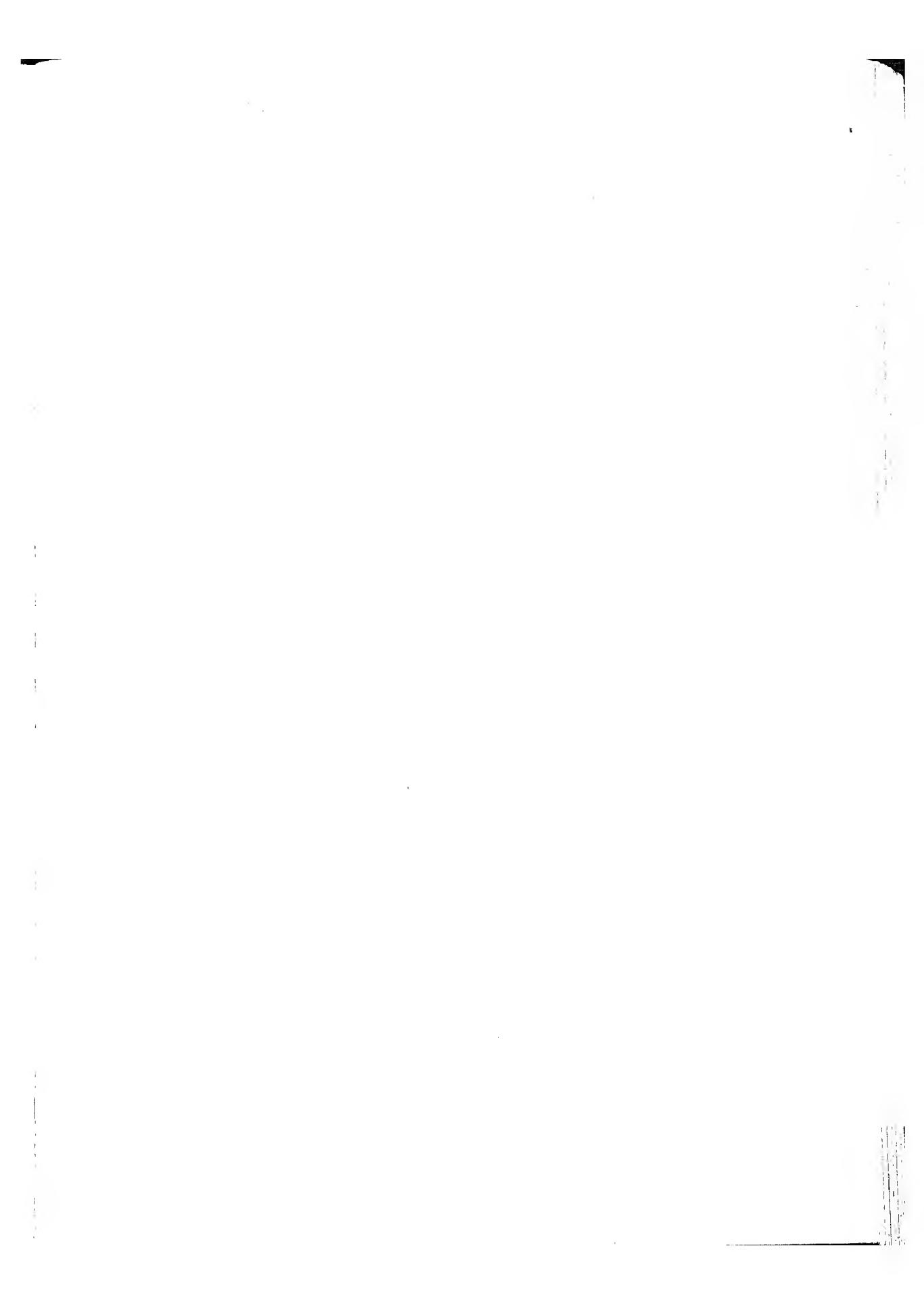
(٤٩) — اغاثة الامة ، ص ١٢ - ١٣ .

(٥٠) — الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨١٢ - ٨١٣

— كما عانت الدولة الاخشيدية كثيرا من المتابع بسبب كثرة الحروب التي اضطرت الى خوضها وكان آخر هذه الحروب مع القرامطة الذين اضعفوا مركزهم في بلاد الشام . وبالتالي فقد ضعف مركزهم في مصر نفسها . وجاء الفاطميين فوجدوا البلاد بحالة شديدة من الضعف فسهل عليهم تحقيق اهدافهم في القضاء على الدولة الاخشيدية في مصر والشام وضمها الى املاكهم .

لم تختلف الدولة الاخشيدية شيئا يذكر من المأثر العامة ، وقد وجه جل اهتمامها الى تقويب الشعراء والادباء . ومن أشهرهم المتibi الذي التحق بهم بعد ان فارق سيف الدولة . وكان يأمل في تولي بعض الاعمال . ولما لم يتحقق ما يصبو اليه ترك كافور بعد ان هجاه هجاء مرا مقذعا . ونبغ في عهدهم ابو عمر الكندي المتوفي سنة ٣٥٠ هـ ، وكتابه الولاة القضاة من الكتب الهامة . وكذلك الحسن ابن زولاق المتوفي سنة ٢٨٦ هـ / ٩٩٧ م صاحب كتاب العيون الدعج في حل بني طعج ، وسيبويه المصري المتوفي سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م .

— * —



الفصل الرابع

«العلاقات العربية البيزنطية في عصر سيطرة الاتراك»

انتهى الدور العباسي الاول والغلبة فيه للعباسيين على البيزنطيين ، على الرغم من عدم قيامهم باحتلال ثابت لاراضي البيزنطية ، ذلك ان مسرح القتال كان في الشعور أو داخل الاراضي البيزنطية . ولكن الوضع تغير في عصر سيطرة الاتراك سواء اكان ذلك في الفترة التي تولى فيها العباسيون مواجهة البيزنطيين بقيادة جندهم الاتراك ، أو في النترات التالية والتي تولت فيها الدول المستقلة عن الخلافة في المنطقة قضية الدفاع مثل الطولونيين والاخشيدين والحمدانيين . وستتناول العلاقات مع البيزنطيين في هذا العصر بالتتابع بحسب القوى التي تسلمت الدفاع ضد البيزنطيين .

١ - العباسيون يتولون الدفاع عن الشعور :

بدأ عصر سيطرة الاتراك بخلافة المنوكل ، ولم تكن اوضاع الخلافة العباسية الداخلية في عهده بأحسن مما كانت عليه أيام الواثق . فقد كانت مشاكل الخلافة الداخلية تشده ، لذلك فإنه رحب بالفداء الذي عرضه عليه البيزنطيون . وقد جرى الفداء كالعادة على نهر اللامس ، وفودي به ما يقارب ٨٧٥ رجالاً و ١٢٥ امرأة^(١)

(١) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٠٣ - ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٥ وجه - انظر المسعودى : التنبئه والاشراف ، ص ١٩١ وهو يذكر ان هذا الفداء هو الرابع من نوعه ، وأن عدد من فودي به ٢٢٠ انساناً .

واتخذ البيزنطيون دور المهاجم ، فأخذوا في سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م في الاغارة على عين زربه ، فأسروا كل من وجدهم بها . وكان اكثراهم من الرط الذين نفتهم المعتصم اليها بعد ثورتهم التي قاموا بها^(٢) . وبعد هذه الغزوة تأكد البيزنطيون ان المسلمين مشغولون بخلافاتهم الداخلية ، فنشطوا المهاجسة العدد^(٣) .

الي جانب ذلك فقد اخذت الصوائف الشواتي تتعرض لخطر كبير . وأخذ قوادها في بعض الاحيان يتعرضون للقتل او للاسر على ايدي البيزنطيين اثناء قيامهم بالغزوات . فقد قتل البيزنطيون في تلك الفترة قائدین من اشهر قواد المسلمين وهم عمر بن عبيد الله الاقطع ، وعلي بن يحيى . فقد قتل الاول في ١٥ رجب سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م مع الف من المسلمين . اما القائد الثاني فقد نفر للاتمام من البيزنطيين بعد خروجهم الى التغور الجزرية ، الا أنه مالبث أن قتل مع اربعينات من رجاله في رمضان من السنة نفسها^(٤) .

وبعد فترة وجيزة أسر فائد ثالث هو عبد الله بن رشيد بن كاوس الذي دخل بلاد البيزنطيين في اربعة الاف فارس . فاتصر في أول الامر ، ولكنه مالبث أن حاصر وأسر وقتل جميع رجاله ماعدا خمسينات منهم^(٥) .

وشعر اهالي بعض الشعور بضعف المسؤولين عن حمايتهم . فأخذوا يتذدون في اعلان ولائهم للبيزنطيين . كما وبدا منذ ذلك الوقت سقوط بعض قلاع المسلمين نهايآ في ايدي البيزنطيين . ففي سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م سقط حصن لؤلؤة بيد البيزنطيين ، ثم تلاه بعد ذلك سقوط قلاع اخرى لاتقل عنه أهمية^(٦) . وكانت هذه

(٢) - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧١ - ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٦٤ وجه

- ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٥٠

(٣) - الطبری : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠

- الطبری : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٦١

(٤) - البيقوبی : تاريخه ، جزء ٢ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ - الطبری : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٦١

(٥) - ابن العبری : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ - زینی دحلان : المرجع السابق ، جزء ١ ،

ص ٢٧٤ .

(٦) - الطبری : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٣٢

Zaky Hassan: op.cit , p. 157

القلعة بيد المسلمين منذ ان سقطت باليديهم في عهد المؤمنون و بقيت طوال هذه الفترة شجى في حلق العدو . فلم يقم البيزنطيون بغزوه بحرية او بحرية الا رآهم حرس هذه القلعة وانذروا المسلمين^(٧) .

اما في البحر فانه في سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م قامت قوة بحرية مستقرة عند طرسوس ، ويمكن ان يكون هذا الاسطول قد دعم بفرق مصرية بالهجوم على القاعدة البحرية البيزنطية الاناضولية في اضالية . ورافق هذا الهجوم هجوما اسلاميا بريا على آسية الصغرى^(٨) .

٢ - الطولونيون والبيزنطيون :

كون الطولونيون امارة في مصر والشام . و وسلموا كذلك حماية الشعور والدفاع عنها للوقوف في وجه البيزنطيين . فقد ازعمت انتصارات البيزنطيين الخليفة المعتمد الذي رأى ان جميع الممتلكات في قيليقية أصبحت مهددة بالخطر البيزنطي بعد ضياع قلعة لؤلؤة وقلاع اخرى^(٩) . فسلم الشعور لاحمد بن طولون .

ولم تشهد هذه الفترة من مراحل النزاع بين العرب والبيزنطيين حربا حقيقة بينهما ، فلم يكن الامر يudo مجرد غزوات وغارات متبادلة ، رجحت في بعضها كفة البيزنطيين وفي البعض الآخر كفة الطولونيين . واستمر الامر كذلك حين آل امر الشعور الى العباسيين اثر سقوط الامارة الطولونية حتى سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م

وجه نائب احمد بن طولون طخسي بن يلبرد ضربات مركزه للبيزنطيين عقب قيامه باصلاح الشعور ، وخشي الامبراطور البيزنطي من قوة موقف الطولونيين

(٧) - ذيني دحلان : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٧٤

(٨) - ارشيبالد : المرجع السابق ، ص ٢٢٥

Zaky Hassan: op.cit , p. 157

(٩) - ابراهيم المدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣

في الشعور ، فبعث بطلب الهدنة ، ورفض ابن طولون في البداية ، ثم قبل عرض البيزنطيين
آخر بعد اشتداد الخلاف بينه وبين الموقف . واطلق البيزنطيون مقابل ذلك سراح
الاسرى المسلمين ، وعلى رأسهم عبد الله بن رشيد بن كاوس ، كما أطلق المسلمون
سراح الاسرى البيزنطيين بالمقابل^(١٠) .

وقد استغل ابن طولون الهدنة لتنمية دفاعاته ، وزيادة اعداد جنوده ، وتحسين
اسلحتهم في هذه المنطقة^(١١) . ولا يحدد المؤرخون مدة هذه الهدنة او تاريخ عقدها .
ويتضح مما حدث اثر عقدها انها لم تتم خص الا عن فداء الاسرى فقط ، اذا مالت
البيزنطيون ان قاموا باعتداءات متتابعة على الشعور ودافع اهالي الشعور عن أنفسهم
ثم دعمهم احمد بن طولون ببعض القوات^(١٢) .

اتضح لابن طولون حاجته الى وجود اسطول قوي لحماية شواطئه ، ومواجهة
الهجوم البيزنطي ، والمحافظة على طريق الاتصال البحري بين سواحل مصر والشام .
ولذلك كانه أنشأ قاعدة بحرية في عكا ، وجدد حصونها واسوارها ، كما أنه اهتم
بتحسين بقية الموانئ الشامية^(١٣) . وأخذت الاساطيل الطولونية بمهاجمة البيزنطيين
في عقر دارهم عوضا عن خطه الدفاع .

وأضاف بأن نقل بعض وحدات الاسطول الى طرسوس ، وجعلها قاعدة
بحرية تخرج منها السفن لشن ازر القوات البرية التي تهاجم معاقل البيزنطيين في
آسية الصغرى ، وأصبحت مدينة طرسوس بذلك ذات اهمية كبيرة في الصراع
البحري بين الطواعين والبيزنطيين .

(١٠) - ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٠ -

Zaky Hassan: op. cit., p. 158

(١١) - من اجل تفاصيل اكثر انظر البلوي : المصدر السابق ، ص ١٩ - ١١٠ - ابن مععيد :
المصدر السابق ، ص ٩٨ -

Zaky Hassan: op. cit., p. 158

(١٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٤٩ - زيني دحشان : التقويمات الاسلامية ،
جزء ١ ، ص ٢٧٥

(١٣) - المقذفى : احسن التقسيم في معرفة الاقاليم ، ص ١٦٣

وكان موقف الشعور في عهد خمارويه مشرفا بفضل سيطرة يازمان عليها ، الذي اشتهر بالجهاد . وكانت غزوته بحرية واستمرت حتى سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩٢ م . حيث اصيب امام حصن سلدو^(١٤) . واستمرت قبضة الطولونيين قوية على الشعور حتى بعد وفاة يازمان ، بفضل جهود طعج بن جف الذي تمكّن من فتح بعض الحصون في الاراضي البيزنطية .

واستمرت الشعور في صمودها في وجه البيزنطيين حتى بعد وفاة خمارويه . ولم يكن ذلك بسبب قوة خلفائه ، ولكن بفضل وقوف بعض ولاة الشعور بحزم في وجه البيزنطيين . وما لبث ان ظهر للعيان ضعف الطولونيين عن حماية الشعور . وان البيزنطيين اتخذوا ثانية دور المهاجم ، فاتخذ الخليفة المعتصم قراره بحماية الشعور والدفاع عنها من قبله مباشرة . واستعادها من ايدي الطولونيين بناء على الحاج من جانب اهالي الشعور^(١٥) .

٣ - العباسيون والبيزنطيون - أحوال الشعور بين الاماراتين الطولونية والاخشيدية :

لم يستطع العباسيون في هذه الفترة من الوقوف بحزم في وجه البيزنطيين بسبب المشاكل الداخلية التي كانوا يعانونها وقد زاد الامر سوءاً اشتداد خطر القرامطة في بلاد الشام . ولذلك فان البيزنطيين استثروا في اتخاذ موقف المهاجم . فأغاروا في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م على كيسوم كرد على غزوة موقفة قام بها المسلمين في السنة نفسها ، وفتحوا بها عدداً من الحصون^(١٦) . ثم اغار البيزنطيون في محرم سنة ٢٩٢ هـ / نوفمبر تشرين الثاني ٩٥٤ م على مرعش ونواحيها . وقد ارتأى العباسيون مهادنة البيزنطيين في هذه الفترة لانسغالهم في قتال الطولونيين^(١٧)

(١٤) ... الطبرى : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٢٧ - ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٦ وجـ Zaky Hassan: op. cit., p. 158

(١٥) ... الطبرى : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(١٦) ... ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧ .. ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٢٦٢
٢٦٢ .
(١٧) ... ابن معاد : المصدر السابق ، جزء ٧ - ابن العديم : مخطوطة بغية الطلب ، جزء ٢ ،
٢ ، ص ٩٤ وجـ

وبنهاية الثورات التي اعقبت ذلك في بلاد الشام • ووافقو على اجراء فداء في السنة نفسها اطلق عليه اسم فداء الغدر • لأن البيزنطيين افتدوا قسما من الاسرى ثم أنسحبوا قبل اتمام الفداء^(١٨) •

وما ان تخلص العباسيون من مشاكلهم الداخلية حتى بدأ نشاطهم يظهر في قتال البيزنطيين وابحر نيو طرابلس بأساطيل المدينة ومدن الشام الساحلية الأخرى • وتعاون مع اسطول مصر ليهدم سالونيك ويidمر استعداداتها الحربية^(١٩) • وكذلك فقد استنقذ العباسيون اربعة الاف شخص من اسرى المسلمين، كما استولوا على سفينتين مركبا للبيزنطيين • ويقال ان نصيب الرجل الواحد من الغزوة بلغ ألف دينار^(٢٠) •

واخذت جيوش المسلمين تتقدم في الاراضي البيزنطية ، كما انتظمت الصوائف والشواطيء التي كانت موقعة في معظمها • ويبدو انه كان لقوة كل من الخليفتين العباسيين المعتصد ومن بعده المكتفي دور كبير في ظهور المسلمين على البيزنطيين^(٢١) • ولم يستمر الوضع على هذا الشكل ، اذ مالت الامور ان تدهورت في عهد الخليفة المقتدر ، وظهر ضعف القائدين على الشعور وعدم مقدرتهم الدفاع في وجه تقدم البيزنطيين • وتواترت شكاوى أهالي المنطقة على الخليفة المقتدر • مما يقاسوه من البيزنطيين ، فأمدتهم بما استطاع من مال ورجال ، كما ارسل بعض قادته للمقاييس بعض الغزوات • فمن ذلك ماقام به مؤنس الخادم في سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٧ م حيث تمكّن من فتح حصون عديدة^(٢٢) ، الا ان ذلك لم يكن كافيا لردع البيزنطيين •

(١٨) - المسعودي : التشبيه والاشراف ، ص ١٩٢ - عريب بن سعد : المصدر السابق : ص ٧ .

(١٩) - عريب بن سعد : المصدر السابق ، ص ٥٥

(٢٠) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ١١٧ - الذهبي : مخطوطة تاريخ الاسلام ، جزء ٢ ، ورقة ٢٥ ويدرك انها ٩٠ مركبا .

(٢١) - انظر من اجل ذلك الطبرى : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٤٥
- عريب بن سعد : المصدر السابق ، ص ٥٥ - ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢١ و ٩٧ و ٨٩ و ٨٢

(٢٢) - زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، جزء ١ ، ص ٢٨٠

وفي سنة ٣٥٥ / ٩١٧ - ٩١٨ م تقدم البيزنطيون بطلب الهدنة والفاء ، واجابهم الخليفة المقتدر الى طلبهم وتباهى كتب التاريخ في ذكر مدى ما أظهره الخليفة المقتدر بالله امام الوفد البيزنطي لابراز الخلافة ، الا ان هذه الهدنة لم تطل ، اذ مالت الصوائف والشواطئ أن عادت في السنة نفسها في البر والبحر . وتكرر ذلك في سنة ٣٠٦ - ٩١٩ - ٩٢٠ / ٣٠٧ م واستمرت غزوات المسلمين في سنة ٣١٠ و ٩٢٢ - ٩٢٣ / ٣١١ م ، وفي معظم الاحوال كانت بحرية وبحرية وكانت موفقنا احيانا .

واشتتد القتال بين الطرفين في سنة ٣١٣ / ٩٢٥ - ٩٢٦ م ، فقد أدرك البيزنطيون مبلغ ضعف الخلافة العباسية في عهد الخليفة المقتدر . وعدم تمكّنها من الوقوف بحزم في وجههم . حتى ان امبراطور البيزنطيين كتب في هذه السنة الى أهالي الشغور ، يأمرهم بحمل الخراج وهددهم بالقتل والسببي ان لم يفعلوا (٢٣) .

وببدأ سقوط التغور الاسلامية بيد البيزنطيين ، فسقطت ملطية سنة ٣١٤ / ٩٢٦ - ٩٢٧ م . كما هاجم البيزنطيون سميساط سنة ٣١٥ / ٩٢٧ م ، وتمكن مؤنس الخادم من صدهم عنها . ثم تملّكوا خلاط وبديليس صلحًا (٢٤) . وخشى اهالي الشغور من البيزنطيين فأرسلوا الى دار الخلافة يستنجدون بالخليفة ان يمدّهم بجيش يمنع عنهم كيد المعتدين ، وهددوا بالخضوع للبيزنطيين ودفع الاتاوة لهم ، اذا لم يحصلوا على معاونة تمكّنهم من الصمود . الا ان طلبهم هذا لم ينظر فيه . فقد كانت بغداد غارقة في فتنه عارمة خام فيها المقتدر ، ونصب مكانه القاهر . ثم مالت ان أعيد المقتدر ثانية . وعلى اثر ذلك اضطر أهالي الشغور الجزرية ومنها ملطية وميافارقين وأمد وارزن الى مصالحة البيزنطيين والخضوع لهم (٢٥) .

(٢٣) - زيني دحلان : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٨١

(٢٤) - ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢١٢ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٨٦

(٢٥) - خلاط او خلاط وتقع في طرف بحيرة وان الغربي ، أما بدلليس فتقع في جنوب غربي بحيرة وان انظر اي لمسنونج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٨ .

وتولى على عرش الخلافة خلفاء ضعاف ، وأخذ هؤلاء يتلقون كتب البيزنطيين التي يقدم فيها امبراطورهم اسمه على أسمائهم ، دون أن يشير ذلك فيهم أي نوع من الضيق .

وإذا كان مادكره كل من سعيد بن البطريرق ويحيى بن سعيد الانطاكي (٢٦) ، من آن كلا من بطريق الاسكندرية وانطاكيه وبيت المقدس ، اخذوا في ذكر اسم الامبراطور في صلواتهم وقداساتهم ، بناء على كتاب وجهه اليهم الامبراطور البيزنطي في سنة ٩٣٧ / ٥٣٢ م مع رسوله ، فان هذا يدل دلاله كبيرة على شدة ضعف المسلمين في تلك الفترة ووقفهم مكتوفي الايدي أمام تدخل البيزنطيين في شؤون البلاد الاسلامية ، ثم مالبث أن بز دور الحمدانيين في الدفاع عن التغور الجزرية . ولذلك نقل البيزنطيون هجومهم إلى التغور الشامية . هكذا كان الوضع حين آلم أمر الدفاع عن التغور الشامية إلى الاخشidiين ، والجزرية للحمدانيين ، ثم اجتماع التغور بقسماها للحمدانيين .

٤ - الاخشidiون والبيزنطيون :

تدريب الاخشidiون على قتال البيزنطيين منذ عهد طفع بن جف الذي تولى أمر التغور للطولانيين ، وتبع ابنه محمد الاهتمام بأمر الحدود مع البيزنطيين منذ آن عمل على إنشاء الامارة الاخشidiة . واشترك الاخشidiون مع الخلافة العباسية في دفع النفقات الالزمة لفداء أسرى المسلمين . وأول فداء اشتراك فيه محمد بن طفع كان في سنة ٩٣٨ / ٥٣٢ م (٢٧) وقد كان هذا الفداء تعبيرا عن رغبة الاخشidiين في الحياة بسلام مع البيزنطيين . اذ كانوا في حاجة الى هذا السلام لتصدرهم المخطر المستمر من جانب الفاطميين في المغرب ، ولمواجهة القلاقل الداخلية التي تبناها الدعاية الفاطمية في البلاد (٢٨) . وقد قوبلت رغبة الاخشidiين هذه

(٢٦) - سعيد بن البطريرق : المصدر السابق ، ص ٨٧ و ٨٨ - الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٧١٠ - ٧١١

(٢٧) - سيدة كاشف : مصر في عهد الاخشidiين ، ص ١٠٦ .
CANARD : Histoire de la Daynastie de Hamdanides. p. 589.

برغبة مماثلة عند البيزنطيين . و تتأكد لنا هذه الرغبة من خطاب الامبراطور البيزنطي الى الاخشيد في سنة ٩٣٥ هـ / ٩٣٧ م ، و تظهر فقرات هذا الخطاب رغبة البيزنطيين في الصداقة مع الاشخidiين ، وفي نبادل الاسرى ^(٢٩) .

الا ان هذا الفداء وما تبعه من هدنة لم يمنع من قيام بعض الغزوات . اذ قام نصر التملي امير الشعور من قبل الاخشيد في سنة ٩٤١ هـ / ٣٣٠ م بغزوته تأديبية من ناحية طرسوس فأسر عددا من الاسرى . وكان بين أسراه عدد من البطارقة ، وعاد محملا بالغنائم . وكان ذلك ردًا على خروج البيزنطيين الى قرب حلب ، وافسادهم في البلاد وسيبهم لخمسة الاف انسان .

وحدث فداء آخر بين محمد بن طفع والبيزنطيين . وببدأ التفكير في هذا الفداء ، عندما أرسل الامبراطور رومانوس رسولا الى الاخشيد يحمل اليه هدية وكتابا يتودد اليه فيه . فقبل الاخشيد ذلك ^(٣٠) ، وقد بدأ تنظيم هذا الفداء أيام محمد بن طفع الاخشيد ، وتم في عهد كافور ، وحين توجه الوفد الاخشيدى لاتمام الامر ، وجدوا ان سيف الدولة استولى على الشعور ، فأتم الفداء ونسب اليه ^(٣١) .

وهكذا يبدو ان الاشخidiين اتبعوا سياسة المهادنة مع البيزنطيين ، فمكتتهم هذه السياسة من توجيه اهتمامهم - بشكل خاص محمد بن طفع - الى اقتصadiات المناطق التابعة لهم ، واصلاح احوالها ، وتنمية فسيстهم عليها امام امارة الحمدانيين . كما كان لهذه المهادنة اثرها في اتجاه البيزنطيين نحو الشعور الجزرية ^(٣٢) .

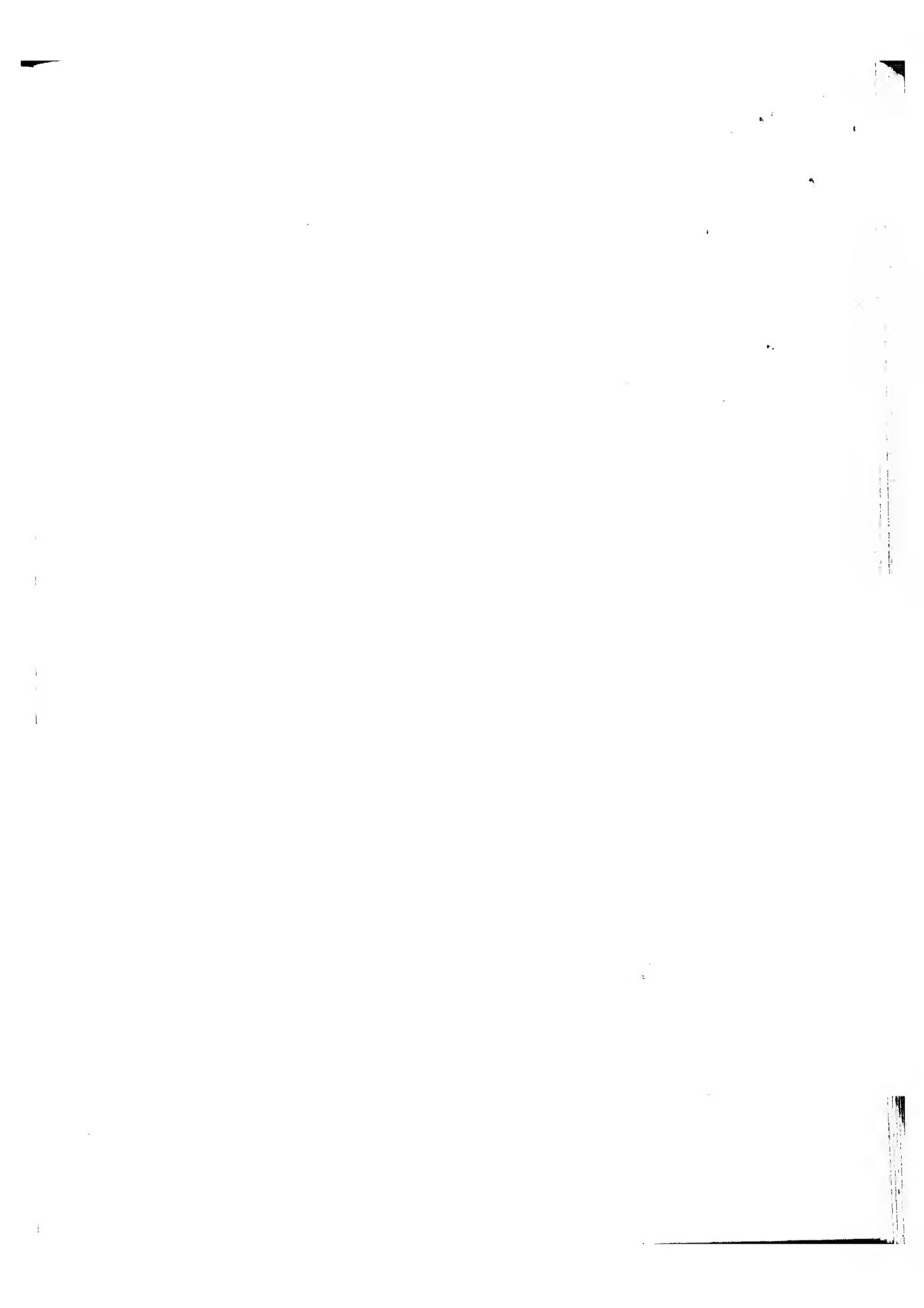
CANARD : Une Lettre de Muhammad Ibn Tugj Al Ikshid., p. 4.

(٢٩) - عن كتاب امبراطور البيزنطيين الى الاخشيد والرد عليه ، انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، من ص ١٦٧ حتى ١٧٢ - القاشندي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، من ص ١٠ - ١٨ CANARD : op. cit., p. 3

(٣٠) - بيبرس الدوادار : مخطوطة زبدة المفكرة ، مجلد ٦ ، ص ١٧١ .
CANARD : Sayf Al Dawla., pp. 83-85.

CANARD : Une Lettre de Muhammad Ibn Tugj Al Ikshid., pp. 2-3.

- (٣١)



الفصل الرابع

أهم مظاهر الحضارة العربية الإسلامية من سنة ١٣٢ - ٧٥٠ هـ ٣٤٤

مقدمة :

بدت الخلافة العباسية من الناحية الحضارية ك أيام الرياح المزهرة بشتى أنواع الرهور . فقد كان التقدم الحضاري عاماً وشاملاً ، وشمل هذا التقدم العلوم الدينية والدنيوية ، بعد أن اقتصر على الأمور الدينية تقريباً في العصر الاموي ، فنهض العرب في ذلك العصر بترجمة كتب الفلسفة اليونانية بجميع فروعها . كما ترجموا كتب الطب والطبيعة والكيمياء والنجوم والرياضيات . ولنا فيما كتبه لنا ابن خلدون عن المرحلة التي يبدأ اهتمام الإنسان فيها بالعلم ، تلك المرحلة التي يكون فيها قد بلغ غايته من المعاش ، فينصرف إلى غيرها ، فيقول : (فمتى فضلت أعمال أهل القرآن عن معاشهم ، انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهي العلوم والصناعات . . . ولابد له من الرحالة في طلبه إلى الامصار المستبرحة شأن الصنائع كلها . واعتبر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الاسلام ، واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم ، وتفننوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم ، واستبطاط المسائل والفنون حتى أربوا على المتقدمين وفاقوا المؤخرین)^(١) .

(١) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٠٠

ويبدو أن هناك عوامل متعددة ساعدت على تقدم العلوم في هذه الفترة وعلى رأسها صناعة الورق ، فقد انتشرت هذه الصناعة ، وظهرت أنواع عديدة ، منها : الورق الفرعوني نسبة إلى فرعون مصر ، والورق السليماني نسبة إلى سليمان بن راشد عامل الخراج على خراسان للرشيد ، والورق الجعفري نسبة لجعفر البرمكي ، والورق الطلحي نسبة لطلحة بن طاهر ، والورق الطاهري نسبة إلى طاهر بن الحسين ، وانتشرت مصانع الورق في سرقسطة ، وفي دار الخز ببغداد ، وفي تهامة واليمن ومصر وفي دمشق وطرابلس وحماة ومبrijg وفي المغرب والأندلس (٢) . وكان نشاط مصانع الورق ، ورخص أثمان منتجاتها عاملاً هاماً في تقدم العلوم . وقد أدى وجود الورق إلى نشوء صناعة الوراق ، وهي نسخ الكتب وتصحيحها ، وانتشار دكاكين الوراقين .

وبالإضافة إلى ذلك فإن انتقال الخلافة العباسية إلى العراق ، وما تبعه من اختلاط الأمم الإسلامية بعضها بالبعض ، وما تبعه ذلك من أخذ وعطاء بينها ، كان من العوامل الأساسية التي أدت إلى تقدم العلوم . إضافة إلى الحرية التي أعطيت للأمم الإسلامية في العصر العباسي ، وعامل الزمن ، فقد مر على ظهور الإسلام قرن وثلث القرن .

١ - نظام الحكم آ - النظام السياسي

- الخلافة : (٣)

حكَم خلفاء بني العباس زهاء خمسة قرون من سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م . وقد تأثر نظام الحكم العباسي إلى درجة كبيرة بنظام الحكم الفارسي . وساعدت الخلافة العباسية العالم الإسلامي سياسة ممزوجة بالدين والملك . كما كان الحكم العاسي وراثياً ، فولاية العهد استمرت لحصر الخلافة في البيت العاسي ، كما

(٢) - أحمد أمين : فتحي الإسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٢ - ٢٣

(٣) - عن الخلافة العباسية ، انظر فيما سبق ، سمات الخلافة العباسية

سار العباسيون على نظام تولية العهد لاكثر من واحد . وكان الخليفة يحاول عزل وني عهده وتوليه ابنه مكانه ، وكثيراً ماحدثت خلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة لاجل ذلك ، وتطورت الأمور في احيان كثيرة الى امتشاق السيف . وقد احتفظ خلفاء العباسين في حكمهم بتعيين ولادة عبودهم حتى في الادوار العباسية المتأخرة بعد ان بدا ضعفهم ، وتركوا غالبية أمور الدولة لغيرهم .

اتخذ خلفاء العباسين في الدور العباسي الاول بعض أواعهم من الفرس ، وسديوهم غالباً منصب الوزارة . وبما تفوّذ هذا العنصر من خلال ذلك . وقد توفر لخلفاء العصر الاول المقدرة على حفظ التوازن السياسي ، وجعل الخلافة السلطنة العليا والمنصب الاول في الدولة^(٤) .

أما في الدور العباسي الثاني فقد طبعت الخلافة بطابع جديد بدا فيه أكثر الخلفاء على درجة من الضعف ، والانحراف إلى أمورهم الشخصية ، وعدم الحفاظ على سلطتهم السياسية والعسكرية في الدولة ، مما سمح للعناصر الإسلامية غير العربية بالسيطرة على الخلفاء . ففي الفترة الأولى من هذا الدور وبالتحديد من سنة ٣٣٢ - ٩٤٥ هـ / ٨٤٧ م سيطر العنصر التركي على الختماء من خلال تسلمه للقيادة العسكرية . وتدخل هؤلاء في شؤون الدولة ، وأخذوا في تنصيب وعزل من يشاؤون من الخلفاء ، وقتل وسلح البعض الآخر . مما تجّع عنه اثاره التناحر بين أفراد البيت الحاكم . كما امتاز هذا العصر بتدخل النساء في شؤون الدولة ، وكثرة تولية الوزراء وعزلهم .

- الوزارة :

ظهرت الوزارة للمرة الأولى في العصر العباسي^(٥) ، وكانت مرتبة الوزير تأتي بعد مرتبة الخليفة مباشرة . ولم تكن سلطات الوزير محددة في البداية ، ولكنها

(٤) - البيروني : الآثار الباقية ، ص ١٢٢ .

(٥) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٢١ وغيرها بعد - الإزدى : المصدر السابق ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

اتضحت وتحددت في شكلها النهائي أواخر الدور العباسي الأول . وقد انقسمت الوزارة إلى قسمين : وزارة تقويض ووزارة تنفيذ . وكان منصب وزير التقويض يماثل منصب رئيس الوزراء حالياً ، على حين أنَّ وزير التنفيذ كان يقوم بالمهام الموكلة إليه من الخليفة . وقد كان وزير التقويض ساعد الخليفة الأيسن ، يساعد الخليفة في أعماله وينوب عنه في حكم البلاد ، وينصب العمال ، ويشرف على الضرائب ، ويجمع في يده السلطتين المدنية والعسكرية^(٦) . اشتهر من وزراء العصر العباسي الثاني بنو الفرات وبنو وهب وبنو الجراح^(٧) . وقد ساءت حالة الوزارة في نهاية عصر الأتراء ، وبشكل خاص في عهد الخليفة المقطر . بسبب السياسة التي اتبعها في تعين وزرائه وعزلهم ، بالإضافة إلى اعتماده في بعض الأحيان على وزراء ضعاف كأبي علي محمد بن مقله . ثم مالت الوزارة أنْ فقدوا سلطتهم في عهد الخليفة الراضي ، وعجزوا عن إدارة الدولة ، بسبب ازدياد ثقوز القواد وتدخلهم في الأمور الإدارية دون أن يكون لديهم إمكانية القيام بالعمل . فاضطر الخليفة الراضي إلى ايجاد منصب جديد يجمع صاحبه بين المهام القيادية والإدارية ، ويستطيع التخلص من الأزمة الاقتصادية التي أحاقت بالبلاد ، فأُوجِد منصب أمراة النساء ، وقلده إلى ابن رائق . ولم يبق للوزراء في عهد أمراة النساء شيء من النفوذ ، وأصبحوا بنشابة كتاب لا أكثر ، واقتصرت أعمالهم على أمور شكلية تتعلق بالحضور إلى دار الخليفة أيام المواكب مرتدین السواد ، متقلدين السيوف والمناطق وغيرها من شعار الوزارة . وبلغ الأمر شأوا بعيداً حين قام أمير الامراء بتعيين الوزراء وعزلهم بعد أن كان هذا الأمر بيد الخليفة فقط^(٨) .

— الكتابة والحجابة —

عقب ازدياد أعمال الوزراء وتضاعف مسؤولياتهم ، دعت الحاجة إلى اتخاذ

(٦) - عن وزراء الدور العباسي الأول انظر : المâuع بين المخلفاء والوزراء - وانظر المساوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٤٢ - ٣٠ - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٢٨٤ - مقدمة ابن خلدون ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٧) - هلال العباسى : تاريخ الوزراء - وانظر فيما سبق

(٨) - محسن ابراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

الوزراء للكتاب يساعدونهم في الاتساع على الدواوين المختلفة وادارة شؤونها .
ومن أشهر مجالات الكتابة في هذا العصر كتابة الرسائل والخارج والجند والشرطة
والقضاء . وبرز بذلك كاتب لكل كتابة مذكورة .

كانت مهنة كاتب الرسائل اعلان المراسيم وتحرير الرسائل السياسية وختمتها
بخاتم الخليفة بعد اعتمادها من الخليفة ، ومراجعة الرسائل في مجلس القضاة للنظر
في المفاز ، وختم الاحكام بخاتم الخليفة . وفي بعض الاحيان كان كاتب الرسائل
يتولى مكتابة الملوك والامراء نيابة عن الخليفة . ولذلك فقد وجب أن يتخلص بسرعة
العلم ، وجزالة الاسلوب .

وقد ذكر ابن خلدون الصفات التي يجب أن تتوفر في الكاتب عامة وفي كاتب
الرسائل خاصة في مايلي : (واعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد ان يتخير من أرفع
طبقات الناس ، وأهل المروءة والخشمة منهم ، وزيادة العلم ، وعارضه البلاغة ، فانه
معرض للنظر في أمور العلم ، لما يعرض في مجلس الملوك ومقاصد أحکامهم من
أمثال ذلك ، مع ما تدعوه اليه عشرة الملوك من القيام على الاداب ، والتخلق بالفضائل ،
مع ما يضطر اليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها)^(٩) . ولم
يقل هرکز الكاتب عن مرکز الوزير في كثير من الاحيان ، حتى ان الكتابة كانت
ترشح صاحبها لتقلد الوزارة .

ويبدو ان كتاب دواوين السلطان وسجلات القضاة ، استخدموا في الكتابة
طريقة تشبه مانسنيه اليوم « الشفرة » فقد اصطلحوا على وصل كلمات بعضها
بعض وحذف حروف معروفة عندهم ، لا يعرفها الا أهل مصطلحهم ، فتستعجم
على غيرهم . وذلك لكتسان الامور الهامة عن الناس ، ويعرف استخراج معاني هذه
الكتابات بقائه المعنى ^(١٠) .

(٩) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٣٨٠

(١٠) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٣٨٢

زخر العصر العباسي بطائفة من الكتاب لم ير لهم مثيل ، مثل يحيى بن خالد البرسكي والفضل بن الريبع وأحمد بن يوسف في عهد المأمون • واشتهر محمد بن عبد الملك الزيارات والحسن بن وهب وأحمد بن المديري في عهد المعتصم والواثق • ولم يكن اتخاذ الكتاب مقصوراً على الخلفاء وحدهم ، بل كان عمال الأقاليم وامراء الامراء يتذدون كتاباً يعاونهم في ادارة الدولة •

أما الحاجب^(١١) فيعتبر من موظفي الدولة الكبار وتحصر مهمته في ادخال الناس على الخليفة مرعايا في ذلك مركزهم ، وأهمية العمل الذي يقومون به • ولم تستجده وظيفة الحاجب في العصر العباسي ، بل كانت منذ العهد الاموي • واقتدى الخلقاء العباسيون ببني أمية ، فاتخذوا الحجاجب ، ولم يسمحوا لأحد بمقابلتهم الا اذا كانت له حاجة هامة • وقد علت مرتبة الحاجب بارتفاعه الحضارة الاسلامية ، واصبح يستشار في كثير من أمور الدولة • ويستبد أحياناً بالتفوذ دون الوزير ، ويلزم أصحاب الدواوين بالرجوع اليه في كل أمور الدولة^(١٢) •

ب - النظام الاداري :

- ان الولايات والولاة : تبنت الخليفة العباسية في العصر العباسي الاول نظام الحكم المركزي • وكان عمال الأقاليم يتبعون مباشرة للحكومة المركزية • فكانت سلطتهم وصلاحياتهم محدودة • ولذلك فاننا لانجد بين عمال العباسيين من وصل الى درجة زياد بن أبي سفيان ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وخالد بن عبد الله القسري • وكان الخليفة أو وزير التقويض يختار عمال الأقاليم بنفسه لإدارة شؤونها دون أن يعطيهم صلاحيات مدنية قضائية واسعة ، ولذلك فإنه كان الى جانب الوالي صاحب البريد والقاضي وصاحب بيت المال ، واقتصر عمل الوالي غالباً على الصلاة وقيادة الجنود • وفي العصر العباسي الثاني ازداد عدد العمال

(١١) - انظر عن الحاجة الى الحاجب في «مقدمة ابن خلدون» ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠

(١٢) - انظر ماقتبه ابن خلدون : مقدمة ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ عن درجات المحاجبة الثلاث .

المساعدين الموالي ، فأصبح فيهم القاضي والبندار ^(١٣) وصاحب الجند ، وصاحب البريد ، ومتولي السوقى والضياع السلطانية ، وصاحب المعونة ، وكان يساعد صاحب الجند . فوق هذا وذاك ، فان الولاية لاتترك للعامل زمانا طويلا ، وحين يعزل العامل عن منصبه كان يطلب منه أن يقدم بيانا مفصلا عن شؤون ولايته . وكان أقل شئ في صدقه كافيا لمصادرة أملاكه جميعها . ولنا مثل في ذلك ما كان يفعله المنصور الذي أنشأ لأجل ذلك ديوانا سماه بيت مال المظالم أو ديوان المصادرات ^(١٤) .

انقسمت الدولة العباسية في عهد أبي العباس من الناحية السياسية إلى عدد من الولايات ، أبرزها ولاية الحجاز وولاية العراق ، وخراسان ، وفارس ، والشام ، ومصر ، والمغرب . وكانت هذه الولايات تزداد عددا باقصال بعض أجزائها وتشكيل ولاية جديدة ، فقد فصل أبو العباس فلسطين عن الشام ، كما فصل أرميهية وأذربيجان عن الجزيرة ، وجعل نتها ولايتين ^(١٥) .

فضل الخلقاء العباسيون اعطاء ولاية الولايات الإسلامية البعيدة لبعض أفراد البيت العابسي ، أو إلى كبار القواد . وقد انحصرت معظم الولايات في العرب دون سواهم في الدور العابسي الأول ^(١٦) . ثم ازداد عدد الولاية من الفرس والترك . ومنذ مطلع الدور العابسي الثاني أخذ الولاية يحصلونبقاء في عاصمة ملوكهم ، وأنابوا عنهم نوابا يحكمون هذه الولايات باسمهم . ولم يظهر خطر هذا العمل حين كانت السلطة المركزية قوية . إلا أنه حين بدأ الضعف يدب في جسد السلطة المركزية ، جنح بعض هؤلاء النواب إلى الاستقلال ^(١٧) .

(١٣) - كاتب المسألة ومهنته المطالبة بالخارج ووجوه المال .

(١٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٨١

(١٥) - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، جزء ٢ ، ص ١٦٧

(١٦) - اليغوثى : تاريخه ، جزء ٢ ، ص ٨٨ - ٨٩ - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥١ و ص ١٥٤ - ١٦٣ - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(١٧) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٦٧

اهتم العباسيون في الدور العباسي الأول باختيار ولايتهم من أفالضل الناس . وعيتوا على أن يصرف هؤلاء طاقة اهتمامهم في ولاياتهم لمصلحة أهالي الولاية . كما جعوا صاحب البريد عينا عليهم لل الخليفة . وحين يعلم الخليفة اهمال الوالي لامور الرعية ، وانشغاله بأموره الخاصة يعلم على عزله . وأكبر دليل على ذلك مافعله المنصور مع واليه على حضرموت . فقد أعطى ولايتها إلى رجل من العرب ، ولكنه علم عن طريق صاحب البريد أن الوالي يكثر الخروج في طلب الصيد بزيارة وكلاب قد أعدها . فعزله وكتب اليه : ثكلتاك أملك ، وعدمتاك عشيرتك ، ما هذه العدة التي أعددتها للنكأة في الوحش أنا انما استكفيناك أمور المسلمين ولم تستكفك أمور الوحش . سلم ماكنت تلي من عملنا إلى فلان ابن فلان ، والحق بأهلك ملوماً مدحوراً^(١٨) .

ويمكن القول أن الامارة مهما كان نوعها من حيث الصالحيات الممنوحة للوالى أو طريقة حصوله على الولاية ، فإنه يمكن تقسيمها بحسب ماجاء في الأحكام السلطانية^(١٩) إلى ثلاثة أنواع .

١ - امارة استكفاء :

وفيها يفوض الخليفة إلى الوالى امارة بلد أو إقليم ، فيشمل نظره سبعة أمور : أحدها النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي ، وتقدير أرزاقهم ، إلا أن يكون الخليفة قدرها فيذرها عليهم ، والثاني النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام . والثالث جباية الخارج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيها وتفريق ما استحق منها . والرابع حماية الدين والذب عن الحرمين . والخامس اقامة الحدود في حق الله وحقوق الأدميين . والسادس الامامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو تستخلف عليها ، والسابع تسخير الحجاج من عمله ، ومن سلكه من غير أهله حتى يتوجهوا معانين عليه . فان كان هذا الأقليم نغراً متاخماً للعاصمة ، اقترن بها ثامن

(١٨) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٨

(١٩) - الماوردي : سن ٢٨ - ٢٤

وهو جهاد من يليه من الاعداء ، وقسم غنائمهم في المقاتلة وأخذ خمسها لاهل
الخمس (٤٠) .

٢ - امارة استيلاء :

وهي أن يستولي أحد الامراء قسراً على ولاية من الولايات فيضطر الخليفة
إلى اقراره عليها ويفوض إليها تدبيرها و سياستها .

٣ - امارة خاصة :

بمعنى أن ينصر الخليفة عمل الوالي عن تدبير الجيش وسياسة الرعية
وحماية البيضة ، والذب عن الحرير ، دون التعرض للقضاء والاحكام أو لجباية
الخراج والصدقات .

- الدواوين :

هي دوائر العمل في الدولة تشبه الوزارات في العصر الحالي . وعلى رأي ابن
خلدون فان (الدواوين ضرورية للملك لأن أصحابها يقومون بالجبايات وحفظ
حقوق الدولة في الدخل والخرج ، واحصاء العساكر باسمائهم ، وتقدير أرزاقهم ،
وصرف أعطياتهم في ابانتها ، والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتقبها قومة تلك
الاعمال) . وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في
الدخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب ، لا يقوم به إلا المهرة من أهل
تلك الاعمال) (٢١) .

كان لكل ولاية ديوان ببغداد يدير شؤونها ، ولم يكن لمدن بغداد دواوين فسي
الولايات (٢٢) . وبذلك فان الدواوين انقسمت إلى دواوين مركزية ، ودواوين
أصغر منها في الولايات .

(٢٠) - الماوردي : المصدر المسابق ، ص ٢٨

(٢١) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٢١٦

(٢٢) - آدم هيتر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، جزء ١ ، ص ١٢٩ .

أهم الدواوين على الاطلاق ديوان الفرج وديوان الديمة ، وديوان الجندي ، وهو أول ديوان وضع في الاسلام ، ويرى البعض أنه وضع في عهد النبي ، وآخرون يرون أنه وضع في عهد عمر بن الخطاب وهو الاصح . وقد استمر على نظامه حتى كان عهد المعتصم الذي أسقط العرب من الديوان وحرمهم العطاء (٢٣) .

وديوان الموالي والعلماني وتسجل فيه أسماء موالي الخليفة وعيشه ، وديوان الرسائل (٢٤) . وديوان الحوائج ، وديوان الاختام ، وديوان الاكرة للالشراط على الترعرع والجسور . وكانت هناك ادارة خاصة تنظر في مصالح غير المسلمين يدعى رئيسها كاتب الجبهاز ، كما أنشئ ديوان سمي بديوان المظالم ، وكان يجلس له الخليفة يستمع الى شكاوى العامة والخاصة .

ولم يكن ديوان البريد محدثاً في العصر العباسي بل وجد في العصور السابقة . ولكن نظم وأصبح أكثر سرعة ، كما اوجدت به محطات جديدة (٢٥) . وكان البريد خاصاً باعمال الدولة ، ولا يهتم بنقل رسائل الحمّهور . وكان على صاحب البريد ان يراقب العمال ، ويتجسس على الاعداء وهذه نقطة تطور في مهمة صاحب البريد الذي كانت مهمته تقتصر على نقل الاخبار من الخليفة الى العمال وبالعكس ، فأصبحت تتعدى ذلك ويصبح عين الخليفة الساهرة ، فهو اذن يقوم بالاعمال التي يقوم بها رئيس قلم الاخبارات . وقد اهتم الخلفاء العباسيون بصاحب البريد اهتماماً خاصاً : وكان أبو جعفر المنصور يقول : ما احو حني الى ان يكون على بابي أربعة ثغر لا يكون على بابي أعندهم ٠٠٠ والرابع ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه آه ، قيل له ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة (٢٦) .

(٢٢) - النويري : نهاية الارب ، جزء ٨ ، ص ١٩٦ - ١٩٨

(٢٤) - انظر فيها سبق : الكتابة والخطابة .

(٢٥) - ابن الآثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٧٣

(٢٦) - حسن ابراهيم حسن : المراجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٧٢ .

كان المنصور يقف بواسطة صاحب البريد على أعمال الولاية ، وعلى ما يصدره القضاة من الأحكام وما يرد بيت المال من الاموال وما الى ذلك . كما كان ولاة البريد يوافونه باسعار الحاجيات من قمح وحبوب وأدم وماكولات وغيرها . وبل من انتظام ادارة البريد في عهده أن عماله كانوا يوافونه بذلك مرتين في كل يوم . فإذا صلى المغرب وافوه بما حدث طول النهار ، وإذا صلى الصبح كتبوا اليه بما جرى في الليل من أمور . وبهذا كان يقف على كل ما يحدث في الولايات الاسلامية ، فيوقف القاضي عند حده اذا ظلم ، ويرجع أسعars المحاصيل الى حالتها الاولى اذا شعر انها زادت عن الحد . وإذا رأى من احدهم تقصيراً وبخه ولامة أو عزله عن عمله .

اما صاحب الشرطة فكان يختار من عليه القوم ومن أهل العصبية والقوة ، فهو رئيس الجنديين يساعدون الوالي على استتاب الامن وحفظ النظام ، والقبض على الجناة والمفسدين ^(٢٧) .

هذا وما يذكر من اصلاحات للدواوين في الفترة العباسية انشاء ديوان الزمام من قبل الخليفة المهدى سنة ١٦٢ هـ لجمع ضرائب العراق وتقديم حساب للضرائب في الاقاليم الأخرى ^(٢٨) . ثم اصبح لكل ديوان زمام أي ان الديوان الواحد ينقسم الى قسمين الاول وهو الاصل ، ويختص بوضع الضرائب وحملها الى بيت المال وتقوية موارد الدولة أي يقوم بالعمل الاداري عامه ، والقسم الثاني الرزام او ديوان المال ^(٢٩) . ثم اجرى الخليفة المعتصم في نهاية القرن الثالث الهجري اصلاحاً جديداً ، حيث خصم دواوين الولايات كلها وألف منها ديواناً سماه ديوان الدار ، او ديوان الدار الكبير ، وله ثلاثة فروع : ديوان المشرق وديوان المغرب وديوان السواد . وقد وضع الخليفة أزمة هذه الدواوين كلها في يد رئيس واحد .

^(٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٦
... ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٧ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ،

^(٢٨) جزء ٢ ، ص ٣٦٩

^(٢٩) ادم بيترز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٦٩

ثم جعل الاصول كلها في يد رئيس واحد في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ، حيث جاء القرن الرابع الهجري ، وادارة الدولة تنقسم الى ما يشبه وزارتين احداهما الداخلية ، وهي ديوان الاصول ، والاخري للمالية وهي ديوان الازمة .

ج – النظام العسكري : الجيش

اختلف الجيش في تكوينه وسماته في الخلافة العباسية ، عما كان عليه أيام الخلافة الاموية . فقد كان في عهد الامويين جيشا عربيا صرفا بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى . وغلب عليه الطابع العربي في قياداته وعنابر جنده . وكان الجيش في مطلع الخلافة العباسية عربي القيادة على الاغلب . وقد انضم الى صفوف جنوده الفرس من الذين عملوا في مساعدة الدعوة العباسية ، وقد تزعم هؤلاء أبو مسلم الخراساني . وكلما تقدم الزمن كان أفراد الجيش من الفرس يعملون على تقوية فريقهم .

تعدد قادة العرب في الدور العباسى الاول ، فكان منهم عبد الله بن علي بطل معركة الزاب ، وأبو جعفر المنصور الذي قاد الجيوش في قتال ابن هبيرة ، وعيسى ابن موسى الذي قاتل النفس الزكية وأخاه ابراهيم ، وقحطبة بن شبيب الطائي الذي كان من كبار الدعاة ، وقاد الجيش العباسى الذي تعقب نصر بن سيار ، والحسن ابن قحطبة الذي استطاع أن يتزعز النصر من الامويين في العراق ، وتتابع سيره الى الكوفة فدخلها ، حيث كان له دور مهم في اعلان خلافة أبي العباس . وبرز اسمه ايضا في الحملات العسكرية التي وجهها العباسيون ضد الدولة البيزنطية .

وبرز أيضا من قواد العرب خازم بن خزيمة الحرسى وهو الذي تسلم قتال استاذسيس ، كما اشترك في قتال الرواندية ^(٣٠) . وهذا قائد عربي آخر هو معن بن زائدة الشيباني ، الذي قاد قتال الرواندية ، وكان له فضل فتح الطالقان وطبرستان ونهاؤند وفرغانه . كما أنه تولى اليمن للمنصور كمكافأة له عن أعماله . كما تولى

(٣٠) – ابن خلدون : المصادر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٨٦ – ١٩٨ – العيون والحدائق ص ٢٦٣ – ٢٦٤

بعض نواحي خراسان^(٣١) • والى جانب هؤلاء كان مزيد بن زائدة أخيه من الذي قاتل معه^(٣٢) • وابنه يزيد بن مزيد ، الذي رافقه في حربه ، وكان على ميمنته في قتال رتبيل الذي ثار في عهد المتصور • وقد قام يزيد بأمرة سجستان بعد أن استرجمت من رتبيل^(٣٣) ، كما أنه قاد الجيوش ضد يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم ، الذي ثار بخراسان سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٧ م ، وتسكن يزيد من أسره وارساله إلى المهدي^(٣٤) • ثم تولى أرمينية حتى عزله الرشيد عنها سنة ١٧٢ هـ^(٣٥) ، كما أنه تسلم ولاية الموصل سنة ١٨٤ هـ^(٣٦) ، وقد بزید الجيوش لقتال الخارجي المسمى الوليد بن طريف الشارى ، الذي ثار في سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م في منطقة الجزيرة^(٣٧) • وهرثة بن أعين^(٣٨) ومرار بن أنس الضبي الذي قتل أبي سلمة الخلال^(٣٩) ويزيد ابن البدر البطل قائد العباسين في قتال البيزنطيين^(٤٠) ، وأبو عون قائد معركة الزاب قبل حضور عبد الله بن علي • وتحمل كتب التاريخ كثيراً من أسماء القواد العرب الذين قادوا الفتوح والمعارك في بداية عصر الخلافة العباسية ، مما يثبت أن القيادة كانت للعرب في الفترة الأولى^(٤١) • وكثيراً ما كان خلفاء الدور العباسي الأول يقودون الجيوش بأنفسهم ، فهذا المهدي يغزو بنفسه سنة ١٦٣ هـ / ٧٨١ م ، وكذلك غراً هارون الرشيد البيزنطيين مرات متتالية •

ويتضح دور العرب الكبير في الجيش العباسي الذي قاتل الامويين حين نطلع

- (٣١) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٦٠٦ - العيون والمحدائق ، ص ٢٦٤
- (٣٢) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٦٠٦
- (٣٣) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٩
- (٣٤) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٤٣
- (٣٥) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٨
- (٣٦) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٦٦
- (٣٧) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٤١
- (٣٨) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٣٧ وما بعدها - ذكره : المرجع السابق ، ص ٢٥٣
- (٣٩) - ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٦
- (٤٠) - ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٧٨
- (٤١) - بيطرار : الحياة السياسية واهتمام مظاهر الحضارة في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية حتى الفتح الفاطمي ، ص ٣٣ .

على مكتبته صاحب الامامة والسياسة عن هذا الموضوع ، اذ يفرق بين أهل خراسان من العرب وبين الفرس منهم ، فيذكر ان تعداد الجيش كان اثنا عشر ألفا من أهل خراسان سوى الاعاجم (٤٢) .

الا ان الحال لم يستمر على هذا بل كان عدد قواد الفرس في تزايد مستمر كلما تقدم العهد بالخلافة العباسية ، حتى كان عهد المعتصم الذي أخرج العرب من ديوان الجند ، وأهملهم . كما انه اهمل الفرس في الوقت نفسه واعتمد على جنود الترك . وعلى الغالب فان اهم الدوافع التي دعت خلفاء بني العباس ان الاعتماد على العناصر غير العربية بدءا بالعنصر الفارسي ثم التركي يعود الى العصبية القبلية التي كانت تتأجج نارها بين عناصر الجندي العربي من حين الى حين . حتى ان أبا جعفر المنصور فكر في تأسيس الكرخ ليبعد عنه خطر جنده من اليمينية والمضرية (٤٣) .

ومن قواد الفرس الذين قادوا الجيوش في هذه الفترة ، وشهد لهم الجميع بالكفاءة ، طاهر بن الحسين الذي برع خلال الازمة الخطيرة وال الحرب الاهلية التي قامت بين الامين والمأمون بسبب ولادة العهد (٤٤) . ثم ظهر قواد من الترك منذ عهد المعتصم ومن أمثال هؤلاء الاشخاص وكان له دور كبير في قتال البيزنطيين في موقعة عمورية ، وكذلك فانه تمكן من القضاء على حركة بابك الخرمي الانفصالية .

وقد ظهر ضعف الجيش في الدفاع عن حدود الخلافة العباسية في هذه الفترة أمام البيزنطيين . حتى قرر بعض الخلفاء التخلص منهم ، فاستعنوا ببعض فرق المترفة من العناصر الاخرى . فاصطعن المعتر المغاربة والفراغنة دون الاتراك . وكان ذلك من اسباب فتله على أيدي الاتراك .

(٤٢) - بيطرار : الحياة السياسيّة واهم مظاهر المحفارة في بلاد الشام ، ص ٢٢

(٤٣) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ - حسن ابراهيم حسن : المراجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٤٤) - زكار : المراجع السابق ، ص ٢٥١ .

ويهمنا هنا أن نذكر بعض التطورات التي بدأت تطرأ على الجيش في عصر سيطرة قادة الاتراك . ذلك هو تعويض الجندي من رواتبهم بواردات أرض خارجية وهو ما يمكن أن يطلق عليه الاقطاع . ويمكن ذهاب جذوره بالعودة لبدايات العجز المالي واضطرار الخلافة لتعويض ذلك بسنج الجندي قطاع من أملاكه ، في وقت كانت فيه الدولة تتجزأ ، وتقل واردات الاطراف الى العاصمة ، مع حاجتها الى تهدئة الاضطرابات الناشئة عن التجزئة . وقد كان على الجندي في البداية ان يقدموا من واردات الاراضي المقطعة لهم الركاة أو العشر ، ويبقى واردهم الصافي الفارق بين ضريبتي العشر والخارج .

كان تعداد الجيش العباسي كبيرا جدا بلغ مئات الالوف من الجنود النظاميين، وبجانبهم طائفة أخرى من الجنود والمتطوعة من البدو وطبقة الزراع وسكان المدن . وكان هؤلاء يشاركون في الحرب مدفوعين بعوامل مادية أو دينية . كما استعان بعض الخلقاء بفرق من المغاربة ومن الخزر . وبذلك فان الجيش العباسي بعد الدور الاول كان يتتألف من فرق عديدة تضم المرتزقة والنظامية . وتتألف هذه الفرق من المشاة الذين يتسلحون بالرماح والسيوف والحراب والترون . والرماء ويسلحون بالسيوف والاقواس والتروس والنشاب، ويلبسون الخوذ لتقي رؤوسهم، والدروع لتقي صدورهم ، ولها اجزاء للسعادين والساقيين . كما كان يتتألف من الشابين وهم الذين يرمون بالنشاب ، والمجنيقيون ، والناطرون . وهم الذين يقدرون النقط ويرتدون الملابس التي لا تؤثر فيها النيران لاقتحام الحصون . ويرافق الجيش فرق من الفعلة والاطباء والبياطرة (٤٥) .

كان الجيش ينظم بشكل دقيق ، ويتألف من اقسام صغيرة ، تجتمع عدة اقسام لتشكل فرقاً أكبر منها . فقد كان على كل عشرة آلاف جندي أمير ، وعلى كل ألف قائد ، وعلى كل مائة نقيب ، وعلى كل عشرة عريف (٤٦) ويختلف لباس الجندي

(٤٥) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٨٣

(٤٦) - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨

باختلاف الفرقة والأسلحة ، وكانت صلاحية الجندي للخدمة العسكرية ، تقرر بعد اختيار دقيق يشرف عليه جماعة من كبار القواد ^(٤٧) . كما كان الجيش ينظم وقت القتال ، ويقسم إلى أقسام مختلفة ، وغالباً ما تكون خمسة أقسام : القلب وهو مركز القائد العام ، والميسنة والميسرة ، والطليعة والساقة . وكانت الطليعة تتقدم الجيش ، وهي سرية من الفرسان يلبسون الدروع الامعة والخوذ المغولادية ويحملون الرماح ^(٤٨) .

وقد عني العباسيون بالجاسوسية في الجيش ، واستخدموا في ذلك كلا الجنسين الرجال والنساء ، الذين كانوا يدخلون إلى البلاد المجاورة متنكرين في أزياء التجار والأطباء ، وغيرهم لجمع الأخبار ونقلها إلى دولتهم .

وكان للجيش مجلسان هما مجلس التقرير ، وينظر في تقدير رواتب الجندي وأوقات دفعها إليهم ، ومجلس المقابلة ويختص بالإشراف على سجلات الجندي ، ومراجعة أسمائهم . وينقسم كل من هذين المجلسين إلى أقسام معينة من الجندي بحسب الخدمة العسكرية وجند الولايات ^(٤٩) .

أما آلات الحرب التي استعملها العباسيون فهي كثيرة منها ما عرف قبل عهدهم كالمنجنيق والدرقة والسيوف والرماح . كما يبدو أن العباسيين ، استخدموا في قتالهم منذ الفترة الأولى بعض الأسلحة التي كان يستعملها أهالي المناطق الشرقية من دولتهم ومنها المشaque وهي من الكتان أو القطن أو الشعر الخالص ، تجعل على رؤوس الأسنة ، وتروي بالنفط ثم تشعل فيها النيران وتلقى على الاعداء ^(٥٠) . وكثيراً ما اتخد الجنود الخوذ على رؤوسهم والجواثن على ظهورهم والدروع والتجانيف ^(٥١) .

(٤٧) - من أجل طرقة الاختبار ، انظر هلال الصابيء : تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، ص ١٣-١٤

(٤٨) - سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٧٧

(٤٩) - آدم هيترز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٢٠

(٥٠) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٦٣

(٥١) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٤

٢٧٧ - جحسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢

د - النظم المالي

يشمل النظام المالي كل ما يتعلق بالواردات (استخراج) والنفقات (صاريف الدولة) . كانت سياسة العباسين المالية ترمي إلى تحقيق التوازن بين موارد الدولة ومصارفها . كما كانت الجباية بالدرهم في أقاليم المشرق . وبالدينار في أقاليم المغرب . ومن أهم موارد بيت المال : الخراج والجزية والزكاة والنفي والغنية والعشور .

عمل خلفاء العباسين على اشاعة الامان ، ورفع الظلم عن الرعية في جباية الخراج مهما كانت الطريقة التي يجيئ فيها ^(٥٢) . لأجل ذلك فقد رأى هارون الرشيد أن يعلم كل ماجرى قبله في شأن الخراج ، فأمر قاضي قضاته أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الانصاري صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان ، بجمع ما يعرفه من أمور الخراج في كتاب جامع ، سماه كتاب الخراج . وكذلك فان المؤمن لم يكن أقل اهتماما من أبيه بهذا الامر ، ولذلك فانه طلب من رجاله إعادة مسح الارضي ، وحدد عليها الخراج مجددا ^(٥٣) . وصفوة القول أن خلفاء العباسين الأوائل ، عملوا على عدم ارهاق المزارعين ، وعني البعض بوضع قواعد ثابتة لقدر الخراج حسب نوع المحصول وجودة الأرض . وراعوا خفض الضرائب في بعض الاحيان اذا قل المحصول لسبب من الأسباب . وعلى نزاع من مراعاة أحوال الارضي الخراجية فان دخل الدولة العباسية كان كبيرا ، فقد بلغ في عصر هارون الرشيد ٢٧٢ مليون درهم و ٤ ملايين ونصف من الدنانير بالنسبة في بعض الروايات ، ويتجاوز ذلك قليلا نحو خمسمائة مليون درهم من الفضة وعشرة ملايين دينار من الذهب في روایات أخرى ^(٥٤) .

وقد بلغ النظام المالي في العصر العباسي الثاني مبلغا عظيما من الدقة والنظام ، فكان لكل ولاية ديوان للخراج يتبع ديوان الخراج الرئيسي في بغداد أو سامراء ،

(٥٢) - كانت هناك ثلاثة طرق لجباية الخراج : هي المحاسبة والمقاطعة والمقاسمة .

(٥٣) - أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٢

(٥٤) - حسن إبراهيم حسن : التاريخ السياسي ، جزء ٢ ، ص ٢٧٨ وانظر قوانم الخراج في هذا المرجع من ص ٢٨٠ حتى ٢٩١ وكذلك في بيطار . المرجع السابق . ص ٤٣٩ - ٤٤٦

وينقسم كل منهما قسمين ، يشرف أحدهما على النفقات . ويحمل ما تبقى إلى دار الخلافة ، ويشرف الثاني على الموارد ^(٥٥) . وقد رأى خلفاء هذه الفترة مصلحة الناس ، وعمل الخليفة المعتصم على تأجيل السنة المالية مرتين متتاليتين ، لتصبح هذه السنة متناسبة مع فترة جنى المحاصيل . فكان التأجيل في المرة الأولى من ١٥ آذار إلى ١٧ حزيران ، وفي المرة الثانية من ١٧ حزيران إلى ٢١ تموز ^(٥٦) . ومهمما كان الصلاح في الجباية في القرن الثالث الهجري ، فإن مابدا ظاهرا للجميع ، أن الأموال التي كانت تدخل إلى بيت المال الرئيسي قد أصبحت أقل من الفترات السابقة ، مما يدل على سوء حالة الدولة ، واستئثار بعض عمال الأقاليم بالنفوذ ^(٥٧) .

ويبدو أن قضية اقطاع الأرض إلى بعض الشخصيات المنتفذة ، التي استخدمت في العصر العباسي ، لم تكن وليدة هذا العصر ، بل تعود إلى أيام الفتوح الإسلامية . فقد أقطع كثيرون اقطاعات من أراضي الدولة منذ ذلك . وكان الخراج الذي يؤدى عن الأرض المقطعة يحدد باهراق خاص بين صاحب الاقطاع وبين الحكومة ، ويبلغ العشر على ما قرره الفقهاء ^٠

وقد عاد هذا النظام بالضرر على الخلافة كلما أوغلت في استخدامه ، إذ أن المقطع أو الملزم كان يعمل على الإثراء وجمع المال . ولا يتزد في إرهاق الأهلين وانقلالهم بالضرائب المختلفة حتى يستطيع أن يؤدى إلى الحكومة ما عليه من مال الخراج ، ويحتفظ لنفسه بما زاد . وقد تطور هذا الاقطاع في عصر سيطرة الاتراك إلى إقطاع ولاية بكاملها ^(٥٨) .

وكانت الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة إلى جانب الخراج من أهم مصادر بيت المال . وقد فرضت أول الأمر على النصارى واليهود مقابل حمايتهم والدفاع

(٥٥) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٩٠.

(٥٦) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٧٨.

(٥٧) - قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ، ص ٢٤٩ - ٢٥١.

(٥٨) - انظر مasicب الحركات الاجتماعية والدينية

عنهم . لذلك فانها لم تفرض الا على القادرین على حمل السلاح . وكانت تؤدى على قدر طاقة الشخص . ولذلك قسم أهل الذمة الى طبقات ثلاثة : دنيا ويدفع الشخص ١٢ درهما في السنة ، ووسطى ويدفع ٢٤ درهما . وعليا ويدفع ٤٨ درهما . وفي البلاد التي استعملت فيها العملة الذهبية كانت الجزية دينارا أو دينارين أو ربعه على التوالی . وكانت تؤخذ على أقساط ، ثم اصبحت سنوية ، وقد بلغ المتحصل من ضريبة الجزية في أواخر القرن الثالث الهجري بمدينة بغداد ٢٠٠ ألف درهم في السنة ^(٥٩) . ويبدو عمليا ان غالبية دافعي الجزية كانوا يدفعون الحد الأدنى ، حتى ان بنیامین قال ، ان اليهود في كل بلاد الاسلام يدفعون دينارا واحدا ^(٦٠) .

ومما لاشك فيه أن هناك موارد أخرى كانت تجمع من أرباب الحرف والصناعات ، ومن التجار الوافدين على الدولة الاسلامية ^(٦١) ، ومن الترکات ، وخاصة من تركة من يموت دون أن يترك وارثا ، حيث يقول ميراثه الى بيت المال ^(٦٢) .

ومن أهم نفقات بيت المال في هذه الفترة ، النفقات المخصصة للحج ، ونفقات الغزوات لمحاربة الاعداء كالبيزنطيين ، ولنداء أسرى المسلمين ، ولقتال الخارجين على الدولة كالقراططة والزنج وغيرهم . ونفقات استقبال الملوك والأمراء وتوديعهم وتزويدتهم بالهدايا والتحف أحيانا ، ونفقات دار الخلافة ، وحفر الترع وكري الانهار ، وأكرام العلماء والاطباء والمتجمين وغيرهم ^(٦٣) .

(٥٩) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٧٨ - هلال الصابيء : تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، ص ٤٤٨ .

(٦٠) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٧٨ تصدیر بنیامین .

(٦١) - قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ، ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

(٦٢) - آدم ميتز : المراجع السابق ، جزء ١ ، ص ٧٨ - الصابيء : المصدر السابق ، ص ٤٤٨ .

(٦٣) - آدم ميتز : المراجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٢ .

٥ - النّظام القضائي :

يعني هذا النّظام ، الفصل في الخصومات ، وايصال كل ذي حق حقه ، حتى يسود الامن ، وتعتمد هيبة الدولة . ويشمل النّظام القضائي ، الحديث عن القضاء ، والنظر في المظالم والحسب . ان القضاء ينبع دستوره في الإسلام من القرآن والسنة ، واجتهاد القاضي بما لا يتنافى معهما في نطاق علمه وعدله ووجده . هذا ويجب ان نذكر ان القضاء لا يجوز أن يقلد إلا من اجتمع فيه ثمانية شروط هي : الذكرية والبلوغ والعقل والحرية والإسلام والعدالة وسلامة السمع والبصر ، والعلم باحكام الشريعة ^(٦٤) .

وقد أورد بعض الفقهاء تحفظات على هذه الشروط . من ذلك ان الإمام أبي حنيفة قال بجواز أن تقضي المرأة فيما تصح فيه شهادتها . وذهب الطبرى إلى جواز قضائهما في جميع الأحكام ^(٦٥) . كما جوز الإمام مالك ولایة الضرير للقضاء ^(٦٦) .

كان القاضي وهو ممثل السلطة القضائية يعين من قبل الخليفة مباشرة دون الوزير والوالى ، كي يستطيع اصدار احكامه بنزاهة ، ولئلا يعزل بعزل الوالى أو يتأنى بأرائه محافظة على منصبه . وقد ظل تعين القضاة من حق الخليفة حتى عصور متأخرة ^(٦٧) . وكان مركزه في العصر العباسي أرفع من الوالى ، ولم يكن يمثل أمام الوالى ، بل ان الوالى هو الذي يمثل بين يديه ^(٦٨) . وظل القاضي في كثير من الأحيان يشغل منصبه في عهد ولاة عديدين . ولم يكن أسرع منه في تقديم استقالته اذا تدخل في احكامه الشرعية متدخل .

انسعت سلطة القاضي في العصر العباسي الاول بعد أن كان عمله مقتضرا على

(٦٤) - الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٦٥

(٦٥) - مصطفى الشمامة : مفالم الحضارة الإسلامية ، دار العلم للملاتين ، ص ٧٥

(٦٦) - الشعفة : المرجع السابق ، ص ٧٦

(٦٧) - آدم ميتز : المرجع السابق جزء ١ ، ص ٣٧٩

(٦٨) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٧٩ - ٢٨٠

الفصل بين الخصوم ، أصبح يفصل في الدعاوى والآوقاف ، وتنصيب الأولياء ، ثم وضع يده على الأحباب . كما وضع يده على أموال اليتامي حتى كان عهد الحاكم بأمر الله الذي افرد موضعًا يوضع فيه مال الآيتام ، ويختتم عليه أربعة من الشهود لا يفتح إلا بوجودهم ^(٦٩) . أما النظر في المواريث فلم يدخل في اختصاص القاضي بصورة نهائية إلا في القرن الرابع الهجري .

كان القضاء في العصر العباسي نزيهاً إلى أقصى درجات النزاهة ، وكثيراً ما قوضى الخلفاء العباسيون الأوائل أنفسهم بـ افراد رعيتهم ، وحكم عليهم غالباً لصالح الآخرين ، ومع ذلك فلنا رأي آخر حين تكون القضية المطروحة فيها مساساً بمصلحة الدولة العليا ^(٧٠) . ففي هذه الحالة يجبر الخلفاء القضاة على الافتاء لصالحهم . وقد أدى ذلك إلى امتناع كثير من الفقهاء عن تولي القضاة ، خشية أن يحملهم الخليفة على الافتاء بما يخالف الشريعة الإسلامية ، وخير مثال على ذلك الإمام أبو حنيفة النعمان الذي اعتذر عن تولي منصب القضاء في عهد أبي جعفر المنصور ^(٧١) ، وقد تحمل في سبيل هذا الرفض أذى كثيراً . كما اعتذر أبو حاتم الرازى سنة ٢٧٠ هـ كذلك عن تولي منصب قاضي القضاة للأسباب نفسها ^(٧٢) .

كانت جلسات القاضي للحكم علنية ^(٧٣) ، فقد كان في أول الأمر يجلس في مكان لا يمنع أحد من المسلمين من الدخول إليه وهو المسجد الجامع . وفي كثير من الأحيان كان القاضي يجلس للقضاء في داره . وكان المحاكمون إلى القاضي يسيطرون قضيتهم وهم وقوف بين يدي القاضي صفا واحداً .

(٦٩) - الشكمة : المرجع السابق ، ص ٧٧

(٧٠) - المقريري : المصدر السابق ، ورقة ١٢٢ ظهر و ١٣٣ وجه حيث يذكر قول المأمون للقاضي الذي أراد من المرأة أن تخنس صوتها أثناء محاكمتها مع ابن الخليفة : (دعها يا أَحْمَدَ فَإِنْ أَحْقَقْنَاهَا ، وَالبَاطِلُ أَخْرَسَهُ)

(٧١) - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ١٣ ، ص ٢٢٨ وبما بعدها .

(٧٢) - الشكمة : المرجع السابق ، ص ٧٧

(٧٣) - ادم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٩٥

رفع العباسيون رزق القضاة ، حتى لا تدفع بهم الحاجة
 وضرورات الحياة ومطالبها الملحة الى الانحراف ، وقبول الرشوة ،
 فتضييع العدالة . وبعد ان كان مرب القاضي في عهد المنصور
 ثلاثة دينارا في الشهر ، أصبح في عصر المؤمن مائة وثمانية وستين ديناً أو أكثر .
 فقد تقاضى عيسى بن المكدر قاضي مصر سنة ٢١٢ هـ سبعة دنانير يومياً ،
 وتقاضى بكار بن قتيبة ألف دينار في الشهر على عهد أحمد بن طولون (٧٤) .
 الا ان بعض القضاة امتنعوا عن تقاضي المرتب ، وأخذ بعضهم مرتبًا عن ايام العمن
 فقط . اما الايام التي كان يقضيها خارج ذلك فكان يأخذ من اخذ مرتب عنها ،
 فقد امتنع قاضي المدينة في عهد المهدى عن اخذ رزقه ، لانه لم يشاً ان يصيب مالا
 من هذا المنصب الذي يكرهه . وبلغ من نزاهة القاضي أبي خزيمه ابراهيم بن
 يزيد الرعيني (١٤٤ - ١٥٤ هـ) انه كان لا يأخذ عطاءه عن اليوم الذي يقضيه
 بعيداً عن مجلس الحكم ، مهما كان نوع العمل الذي يقوم به في ذلك اليوم . وكان
 يقول اما انا عامل للمسلمين ، فاذا اشتغلت بشيء غير عملهم فلا يحل لي أخذ
 مالهم . وكان يعمل الارسان رسنین كل يوم يبيعها فينفق ثمن أحدها على نفسه
 وأهله ، أما ثمن الآخر فيبعث به الى اخوان له في الاسكندرية وذلك في
 سبيل الله (٧٥) .

حدث تطور في النظام القضائي في العصر العباسي الاول عما كان عليه في
 العهود السابقة ، وذلك بسبب ظهور روح الاجتهاد في الاحكام ، لظهور المذاهب
 الاربعة . فاصبح القاضي يصدر احكامه وفق احد المذاهب . ومالبث العصر
 العباسي الاول أن شهد قضاة يمثلون المذاهب الاربعة في كل ولاية ، ينظر كل
 منهم في النزاع الذي يقوم بين من يديرون بعقائد مذهبة (٧٦) .

اتخذ العباسيون نظام قاضي القضاة ، وهو بمثابة وزير العدل اليوم ، وكان

(٧٤) - الشكمة : المرجع السابق ، ص ٧٩

(٧٥) - آدم ميرتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٨٨ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ،
جزء ٢ ، ص ٢٩٤

(٧٦) - حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص ٢٨١

يقيم في حاضرة الدولة ، ويولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم الإسلامية . وأول من لقب بهذا اللقب القاضي أبو يوسف صاحب كتاب الخراج في عهد هارون الرشيد . وكان لقاضي القضاة ببغداد ديوان يعرف بديوان قاضي القضاة . ومن أشهر موظفي هذا الديوان : الكاتب وال حاجب وعارض الأحكام ، وخازن ديوان الحكم وأعوانه ^(٧٧) . وقد اقتضى تطور نظام القضاء التحري عن الشهود . وكان القاضي يرندى السواد شعار العباسين ، وينطى رأسه بعمامة سوداء على قلسسوة طويلة ^(٧٨) .

- النظر في المظالم :

كان صاحب المظالم ينظر في كل حكم يعجز عنه القاضي . وكما جاء في الماوردي ^(٧٩) « ونظر المظالم هو قود المنظالين إلى التناصف بالرهبة ، وجزر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر عظيم الهيئة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع كثير الورع » . ويمكن القول أن اختصاص قاضي المظالم هو النظر في القضايا التي يقيمه الأفراد والجماعات على الولاية إذا انحرفو عن طريق العدل والانصاف ، وعلى عمال الخراج إذا اشتبأوا في جباية الضرائب ، وكتاب الدواوين إذا حادوا عن إثبات أموال المسلمين بنقص أو زيادة . وكذلك النظر في تظلم المرتزقة إذا نقصت أرزاقهم وتأخر ميعاد دفعها لهم . وكذلك مراعاة إقامة العبادات كالحجج والاعياد والجمع والجهاد ^(٨٠) . ومن فوائد النظر في المظالم ، كف أيدي أولي الأمر عن الظلم . فهم حين يرون أن صاحب الحق يستطيع الوصول إلى حقه ، باللجوء إلى السلطات العليا ، يحذرؤن سوء عاقبة فعلهم ، وتحسن سمعة الدولة بذلك ^(٨١) .

كانت محكمة المظالم بمثابة محكمة الاستئناف العليا في عصرنا ، والغرض

^(٧٧) - حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٢

^(٧٨) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٩٩

^(٧٩) - الأحكام السلطانية ، ص ٧٧

^(٨٠) - مشرفة : القضاء في الإسلام ، من ص ١٧٦ - ١٧٨

^(٨١) - القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦

الأساسي من انشائها وقف تعدي ذوي العجاه والحسب . ولهذا كانت المظالم تسند الى رجل كفء يعرف باسم قاضي المظالم ، وكثيرا ما كان الخليفة يجلس بنفسه للنظر في المظالم في أيام محدودة . وذلك لأن أكثر المتظلمين يصلون من أطراف المملكة ونواحيها ، وفيهم الحرم والمنقطعات والابناء ، وكل من يهدى منهم يعتقد انه يصير الى من ينصره ويكشف ظلامته ويعديه على خصمه . فيجب ان يتلقى كل منهم بالترحاب واللطف ، ويندب لهم من يحفظ رقاغهم ويتجز التوقيع فيها من غير التماس رشوة ولا فائدة منهم (٨٢) .

كان خلفاء العباسيين الاولى ينظرون في المظالم بأنفسهم غالبا . فقد كان الخليفة المهدى يجلس للمظالم ، وثلاثا تقدم القصاص اليه ببعضها عن البعض ، ومنعا للرشوة ، فماه اتخذ بيته شباش حديد على الطريق تطرح فيه القصاص ، يدخله وحده . وقدم عليه رجل فتنظم فأنصفه فاستخفه الفرج حتى غشى عليه ، فلما أفاق قال : ماحسبت أني أعيش حتى أرى هذا العدل ، فلما رأيته داخلي من السرور ما زال معه عقلي . فقال المهدى كان الواجب ان تصنفت في بلدك . فأمر له بخمسين دينارا كتعويض لنفقات السفر . وكذلك فقد جلس لها الهادى ثم الرشيد ثم المأمون ، وآخر من جلس لها المهدى (٨٣) .

تنعقد محكمة المظالم في المسجد في يوم محدد من الأسبوع اذا كان صاحبها من الموظفين ، وطوال أيام الأسبوع اذا افرد بالمظالم . ثم بنى الخليفة العباس (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) قبة لها أربعة أبواب سماها قبة المظالم كان يجلس فيها ويلقى فيها العامة وخاصة ، وكان صاحب المظالم يحيط نفسه بخمس جماعات لا ينتظم عقد جلساته الا بحضورهم وهم الحمام والاعوان ، والحكام الذين يحيطون بالحكام ويردون الحقوق الى أصحابها ، والفقهاء الذين يرجع اليهم صاحب المظالم فيما أشكال عليه من المسائل . والكتاب ويقومون بتدوين أقوال الخصوم .

(٨٢) - القلقشندي : صبح الاعشى ، جزء ٦ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥

(٨٣) - الماوردي : المصدر السابق ، ص ٧٦

والشهود ويثبتون ما يعرفونه عن الخصوم ، ويشهدون على أن ما أصدره القاضي
لا ينافي الحق والعدل ^(٨٥) .

ـ الحسبة :

يعرف القائم على الحسبة بالمحتسب ، ويشترط فيه أن يكون عدلا فقيها عالما بالاحكام الشرعية ، ذا رأي وصرامة وخشنونه في الدين ، وعلم بالمنكرات الظاهرة ^٠

والحسبة هي أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر اذا ظهر فعله ،
واصلاح بين الناس بالطرق المشروعة كافة ، فوظيفة المحتسب على هذا الشكل هي
المحافظة على الآداب والفضيلة والامانة ، والنظر في مراعاة أحكام الشرع والاسراف ،
على نظام الأسواق ، والحوال دون بروز العوانيت حتى لا يعوق ذلك نظام المرور ،
 واستيفاء الديون ، والكشف على الموازين والمكاييل تجنبًا للغش ومعاقبة من يبعث
باليهود أو يرفع الاتهام ، والمنع من التعدي على حدود الجيران ^(٨٦) . فيدخل في
وظيفة المحتسب الامر باداء الصلاة في مواقتها ، ومعاقبة من لا يصلح بالضرب أو
الحبس ، وتعاهد الأئمة والمؤذنين . فمن فرط منهم في حقوق الامامة أو خرج عن
الاذان المشروع ألزمهم بالصواب ^(٨٧) . وقد كان قاضي القضاة يخضع لرقابة المحتسب
ويتأمر بأمره في بعض الشؤون . فقد من ابراهيم بن بطحاء والي الحسبة ببغداد بدار
أبي عمر بن حماد ، وهو يومئذ قاضي القضاة ، فرأى الخصوم جلوسا على بابه
ينتظرون جلوسه للنظر بينهم ، وقد تعالي النهار واشتدت حرارة الشمس ، فوقف
واستدعى حاجبه وقال له : تقول لقاضي القضاة ، الخصوم جلوس على الباب ، وقد
بلغتهم الشمس وتأذوا بالانتظار فاما جلست لهم أو عرفتهم عذرك فينصرفوا
ويعودوا ^(٨٨) .

(٨٤) - المسعودي : «روج الذهب» ، جزء ٢ ، ص ٤٣١

(٨٥) - الكندي : «نولاة والقضاء» ، ص ٤٢٣ - ٤٢٤ - الماوردي : «المصدر السابق» ، ص ٧٧ وما بعدها

النويري : «نهاية الارب» ، جزء ٦ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١

(٨٦) - ابن خلدون : «المقدمة» ، ص ١٩٦ - النويري : «المصدر السابق» ، جزء ٦ ، ص ٢٩١

(٨٧) - الشعفة : «المراجع السابق» ، ص ٨٤

(٨٨) - الشعفة : «المراجع السابق» ، ص ٨٧

وقد أصبح للحساب دار خاصة بها . فكان المحتسب يطلب جميع الباعة إلى هذه الدار في أوقات معينة ، ومعهم موازينهم وسنجهم ومكاييلهم ، فيعايرها . فان وجد فيها خللا صادرها والزم صاحبها بشراء غيرها أو أمره باصلاحها ^(٨٩) .

وأول من وضع نظام الحسبة دون استعمال النقط الخاص ، الخليفة عمر بن الخطاب ، أما النقط فقد استعمل لأول مرة في عهد الخليفة المهدى العباسي ^(٩٠) .

هذا وقبل ان اختتم الحديث عن النظام القضائي ، لابد لي من ذكر الفروق بين منصب القاضي والمحتسب وقاضي المظالم ، مما لم يأت ذكره في ماذكر ، ويأتي على رأس الفروق بين القاضي والمحتسب مايلي : -

١ - كان القاضي ينظر في فض المنازعات المرتبطة بالدين بوجه عام . ووظيفة المحتسب انظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنایات أحيانا ، مما يستدعي الفصل فيها إلى السرعة . ووظيفة قاضي المظالم ، الفصل فيما استعصى من الأحكام على القاضي والمحتسب .

٢ - بني عمل القاضي على التحقيق والاتهام في الحكم ، اما عمل المحتسب فمبني على الشدة والسرعة في الفصل .

اما الفروق بين عمل صاحب ديوان المظالم والقاضي ، فيمكن أن نجملها بما يلي : -

١ - ان لنظر المظالم من جلال الهيئة وقوة التنفيذ ، ماليس للقضاة من كف الخصوم عن التجاود والتغلب والتجاذب .

٢ - ان نظر المظالم لا يتقييد بصيغ الوجوب ، وانما يخرج الى سعة الجواز

(٨٩) - الفراهي : احياء علوم الدين ، جزء ٢ ، ص ٤٢

(٩٠) - النويري : نهاية الارب ، جزء ٦ ، ص ٢٩٣ - المنشكةة : المرجع السابق ، ص ٦٤

فتكون حركة اسرع ، ويكون بعيدا عن القيود التي يتلزم بها القاضي ويكون مجال عمله أوسع وأفسح .

٣ - يعمد صاحب المظالم الى الارهاب اذا ما اقتنع بأن أمامه عقدة مستحکمة الحل ، لمرأوغة الباغي ومخادعته ، فيصل من خلال ذلك الى اظهار الحق .

٤ - يقوم صاحب المظالم بتأدیب من ظهر ظلمه ، وتهذیب من ثبت عدوانه ، وذلك أمر لا يدخل في سلطان القاضي .

٥ - لصاحب المظالم الحق في رد الخصوم الى وسطاء أمناء لفض الخصومات ، والفصل في تنازع ما ، عن طريق الصلح بالتراضي مهما غلا طرف واعتدل الآخر .

٦ - ان يسمع من شهادات المستورين من يشاء حتى يستبين الحق من الباطل .

٧ - يجوز لصاحب المظالم أن يستكثر من الشهود ماشاء له أن يفعل ليزول كل شك عنده ، ويتبدل كل ارتياح في شأن القضايا التي ينظرها .

٨ - يجوز له ان يتذرع باستدعاء الشهود ، وان يسألهم عما لديهم من معلوم عن تنازع الخصوم . بينما يبدأ القضاء بتکلیف المدعي ببيانه ، وان يكون صاحب القول الاول في ادعائه (٩١) .

٢ - الحياة الاجتماعية :

يقصد بالحياة الاجتماعية ، الحديث عن عناصر السكان الذين يكونون متجمع في تفاعلهم مع بعضهم البعض ، ومستواهم المعاشي ، والاديان التي ينتسبون إليها ، والمناسبات التي يحتفلون بها . والبحث في بلاط الخلفاء وحياة ساكنيه . وطبقات الشعب .

٩١ : انظر السابق ، ص ٩٧ - ٩٩

ـ عناصر السكان

أـ العناصر الجنسية والرقم

تألف المجتمع الإسلامي في الدور الأول للخلافة العباسية من عنصرين كبيرين هما عنصر العرب والفرس إضافة إلى عنصر الترك^(٩٢)، وكان لكل من هذه العناصر الثلاثة أثره الكبير في الحياة السياسية والاجتماعية في ذلك العصر • فقد كانت هذه الأمم تختلف في ميزاتها اختلافاً بيناً واضحاً • فهي تختلف في عاداتها ومنهج تفكيرها ، ومقدار ثقافتها وادابها •

وقد أنثر كل جنس من هذه الأجناس تأثيراً مخالفًا في أحوال الدولة الداخلية، فالترك كانوا يحبون الجنديّة والفروسية ويستكثرون من الجنود المجلوبة من بلادهم لتقوية حُكمهم ، كما عرّفوا بأنفسهم ينظرون في شيء من الاحتقار إلى أهل البلاد التي يحكّمونها ، ويتصرون لمذهب أهل السنة ولا يميلون إلى الفلسفة والجدل في الدين ، ويقربون علماء الدين وخاصة علماء التفسير والحديث ، وقد طبع هؤلاء الخلافة بطابعهم الخاص • بالإضافة إلى أن جبهم للمال قد أدى إلى قيامهم بمصادرة الأغذية ، وأصحاب الثروات من رجال الدولة^(٩٣) ، وإلى القيام بثورات ضد الخلفاء مطالبين بزيادة أرزاقهم ورواتبهم ، مما أدى إلى اثارة الاضطراب في الدولة^(٩٤) •

اما الفرس فقد ورثوا مدينة قديمة ، فطبعوا علينا بمحاسنها ومساوئها • ولهم قدرة فائقة على تنظيم الحكم ، والمأمور كثیر بالوسائل التي تزيد الثروة وتضاعفها • كما اهتموا بتشجيع العلم بمعناه الواسع الذي يشمل الفلسفة بفروعها المختلفة • ولم ينس الفرس عدم مساواتهم بالعرب في العهد الأموي ، لذلك فانهم مالوا إلى اظهار

(٩٢) - انظر مليحه رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق في القربين الثالث والرابع بعد الهجرة ، ص ٩ - ٢٩

(٩٣) - الطبری : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ - مسکویه : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٧ - ١٧

(٩٤) - الصوّلي : اخبار الرافضي بالله ، والمتقي لله ، من ١٤٣ - ٢٧٧ - ١٢٠

ما خفي في أعماق نفوسهم حين حصلوا على المساواة في العهد العباسي . وأخذوا يعملون على تحقيق اهدافهم . وقد علمتهم التشيع التقية ، فعملوا في الخفاء ، ودبوا المؤامرات للقضاء ، على خصومهم بالثورات أحياناً وبالدعوة المقمعة بالعلم أحياناً أخرى (٩٠) . وكان تأثير الفرس في الحياة الاجتماعية واضحاً ، فقد أخذ الخلفاء منهم حياة البذخ والترف ، ونظام بناء القصور وزخرفتها وتأثثراً . واقتبسوا منهم اللباس وأدوات الطعام ، وكذلك احياء المجالس الغنائية ومجالس الشراب (٩١) .

وقد احتفظ العرب ببعض عاداتهم القبلية وتعصباً لبني جنسهم وتأثروا بالحضارة ، الا انهم سرعان ما انفسوا في البذخ والترف ، وتركوا شؤونهم في أيدي الشعوب الإسلامية الأخرى (٩٢) .

وبالاضافة الى هذه الاجناس الاصيلة الثلاثة ، فقد كثر عدد الروم في أراضي الخلافة . وهؤلاء كانوا يجيئون كأسرى حرب من أراضي الدولة البيزنطية ، وغالباً ما كانوا يعيشون في بيوت الخفاء والاغنياء . ونتيجة لذلك أصبح لهم شأن في الدولة وخاصة في عهد المقتدر (٩٣) .

وكثيراً ما كان يتتعاقب على أقطار الدولة الإسلامية هذه الاجناس الثلاثة أو جنسان منها . فتتعاقب على العراق العرب والفرس والاتراك ، وعلى مصر العرب والترك ثم المغاربة وكان لهذه العناصر أثر واضح في سياسة الدولة الإسلامية ، كما أثرت في حالتها المادية ، ونهضتها الأدبية والعلمية (٩٤) .

عناصر الرقيق :

ومن العناصر - التي تكاثر عددها في العصر العباسي الرقيقapis من الاتراك

(٩٥) - احمد امين : صحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ٥ - مليحه رحمة الله : المرجع السابق ، ص ٤١٥

(٩٦) - مليحه رحمة الله : المرجع السابق ، ص ١٥ - ١٦

(٩٧) - سرور : الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٦٩ .

(٩٨) - مليحه رحمة الله : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١

(٩٩) سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٠

والصقالبة والديلم والأكراد . والرقيق الاسود الذي كان يجلب من ساحل افريقيا الشرقي كالزنج ^(١٠٠) . وكانت قصور الخلفاء والامراء والعظماء والاغنياء تأوي الكثير من الرقيق وعلى الاخص الجواري الذين كانوا من اجناس متنوعة ، تختلف في الطباع والعادات واللغات . وكان الرقيق الصقلبي يفضل على التركي ، ويستخدم التركي عند غيبة الصقلبي ، لما اتصفوا به من خلق وطاعة وهيبة ^(١٠١) .

فقد كان عند الرشيد زهاء ألفي جارية من المغنيات والخدمة في الشراب ، في احسن زيه . وكان للمتوكل أربعة آلاف سرية ^(١٠٢) . ولم ينظر الخلفاء العباسيون الى الارقاء بظرة امتهان واذراء بدليل ان كثيرا منهم كانوا ابناء امهات وقعن في أيدي آباءهم عن طريق الاسترقاق . بل ان بعض الخلفاء وكبار رجال الدولة كانوا يتخدون الاماء من غير العرب ، يفضلونهم أحيانا على العreibيات الحرائر ^(١٠٣) وذلك لأن الجمال في كثير من نساء هذه الامم المفتوحة أوفر ، كما أن الزوج يراها قبل ان يتسرى بها . على حين انه يعتمد على رأى الخطابة في زواجه من العرفة ، وقد لا يتحقق ذوقها مع ذوقه ^(١٠٤) .

وانتشر في هذا العصر تعليم الجواري الغناء . ولما كان الناس يحرضون على التغني بالشعر العربي الفصيح ، لذلك صار الجواري يتعلمن الادب مع الغناء . وكانت عنابة الرجال بتعليم الجواري اكثر من عنائهم بتعليم الحرائر . وما دعاهم الى ذلك الناحية التجارية ، فالجارية اذا قيمت بما تعي ديinar وهي غير متعلمة ، تقيم اذا اجادت الغناء والادب بأضعف ذلك . اما الحرائر ، فكانت العنابة ب التعليمين مقصورة على طبقة الاشراف ومن في حكمهم . وكان للجواري بيوت معدة لسماع

(١٠٠) - مليحه رحمه الله : المرجع السابق ، ص ٢٢

(١٠١) - ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٣٨٧

(١٠٢) - احمد أمين : ضحي الاسلام ، جزء ١ ، ص ٩

(١٠٣) - محمد جمال الدين سرور : المراجع السابق ، ص ١٧٠

(١٠٤) - احمد أمين : المراجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٠

الغناء في أحياء بغداد ، وكان عدد من يحترف الغناء منهم في جانبي بغداد أربعمائة وسبعين جارية (١٠٥) .

كان هناك أسواق للرقيق يوكل الأشراف عليها لعامل خاص . ومن أشهرها سوق سامراء في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . وهي سوق مربعة فيها طرق متشعبه وفيها الحجر والحوانيت (١٠٦) . كما اشتهرت سمرقند بأنها أكبر سوق للرقيق أيضاً . فكان يأتي إليها رقيق تركستان وماوراء النهر . وقد اتخذ أهلها تربية الرقيق وتهذيبه صناعة يعيشون منها (١٠٧) . كما كان في بغداد شارع يسمى شارع دار الرقيق ، اتهب في الفتنة بين الأمين والمأمون (١٠٨) . وقد انتشر نوع آخر من الرقيق عدا ما ذكرنا هو الرقيق الرومي ، الذي ازدادت أعداده نتيجة الحروب المتصلة بين المسلمين والبيزنطيين . وقد استكثر الخليفة المقتدر من الخادم والمالية الروم . كما أن أحمد بن طولون لما ولّ مصر ، اشتري العبيد من الروم ، وأفرد لهم قطيعة في مدينة القطائع تعرف بهم . وكان في بغداد حي يسمى دار الروم بالشمساوية . وقد أقيم لهم بهذا الحي كنيسة على مذهب النسطورية ، ودير يسمى دار الروم . وكان بعض الروم الذين استوطنوا الدولة الإسلامية نشاط أدبي وعلمي ، كابن الرومي الذي ينتهي إلى أصل رومي ، وابو الفتح بن جني الذي نبغ في النحو والصرف . وكان أبوه جني مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي (١٠٩) .

ومن العناصر التي تزايد عددها وكان لها أثر كبير في الحياة الاجتماعية عنصر الزنج ، وكانوا يجلبون إلى الدولة الإسلامية من سواحل إفريقيا الشرقية ، ولا أدل على كثريهم وخطرهم من ثورتهم التي قاموا بها قرب البصرة ، وكلفت الدولة للعباسية كثيراً من الأموال والدماء طوال أربعة عشر عاماً وأربعة أشهر (١١٠) .

(١٠٥) - سرور : المراجع السابق ، ص ١٧١

(١٠٦) - الاصفهاني : الأغاني ، جزء ١٠ ، ص ٩٥ - اليعقوبي : البلدان ، ص ١٣

(١٠٧) - سرور : المراجع السابق ، ص ١٧٠ - ١٧١

(١٠٨) - الاصفهاني : الأغاني ، جزء ١٠ ، ص ٩٧ - أمين : المراجع السابق ، جزء ١ ، ص ٨٣

(١٠٩) - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٢ ، ص ٦٦٢ - سرور : المراجع السابق ، ص ١٧٢

(١١٠) - أمين : ظهر الإسلام ، جزء ١ ، ص ٧٠ انظر عن ثورة الزنج فيما سبق

وقد قام الرقيق على اختلاف أنواعه بأعمال كثيرة في الدولة الإسلامية ، واشتراكوا في الحياة السياسية والاجتماعية . فقد عملت فئات من جنسياتهم كافة بما فيهم الزريح في خدمة قصر الخلافة ، وكذلك بيوت أوساط الناس . كما ضم الجيش العباسي طائفة كبيرة من الفرس ثم الترك والزنج . ووصل كثير من المعتقين منهم إلى مراكز سامية كقيادة الجيوش مثل مؤنس الخادم ، ومنهم من حكم الولايات مثل كافور الأخشيدى في مصر ، وبشكرين التركى في بلاد الأفغان^(١١١) . أما النساء فمنهن القيان في مجال الغناء العامة ، وأمهات الأولاد اللاتي كثر وجودهن في بيوت الخلفاء والأمراء وغيرهم^(١١٢) . وكان بيع الرقبق الجيد يتم في سوق خاص أو بواسطة تاجر كبير . أما إذا عرض في السوق العام فأن قيمته المادية تهبط ، ويعتبر هذا بمثابة عقوبة للرقيق الجيد . وكان النخاس أو تاجر الرقيق ضعيف النعمة في المجتمع ، وقد يستخدم اسمه للشتيمة^(١١٣) .

بــ الطوائف الدينية :

كان أفراد المجتمع في الخلافة العباسية بدينون بديانات مختلفة . كانت الأكثرية من المسلمين . وتوزع هؤلاء على مذاهب : المذهب السنى ، والمذهب الشيعي بأقسامه المختلفة . فقد كان خلفاء العباسيين من السنة ، واعتنق هذا المذهب عنصر الآراك ، على حين كان الفاطميون من الشيعة ، وكذلك الفرس ، وغلب على الحمدانيين التشيع^(١١٤) .

كان بنو هاشم من العباسيين والطلابين يعرفون بالشرفاء . وكان لهم راتب معين من الحكومة الإسلامية . وكان لهذين الفريقين معا تقىب في كل مدينة من

(١١١) - سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٦

(١١٢) - سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٦

(١١٣) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٨٤

(١١٤) - انظر فيما سبق : التيارات الشيعية والسنوية

المدن الكبرى ، مثل بغداد وواسط والكوفة والبصرة والاهواز ، ثم صار لكل منهم منذ النصف الثاني للقرن الرابع الهجري نقيب خاص^(١١٥) .

كانت ولاية نقابة الاشراف تصح من احد ثلاثة وجوه ، اما من وجہ الخليفة المسنولي على كل الامور ، واما من فوض الخليفة اليه تدبیر الامر كوزير التقويض وأمير الاقليم ، واما من نقيب عام الولاية . ويجب ان يكون المرشح لرئاسة النقابة من أجلهم بيتا واكثراهم فضلا ، فيسرعون الى طاعته برياسته ، وتستقيم امورهم بسياسته^(١١٦) .

كان من افراد المسلمين عدد كبير من اهل الديانات الالى من يطلق عليهم اسم أهل الذمة ، وقد تمعنوا بكثير من ضروب التسامح الديني ، فأقاموا الشعائر الدينية في أمن ودعة ، وشاركوا المسلمين في وظائف الدولة ، وفي ممارسة المهن الحرة . ولم يتدخل خلفاء بنى العباس بصورة عامة في شؤونهم الدينية الا في بعض الفترات . واستند اهل الذمة الى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ، وما منحوه من حقوق . كلم يندمجوا مع المسلمين ، وحرصوا على تكوين مجموعة لها كيانها المتميز ، فحالوا بذلك دون وحدة العالم الاسلامي^(١١٧) . ومن بين أهالي الذمة في القرن الرابع الهجري ، الصابئة . فقد فرضت صياتهم وحراستهم والذب عن حريتهم ، وترك مواريثهم^(١١٨) . وكذلك فقد اعترف منذ القرن الرابع الهجري للمجوس بأنهم أهل ذمة الى جانب اليهود والنصارى ، وكان لهم رئيس يمثلهم في قصر الخلافة^(١١٩) .

التشير اليهود والنصارى بأعداد كبيرة في أراضي الخلافة العباسية ، فقد ذكر

(١١٥) - الجاحظ . رسائله ، ص ٢ نشر فاتن فلوتون - مليحة رحمحة الله : الرجع السابق ، ص ٣٠ ٣١

(١١٦) - المؤودي : الاختام السلطانية ، ص ٩٦

(١١٧) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧

(١١٨) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٦٠

(١١٩) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٦٠

بنيامين أحد الرحالة اليهود ، ان عدد اليهود في المملكة الإسلامية من غير العرب نحو ثلاثة ألف . وكانوا منتشرين على نهر دجلة والفرات وفي جزيرة ابن عمر والموجسل وعكربة وواسط وبغداد والحلة والكوفة والبصرة . وفي كثير من بلاد فارس في همدان وأصفهان وشيراز ، وأيضاً في غزنة وسمرقند . وقد كان في بغداد وحدها نحو ألف يهودي ^(١٢٠) . وكان فيها في أوائل القرن الرابع الهجري ما بين أربعين وخمسين ألفاً من النصارى ^(١٢١) . وقد كان هؤلاء في الغالب يختصون ببعض الحرف حتى تكون حكراً عليهم . فأغلب اليهود عملوا بالصيغة والصياغة ودباغة الجلود ^(١٢٢) ، والتجارة ^(١٢٣) . كما امتهن النصارى الطب والصيغة ^(١٢٤) . وعاش جميع الرعايا من الديانات المختلفة في جو من التسامح لم تعرفه اوربا في العصور الوسطى .

كان لليهود رئيس خاص يلقب أحياناً بالملك ، ويدفع له أهل ملتهضرائب ، فيأخذ نصنهما ويرسل النصف الآخر إلى بيت المال ، بخلاف النصارى الذين كانوا يؤدون الضرائب بيت المال مباشرة . ويطلق على رئيس اليهود ببغداد رأس الجالوت . وعلى رئيس المسيحيين الشرقيين اسم الجاثليق النسطوري ^(١٢٥) . وتجرى لكل منها مراسيم عند توليتها ^(١٢٦) .

- الطبقات الاجتماعية :

انقسام المجتمع في العصر العباسي إلى قسمين متمايزين كل التمايز . طبقة

(١٢٠) - بنيامين التطيلي : الرحلة ، ص ١٣٥ - ١٣٩ - أحمد أمين : ضمحي الإسلام ، جزء ١ ، ص ٣٢٥

(١٢١) - سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٨

(١٢٢) - أحمد أمين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٥

(١٢٣) - المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٣

(١٢٤) - المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٣

(١٢٥) - أبو اسحاق رفائيل : أحوال نصارى بغداد ، ص ٤٨ - بنيامين : الرحلة ، ص ١٣٧

- حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦

(١٢٦) - انظر عن مراسيم تولية الجالوت ، بنيامين : الرحلة ، ص ١٣٧

غنية مترفة سمعة ، وطبقة فقيرة . وقد صور لنا ابن المعتر في شعره الفوارق بين
هاتين الطبقتين فقال :

أَفَمَا تَرَى بِلَدًا أَقْبَتْ بِهِ أَعْسَلَى مُسَاكِنَ أَهْلِهِ خَصْ
وَوَلَاتِهِ نَبْطَ زَنَادِقَةَ مُسَلَّلَى الْبَطْوَنِ وَأَهْلِهِ خَمْصٌ (١٢٧)

آ - طبقة الخاصة :

كان على رأس الطبقة الاولى الخليفة ورجالاته من وزراء وأمراء ومن يلوذ
بهم من الأدباء والعلماء . وقد انعمت هؤلاء في الترف والبذخ ، واهتموا بعمان
قصورهم ، حتى كانت مضرب المثل في حسن رونقها وبهائها ، وفخامة بنائهما
واسعاتها ، وما يكتنفها من حدائق غناة وأشجار متکاففة (١٢٨) . وأفضل الأمثلة
على قصور الخلفاء قصر التاج في بغداد ، والقصر المعروف بالعروض في سامراء
الذي اتفق للمتوكل على بنائه ثلاثة ألف درهم ، والجعفري عشرة آلاف (١٢٩) .
وقصر ابن طولون في القطائع ، وقصر الوزير ابن الفرات الذي اتفق على بنائه
ثلاثمائة ألف دينار (١٣٠) . وكذلك كان البرامكة يتمسكون باتخاذ القصور الفخمة :
فاتخذوا منها ما يبيقي لهم ذكرها . فبني جعفر قصره في الجانب الشرقي من دجلة ،
وكان هذا القصر مغشى بالرسوم والزخرفة من الداخل والخارج ، وعليه صور من
الجص المجنح (١٣١) .

كانت دار الخلافة وما يتصل بها كأنها لكبرها مدينة قائمة بذاتها . وكانت
تشغل مع بساتينها مساحة كبيرة . وتمتد الجدران المحيطة بها فراسخ كثيرة (١٣٢) .

(١٢٧) - ديوان ابن المعتر ، جزء ٢ ، ص ١٤

(١٢٨) - حسن الرازي حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٢٩

(١٢٩) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢٠٨

(١٣٠) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩

(١٣١) - سرور : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٨١

(١٣٢) - الاصطخري : المصدر السابق ، ص ٨٣

وكثيراً ما كانت الانهار تجتازها . وقد انقسمت دور الكبار إلى ثلاثة أقسام ، قسم الضيافة ، وقسم الحرم ، وقسم الخدم . وكانت الحدائق الغناء تعطي بهذه القصور وينلقها سور واحد (١٣٣) .

حضرت قصور الخلفاء والامراء والوزراء وبكبار رجال الدولة بالمعنى والمسيقيين ، وكان يحضر هذه المجالس الشعراء والأدباء فينالون من العطاء الكبير (١٣٤) . وقد أخذ العباسيون نظام مجالس الطرف والغناء التي انتشرت في عهدهم عن الفرس . وكان الرشيد من بين خلفاء بنى العباس الذين جعلوا للمغنين مراتب وطبقات على نحو مافعله أكاسرة الفرس . ولم يجتمع على باب خليفة من الخلفاء نداماء ومغنو نثثاماً اجتمع على باب الرشيد . وكان ينزل لهم الصلات ويرفعهم إلى أعلى المراتب (١٣٥) . ونبغ في عهده كثير من المغنين الموسيقيين شخص بالذكر منهم : ابن جامع ، وابراهيم الموصلي الذي ابدع في وضع الالحان ، وكتب ابنه اسحق رسالة مطولة في الغناء صاحب فيها أنغامه ، واحتفظ بالغناء القديم (١٣٦) .

وكان الامين يميل إلى سماع الأغاني ، ويقضي جل أوقاته في الاستمتاع بضروب اللهو . وعلى الرغم من أن كثيراً من أخباره وضعت في عهد المؤمنون للإساءة إليه والحط من شأنه ، فانا لانستطيع أن ننكر ميله إلى اللهو . فقد روى انه لما ولـي الخليفة ، وجه إلى جميع البلدان في طلب المغنين وضمهم إليه . وأجرى لهم الارزاق ، كما أمر ببناء مجالس لمنتزهاته ، ومواضع خلوته ولهموه ولعبه بقصر الخلد والخيزران (١٣٧) . أما المؤمن فقد سمعه من وراء حجاب في البداية ، ولما شغف به دعا النداماء والمغنين إلى الجلوس بحضورته ، كما قرب إليه اسحق

(١٣٣) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٤

(١٣٤) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٠ .

(١٣٥) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٧١ - ١٧٢

(١٣٦) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١١ - ٤١٤

(١٣٧) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩

الموصلني ، وأعلى من شأنه . وكذلك فعل مع عمه ابراهيم بن المهدى ، وكان مبدعا في غنائه . واستمر اهتمام خلفاء العباسين بمجالس الطرف والغناء بعد ذلك . فكانت لهم مجالس يحضرها الشعراء والادباء والفنون والموسيقيون . ومرجع انتشار الغناء في هذا العصر كثرة الجواري ، وقليل منها من الحرائر .

ولقد كان انطولوجيون في مصر يعنون بالغناء والموسيقى ، يدلنا على ذلك بيت الذهب الذي بناه خمارويه بن أحمد بن طولون ، واتخذ على حيطانه صورا بارزة من الخشب تمثله ومحنياته بدقة فائقة . أما في عهد الاخشيديين فقد كان الحكم ووجوه القوم يستمعون الى الغناء في مجالسهم الخاصة وما دبهم .

كما اهتم الخلفاء العباسيون بالاعياد ، واتخذوها مجالا لا براز ما يتمتعون به من مقدرة وقوة ومن سلطة دينية . فقد اهتم العباسيون منهم بالاحتفال بعيدى الفطر والاضحى في شيء من الروعة والابهة . وتجلى الاحتفال بهما على الاخص في دمشق وبيت المقدس وطرسوس^(١٣٨) . وهناك مواسم أخرى احتفل بها العباسيون مثل النوروز^(١٣٩) .

وتتجلى سيادة الخلفاء العباسيين الروحية في مواكبهم التي تميزت بروعتها . فيتقدم موكبهم أيام الجمع والاعياد رجال الحرس على اختلاف طبقاتهم ؛ يحملون الاعلام ، ويليهم امراء البيت العابسي راكبين الخيول المظمة ، ثم الخليفة مستطيا جوادا ناصعا البياض ، وبين يديه كبار رجال الدولة . وكان الخليفة في تلك المواكب يلبس القباء الاسود ، ويتنطلق من منطقة مرصعة بالجواهر ، ويتشعّب بعباءة سوداء ، ويلبس قلنسوة مدبية مزينة بجوهرة ، ويقلد سيف الرسول الكريم . وفي يده اليمنى الختام^(١٤٠) .

(١٣٨) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٢٥ وجزء ٣ ، ص ٥٢

- آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٢

(١٣٩) - مسكونية : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٥ وهو أحد أيام السنة عند الفرس ، واحد مواسمهم القديمة .

(١٤٠) - سورور : المرجع السابق ، ص ١٩٢

ويظهر ترف الخلفاء العباسين للعيان في بداية القرن الرابع الهجري في احتفال الخليفة المقتدر باستقبال سفير امبراطور الروم سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ° فقد أمر الخليفة بعد أن مثل سفيراً للإمبراطور البيزنطي بين يديه وأدياً له رسالة الامبراطور أن يطاف بهذين السفيرين في دار الشجرة (١٤١) ° وقصر الناج (١٤٢) °

وهكذا يمكن القول أن الخليفة ورجال دولته ومنتبعهم ولف لهم ، كانوا يعيشون في قمة الهرم الذي يمثل المجتمع ، وكانوا أقلة في العدد بالنسبة لسائر أفراد الأمة ، إلا أنهم يملكون غالبية الثروة ° وعلى الرغم من ذلك فإن حاجة هؤلاء إلى الأموال لاتفاقها في مجالسهم وعلى كبار رجال دولتهم تدفعهم إلى القيام بالمصادرة ، مصادرة الأموال ومواد التجارة وغيرها ° ومن ذلك مصادرة المواريث والتراث ° وكثيراً ما كان يدعى على التجار الكبار أن عندهم وداعم للسلطان لمصادرة تجاراتهم ° وكان الاخشد صاحب مصر يصادر خاصته وعماله وأصحابه ° وقد فشلت نتيجة لذلك عادة خزن الأموال واحتفافها كالدفن في الأرض ونحو ذلك (١٤٣) °

ب - طبقة العامة :

لإعطاء صورة واضحة عن طبقة العامة ، لابد لنا من التطرق إلى الحديث عن طبقة التجار وأرباب الحرف والصناعة والعلماء ، واستعراض نمط حياتها بایجاز ° وسائلناول بالحديث تلك الفئة التي لم تتح لها الظروف الاتصال بالطبقة الأولى والسير في ركبها ، والاستفادة منها مادياً °

تشكلت طبقة العامة من مختلف الأجناس التي ضمنها الخلافة العباسية من عرب وديلم وترث وكرد ، ولم يكن لها مكانة كبيرة في المجتمع بسبب فقر غالبيتها من جهة ، وجهلهم بالأمور الثقافية والدينية من جهة أخرى ° وقد اطلق عليهم

(١٤١) - عن دار الشجرة انظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ١ ، ص ١٠٢ - ١٠٣

(١٤٢) - سرور : المرجع السابق ، ص ١٨٢ - ١٨٣

(١٤٣) - أمين : ظهر الإسلام ، جزء ٢ ، ص ٨ - ١٠

المؤرخون نسميات متعددة ، كالسفله ، والغوغاء ، والسباط ، والجمahir الدهماء ، والابواش (١٤٤) . وكان طعامهم ولباسهم يتميز بالبساطة ، كما كانت بيوتهم دون اسوار تحيط بها . وكانت نوافذهم تطل على الشوارع مباشرة (١٤٥) .

وقد امتهن هؤلاء التجارة أو الصناعة ، فالتاجر تعاطوا بيع المواد الاستهلاكية لسد حاجات الناس اليومية ، وتركوا تجارة السلع الثمينة والجوهرات لأولئك الذين لهم ارتباط بال الخليفة وحاشيته ورجالات الدولة (١٤٦) . أما ارباب العرف والصناعة ، فكانوا يعيشون دون مستوى التجار ، لأن مواردهم محدودة . فقد كان متوسط أجر العامل في القرن الثالث الهجري درهماً ونصف الدرهم في اليوم لصانع الزجاج ، ثم ازداد في القرن الرابع الهجري . وكان ايراد اصحاب الحوانين لا يتعدى ٣٠ درهم في الشهر (١٤٧) .

٣ - الحياة الاقتصادية :

كانت الاسعار رخيصة في العصر العباسي الاول . وبالتالي ساد الرفاه في البلاد . وخير مثال على ذلك قائمة اسعار بعض المأكولات في عهد أبي جعفر المنصور ، فقد كان الكبش بدرهم ، والحمل بأربعة دوانيق (١٤٨) . والتمر زنة ستين رطلاً بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم ، والسمن ثمانية أرطال بدرهم . وكان ينادي على لحم البقر تسعين رطلاً بدرهم ، ولحم الغنم ستين رطلاً بدرهم (١٤٩) . وما لا شك فيه ان هذه الاسعار الرخيصة ، تدل بشكل قاطع على الرخاء وكثرة الخيرات . ويرجع السبب في ذلك الى اهتمام الخلفاء بشؤون البلاد الاقتصادية ،

(١٤٤) - مليحة رحمة الله : المرجع السابق ، ص ٥٢ - ٥٣

(١٤٥) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٢٤

(١٤٦) - مليحة رحمة الله : المرجع السابق ، ص ٤٩

(١٤٧) - التنوخي : الفرج بعد الشدة ، جزء ٢ ، ص ١٥٥ - الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ،

ص ٢٦٠

(١٤٨) - الدائق : سداس الدرهم

(١٤٩) - ياقوت المحموي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٥٩

و عملهم على تنمية موارد البلاد ، مع بذل جهود كبيرة في الزراعة والتجارة وغيرها من شؤون الاقتصاد والمال (١٥٠) .

و من المهم أن ندرك أن الثروة التي كانت تبلغ سبعمائة دينار في الدور العباسى الأول ، كانت تعتبر ثروة محترمة . وكذلك فقد كان يكفى الرجل من عامة الناس مع زوجته في عصر هارون الرشيد ثلاثةمائة درهم في السنة .

٢ - الزراعة :

كانت نظم الزراعة في الدولة الإسلامية متنوعة . فكل قرية انفردت بنظام معين يتلاءم مع ظروفها الطبيعية (١٥١) . وقد اهتم خلفاء العباسيين بالزراعة ، ووجهوا عنائهم إليها . فنشطوا في حفر الترع والمصارف واقامة الجسور والقنطرة ، وكانت الاراضي الواقعه بين نهري دجلة والفرات من أخصب بقاع أراضي الخلافة العباسية . وكانت الحكومة تشرف على ادارتها اشرافاً مباشراً ، وتعمل على تحسين زراعتها وتنمية مواردها . وامتدت في هذه الاراضي شبكة من الترع والمصارف زادتها خصباً . وكثرت فيها المزارع والبساتين ، فعرفت باسم أرض السواد . وبلغت مساحة السواد وحده ٣٦ مليون جريب (١٥٢) .

شق المنصور عدداً كبيراً من الجداول والقنوات ، منها قناة من نهر دجلة ، واخرى من كرخايا وصلهما بمدينة بغداد (١٥٣) . كما ساق إلى الكرخ عدة أنهار منها نهر القلائين ونهر البازدين ونهر الدجاج . ولكثره الانهار التي أحاطت أو دخلت مدينة بغداد ، أصبحت مدينة محاطة بالمزروعات . فالبساتين والحدائق

(١٥٠) - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ١ ، ص ٧٠

(١٥١) - سرور : المرجع السابق ، ص ١٣٠

(١٥٢) - الجريب عشرة آلاف ذراع انظر : حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص

٣٠٤ - على حين أورد الخوارزمي في مقاييس العلوم ص ٤٣ ان الجريب يساوي اشل في

اشل يساوي ٣٦٠ ذراعاً مربعاً أي حوالي ٢٤٠٠ متراً مربعاً

(١٥٣) - اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٥٠

حولها ٠ والنخيل حولها وبداخلها ، بعد ان كانت زراعته مقتصرة على البصرة والكوفة والسواد ٠

وقد أدى اهتمام العباسين الاول بالري الى ازدهار الزراعة في العراق وجنوب فارس ، الى جانب عمران هذه المناطق بالقرى والضياع (١٥٤) ٠ كذلك فقد بذل خلفاء الدور الثاني جهودا في هذا المجال ، وعملوا على تنظيم أساليب الري ، وجعل الماء في خدمة الجميع ٠ فقاموا بتنظيم السقاية في مصر والعراق واليمن وشمال شرقى فارس ، وببلاد ما وراء النهر (١٥٥) ٠

ولم يكتفى خلفاء العباسين بالاهتمام بالأمور العملية ، بل عملوا على أن يبنوا هذا التقدم الزراعي على أساس علمي ٠ فتوسعوا في البحث النظري ، ودرسوا أنواع النباتات وصلاحية التربة لزراعتها ، واستعملوا الأسمدة المختلفة لأنواع النباتات (١٥٦) ٠

أما بالنسبة لبلاد الشام ، فلم يوجه خلفاء بني العباس أو ولاتهم فيها اهتمامهم للقيام باصلاحات غايتها تنمية الثروة الزراعية في بلاد الشام ٠ فقد استمر الري على ما كان عليه ايام الخلافة الاموية ، الا ما كان من الخليفة المؤمن الذي أمر بحفر قناة من نهر منين مارة بسفوح قاسيون الى معسكره بدير مران ٠ ويبدو ان الاسباب السياسية كانت وراء ذلك ٠

وقد قاسى أهالي غوطة دمشق كثيرا من سوء الاحوال الاقتصادية ، ومن مصادرة اراضيهم من قبل العباسين (١٥٧) ، كما كان بعض أهالي الشام يقاومون من

(١٥٤) - الخوارزمي : مفاتيح المعلوم ، ص ٢٥

(١٥٥) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣١٩

(١٥٦) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦

(١٥٧) - انظر التشوخي : المستجاد من فعارات الاجواد ، ص ١٨٤ - ١٨٦ - والفرج بعد الشدة ، جزء ١ ، ص ٩٣ - ٩٨ - بيطرار : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ - كرد علي : الاسلام والحفظة العربية ، جزء ٢ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ ٠

كثرة الخراج . و مما يذكر في هذا الصدد ان بعض أهالي قرى فلسطين تركوا اراضيهم ، فوجه الخليفة هارون الرشيد اليهم أحد كبار قواده الذي أخذ يدعوهم الى الرجوع الى أراضيهم على ان يخفف عنهم من خراجهم ، وان يعاملوا معاملة أفضل مما مضى ، فرجعوا و هؤلاء هم أصحاب التخفيف . ثم عاد قوم منهم بعد ذلك فردت عليهم أراضيهم على مثل ما كانوا عليه وهم أصحاب الردود (١٥٨) . و من المهم ان نعرف ان العامل الاقتصادي كان احد اسباب ثورة المبرقى العياني (١٥٩) .

ومما لا شك فيه أن خلفاء العباسيين حاولوا أن يتخدوا بعض الاجراءات الاقتصادية لإنقاذ البلاد من التردي ، ولكن هذه الاجراءات الاقتصادية لم ترق للإلهي في كثير من الأحيان . فقد تصدى الخليفة المؤمن لتعديل أراضي الشام ، ففرق المساح في اجنادها كافة ، وأقام شتاء سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م كله في دمشق لهذه الغاية . ثم وضع لها كشفاً جديداً على أمل زيادة الدخل الوارد منها (١٦٠) .

وقد انتشر نظام اقطاع الارضي للمتنفذين في العصر العباسي الاول ، مكافأة لهم على ماقدموه من خدمات جليلة . وكذلك فقد انتشرت عادة اقطاع الولايات على ان يؤدي الوالي لدار الخلافة مبلغاً من المال عدا الهدايا والطرف (١٦١) . على ان نظام الاقطاع لم يخل من بعض العيوب . اذ ان المقطوع أو الملزتم كان يعمل على الاثراء وجمع المال ، ولا يتردد في ارهاق الاهلين واثقالهم بالضرائب المختلفة ، حتى يستطيع ان يؤدي الى الحكومة ماعليه من مال الخراج ، ويحتفظ لنفسه بما زاد عن ذلك . ولا يخفى ما في هذا من غبن الاهلي أحياناً ، وتعذيبهم في احياناً أخرى (١٦٢) .

أما أشهر المزروعات التي كانت تزرع في اراضي الخلافة العباسية في هذه

(١٥٨) - كرد علي : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢١٣

(١٥٩) - بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٤٩

(١٦٠) - بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٤٩

(١٦١) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٦

(١٦٢) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٩٥ ، وانظر فيما سبق

الفترة ، فهي الحنطة وكانت تزرع في المناطق الاسلامية كافة حيث يتوفر الماء . وكذلك كانت الكروم تزرع بكثرة ، وفي الارجاء جميعها ، وهي كثيرة الاصناف ، وقد امتازت كروم العنبر في اليمن بضخامة عنقیدها ^(١٦٣) . وكان لزراعة الكروم شهرة خاصة في الشام حتى لا تكاد تخلو منها منطقة من المناطق ^(١٦٤) . وبقيت زراعة الذرة مقتصرة على جنوبى جزيرة العرب . وكان الاهلون يزرعون كذلك الشعير والارز والنخيل واسعجار الفاكهة ^(١٦٥) .

وكان تفاح الشام مضرب المثل في الجودة ، وكان يحمل منه الى الخلفاء في كل سنة ثلاثة ألف تفاحة ، ويقال انها كانت في العراق أعقب منها في الشام . كما كثرت زراعة الزيتون في أرجاء كثيرة من بلاد الشام ، وغيرها من أراضي الخلافة مثل شمال افريقيا . وشتهرت بعض مناطق الشام باستخراج الزيت من الزيتون ، حيث كان من اهم خصائصه الصفاء والنظافة . وكان الزيت يحرز في جباب كبيرة في مدينة حلب . وكانت الشام تمد البلاد الاسلامية بما تحتاجه من الزيت الذي كان يعرف بالزيت الركابي ، لانه كان يحمل على الابل من الشام ^(١٦٦) .

زرع قصب السكر في البصرة وصور وبيروت وطبرية وكابل وخراسان وغیرها . وقد استخرج منه السكر في كابل وخراسان والبصرة ^(١٦٧) . وقد حاول مسلمو المغرب وصقلية زراعة بعض النباتات التي تنمو في البلاد الحارة كالتوابل والقطن وقصب السكر والتوت ، فلم يقدر لزراعة التوابل النجاح ^(١٦٨) .

(١٦٣) - آدم ميتز : *الحضارة الاسلامية* ، جزء ٢ ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩

(١٦٤) - بيطار : *المراجع السابق* ، ص ٤٥٤

(١٦٥) - آدم ميتز : *المراجع السابق* ، جزء ٢ ، ص ٢٩٩

(١٦٦) - الشهابي : *لطف المعرف* ، ص ١٥٧ - ياقوت الحموي : *معجم البلدان* ، جزء ٢ ، ص

٢٢١

جده جمال الدين مرود : *المراجع السابق* ، ص ١٣٢

(١٦٧) - ابن حوقل : *المصدر السابق* ، ص ١٧٦ - المقدسي : *المصدر السابق* ، ص ١٦١ - ١٦٢

ميتز : *المراجع السابق* ، جزء ٢ ، ص ٢٠٥

(١٦٨) - ابن ابراهيم حسن : *المراجع السابق* ، جزء ٢ ، ص ٢٠٨

واشتهرت مناطق واسعة بزراعة النخيل وشهرها البصرة وكرمان وشمال افريقيا ، ومصر ومنطقة الغور وغيرها^(١٦٩) ، بالإضافة إلى وجود أصناف متعددة من الفواكه كالتين والموز والجميز والرمان والتوت والبرقوق والمشمش والبرتقال والخوخ والكمثرى والسفرجل والليمون والكمباد^(١٧٠) ، والبطيخ^(١٧١)

ب - الصناعة :

كان للصناعة نصيب كبير من عناية الخلفاء العباسيين الأوائل ، فاهتموا باستخراج المعادن ، فاستخرجوا الفضة والنحاس والرصاص والحديد من مناجم فارس وخراسان .

وكان بالقرب من بيروت مناجم للحديد ، ساعد وجودها على نمو بعض الصناعات المعدنية ، كما استخرجوا الحزف والمرمر من تبريز ، والملح والكبريت من شمالي فارس ، والقار والنفط من بلاد الكرج .

وقد اشتهرت صناعة الزجاج ، ولاسيما في عهد المعتصم الذي شيد لها مصانع جديدة في بغداد وسامراء وغيرها^(١٧٢) ، كما حافظت الشام على الرغم من التقلبات كافة التي تعرضت لها على شهرتها في بعض الصناعات ، فقد اشتهرت في صناعة الزجاج كغيرها ، ووصف زجاجها من قبل كثير من المؤرخين وأزهال ، وضرب به المثل في الرقة والصفاء ، حتى يقال أرق من زجاج الشام ، واصفي من زجاج الشام^(١٧٣) . وقد مهر أهل الشام في زخرفة الزجاج بالذهب وتلوينه بالوان أخرى . وبلغوا في ذلك درجة كبيرة من الاتقان ، وفي مستهل القرن الثاني للهجرة ، كان الزجاج الملون المطلبي بالميناء يصدر إلى كثير من جهات العالم^(١٧٤) . كما مهر أهالي الشام

(١٦٩) - آدم ميتر : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٣ - بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٥٦

(١٧٠) - بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٥٧

(١٧١) - سرور : المرجع السابق ، ص ١٣١ - ١٣٢ - ميتر : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٢

(١٧٢) - حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٨

(١٧٣) - الشعالي : لطائف المعارف ، ص ١٥٧

(١٧٤) - بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٦١

بصناعة الخزف وبشكل خاص المنقوش منه . كما أنشئ مصانع للورق في عدة مدن ، وجلب لها الأستاذة والصناع من مصر التي اشتهرت بصنع الورق منذ عهد بعيد . وقد اشتهرت صناعة الورق في بغداد ودمشق وطبرية وطرابلس الشام وسمرقند حتى قبل أن كواحد سمرقند عطلت قراطيس مصر وبغداد ^(١٧٥) .

وأنشأ العباسيون دوراً للطراز في مناطق متعددة ، وتفوق المسلمون في صناعة الحرير والاطلس والنسوجات الحريرية المشجرة والسيجاجيد . وما يدل على تفوق المسلمين في هذه الصناعة تلك الشهرة التي ذالتها النسوجات الحريرية المشجرة الجميلة التي كانت تصنع في تستر . وكذلك السيجاجيد في قرب ، والحرير في سوس . وكذلك فقد اشتهرت مدن خراسان بصناعة البسط والستور والنسوجات الصوفية على اختلاف انواعها . واشتهرت الكوفة بكوفياتها الحريرية وغيرها . وتفوقت خوزستان بمنسوجاتها ^(١٧٦) .

وقد امتازت دمشق بصناعة الأقمشة الحريرية التي لا تزال تسمى دمشق (داماسكو) كما عرف الدمشقيون نسيج الديباج وغيره . ويقال بأن الأقمشة التي كانت تصنع في حمص كانت تقارب الأقمشة المصنعة في الإسكندرية من حيث الجودة والحسن . وما يذكر أن طبرية كانت تنسج نسيجاً أبيضاً تصنعه ثياباً ، وكان ثمن الثوب منه بعمائة درهم لجودته ، في الوقت نفسه الذي كان غيره من الأثواب يساوي مائة درهم فقط . ويبدو أن أهالي الشام برعوا في صناعة الصباغ وغيرها من الصناعات التي ماتزال لها بقية قليلة الان ^(١٧٧) .

كذلك فقد اشتهرت اعمالك من نواحي حوران بصناعة البسط ، وبصناعة نوع

(١٧٥) - محمد جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٣٤ - ١٣٥
... احمد أمين : ظهر الإسلام ، جزء ٢ ، ص ٤٤٦ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٢ ، ص ٢٢

(١٧٦) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠٩

(١٧٧) - بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٦١ - ٤٦٢

جيد من الاكسسية . كما اشتهرت بلاد الشام كغيرها من سائر البلاد الاسلامية بصناعة الحصر ، وبشكل خاص سكان قدس بالقرب من طبرية الذين اشتهروا بقتل الجبال الى جانب صنع الحصر ، وابشتررت عصتلان بوجود حرير فائق فيها^(١٧٨) .

كما اشتهرت مصر في ذلك العصر بصناعة المنسوجات ، فكان يصنع في مدينة تونس الشياط الملونة والفرش ، ويعمل بها اثواب الخلفاء التي تسمى البدنة ، وبلغت قيمة الثوب منها الف دينار يحالف من الذهب الخالص المحكم الصنعة ، ليس فيه من الغزل سدى ولا لحمة سوى أوقيتين . كما بلغ ثمن قطعة التسييج من الكتان في مدینتي تونس ودمياط مائة دينار ، مما يدل على مدى تقدم صناعة المنسوجات المصرية ودقتها في ذلك الوقت^(١٧٩) .

برع أهالي الشام في صناعة الفسيفساء . وقد شاهد الرحالة المقدسي جدران اروقة المسجد الحرام وقد زينت بالفسيفساء التي حملها اليها صناع الشام ومصر^(١٨٠)

وكان بالقرب من بيروت مناجم للحديد ساعده وجودها على نتوء بعض الصناعات المعدنية ، كما كان يوجد الحديد في ضواحي دمشق ، ولا سيما في داريا . وكذلك اشتهرت دمشق في صناعة السيفون المتقدة الصنع . ولشهرة سيفون دمشق ، فقد أمر خمارويه بن أحد بن طولون بصناعة سبعة عشر سيفاً دمشقياً لغلمانه مقابل سيفهم التي تبرعوا بها للاعرابي الذي مدح خمارويه^(١٨١) . وقد نقل الصليبيون الى بلادهم سر هذه الصناعة . كما استمر الصناع الدمشقيون محتفظين بتفوقهم

(١٧٨) - المقتضي : المصدر السابق ، ص ١٦٢ و ١٧٤ - ياقوت الحموي : «معجم البلدان» ، جزء ١ ، ص ٢٩٢

- احمد أمين : ظهر الاسلام ، جزء ٢ » ص ٢٤٥

(١٧٩) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٩

(١٨٠) - مجلة المجمع العلمي بدمشق : مجلد ٢ ، سنة ١٩٢٢ ، ص ٢٢

(١٨١) - انظر المقصة «لاملة في التأريخي» : المستجاد من فعارات الاجواد ، ص ١٣٤ - ١٣٥

في هذه الصناعة الى ان سباهم تيمورلنك فسأت هذه الصناعة لتسزدهر في بلاد العجم^(١٨٢) .

وقد اشتهرت بيت المقدس بصناعة النسيج لكترة زوار المسجد الاقصى^(١٨٣) كما أن أهالي دمشق أبدعوا في ترصيع الآنية المعدنية بالذهب والفضة ، وأبدعوا في النفنش على الخشب^(١٨٤)

وقد اشتهرت بغداد بالصياغة ، وبلغت صناعتهم شأوا بعيدا في الدقة والجمال، حتى أنهم كانوا يرصفون الزجاج بالجواهر ، ويكتبون عليه بالذهب . واشتهرت مصر أيضا بصناعة المعادن ولا سيما صياغة الذهب والفضة ، وضربوا بهم وافر في صناعة الادوية والعقاقير .

واشتهرت مصر في العصر العباسي الاول بصناعة المراكب النيلية التي كانت تسير في النيل حاملة حاصلات البلاد بين الوجهين البحري والقباي . كما اشتهرت بصناعة السفن التي تشحذ بالاسلحة والمقاتلة لغزو البيزنطيين عن طريق الاسكندرية ودمياط وتنيس والفرما .

وقد وجدت مقاطع للرخام في بيت جبريل في فلسطين . وفي منطقة عمان وجدت الجبال البيضاء التي تسمى الحواره ، التي تستعمل في طلاء سقوف المنازل باللون الابيض ، كما كانت توضع منه طبقة فوق سطوح المنازل . كما اشتهرت فلسطين بمقاطع حجارة بيضاء استعمل بعضها في البناء ، واستخرج الكبريت من منطقة الانغوار ، كما استخرج الملح والاحمر من البحر الميت^(١٨٥) .

(١٨٢) - بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٦٣

(١٨٣) - آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٢

(١٨٤) - مجلة المجمع العربي بدمشق ، مجلد ٢ ، ص ٢٢

(١٨٥) - بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٦٤

أما مدينة البصرة فقد أصبحت من أهم مراكز التجارة ، وهي باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدايق بضروب المนาع ، وأنواع السلع المستوردة ، في كل أصقاع العالم . ولذلك استفحلا بها العمآن وكثرت فيها المانع والصنائع ، وصارت بواسطة العرب والجم (١٨٨) .

كذلك كانت انطاكية التي حصنها الخليفة المعتصم من أهم مراكز بلاد الشام التجارية بين الشرق والغرب . لا يعييها سوى وجود السفاله (١٨٩) . وكذلك كانت دمشق وبيت المقدس .

وكان مما يعيق التجارة في بلاد الشام أحيانا ، اضطراب الاحوال السياسية التي أدت للفوضى ، مع انتشار قطاع الطرق ، وسيطرة الاعراب على طرق القواقل وقيامهم بالنهب والسلب (١٩٠) ، بالإضافة الى تحويل ولاة العباسين فيها للتجار أموراً إضافية ، كدفع مكوس عند انتقالهم من جند الى آخر (١٩١) . وعلى الرغم مما ذكر ، فإن التجارة قد استمرت نشطة في بلاد الشام بسبب موقعها وثرتها ، وتوجيه خلفاء العباسين لجزء من نشاطهم لازالة العوائق عن التجارة فيها .

وكان طريق قواقل الحجاج ، التي تجتاز بلاد الشام يمر في الطريق المحاذي لبادية الشام ، وهو الذي يمر شرقاً نهراً الأردن . وبعد العودة من الحج يقوم الحجاج بزيارة بيت المقدس والمسجد الأقصى وقبر إبراهيم الخليل . وقد أدت هذه الحركة المستمرة الى انتشار السلع في أسواق دمشق . ومن المرجح ان المدن

(١٨٨) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ٣١٢ - ٣١٣

(١٨٩) - هي شعاب نابتة تحت الماء ، بينها وبين قبرص « كانت تتقطم عليها معظم السفن ، انظر آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٣٦

(١٩٠) - انظر الأمثلة عن انتشار المفوسى فيما ذكره الجاحظ : المحسن والاضداد ، ص ١٠٢ - التنوخي : الفرج بعد الشدة ، جزء ١ ، ص ١٦٣ - ابن الجوزي : المنتظم ، جزء ٥ ، قسم ثانٍ ، ص ٦٥

(١٩١) - انظر : المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٢

البحرية التي لم تكن تبعد عن سوق دمشق كثيراً مثل طرابلس وبيروت وصور وعكا ، كانت تحصل على ما تحتاج اليه من السلع من سوق دمشق ، الى جانب ما كانت تحصل عليه من البضائع نتيجة قيامها بالتجارة البحرية . كما أن دمشق أصبحت مركزاً هاماً للقوافل التجارية الآتية من آسيا الصغرى أو من العراق الى الجزيرة العربية ومصر .

كانت أسواق الفسطاط عامرة بأنواع السلع المختلفة التي ترد اليها من أنحاء البلاد المصرية ، ومن بلاد الشام والعراق والمغرب وببلاد الروم (١٩٢) .

كما أن القلزم وجده وعيذاب من أهم الموانئ التجارية على ساحل البحر الأحمر ، وكانت السلع تنقل عن طريق القلزم من الدول الأوروبية الى الشرق ، ومن اقطار الشرق الإسلامي الى اوربة ، أما جده ، فترجع أهميتها الى انها محطة الحجاج المسلمين الذين كانوا يغدون اليها عن طريق ايله والقلزم أو عن طريق عيذاب .

أما ميناء عيذاب فهو من المراكز التجارية الهامة ، وتقع على ساحل البحر الأحمر الغربي ، ولها ميناء عميق . وفيها تحصل المكوس على ما تحمله السفن الواردة من الجبسة وزنجبار واليمن ، وتنقل منها البضائع على الابل الى اسوان مجتازة الصحراء في خمسة عشر يوماً ، ومن هناك تنتقل بالسفن الى الفسطاط في النيل .

وكان لعدن شهرة تجارية فائقة بسبب موقعها ، وكانت السفن المحملة بمنتجات الدول الآسيوية والأوروبية ترسو بها ، ويسمىها المقدسي دهليز الصين ، ويحدثنا أنه سمع عنها أن من الناس من دخلها بالف درهم فرجع بالف دينار . ومنهم من دخلها بمائة فرجع بخمسيناتة .

وكانت سيراف من موانئ الخليج العربي ، وترجع شهرتها لقيامها بالتجارة

(١٩٢) - محمد جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية ، ص ١٥٠

البحرية . وقد بلغت هذه التجارة من الازدهار مبلغاً جعل من سيراف منافساً للبصرة في الغنى والثروة^(١٩٣) .

كان النشاط التجاري الداخلي يتركز في الأسواق التي تقام في كل مدينة . فقد كان لكل طائفة من التجار سوق يختص بها ، حيث يمكثون إلى ما بعد الظهر ، ثم يعودون إلى منازلهم في المساء . وكانت الحوانين في بلاد الشام تمتد على طول الشارع من الجانبين ، واتخذت الأسواق أسماء السلع التي تبيعها ، فهناك دار بيع الفاكهة والخضار التي كانت تسمى دار البطيخ ، وهناك سوق الصاغة ، وأآخر للسراجين ، وثالث للزجاجين ، وكانت أسواق دمشق من أхفل الأسواق وأحسنها انتظاماً ، وكذلك قيسariاتها . فقد كانت كل واحدة منها منفردة بضبتيها وأقفالها الجديدة ، وأبوابها مصنوعة من الحديد تشبه أبواب القصور^(١٩٤) . أما الفنادق فقد خصصت للتجار الغرباء ، وكانت أشبه بالأسواق الكبيرة . وكان التجار يضعون بضائعهم في أسفلها وينامون في أعلىها ، وينغلقون غرفهم بأقفال رومية^(١٩٥) .

كانت التجارة البحرية نشطة في هذه الفترة ، فقد كان العرب يقومون برحلات بحرية تبدأ من بغداد ، وتسير في الخليج العربي حتى تصل إلى شبه جزيرة مالقة (الملايو) وكان التجار يشجعون هذه الرحلات التي تجلب لهم توابل الهند وعطورها وحرير الصين . كما نشطت التجارة في البحر المتوسط ، وكانت مراكب المسلمين تقطع هذا البحر في ستة وثلاثين يوماً من بدئه في الغرب حتى انطاكيه^(١٩٦) .

لقد جاوز العرب جزيرة سيلان في العصر العباسي الأول ، ووصلوا إلى بلاد الصين في القرن الثاني الهجري ، وكانوا من بين الأجانب الذين فتح لهم ميناءً كانوا متون

(١٩٣) - محمد جمال الدين سرور : *الحضارة الإسلامية* ، ص ١٥٠ .

(١٩٤) - بيطرار : *المراجع السابق* ، ص ٤٦٩

(١٩٥) - محمد جمال الدين سرور : *الحضارة الإسلامية* ، ص ١٥٠

(١٩٦) - آدم هيتر : *المراجع السابق* ، جزء ٢ ، ص ٤٢٦

وسوقها ٠ وقد أثبتت بعض الفتن التي وقعت بهذه المدينة في سنة ١٤١ هـ / ٧٦٠ م وجودهم هناك ٠ فقد أخذ العرب يقومون برحلات طويلة إلى بلاد الصين ٠ وجعل ميناء سيراف الفارسي مرسى للسفن التي تأتي محملاً بيضائع الشرق الأقصى، حيث كانت تسير بمحاذة الشواطئ حتى ملبار ، رغبة منها في شحن البضائع وتغريفها في الموانئ المختلفة ٠

وقد استطاع العرب منذ أواخر القرن الثاني للهجرة أن يستقرُوا في ميناء خافوا إلى الجنوب من مدينة شنفهاي الحالية ٠ وكان لهم فيها قاض مسلم يحكم بينهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية ، ويؤمِّهم في الصلاة ، كما كانوا يتداولون التجارة مع الصينيين ، ويحصلون على جوازات تسمح لهم بالتنقل داخل البلاد للتجارة ٠ وبعد أن ساعت أحوال الصين بسبب الفتن والثورات ، انتقل هؤلاء التجار إلى شبه جزيرة مالقة ، وهكذا فان العرب وصلوا في تجارتِهم إلى الهند الصينية والصين في كثير من الأحيان ، ولا يبعد أن يكون بعضهم قد وصل إلى كوريا ٠ وكانت الرحلة من الساحل العربي إلى ساحل الهند الغربي تستغرق مدة تتراوح بين شهرين وثلاثة أشهر ، وقد تستغرق شهراً واحداً إذا ساعدتها الريح (١٩٧) وقد كانت تجارة الحرير هي الدافع الأساسي لرحلات التجار إلى الصين ٠ فلما انتشر هذا النوع في شمال فارس ، قل مسیر القوافل إلى بلاد الصين (١٩٨) ٠

وقد كانت السلع تأتي من جميع ارجاء العالم إلى العراق ، فحملت الآية من الهند ، وال الحديد من خراسان ، والرصاص من كرمان ، والنسيج الملون من كشمير ، والعود والمسك والسروج والدار صيني من الصين ، والعطر وأنواع الطيب من اليمن ، والسلاح والمصوغات من فارس ، واللائىء من عيداب ، والخيزان والكافور والعود والقرنفل والتارجيل والثيابقطنية والقبيلة من الهند والسندي ، والياقوت واللناس من سرندليب ، والجلود والرقيق من بلاد الروم ، والفاكهة والسلاح والحديد

(١٩٧) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١٥ .

(١٩٨) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١٨ .

من بلاد الشام ، وجلود الثعالب من روسية . كذلك فقد وجدت بين بلاد اليمن والحجاز والجشة ومصر وآسية الصغرى علاقات تجارية . فكان زمرد ساحل الهند الشرقي ينقل الى المغرب عن طريق عدن ومكة ، وكان بالمقابل زمرد مصر العليان وناب الفيل من الجشة يطلب من امراء الشرق الاقصى .

وكان المسلمون في العصر العباسي الاول يصدرون الجنطة والارز والفاكهة وزهور مازنдан المشهورة والسكر والزجاج والحرير والاقمشة الصوفية والكتانية والحريرية والزيت والعطور كماء الورد والزعفران وماه السوس وزيت البنفسج (١٩٩) .

وقد عني العباسيون بتنظيم التجارة فعهدوا الى المحتسب مراقبة الاسواق والاشراف على الموزعين والمكاييل ، ومراقبة اثمان الحاجيات منعا للفسح او ابتزاز اموال الاهلين (٢٠٠) .

وقد ساعدت طرق التجارة على انتعاش التجارة ، وسهلت على التجار نقل بضائعهم ، ومن أشهر طرق التجارة :

١ - الطريق البحري من غرب اوربا الى المشرق مارا بمصر ، حيث تحمل المنتجات على الدواب الى القلزم ، ومنه تنقل عبر البحر الاحمر مرورا بموانئ الهاامة مثل جدة . ويتجه حتى السند والهند والصين .

٢ - الطريق التجاري بين بلاد الروس والشرق عن طريق بحر قزوين ، ومنه تنقل التجارة الى بخارى وسمرقند ببلاد ماوراء النهر ومنها الى الصين .

٣ - الطريق التجاري الذي يسير من المنطقة الواقعة عند مصب نهر السند نحو داخل فارس مارا بولاية سجستان ، والى الشمال من هذا الطريق كانت

(١٩٩) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٢٠٠) - جميل نخلة : حضارة الاسلام في داد السلام ، ص ١١٦ - ١١٧ .

قوافل البنجاب تنقل مقادير كبيرة من البضائع عبر هضاب أفغانستان وتوصلها إلى كابل وغزنة وغيرها . ومن هنا كانت القوافل تسير نحو خراسان غربا وبخارى شمالا .

٤ - الطريق البري من غرب أوروبا إلى المشرق ، ويبدأ من بلاد الأندلس إلى طنجة عبر مضيق جبل طارق ، مجتازاً المغرب الاقصى والوسط والأدنى عن طريق افريقيا حتى يصل إلى مصر . ثم يتجه إلى بلاد الشام مارا بالرملة ودمشق . ثم إلى العراق مارا بالكوفة وبغداد والبصرة ، ثم إلى فارس مارا بالاهواز ، ثم إلى كرماد والهند والصين^(٢٠١) .

حظيت الجاليات الإسلامية التي توطنت في مناطق غير إسلامية بسبب التجارة بمكانته محترمة . كما كان لاشتغال المسلمين بالتجارة أثر كبير في حياتهم العامة سواء أكان من الناحية الاقتصادية أم الاجتماعية ، فمن الناحية الاقتصادية كانت التجارة مصدر ثروة لعدد كبير من الناس واتبعهم . ومن الناحية الاجتماعية ساعدت التجارة على وفود كثير من الأرقاء من الأصناف المختلفة إلى الدولة العربية الإسلامية .

وكان لعانياً الخلفاء بالتجارة واهتمامهم بتسهيل طرقها البرية والبحرية أثره في تمهيد السبيل أمام الرحالة . كذلك ربطت التجارة بين الأقطار الإسلامية ربطاً محكماً . فقلما كان يخلو ركب من التجار من أن يصحبهم بعض العلماء لطلب العلم وخاصة الحديث . وفضلاً عما تقدم ، فإن التجارة كانت تغذي الفقهاء بالمسائل الكثيرة التي تعرض للتجار ، ولم تكن معروفة من قبل . ذلك أن أعمال التجار وما يصادفونه في حياتهم كانت مبعث استئلة توجه إلى الفقهاء ليبحثوا ويجيبوا عنها^(٢٠٢) .

٤ - الحياة الفكرية :

نمت الحياة الفكرية نمواً مطرداً في العصر العباسي . وكان لهذا النمو أسباب متعددة يأتى على رأسها :

(٢٠١) - محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٤٨ - ١٥٠ .

(٢٠٢) - محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

١ — دعوة الاسلام الى المعرفة ، وحضه على التعلم ، وتشجيعه على الثقافة .
ولقد تمثل ذلك بالكثير من آيات القرآن^(٢٠٣) .

٢ — كانت الدعوة الى الاسلام في الفترة الاولى مبنية على التأمل والتفكير في الكون ، وكان ذلك كافيا في كثير من الاحيان الى جذب عدد كبير الى الاسلام .
وما لبث العرب بعد ان اختلطوا بالامم الاخرى ، واحتاجوا الى دعوة هؤلاء الى الاسلام لأن عملوا على استخدام العقل والمنطق في دعوتهم ، اسوة بما يفعل أهل الديانات الاخرى ، فاستندت الدعوة الدينية الى علم الكلام ، وتأثير تفسير القرآن وتفسير الحديث والتشريع بهذا الاثر الفلسفى ، واذا كان هذا في العلوم الدينية فلامر في العلوم الدنيوية أكثر وضوها ، فالطب والرياضه والهيهه وغيرها قد اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال العلماء وبراهين المنطق^(٢٠٤) .

٣ — حركة الترجمة من اليونانية والفارسية وغيرها الى العربية ، كان لها اثر كبير في امتزاج الثقافات وتقدم الحياة الفكرية^(٢٠٥) .

و قبل الخوض في غمار الحياة الفكرية في العصر العباسي لابد من مقدمة توضح فيها السمات العامة للحياة الفكرية في العهد الاموي .

فقد ساد العلم الديني في العصر الاموي ونواته القرآن والحديث . وأضيف عليه في العصر العباسي نواة اخرى تجمعت حولها العلوم الدينية أو التجريبية وهي نواة الطب . فحول هذه الدراسة تكونت دراسة الطبيعة والكيمياء وغيرها^(٢٠٦) .
وقد عبر ابن خلدون عن هذين النوعين من العلوم تعيرا صادقا حين قال : ان العلوم صنفان صنف طبيعى للانسان يهتدى اليه بفکره، وصنف تقلي يأخذه عنمن وضعه^(٢٠٧)

(٢٠٤) — الشكعة : المرجع السابق ، ص ١٠٩

(٢٠٤) — احمد امين : ضئع الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٩

(٢٠٥) — عن حركة الترجمة . انظر الشكعة : المرجع السابق ، ص ١٤٠ - ١٤٥

(٢٠٦) — احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٢

(٢٠٧) — مقدمة ، ص ٣٦٣

وقد وضع في العصر العباسي أسس كل العلوم تقريباً ، فقل أن نرى علماء إسلامياً نشأوا بعد ذلك . فقد وضع في هذا العصر تفسير القرآن وجمع الحديث ووضعت علوماً ، ووضع علم النحو ، ووضعت كتب اللغة ، كما وضع علم العروض ، دونت أشعار العرب في المعلقات التي دونها حماد الرواية ، والفضليات التي دونها المفضل الضبي ، والاصنعيات التي دونها الأصمعي ، وضع الباحث أساس الكتب الادبية ، وهذا حدث ابن قتيبة والمبرد وغيرهما . ودون الفقه على يد الأئمة وتلاميذهم ، ودون التاريخ كذلك . وترجمت كتب الفلسفة من منطق ورياضية وهيئة وطب وغيرهما . وببدأ العلماء يؤلفون فيها^(٢٠٨) . وقد كان من أسباب تقدم العلوم في العصر العباسي انتقال الدولة العباسية إلى العراق ، وما تبع عنه من اختلاط الأمم الإسلامية بعضها بالبعض مما أدى إلى الأخذ والعطاء . بالإضافة للحرية التي اعطيت للأمم الإسلامية في هذا العصر ، والتي أدت إلى تفتق الذهن والخيال . فوق ذلك ، فإن عامل الزمن كان له دور كبير ، فقد مر على ظهور الإسلام قرن وثلث القرن . يضاف إلى ذلك كثرة مصانع الورق ونشاطها ، ورخص أثمان منتجاتها . وقد أدى وجود الورق والكتابة فيه ، إلى نشوء صناعة الوراقه وهي نسخ الكتب وتصحيفها وانتشار دكاكين الوراقين . إلى جانب سعة رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثروتها ، ورواج تجاراتها . وقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل ، حتى لقد بدا أن الناس جميعاً قد غدوا طلاباً للعلم وانصاراً لبلاد^(٢٠٩) .

كانت معاهد الثقافة تمثل في المسجد ، حيث كان علماء التفسير والحديث يتذمرون مقراً لهم^(٢١٠) . ثم اضيفت إليه الزاوية والمدارس والمدارستان والمكتبات . ومن أشهر المدارس بيت الحكمة التي أنشأها العباسيون بمختلف الكتب^(٢١١) . وظلت هذه

(٢٠٨) - انظر فيما سبق .

(٢٠٩) - انظر فيما سبق

(٢١٠) - ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جزء ١ ، ص ٤٥٧

(٢١١) - ابن التديم : الفهرست ، ص ٢٤٣

الخزانة قائمة حتى استولى التتار على بغداد سنة ٦٥٦ هـ والى جانبها نشأت مكتبات اخرى هامة .

ولنبذأ يبحث العلوم المختلفة التي سادت في العصر العباسي والقاء نظرة سريعة عليها ، وهي :

آ - العلوم الدينية :

علم القراءات : عني العباسيون بعلم القراءات الذي يعتبر المرحلة الاولى لتفسير القرآن الكريم (٢١٢) . وقد وجدت على مر الزمن سبع قراءات تمثل كل واحدة منها مدرسة مترفة بها ، وما لبث عدد القراءات ان ازداد ، ويرجع اكثر الاختلافات في القراءات الى رجال عاشوا في القرن الاول كابن عباس وعثمان بن عفان وابنه أبأن ، والى قراء معترف بهم كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب .

ومن أشهر القراء في العصر العباسي الاول يحيى بن الحارث الذماري (ت ١٤٥هـ) وحمزة بن حبيب الزيارات (ت ١٥٦هـ) وأبو عبد الرحمن المقرئ (ت ١٣٢هـ) .

ـ التفسير :

لاريب أن العرب الذين عاصروا نزول الوحي أدركوا معانيه ، ووقفوا على الاسباب التي أدت الى نزول الآيات القرآنية . غير أن الامم الاسلامية الأخرى كان يصعب عليها ادراك معاني الآيات والظروف التي أحاطت بنزولها ، ولهذا نشأ علم التفسير .

وقد اتجه المسلمون في تفسير القرآن اتجاهين ، يعرف أولهما باسم التفسير بالتأثر ، وهو ما أثر عن الرسول وكبار الصحابة . ومن أشهر مفسري هذا النوع

(٢١٢) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٢٤

(٢١٣) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٢٥

محمد بن جرير الطبرى وابن عطية الاندلسي ، والقرطبي . أما النوع الثاني فيعرف باسم التفسير بالرأي ، وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل . ومن أشهر مفسري هذا النوع المعتزلة والباطنية . وقد فسروا بعض الآيات القرآنية تفسيراً يتفق مع مبادئهم العقلية^(٢١٤) . ومن أشهر المفسرين في هذا العصر مقاتل بن سليمان الازدي (ت ١٥٠ هـ)^(٢١٥) . وأشهر كتب التفسير التي وصلت إلينا تفسير الطبرى ، الذى يمتاز بتحرى الدقة في النقل عن الرسول والصحابة والتابعين^(٢١٦) .

— الحديث :

هو أحد أصلين قام عليهما التشريع الإسلامى ، وهو يلي القرآن في الأهمية . وكان له رجال عرفوا باسم المحدثين . ومن مصادر الحديث ، صحيح البخاري^(٢١٧) . وصحيح مسلم ، السنن لأبي داود ، والجامع للترمذى ، والسنن للنسائي .

كانت علوم الحديث كثيرة . فمنها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه، وهو أصعبها وذلك لمعرفة الحقيقة حين يتعارض الخبران بالمعنى والآيات ، ويتعذر الجمع بينهما بعض التأويل . وإذا تعين تقدم أحدهما ، تقرر أن المتأخر ناسخ^(٢١٨) . ومنها النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط ، ومعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط ، وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتدعيلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة^(٢١٩) . وكذلك مراتب النقلة من الصحابة والتابعين ، وتفاوتهم في ذلك ، وتمييزهم فيه واحداً واحداً . وكذلك تفاوت الأسانيد باتصالها وانقطاعها . وبالتالي فإنهم وصلوا إلى تصنيف الأحاديث

(٢١٤) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠

(٢١٥) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٢٦

(٢١٦) - جولدتسىير : المذاهب الإسلامية ، ص ٨٥ - ٨٦

(٢١٧) - انظر حوله مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٠٨

(٢١٨) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٠٥

(٢١٩) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٠٦

في مراتب ، فكان الصحيح منها والحسن والضعف ، والمرسل والمنقطع والمعرض
والشاذ والغريب وغير ذلك (٢٢٠) .

— الفقه :

هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والหظر والندب
والكرامة والاباحة ، وهي متلقة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لعرفتها
من الأدلة . فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه (٢٢١) .

انقسم الفقه إلى طريقتين ، طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق ،
وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز . وكان على رأس أئمة الفريق الأول ،
الإمام أبو حنيفة النعمان وعلى رأس أئمة الفريق الثاني الإمام مالك ، والإمام أحمد
ابن حنبل . أما الإمام الشافعي ، فقد كان مذهبه وسطاً بين الفريقين . وقد ظهرت
مذاهب أخرى لم يقدر لها الاستقرار والذيع امام هذه المذاهب الاربعة (٢٢٢) .
منها مذهب الظاهيرية وصاحبها داود بن علي وابنه ، توفي الأول ٢٧٠ هـ والثاني
٣٩٧ هـ (٢٢٣) ومذهب الأوزاعية ، ومذهب سفيان الثوري ومذهب اسحق بن راهوية
المتوفى سنة ٢٤٠ هـ وعلى مر الزمن تلاشت هذه المذاهب ، وأصبحت السيادة
للمذاهب الاربعة . ووقف الاجتئاد عند هؤلاء الاربعة (٢٢٤) . أما الشيعة فقد
انفردوا بفهمهم وتناولوا بعض أئمة المذاهب بالقبح ، وقالوا بعصمة الأئمة ورفعوا
الخلاف عن أقوالهم (٢٢٥) .

ومن أشهر كتب الفقه التي وصلت إلى أيدينا كتاب الموطأ للإمام مالك . وله
الي جانب هذا الكتاب مجموعة رسائل جمعها تلميذه أسد بن الفرات النيسابوري ،
وتشتمل على نحو ست وثلاثين ألف مسألة . وكتاب الإمام الشافعي .

أبي خليون : مقدمة ، ص ٤٦

... ابن إبراهيم حسن : الرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ٤٤٨

(١) ... أبي خليون : مقدمة ، ص ٤١١

(٢) ... خليان : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢١٠ و ٢٧٥

(٣) ... مقدمة أبي خليون : ص ٤٢١ حول ذلك الامر وسيبيه

(٤) ... خليون : مقدمة ص ٤١١

- علم الكلام ((المعتزلة))

هو البحث في أمور العقيدة الإسلامية مثل توحيد الله ، والكلام في ذاته سبحانه وتعالى ، وصفاته وأفعاله ، ثم الكلام في الانبياء والرسل . ويتناول كثير من كتب علم الكلام مسائل عصمة الرسل والأمامية . وقد يعرض هذا العلم لمسائل غبية كالبعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك ، ثم يعرض هذه المسائل على مقاييس العقل والمنطق في معرض جدلٍ كلامي منطقي .

يعد علم الكلام أساس الفلسفة الإسلامية . كما يعتبر وليد النهضة الثقافية الإسلامية التي تأثرت بثقافات اليونان والفرس والسريان في العصر العباسي الأول (٣٢٦) . ويمكن أن نجمل أسباب شوئه بما يلي :

١ - أسباب داخلية نبعت من طبيعة الإسلام والمسلمين ، تتحضر في شعور المسلمين ، بأن الله تعالى سمح لرسوله بالرد على المشركين ومجادلتهم والتي هي أحسن . فلم لا يسيروا على هديه ، ويزدوا على الخالفين لهم بحجج مقنعة تناسب مع قوة طعن مخالفاتهم .

٢ - أسباب خارجية : تتجسد في تفاعل المسلمين مع الثقافات الأجنبية ، وتأثيرهم بها إلى جانب تأثيرهم بالديانات الأخرى السائدة . فنتيجة عن ذلك ، أن عقل المسلمين أخذ يفسف الدين ، ويصبح مسائله بصبغة علمية فلسفية .

وقد حمل المعتزلة لواء علم الكلام الذي سيطر على الفكر الإسلامي حيناً من الدهر . ومن أشهر متكلمي المعتزلة واصل بن عطاء (٨٠ - ١٨١ھ) وعمرو بن هميد (٨٠ - ١٤٤ھ) وكلاهما تلميذ للحسن البصري (٢٢٧) . وأبو الهذيل العلاف المتوفى سنة ٥٢٣ھ . ويعتبر النظام صاحب منزلة لا تداني في عصره ، وهو من تلاميذ العلاف (ت ٢٣١ھ) ، وقد تعلم الجاحظ عليه (٢٢٨) .

(٢٢٦) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٢٨

(٢٢٧) - الشكمة : المرجع السابق ، من ١١٧

(٢٢٨) - أحمد أمين : فضحي الإسلام ، جزء ٣ ، ص ٩٧ - ٢٠٧

وقد رويت روايات متعددة عن نشأة فرقـة المـعتزلـه ، بعضـها يجعلـ نشوـء هـذه الفـرقـة يعودـ إلى فـترة اـسلامـية مـبـكرة ، وبـعـضـها يـرـدـها إلى نـهاـية العـصـر الـامـوي وـمن تـلـكـ الروـاـيـات ، ما يـرـوى من انهـ فيـ مجلسـ لـلـحـسـنـ الـبـصـري ، يـضمـ تـلمـيـذـيهـ واـصلـ ابنـ عـطـاءـ ، وـعـمـرـ بـنـ عـبـيدـ ، نـوـقـشـ رـأـيـ الخـوارـجـ بـانـ مـرـتكـبـيـ الـكـبـيرـ يـعـتـبرـونـ كـفـارـ ، فـأـبـدـيـ الـحـسـنـ الـبـصـريـ رـأـيـهـ ، فـقـالـ : انـهـمـ مـؤـمـنـونـ ، وـانـ فـسـقـواـ بـالـكـبـارـ ، وـانـماـ يـلـقـونـ حـسـابـهـمـ عـلـىـ ذـنـوبـهـمـ ، فـأـبـرـىـ وـاـصـلـ بـنـ عـطـاءـ لـاـبـدـاءـ رـأـيـهـ فـيـ ذـلـكـ ، فـقـالـ : اـنـ الـفـاسـقـ مـنـ هـذـهـ الـاـمـةـ لـيـسـ بـمـؤـمـنـ وـلـيـسـ بـكـافـرـ ، بلـ فـيـ مـنـزـلـةـ بـيـنـ الـمـزـلـتـينـ ، فـطـرـدـ الـحـسـنـ مـنـ مـجـلـسـهـ ، فـاعـتـرـلـ عـنـهـ ، ثـمـ تـبـعـهـ عـمـرـ بـنـ عـبـيدـ ، فـقـيلـ لـهـماـ وـلـاـتـبـاعـهـمـاـ مـعـتـزـلـهـ)٢٢٩(.

ينقسمـ المـعـتـزـلـهـ إـلـىـ قـسـمـيـنـ كـبـيرـيـنـ يـنـتـسـبـ أـحـدـاهـمـ إـلـىـ الـبـصـرـةـ ، وـالـآـخـرـ إـلـىـ بـغـدـادـ . وـكـانـ الـحـسـنـ الـبـصـريـ عـلـىـ رـأـيـ فـرعـ الـبـصـرـةـ)٢٣٠(وـمـنـ تـلـامـيـذـهـ وـاـصـلـ بـنـ عـطـاءـ)٢٣١(، وـعـمـرـ بـنـ عـبـيدـ)٢٣٢(، وـأـبـوـ الـهـذـيلـ الـعـلـافـ)٢٣٣(، وـالـنـظـامـ)٢٣٤(، وـالـجـاحـظـ)٢٣٥(. اـمـاـ فـرعـ بـغـدـادـ ، وـيـأـتـيـ زـمـانـيـاـ فـيـ الـدـرـجـةـ الثـانـيـةـ بـعـدـ فـرعـ الـبـصـرـةـ ، فـقـدـ كـانـ عـلـىـ رـأـيـهـ بـشـرـ بـنـ الـمـعـتـمـرـ)٢٣٦(وـأـبـوـ مـوسـىـ الـمـرـدـارـ ، وـعـمـرـ بـنـ عـبـادـ)٢٣٧(، وـأـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ دـؤـادـ)٢٣٨(.

وقدـ اـشـتـرـكـ المـعـتـزـلـهـ بـمـبـادـيـءـ عـامـةـ ، عـرـفـتـ باـسـمـ أـصـولـ المـعـتـزـلـهـ وـهـيـ :

(٢٢٩) - الشـكـةـ : المـرـجـعـ السـابـقـ ، صـ ١١٧

(٢٣٠) - الشـهـرـسـتـانـيـ : المـصـدـرـ السـابـقـ ، جـزـءـ ٢ـ ، صـ ٥٧

(٢٣١) - الشـهـرـسـتـانـيـ : المـصـدـرـ السـابـقـ ، جـزـءـ ١ـ ، صـ ٥٨ـ ـ ٥٩ـ

(٢٣٢) - الشـهـرـسـتـانـيـ : المـصـدـرـ السـابـقـ ، جـزـءـ ١ـ ، صـ ٦٢ـ

(٢٣٣) - الشـهـرـسـتـانـيـ : المـصـدـرـ السـابـقـ ، جـزـءـ ١ـ ، صـ ٦٢ـ ـ ٦٥ـ

(٢٣٤) - الشـهـرـسـتـانـيـ : المـصـدـرـ السـابـقـ ، جـزـءـ ١ـ ، صـ ٦٢ـ

(٢٣٥) - الشـهـرـسـتـانـيـ : المـصـدـرـ السـابـقـ ، جـزـءـ ١ـ ، صـ ٩٤ـ ـ ٩٦ـ

(٢٣٦) - الشـهـرـسـتـانـيـ : المـصـدـرـ السـابـقـ ، جـزـءـ ١ـ ، صـ ٨١ـ

(٢٣٧) - الشـهـرـسـتـانـيـ : المـصـدـرـ السـابـقـ ، جـزـءـ ١ـ ، صـ ٨٢ـ ـ ٨٨ـ

(٢٣٨) - أـبـنـ خـلـكـانـ : المـصـدـرـ السـابـقـ ، جـزـءـ ١ـ ، صـ ٢١ـ

١ - القول بالتوحيد ٢ - القول بالعدل ٣ - القول بالوعد والوعيد

٤ - القول بالعزلة بين المزلتين ٥ - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢٣٩)

وقد ناهض أهل السنة المعتزلة^(٢٤٠) ، ذلك لأنهم رأوا الوقوف عند النص دون التأويل • وقد يكون ذلك منهم لأنهم كانوا يرون أن معرفة صفات الله وذاته فوق العقل البشري • وبذلك يكون جوهر الخلاف بين الفريقين في سلطة العقل ومداها وحدودها^(٢٤١) •

ان التوحيد من أهم مبادئ المعتزلة ، وهو امر امتاز به المسلمين جميعا • ولكن المعتزلة فلسفوا هذا الامر ، بمعنى انهم استمسكوا بآيات التنزيه ، وشرحوها وحللوها تحليلا فلسفيا •

في مسألة رؤية الله بالابصار ، صح لديهم بالادلة العقلية والنقلية ، عدم امكان الرؤيا الا بالقلب • وفي مسألة صفات الله ، قالوا ان ذات الله وصفاته شيء واحد لا يلحقها تغير ، ولا تقوم بها محدثات^(٢٤٢) •

وكان طبيعيا بعد ان اثيرت هذه المسائل ان تثار مسألة تتصل بها أشد الاتصال ، وهي مسألة كلام الله وخلق القرآن • وهي أبرز أمر كان في تاريخ المعتزلة ، لما اتصل بها من أحداث تاريخية واجتماعية وسياسية • وقالوا حول ذلك ان القرآن نوع من الكلام الذي يخلقه الله ، وانما سمي كلام الله لانه خلق الله من غير واسطة^(٢٤٣) • وقد ناهض المعتزلة في القول بخلق القرآن آهل السنة أو السلف^(٢٤٤) • حتى استطاع ابو الحسن الاشعري حل النزاع حول خلق القرآن ،

(٢٣٩) - الاشعري : مقالات الاسلاميين ، ص ٥٥ : ١ - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٨

(٢٤٠) - المقدمة ، ص ٤٩

(٢٤١) - احمد أمين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٩ - ٤٠

(٢٤٢) - المقدمة ، ص ٤٩ - الشهريستاني : الملل والنحل ، جزء ١ ، ص ٥٥ وص ٦٣

(٢٤٣) - احمد أمين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٦

(٢٤٤) - ابن خلدون : مقدمة : ص ٤٩

و عمل على التقريب بين تعاليم الدين و مبادئ العقل ، فهو صاحب مبدأ بلا كيف الذي يقضي باطاعة اوامر الدين ، والعمل بها دون ممانعة او مناقشة .

اما الاصل الثاني وهو العدل ، فهو من اهم اصول المعتزلة مع التوحيد ، حتى ان المعتزلة عرروا باسم اهل العدل والتوحيد^(٢٤٥) . و حين بحثوا في عدل الله ، وصلوا الى :

آ - ان الله يسير بالخلق الى غاية ، و انه يريد خير ما يكون لخلقه .

ب - ان الله لا يريد الشر ولا يأمر به .

ج - ان الله لم يخلق أفعال العباد لـ خيرا ولا شرا . و ان ارادة الانسان حرية . والانسان خالق افعاله ومن أجل ذلك كان مثابا على الخير ماعقب على الشر^(٢٤٦) .
يعنى أن الانسان حر الارادة ، والله حكيم عادل . ولا يجوز ان يريد من العباد خلاف ما يأمر به ، ثم يحكم عليهم ويعاقبهم . فالله خلق أمام الانسان الخير والشر ، والكفر والطاعة ، والايمان والمعصية وخيره^(٢٤٧) . ولو كان الله يريد الكفر للكافر ، والمعصية للعاصي مانهاء عن الكفر والعصيان . ويجب أن يدرك الانسان أن الامور تتحوي على صفات ذاتية تجعلها حسنة أو قبيحة ، والشرع حين يأمر يفعل شيء لأنه حسن بالعقل ، و حين ينهى عن آخر لأنه قبيح بالعقل أيضا . وبالتالي فقد خالف المعتزلة الجبرية ، الذين يرون بأن الانسان مجبر^(٢٤٨) .

و قد أثارت مسألة خلق الافعال عند المعتزلة و خصومهم مسائل كثيرة متفرعة ،

(٢٤٥) - الشهريستاني : الملل والنحل ، جزء ١ ، ص ٥٤

(٢٤٦) - الشهريستاني : المصدر السابق جزء ١ ، ص ٥٥ - ٥٦ - احمد امين : المرجع السابق « جزء ٣ » ص ٤٥

(٢٤٧) - الشهريستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٣ - المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ١٩٠ - ١٩١

(٢٤٨) - احمد امين : فضحي الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٥٤ - ٥٥

لن نطيل الحديث عنها . منها مسألة التولد ، أي الاعمال التي تتولد عن العمل الاصلي . ومسألة الاشياء التي تحدث عن السبب الاول ، فهل تعزى اليه . وكذلك بحثوا في العلاقة بين السبب والسبب ، وأيهما موجود اولاً^(٢٤٩) .

أما الاصل الثالث وهو الوعد والوعيد ، فذلك ناقبه المعتزلة ووصلوا الى أن اليمان بالله هو معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح . وأن كل عمل فرضاً كان أو فعلاً فهو ايمان . وكلما ازداد الانسان خيراً ازداد ايماناً^(٢٥٠) ، والكافر هو عكس ذلك . وعدل الله وصدقه يؤدي إلى أن يكون صادقاً في وعده ووعيده، فيعاقب من أساء على ذنبه ، ويجزي من أحسن على عمله . والله لا يغفر لمن فعل ذنبًا أو اثماً كبيراً ، على حين قد يغفر الذنوب الصغيرة . ويقودنا تصنيف الاعمال في زمرة الى الاصل الرابع من أصول المعتزلة الا وهو المزللة بين المزلتين .

رأى المعتزلة ان مرتكبي الكبيرة من المؤمنين لا يخلدون في النار لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . ومرتكب الكبيرة مؤمن ، واكنته فعل شراً فيعاقب على الشر الكبير . وهو بذلك في منزلة بين الكفري والإيمان^(٢٥١) .

٥ - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهو تكليف للمؤمنين بالجهاد واقامة حكم الله على كل من خالف امره او نهيءه سواء أكان كافراً أم فاسقاً^(٢٥٢) . وهذا الاصل اسلامي معروف ، ورد في آية قرآنية واضحة التعبير . ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المشرك ، واولئك هي المفلحون^(٢٥٣)

(٢٤٩) - احمد امين : صحى الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٥٨ - ٦٠

(٢٥٠) - ابن حزم : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٨٨ - ١٨٩

- الشهريستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٢ - ٥٣

(٢٥١) - الشهريستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٦٠ - ٦١

(٢٥٢) - السعودي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٩٠ - ١٩١

(٢٥٣) - آل عمران آية ١٠٤ .

اختلف المسلمون حول قضية الامر بالمعروف والنهي عن المكروه ، هل يكفيها العمل بالقلب واللسان اذا لم يقدر الانسان ان يفعل اكثر من ذلك ، ام يجب اذن بجihad ويقوم الامر بيده . وقد رأى المعتزلة في ذلك ان الامر بالمعروف ممكن بالقلب وباللسان ان كفى ، وان لم يكف فباليد ، والا فالبسيف . ولم ينل هذا المبدأ من الشرح ما نالته المبادئ السابقة ، وذلك لمساسه بالسياسة .

كان عدد معتقلي مذهب الاعتزاز قلة في باديء الامر ، الا انهم ازدادوا عدداً ومكانته في الدور الاول من العصر العباسي ، سيمما بعد ان اتخذه المؤمنون مذهب رسمياً للدولة . والزم الناس بالقول بخلق القرآن . وعقد مجالس المناظرة من أجل نشره ، ومن لم يقل بخلق القرآن من كبار الشخصيات كان مصيره السجن أو القتل^(٢٥٤) . ويبدو أن ثقافة المؤمن الواسعة ، وما حمله من ثقافات عصره بما في ذلك الفلسفة ، جعله يرى رأي المعتزلة ، ويقول بخلق القرآن ويوصي أخاه المعتصم بالسيير على هديه . ويؤخذ على المؤمن العالم فرض ما اعتنقه على الناس بالقوة . سار المعتصم والواثق من بعده سيرة المؤمن^(٢٥٥) . على حين عاد المتوكل الى السنة ، واضطهد المعتزلة فضعف شأنهم^(٢٥٦) . ولكن نصر السنة الاكبر كان على يد ابي الحسن الاشعري ، الذي تربى بين أحضان مذهب المعتزلة . ثم رفض تعاليمهم ، بعد ان تسليح بالأسلحة المنطقية التي أمدوه بها ، وحاربهم بها بقية حياته ، وقوض دعائم نظرياتهم ، وأعاد لآيمان السلف منزلته . وكان ظهوره نهاية لامر المعتزلة^(٢٥٧) .

يبدو على هذا الشكل أن المعتزلة كان لهم ككل الفرق الأخرى في الفترة بين بداية القرن الثاني حتى منتصف القرن الثالث دعوة يجوبون ويعملون على نشر مبادئهم ، ونشطوا من أجل ذلك من أقصى المشرق الى أقصى المغرب^(٢٥٨)

(٢٥٤) - انظر تفاصيل ذلك في المزيدي : المصدر السابق ، ورقة ١٢٤ وج ٤

(٢٥٥) - المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٩ .

(٢٥٦) - المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٨٨ . - أمين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٨ .

(٢٥٧) - حتى : تاريخ العرب ، جزء ٢ ، ص ٥١٨ - ٥١٩ .

(٢٥٨) - احمد أمين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

هذا ولا بد من القول ان تعاليم المعتزلة كان لها أثر كبير في النهضة الثقافية في العصر العباسي الأول ٠

ب - علوم اللغة العربية

ـ النحو ـ

رأى أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي ، وأن أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٠ وقال بعضهم رسم النحو نصر بن عاصم ، كما قيل أن عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية ٠ وعلى الغالب فإن أبو الأسود الدؤلي هو واضح هذا العلم (٢٥٩) ٠

نشأ علم النحو في مدینيتي البصرة والكوفة اللتين صارتتا من أهم مراكز الثقافة في القرن الأول الهجري وكان يقيم في هاتين المدینتين جالية تنسب إلى قبائل عربية مختلفة ، ذات لهجات متعددة ، وآلاف من الصناع والموالي الذين كانوا يتكلمون الفارسية ٠ ومن ثم تعرضت العبارات العربية السليمة إلى الفساد ، ودعت الضرورة إلى تقويم اللسان العربي ٠

نهض أبو الأسود الدؤلي لوضع أساس مدرسة البصرة التي تعتبر أقدم من مدرسة الكوفة ، وأكثر شهرة منها ٠ وتأثرت هذه المدرسة ، بالمنطق أكثر من مثيلتها ، حتى سمي نحاة البصرة أهل المنطق (٢٦٠) ٠

ويبدو أن وجود المذاهب الفلسفية في البصرة قد أثر على النحاة فيها ٠ وربما كان من أهم الفروق بين المدرستين ، أن مدرسة البصرة رأت وضع قواعد عامة للغة في الرفع والنصب والجر والجزم ونحوها تلتزمها وتسير عليها في دقة وحزم ، على الرغم من وجود مسائل لاتتطبق عليها القاعدة العامة ٠ على حين أن الكوفيين ، رأوا أن يحترموا كل ماجاء عن العرب ، وأجازوا للناس أن يستعملوا استعمالهم (٢٦١) ٠

(٢٥٩) - ابن النديم : الفهرست ، ص ٥٩ - ٦٠ ٠

(٢٦٠) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٨ - ٣٥٥ ٠

(٢٦١) - احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ٠

أشهر علماء البصرة أبو عمر بن العلاء ، والخليل بن أحمد صاحب كتاب العين الذي يعتبر أول معجم وضع في اللغة العربية ، مرتب على الحروف الهجائية . أما سيبوبيه الفارسي صاحب الكتاب الذي يعرف باسمه كتاب سيبوبيه ، فهو يجمع القواعد التي اتتهت إليها مدرسة البصرة منذ عهد أبي الأسود الدؤلي (٢٦٢) . حتى أن علم النحو استمر على ما وضعيه سيبوبيه ، وكل ما جرى بعده هو شرح لغامض أو اختصار لمطول (٢٦٣) . ومنهم أيضاً الأصمي وأبو عبيدة ، وقد تألق نجمهما في عهد هارون الرشيد . والبرد صاحب كتاب الكامل الذي توفي بعد ذلك بقرن (٢٦٤) . وإلى جانب هؤلاء يمكن القول إن هناك بعض من أخذ عن الدؤلي أمثال يحيى بن يعمر ، وعنبسة بن معدان ، وميمون بن الأقرن ، ونصر بن عاصم (٢٦٥) .

ومن أشهر علماء الكوفة في النحو الكسائي العالم الفارسي الذي عهد إليه الخليفة هارون الرشيد بتهذيب ولدية الأمين والمأمون ، وهو أحد القراء السبعة ، وتلميذه لفراء ، والمفضل الضبي الذي صنف كتابه المفضليات وأهداه إلى الخليفة الماهدي (٢٦٦) .

وقد وضعت في اللغة والنحو كتب عديدة عدا ما ذكر منها كتاب جمهرة اللغة لابن دريد ، والبارع في اللغة لابي علي القالي . وكتاب الامالي في اللغة والادب (٢٦٧) . وقد انتظم علم النحو على يد عالمين هما ابن مالك وابن هشام وكلاهما قد اهتم بتنظيم المادة لا تحديدها (٢٦٨) . كما ألقت كتب كثيرة في الاشتقاد والتصريف ، فكان أبو علي الفارسي ، وتلميذه ابن جني صاحب الخصائص (٢٦٩) .

(٢٦٢) - ابن خلkan : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٠ .

(٢٦٣) - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٢٦٤) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٣٩ .

(٢٦٥) - ابن التديم : الفهرست ، ص ٦٢ .

(٢٦٦) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٣٩ .

(٢٦٧) - ابن خلkan : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٩٠ - ٤٩٦ .

(٢٦٨) - احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٢٦٩) - الشعابي : يتيمة المهر ، جزء ١ ، ص ٨٩ .

ومما يلاحظ أن اللغة والنحو وضعت أنسها في العراق^(٢٧٠) . وقد احتمل علماؤها في جمع اللغة وابتکار النحو العناه الكبير . فقد عملوا على مخالطة الاعرب في البادية ، وتحملوا السفر وخشونة العيش وصبروا على المكاراة في سبيل تحقيق اهدافهم .

- الادب :

المقصود بعلم الادب ، الاجادة في فني المنظوم والمشور على أساليب العرب ومناخيهم . وينقسم إلى فنين : الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى الذي تتكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية . والكلام المشور ، وهو الكلام غير الموزون . وكل واحد من الفنين يستعمل على فنون ومذاهب في الكلام^(٢٧١) .

١ - الشعر :

قالوا : الشعر ديوان العرب ، وبذلك فهو فن قديم وجده ونما وبلغ الأوج في الجاهلية ، فما الجديد في العصر العباسي ؟

لقد أشد العرب الشعر في الجاهلية والعصر الاموي ، وتطرقوا إلى ابواب متعددة معروفة ومؤلفة ، كالسجح والهجاء والرثاء ، بنظم حيد وعبارات بلية^(٢٧٢) . وجاء شعراء العصر العباسي ، فساروا على نهج من سبقوهم ، واضافوا أبواباً جديدة لم يطرقها هؤلاء . كما استعملوا ألفاظاً أرق ومعاني أغذب . وكان ذلك نتيجة من تأثير اختلاط الاجناس الإسلامية وتمازجها الثقافي ، مع تغير صور الحياة وقيم الاشياء^(٢٧٣) . فكان وصف الكتاب والكتب والاقلام، ووصف أدوات العلم والمعرفة ، وتناول أدوات الحضارة ، والتاريخ للمظاهر الكبرى والاحداث

(٢٧٠) - احمد امين : ضعى الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٣١٦

(٢٧١) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٥٤٢ و ٥٢١

(٢٧٢) - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٥٤٤ - ٥٤١

(٢٧٣) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٠

الخطيرة^(٢٧٤) ، والانحياز أحياناً إلى الفرق الدينية والسياسية^(٢٧٥) ، إلى جانب إنشاء الشعر في الفكاهة والضحك واللهم والعبث ، كوصف الخمر والكأس وغيرها^(٢٧٦) .

امتاز هذا العصر بظهور شعراء من الفرس اعتنقاً الإسلام وتعلموا العربية . وقد أمد هؤلاء الشعر العربي بطائفة كبيرة من الآراء والأفكار التي اكتسبوها في حياتهم ، وادخلوا فيه الخيال الحي الرقيق ، والتعبير الدقيق ، عميق الاحساس .

وربما ترجع نهضة الشعر والادب الى تشجيع الخلفاء والسلطانين والوزراء لرجال الادب ، ومنهم العطايا الجليلة تارة ، وتقليلهم المناصب الرفيعة تارة أخرى . ولذلك نلاحظ اتسار المدح في هذا العصر ، واشتداد روح التنافس بين الشعراء والكتاب الذين كان من أهم أغراضهم ان يحظوا بالتقرب الى رجال الحكم رغبة في استدرار عطفهم وكرمه .

كانت الحركة الأدبية في الشام قوية في هذه الفترة ، وتفوقت على غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى في القرن الثالث الهجري . أما في النصف الأول من القرن الرابع الهجري وفي بلاط سيف الدولة بالذات ، فقد ظهرت حركة أدبية وعلمية كبيرة فاقت ما كانت عليه في بغداد وقتذاك . وقد شهد الشاعري لشعراء عرب الشام بأنهم أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها^(٢٧٧) . وكان بعض العراقيين يعجبون بطريقة الشاميين المثلثي في الشعر^(٢٧٨) . ولاشك في ان الشام كانت في ذلك الوقت ملهم الشعراء لأنهم يستطيعون فيها الجمع بين فصاحة الbadia ، وحضارة المدن .

(٢٧٤) - الشنعة : المرجع السابق ، ص ٢٦٤

(٢٧٥) - أحمد أمين : ضئلي الإسلام ، جزء ٣ ، ص ٣٠٨ - حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣

(٢٧٦) - الشنعة : المرجع السابق ، ص ٢٦٤

(٢٧٧) - الشاعري : يتيمة البهر ، جزء ١ ، ص ٨

(٢٧٨) - الشاعري : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٩

وقد نبغ منهم في القرن الثاني الهجري ابو الوليد عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي (٢٧٩)، ومنصور النمري (٢٨٠)، وابو خالد التنوخي القنسريني (٢٨١) .

امتاز شعراء الشام في القرن الثالث الهجري بمزایا عديدة . منها توفرهم على دراسة الادب العربي واشتغالهم بفنونه ، وعنتاتهم باختيار اللفظ ، وابراز معانيهم بأروع صورة من صور الجمال اللغوي في المفردات والتراتيب . وقد مدحهم ابو يكر الخوارزمي بقوله : (مافتق قلبي ، وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، الا تلك الطرائق الشامية ، والطائف الخلبية التي علقت بمحظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي) (٢٨٢) . وكان على رأس شعراء الشام في ذلك القرن كلثوم العتابي (٢٨٣) ، وأبو تمام الطائي (٢٨٤) ، والبحيري (٢٨٥) ، وديك الجن (٢٨٦) .

ومن أمراء الشعر العباسي في هذه الفترة — عدا شعراء الشام — ابن الرومي، وأبو نواس ، وهو من أداع القول في الخمر والغزل والصيد ، وغير ذلك من فنون الشعر التي تناسب ما انتشر في العصر العباسي من حضارة وترف . وقد وجده الشعر الجديد قيمة كبيرة لدى عدد من العلماء . فقد قال ابن قتيبة في هذا المجال ، ناقداً لمقيمي الشعر : (فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقديم

(٢٧٩) - مجلة المجمع العربي في دمشق ، مجلد ٣٢ ، « ص ٤١ - ٤٢ »

(٢٨٠) - الاصبهاني : الافاني ، جزء ١٢ ، ص ١٧

(٢٨١) - ابن العديم : بحية الطلب ، جزء ٨ ، ورقة ٧٦

(٢٨٢) - مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ٥ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٩

(٢٨٣) - هو كلثوم بن عمرو ، وكنيته ابو عمرو . انظر : المسعودي : مروج الذهب ، ط الازهرية

١٤٠٣ ، جزء ٢ ، ص ٢٢٩ . - ياقوت الحموي : معجم الابياء ، جزء ١٧ ، ص ٢٧ - ٢٨

- مجلة المجمع العلمي بدمشق : مجلد ٥ ، من ص ٢٩٩ حتى ٣٠٤

(٢٨٤) - ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥ . - مجلة المجمع العلمي بدمشق ، مجلد ٥ ، ص ٢٩٦ وص ٣٥٤

(٢٨٥) - ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٧٤ . - مجلة المجمع العلمي بدمشق ، مجلد ٥ ، ص ٢٩٦ وص ٤١٣ - ٤١٤

(٢٨٦) - ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٥٦ . - مجلة المجمع العلمي بدمشق مجلد ٥ ، ص ٤٠٥

قائله ، ويضمه مواضع متاخرة ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده ، الا انه
قال في زمانه) .

٢ - النثر :

تنوع النثر الى حد كبير في العصر العباسي كمثيله الشعر ، وكانت لهذا التنوع أسباب لا تختلف في كثير أو قليل عن أسباب تنوع الشعر ، كعملية الترجمة وما تبعها من انتشار الثقافة ، وقضية اختلاط الشعوب الإسلامية المختلفة وما تنتج عنها من نتائج هامة كان منها اكتساب العرب بعض الالفاظ الجديدة الى لغتهم ، وخاصة فيما يتعلق بأنواع المأكل والملبس والات الغناء والدواين ونظمها وغير ذلك (٢٨٤) . وبهمنا ان نبحث في تنوع الابواب التي تطرق اليها النثر . فقد استمر الكتاب في الكتابة في الابواب المعروفة في الفترة السابقة وأضافوا اليها أبواباً جديدة ، كان منها :

١ - باب الفكاهة المرحة الخفينة . وكان على رأس من كتب في هذا المجال أبو عثمان الجاحظ في رسالته المشهورة ، التي أسمتها التربيع والتدوير ، وكذلك الصابيء في مقاله الطويل عهد التسطير (٢٨٨) .

٢ - باب انشاء المقالات التي تستهدف اصلاح المجتمع من الناحية السياسية والاجتماعية ، وتدين كل حاكم مستبد ، وتستذكر فداحة الضرائب ، وتحمل على ظلم القضاة ، كرسالة الخوارزمي في شأن وال ظالم نكب به الناس (٢٨٩) ورسائل بديع الزمان الهمذاني عن ملك ظالم سفاح ، محب لراقة الدماء (٢٩٠) . وعن قاض منحرف ، وعن فداحة الضرائب والتنديد بمصادر الاموال ، ومحاربة الغلاء (٢٩١) .

٣ - باب القصة العربية القصيرة ، التي تمثلت بمقامات بديع الزمان الهمذاني .

(٢٨٧) - احمد ابيين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٤ (٢٨٨)

- الشكمة : المرجع السابق ، ص ٢٥٢

(٢٨٩) - الشكمة : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ نقلًا عن ديوان رسائل الخوارزمي

(٢٩٠) - الشكمة : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ نقلًا عن رسائل بديع الزمان

(٢٩١) - الشكمة : المرجع السابق ، ص ٢٥٧

ظهر عدد من الكتاب البارزين في العصر العباسي الأول وعصر سيطرة الاتراك، يأتي على قمتهما الجاحظ . فقد تشقق بالثقافة العربية التي تلقاها من علماء البصرة أمثال أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الانصاري والاخفش والنظام^(٢٩٢) . وقد أولع بالقراءة ، فلم يقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائناً ما كان . حتى انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر^(٢٩٣) . اشهر كتبه البيان والتبيين ، الذي جمع فيه النثر والشعر ، ومستحسن الاخبار وبلغ الخطب . وكذلك كتاب الحيوان وكتاب الطفيليين وكتاب البخلاء ، ورسالة التربيع والتدوير . وقد اهتم في جملة ما اهتم به بدراسة البيئة التي تحيط به ، فترك لنا أدباً اجتماعياً قيماً ، وشاركه في ذلك محمد بن اسحق الصميري^(٢٩٤) .

ومنهم أيضاً الفضل بن سهل ، وسهل بن هارون ، وابن المقفع الذي يرجع اليه الفضل في نقل كثير من الكتب عن اللغة الفهلوية والسننكريتية ، وعلى رأسها كتاب كليلة ودمنة . ويعود هذا الكتاب من أقدم كتب النشر في الأدب العربي . كما يعد مثلاً أعلى في سلامة الأسلوب وسلامة العبارة^(٢٩٥) .

ويعتبر ابن قتيبة من أدباء القرن الثالث الهجري من خيرة كتاب هذا القرن ، أشهر كتبه المعارف ، والشعر والشعراء ، وأدب الكاتب ، وعيون الاخبار^(٢٩٦) .

ومما لاشك فيه أن أدباء هذا العصر أكثر من أن يقعوا تحت حصر ، وكلهم أسهم مساهمة فعالة في مجاله . وسنقتصر على ما أوردنا ، وتحليل القارئ إلى مصادر تغنيه في هذا المجال^(٢٩٧) .

ج - العلوم التجريبية :

كان لحركة الترجمة أثر كبير في تقدم وتطور العلوم التجريبية في العصر

(٢٩٢) - احمد امين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٨٧

(٢٩٣) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٧١ - ٣٧٢

(٢٩٤) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣

(٢٩٥) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٣

(٢٩٦) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٤

(٢٩٧) - انظر الشعاليبي : يتيمة الدهر - ياقوت الحموي : معجم الادباء

العباسي · فقد عمل العباسيون على نقل الكتب القديمة من المدن المفتوحة السى عاصمتهم ، حيث قاموا بترجمتها^(٢٩٨) · وما ان جاء القرن الرابع الهجري حتى كان العالم الاسلامي قد ترجم الى العربية معظم الكتب اليونانية والفارسية في علوم مختلفة ، الى اللغة العربية^(٢٩٩) ·

ومن أشهر من ترجم ، ابن المقفع ومحمد بن ابراهيم الفزارى ويوحنا بن ماسويه^(٣٠٠) والحجاج بن مطر ويحيى بن خالد البرمكى وآل بختишوع وهم بختишوع بن جورجيس الجندي سابورى · وبختишوع بن جرأيل · وبختишوع ابن يحيى^(٣٠١) · ويوحنا بن البطريق^(٣٠٢) · وقسطا بن لوقا^(٣٠٣) ، وآل حنين وهم حنين بن اسحق ، وابنه اسحق ، وابن اخته جبيش بن الاعسم ، ماسرجوية^(٣٠٤) ، ويعقوب بن اسحق الكلدى ·

اما أشهر الكتب المترجمة ، فكان كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب السندهند ، وكتاب أرسسطو في المنطق ، وكتاب اقليدس ، وكتاب المخططي^(٣٠٥) ·

كان من أثر الترجمة ، تطور الحضارة العربية وتفتح عبريات علمية ، لم تكن لتظهر لو لا اهتمام خلفاء العباسين بالعلم والترجمة · وقد حفظ العرب بما قاموا به في هذا المجال آثار الحضارات السابقة ، فأباحوا لعلماء العصور الحديثة الفرصة بالاطلاع على علوم العصر القديم · وليس هذا فحسب فقد قدموا اليهم خدمات جلى بما أضافوه الى هذه الكتب ، وبالملخصات التي أصدروها · حتى جاء جيل من الكتاب المسلمين ، اتتجوا مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم^(٣٠٦) ·

(٢٩٨) - جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، جزء ٣ ، ص ١٣٦

(٢٩٩) - انظر الشعابي يتيمة الدهر ، ياقوت الحموي : معجم الادباء

(٣٠٠) - ابن القسطنطى : تاريخ الحكماء ، ص ٤٨٠ - ابن النديم : الفهرست ، ص ٤٢٥

(٣٠١) - ابن القسطنطى : تاريخ الحكماء ، ص ١٠٠ - ١٠٤ ·

(٣٠٢) - ابن القسطنطى : المصدر السابق ، ص ٣٧٩

(٣٠٣) - ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٤٤

(٣٠٤) - يوسف فنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ العراق ، ص ١١٠

(٣٠٥) - جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، جزء ٣ ، ص ١٣٦

L. Bernard : The Arab in History., p. 137

(٣٠٦)

جفل الوطن العربي الإسلامي بمراكز حضارية ، كان لها دور كبير في تطوير العلوم ، وعلى رأس هذه المراكز مدرسة الحيرة ، التي اشتهرت بالطب واللغة والفلسفة^(٣٠٧) ، ومدرسة حران التي اشتهرت بالفلك والرياضيات والفلسفة^(٣٠٨) ، ومدرسة الرها ونصيبين ، اللتين اشتهرتا بالعلوم اللاهوتية الدينية والفلسفة والموسيقى^(٣٠٩) ، ومدرسة جنديسابور التي اشتهرت بالطب والتشريع^(٣١٠) . وتأتي على رأس العلوم التجريبية :

— الفلسفة :

اتشرت الفلسفة في الدور العباسي الأول لأسباب متعددة منها :

- ١ — ترجمة كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية في عهد الرشيد والمأمون وغيرهم من الخلفاء العباسيين الأول ، ودراسة المسلمين لهذه الكتب المترجمة ، وعملهم على تفسيرها وتعليق عليها ، واصلاح أخطائها .
- ٢ — عنابة بعض الخلفاء بالفلسفة ، وخاصة الخليفة المأمون ، وحثهم على دراستها .
- ٣ — اثر الكنيسة النسطورية في نقل الثقافة اليونانية .
- ٤ — دور مدارس الرها ونصيبين وحران في ذلك^(٣١١) .

من أشهر فلاسفة هذه الفترة ، يعقوب بن اسحق الكندي الذي كان معاصرًا للمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وقد اشتهر في الطب وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم الى جانب الفلسفة . وهذا في تأليفه حذو أرسطو ، فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وشرح غوامضها^(٣١٢) . وأبو نصر الفارابي الذي لقب المعلم

^(٣٠٧) - حسين قاسم العزيز : دور المراكز الثقافية في تفاعل العرب وال المسلمين الحضاري ، ص ٣٩٤-٣٩٥

^(٣٠٨) - حسين قاسم العزيز : المرجع السابق ، ص ٣٩٨

^(٣٠٩) - حسين قاسم العزيز ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠

^(٣١٠) - مصطفى الشكمة : معالم الحضارة الإسلامية ، ص ١٣٩

^(٣١١) - دي بور : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ١٥ - ١٧

^(٣١٢) - ابن الشدید : الفهرست ، ص ٣٨٣ - ٣٩٤

الثاني (٣١٣) ، وكذلك اخوان الصفا ، تلك الطائفة التي كانت ذات نزعة شيعية متطرفة ، عملت على التوفيق بين العلم والدين ، وهم جماعة سرية تألفت من طبقات متفاوتةأخذت من كل مذهب فلسي بطرف ، وتعتبر رسائلهم البالغة احادي وخمسين رسالة أشبه بدائرة معارف تدل على الرقي العقلي مؤلفيها ، وعلى الرغم من محاولتهم التوفيق بين الدين والعلم ، فانهم لم يستطيعوا ارضاء أهل الدين ولا أهل العلم ، فالمتكلمون والفقهاء والسينيون عابوا عليهم طريقتهم في التأويل ، وال فلاسفة من المتأثرين بفلسفة أرسطو بوجسه خاص ، عابوا عليهم مبادئهم الفلسفية (٣١٤) .

- الطب :

عني خلفاء العباسيين بالطب عنابة كبيرة ، لاهيته بالنسبة لهم ، فهو علم اساسي دارت حوله العلوم التجريبية بكاملها ، فمنذ عهد الخليفة المنصور اعتمد في هذا المجال على الطبيب جورجيس بن بختيشوع النسطوري من مدينة جنديسابور ، ثم على تلميذه عيسى بن شهلا ، وقد قام جورجيس أثناء اقامته في بغداد بتعریب كتب كثيرة في الطب عن الفارسية ، أما بختيشوع بن جورجيس فقد خدم الهاדי والرشيد الى ان توفي ، فقام ابنه جبرائيل بن بختيشوع مكانه ، وعاش حتى خلافة المؤمن وقد استمرت أسرة بختيشوع في خدمة الدولة العباسية ، ما يقرب من ثلاثة قرون ، فأقامت على التدريس في مدارس بغداد والتطيب في مستشفياتها (٣١٥) .

والى جانب هذه الاسرة ، فقد نبغ في الطب والتأليف يوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣ هـ) (٣١٦) وحنين بن اسحق (ت ٢٦٤ هـ) وثابت بن قره العراني

(٣١٣) - محمد جمال الدين سرور : المراجع السابق ، ص ٢٢٧

- احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٢ ، ص ١٣٢

(٣١٤) - دي بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٩٨ - ٩٩

(٣١٥) - ابن جبل : طبقات الاطباء والحكماء ، من ص ٦٤ حتى ص ٢٧٦

(٣١٦) - عن مؤلفات يوحنا في الطب ، انظر ابن جبل : المراجع السابق ، ص ٦٥ - ٦٦

(ت ٢٨٨ هـ) (٣١٧) وقسطا بن لوقا البعلبكي (ت ٢٨٨ هـ) (٣١٨) واسحق بن حنين (ت ٢٩٨ هـ) (٣١٩) وسنان بن ثابت بن قره (ت ٣٣١ هـ) ومحمد بن زكريا الرازي (ت ٣١١ هـ) (٣٢٠)

والى جانب ذلك ، فقد اصطنع العباسيون أطباء من الهند ، منهم متكة ، بازيكر ، وقلبرفل ، وسندباد (٣٢١) .

كانت الدراسة في مدارس الطب على نوعين ، دراسة نظرية للأمراض وكيفية علاجها ، ودراسة عملية ، تستعمل على التدريب والتمرين على كيفية التطبيق والمعالجة ، ويكون ذلك باشراف رئيس الأطباء . ولا يسمح لطلبة الطب ممارسة المهنة إلا بعد اجتيازهم امتحانا ينظمه رئيس الأطباء ، فإذا اجتازوا الامتحان نالوا اجازة بذلك وحق لهم بعد ان يقسموا اليدين ويمارسوا المهنة تحت رقابة الدولة ، ويعمل الطبيب ضمن اختصاصه . فقد كان هناك طبيب عام ، وطبيب جراح ، وطبيب فاصل ، وطبيب كحال ، وأستاني ، وطبيب النساء ، وطبيب المجانين (٣٢٢) .

وكانت أولى بواحد كتب الطب العربية ، عدا الكتب المترجمة ، كتاب فردوس الحكمة لعلي بن سهل الطبرى (ت ٢٣٦ هـ) وهو استاذ أبي بكر الرازي ، ولله مؤلفات عديدة أخرى (٣٢٣) .

أما الرازي فشهرته ومهاراته في الطب حديث الجميع . ومن أهم النظم التي رسخها الرازي نظام التجربة الموجهة . ومن أشهر كتبه كتاب الحاوي ، وكتاب المنصوري ، ورسالة في الجدرى والحمبة ، وكتاب الحصى في الكلى والمثانة ، وكتاب

(٣١٧) - ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ٦٨ - ٧٦

(٣١٨) - جرجي ذيدان : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٤٦ - ١٤٨

(٣١٩) - ابن الثديم : المصدر السابق ، ص ١٤٥

(٣٢٠) - الجاحظ : البيان والتبيين ، جزء ١ ، ص ٧٨

(٣٢١) - ابن جلجل : المرجع السابق ، ص ١٨٦

(٣٢٢) - الماحي : مقدمة في تاريخ الطب العربي .

دفع مصار الأغذية ، وكتاب الى من لا يحضره طبيب ، وكتاب براء ساعة ، وكتاب المرشد ، وكتاب الفائق في الطب ، وكتاب الطب الملوكي (٣٢٣) .

ومن أشهر رؤساء الطب سنان بن ثابت (ت ٣٣١ هـ) . فقد عقد امتحاناً في عهد الخليفة المأمور العباسى لاطباء بغداد رخص بعده لثمانية وستين طبيباً بمزاولة مهنة الطب . وقد أمر كل طبيب بأن يحتفظ بصورة من تذكرة الدواء التي يعطيها للمريض ، لتقديمها إلى الرئيس ليفحصها ويحكم فيما إذا كان العلاج متفقاً مع القوانين . وكان ينزل العقاب بالطبيب إذا مات المريض بسبب إهماله أو عدم كفايته (٣٤) .

كانت المداواة بالبيمارستانات وهو على نوعين :

أ - البيمارستان الثابت

ب - البيمارستان المحمول

وقد بني هارون الرشيد بيمارستانًا بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وكذلك بني البرامكة بيمارستانًا . وأنشأ أحمد بن طولون بيمارستانًا (٣٢٥) . وبني الوزير علي بن عيسى آخر . وكان البيمارستان مقسوماً إلى قسمين منفصلين أحدهما عن الآخر ، قسم للذكور ، وقسم للإناث . وكل قسم من هذين القسمين مجهز بكل ما يحتاج من آلات وأدوات وأطباء ومستخدمين ، ويضم قاعات لختلف الأمراض الباطنية (٣٢٦) . وكان للبيمارستان رئيس يسمى ساعور البيمارستان ، ولكل

(٣٢٣) - انظر فرات فاتق : أبو بكر الرازي ، ص ١٢٠
(٣٢٤) - حسن ابراهيم حسن : الرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٨٧ . من المعروف أن الخليفة المأمور قُتل سنة ٢٤٧ هـ ، وإن سنان بن ثابت توفي سنة ٣٣١ هـ أي أنه عاش بعد المأمور حوالي أربع وثمانين سنة . ومن المؤكد أنه يجب ليكون سنان رئيساً للأطباء أن يكون عمره لا يقل عن خمس وأربعين سنة ، فإذا كانت المادحة المذكورة وقعت في نهاية عهد المأمور ، فإن سنان توفي وعمره يزيد عن ١٠٩ سنة . أو أن تاريخ وفاته ورد خطأ .

(٣٢٥) - احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص ١٧٨ وص ٢٨٨
(٣٢٦) - زيدان : الرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٨٨

قسم من اقتنامه رئيس ، وكان يلحق بالبيمارستان مدرسة يتلقى طلاب الطب
علومهم فيها (٣٢٧) .

- علم الفلك والنجوم :

اهتم العرب في جاهليتهم بعلم الفلك ، لاحتاجتهم إليه . وكانت لهم ملاحظات فلكية كثيرة . وتوقف العمل بعلم الفلك تقريرياً في عصر الراشدين والمويين ، ثم عاد نشاط الفلكيين منذ مطلع العصر العباسي . فهذا الخليفة المنصور يقرب إليه المنجمين ويستشيرهم في أمور عديدة . ومن أهم ما اعتمد عليه في التنجيم بناء مدينة بغداد فقد قام المهندسون ببنادستها بحضور المنجمين نوبخت الفارسي ، وإبراهيم بن محمد الفزاروي وغيره . كما قام بوضع أساسها في وقت اختياره نوبخت وماشاء الله اليهودي (٣٢٨) .

كذلك اختيار الإمامية ابن حوشب لرئاسة دعوته في بلاد اليمن ، لأنهم عرموا عن طريق النجوم أنه سيكون له شأن في نشر الدعوة في اليمن (٣٢٩) .

أصبح المنجمون في العصر العباسي من موظفي الدولة الرسميين ، تصرف لهم الرواتب والأرزاق كغيرهم . وأخذ الخلفاء يستشிரونهم في كثير من الأمور الادارية والسياسية . ومما لا شك فيه ، أن اهتمام الخلفاء بهذا العلم كان لأسباب متعددة .

- ١ - ارتباط بعض أحكام الدين الإسلامي بالظواهر الفلكية (٣٣٠) .
- ٢ - إن الآيات القرآنية التي كانت تتحدث عن الأجرام السماوية وحركاتها ، دفعت المشتغلين بالأمور الدينية إلى الاهتمام بعلم الفلك (٣٣١) .

(٣٢٧) - أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص ١٨ - ١٩
- مصطفى السباعي : من رواح حضارتنا ، ص ١٤٤ - ١٤٥

(٣٢٨) - ثلبيتو : علم الفلك ، ص ١٤٣ - ١٤٥

(٣٢٩) - عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص ١٤٠

(٣٣٠) - عباس المزاوي : تاريخ علم الفلك في العراق ، وعلاقته بالقطار الإسلامية والعربية ، ص ٦

(٣٣١) - ثلبيتو : علم الفلك ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣

٣ - ان اهتمام الناس بالتنجيم ساعد على الاهتمام بالفلك و دراسته .

قام العرب بمجهودات قيمة في علم الفلك ، ففي خلافة أبي جعفر المنصور ، قام أبو يحيى البطريقي بنقل كتاب الأربع مقالات لبطليموس في صناعة النجوم (٣٢) ، وترجم كتاب (سدھاتا) الذي عرف باسم السندهند .

اشتهر عدد من الفلكيين في عهد المهدى والرشيد والمؤمن ، فقد ألف ماشاء الله في الاسطرباب ودوائره النحاسية ، وألف يحيى بن أبي منصور مع سند بن علي زيجا فلكيا . وألف موسى بن شاكر أزياده المشهورة . ونهض ابناء موسى بن شاكر بحساب طول درجة من خط نصف النهار بناء على طلب المؤمن (٣٣) . وألف احمد بن محمد الفرغاني كتاب المدخل في علم الأفلاك الذي ترجم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر (٣٤) . وقد اشتهر كثير غير هؤلاء بهذا العلم ، وساعدوا على تقدمة منهم على سبيل المثال لا الحصر ، ثابت بن قرة ، وحنين بن اسحق ، وسهل بن بشار ومحمد بن محمد السمرقندى . وجعفر بن عمر البلخي (٣٥) .

ويمكن ان نسجل هنا بعض ماحققه العرب من منجزات فلكية في هذه الفترة . وتببدأ تلك المنجزات بنقل المؤلفات الفلكية للأمم السابقة الى اللغة العربية ، ككتب اليونان والكلدان والبابليين والهنود والسريان وغيرهم . ولم يكتفوا بالترجمة بل عملوا على تطوير تلك المؤلفات بما أضافوه اليها ، وبما صاحبوا من الاخطاء التي وقعت بها تلك الأمم .

وكذلك فانهم عملوا على تطبيق ما عرفوه نظريا بالوجهة العملية . فتحققوا نجاحا ملمسا (٣٦) . ومن جملة انجازاتهم في هذا المجال ، قياسهم لقوس من دائرة

(٣٢) - ابن القلطي : تاريخ الحكماء ، ص ٤٢

(٣٣) - طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ١١٢

(٣٤) - مجلة المقتطف ، عدد فبراير ١٩١١ ، جزء ٣ ، ص ١٤٧

(٣٥) - طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ١١٣

(٣٦) - طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ١١٥

نصف النهار^(٣٣٧) ، وتقديرهم لحقيقة ان رؤية الكواكب عند الافق او بالقرب منها ، أكبر منها وهي عند السمت او قريبا من وسط السماء^(٣٣٨) . وكذلك فان ابن الهيثم أقر بأن ارتفاع القطب يساوي عرض المكان^(٣٣٩) . كذلك فقد حسب العرب على يد الفلكي الباتني ميل فلك البروج على فلك معدل النهار ، فكان ٢٣° و ٣٥° دقيقة كما حسب طول السنة الشمسية ، وحسب بعد الشمس عن مركز الأرض . ووضح موقع عدد من النجوم . كما اكتشف العرب كروية الأرض وحركتها حول الشمس^(٣٤٠) .

قام العباسيون ببناء مراصد فلكية عديدة ، وقد كان المؤمن أول من نهض بهذه المهمة فأنشأ دار رصد في الشمايسية . وبنى في دمشق مرصدا آخر ، استخدم فيها آلات الرصد المعروفة^(٣٤١) . وكذلك أنشأ بنو شاكر مرصدا على طرف العبر المتصل بباب الطاق ، واستخرجوا فيه حساب العرض الأكبر من عروض القمر^(٣٤٢) . كما بنوا مرصد سامراء ، وفيه آلة ذات شكل كروي دائري تحمل صور النجوم ورموز الحيوانات في وسطها ، وتديرها قوة مائية^(٣٤٣) . ومرصد ابن الأعلم^(٣٤٤) .

أما أهم آلات الرصد عند العرب هو الاسطرباب^(٣٤٥) ، والحلقة الاعتدالية ، وذات الجيب^(٣٤٦) . والربع المسطري ، والمزاول الشمسية^(٣٤٧) .

(٣٣٧) - ثلبيتو : علم الفلك ، ص ٢٨١

(٣٣٨) - طوفان : المرجع السابق ، ص ١١٧

(٣٣٩) - طوفان : المرجع السابق ، ص ١١٦

(٣٤٠) - مجلة المقططف ، عدد فبراير ١٩١١ ، جزء ٣ ، ص ١٤٨

(٣٤١) - زيدان : المراجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٣

(٣٤٢) - ناجي معروف : المراصد الفلكية ببغداد ، ص ١٢

(٣٤٣) - ذيزيدهونكة : شمس العرب تستطع على الغرب ، ص ١٢٢

(٣٤٤) - هو المرصد الذي كان يعمل به الفلكي صاحب الترجمة علي بن الحسن أبو القاسم العلوي المعروف بابن الأعلم ، انظر - ابن النفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٣٥

(٣٤٥) - عن وصف الاسطرباب انظر ناجي معروف : المراصد الفلكية ، ص ٢٧

(٣٤٦) - حاجي خليفة : كشف الظنون ، جزء ١ ، جزء ٢ ، ص ١٤٥ - ١٤٦

(٣٤٧) - محمد صديق الجليلي : المزاول الشمسية ، مجلة التربية الإسلامية ، العدد ١٢ ، ص ٥١٩

— علم الرياضيات .

يشمل هذا العلم على فروع كثيرة ، منها علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة ، وعلم المثلثات وعلم الحيل . وكانت هذه العلوم ضرورية لكل صاحب علم . حتى انه كان يقال بأن الانسان لا يكون فيلسوفا ولا طيبا حاذقا الا بدراسة فروع الرياضيات ^(٣٤٨) كما كانت هناك علاقة وثيقة بين هذا العلم ، وعلم التنجيم والفلك .

وضع العرب مؤلفات في علوم الرياضيات المختلفة كان لها تأثير كبير على الحركة العلمية في الغرب ، ففي الحساب وضعت كتب متعددة ، كان منها كتاب في الجمع والتفرق ، وحساب الدور ، والحساب الهندي . وفي الثلاثين مسألة الغريبة . وكان ذلك بجهود العلماء الرياضيين محمد بن موسى الخوارزمي ، وأبي كامل شجاع الحاسب ، وسنان بن الفتح الحراني ، وأحمد بن عمر الكرايسبي ، ويعقوب بن محمد الرازي ، ويعقوب بن اسحق الكلندي ، وأبو حنيفة الدينوري ، وسلم بن علي المنجم ^(٣٤٩) .

أما في الجبر فيمكن ان نقول ، ان العرب أول من ألف في هذا العلم بصورة علمية منظمة . فقد أخذوا فكرة المعادلات غير المعينة من ديوانفطس ، فأضافوا إليها ووضجوها . واهتموا بالجذور الصماء ، فكان محمد بن موسى الخوارزمي أول من استخدم كلمة أصم للدلالة على العدد الذي ليس له جذر ، واتقل معنى هذه الكلمة الى الغرب . كذلك فإنه ألف كتاب الجبر والمقابلة الذي يعتبر مصدرا أساسيا اعتمد عليه كثيرون ^(٣٥٠) . وألف أبو كامل شجاع بن أسلم كتاب كمال الجبر وتمامه والزيادة في أصوله ، وكتاب الوصايا بالجبر والمقابلة . وكان من أبنية الرياضيين في طريقة حل المعادلات الجبرية ، واستعمالها لحل المسائل الهندسية ،

(٣٤٨) - دي بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام . ص ٨٠

(٣٤٩) - ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٧١ - ٣٧٣ - ٤٠٦ - القنطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٠٦

- طوقان : المرجع السابق ، ص ٢١١ - كحالة : معجم المؤلفين ، جزء ٢ ، ص ٣٣

(٣٥٠) - طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ١٥٩ - ١٦٠

وقد حل في مؤلفاته معادلات كثيرة بطرق لم يسبقه عالم إليها^(٣٥١) . وalf أَحمد ابن داؤد الدينوري كتاب الجبر والمقابلة^(٣٥٢) . وalf ثابت بن قرة كتاب في تصحيح مسائل الجبر بالبراهم الهندسية^(٣٥٣) وغيرهم كثيرون^(٣٥٤) .

قام العرب بالهندسة بقسط لا يأس به ، ولكنه أقل مما قاموا به في الجبر . فقد ترجم العرب كتاب إقليدس في الهندسة إلى اللغة العربية ، ودرسوه دراسة شاملة ، فشرحه بعضهم وعلق عليه ، واختصره آخرون ، وألقوها على نسقه ، وأضافوا إليها نظريات جديدة . فقد وضعوا نظرية الخطوط المتوازية ، وعرفوا علم تسطيح الكره^(٣٥٥) . وعلى رأس الكتب التي ألفها العرب في الهندسة ، كتاب المساحة والهندسة لابي كامل شجاع^(٣٥٦) ، وكتاب أغراض كتاب إقليدس ليعقوب ابن سحق الكندي ، إلى جانب كتب أخرى متعددة تبلغ حوالي عشرين كتابا^(٣٥٧) ، وكتاب الشكل الهندسي لمحمد بن موسى بن شاكر ، وكتاب الشكل المسدور والمستطيل لحسن بن موسى بن شاكر ، ولاخيم الثالث أَحمد مساهمات هندسية عملية^(٣٥٨) . وكتاب في استخراج المسائل الهندسية ومدخل إلى كتاب إقليدس لثابت بن قرة^(٣٥٩) ، وكتاب المساحة لابن بربة الفضل بن محمد بن عبد الحميد^(٣٦٠) . وكتاب تفسير المقالة العاشرة لكتاب الأصول لإقليدس لابن راهوية الارجاني^(٣٦١) . ومن أهم ما يذكر للعرب تطبيقهم للمعارف والنظريات الهندسية على فن البناء ، فكانت الآلية الفخمة المتينة ،

(٣٥١) - طوقان : المرجع السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٥

(٣٥٢) - حاجي خليفة : كشف الظنون ، جزء ٢ ، ص ١٤٧

(٣٥٣) - القسطنطي : المصدر السابق ، ص ١١٩ - ١٢٢

(٣٥٤) - ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ وص ٤٠٨ - القسطنطي : المصدر السابق ، ص ٧٧ - ٧٨

(٣٥٥) - حاجي خليفة : كشف الظنون ، جزء ١ ، ص ٤٠٣

(٣٥٦) - ابن النديم : المهرست ، ص ٤٠٦

(٣٥٧) - القسطنطي : المصدر السابق ، ص ٣٧١

(٣٥٨) - ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ - جرجي زيدان : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٠

(٣٥٩) - ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٣٩٤

(٣٦٠) - ابن النديم : المهرست ، ص ٤٠٥

(٣٦١) - طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ٢١٠

أما علم المثلثات ، فقد عرف عند العرب بعلم الانساب ، والى العرب يعود الفضل في جعل هذا العلم على منفصل عن الفلك ، ومستقلاً عن العلوم الرياضية الأساسية الأخرى ، فأصبحوا بحق المؤسسين الحقيقيين لعلم المثلثات ، حتى أن العلم اعتبر عربياً (٣٦٢) .

ويعتبر أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان المعروف بالباني من العلماء الذين ساعدوه على أن يصبح علم المثلثات علمًا مستقلاً ، فهو الذي اكتشف غالبية النسب المثلثية ، كما تستخدم في الوقت الحاضر . وهو أول من ابتكر الجداول الرياضية لنظير الماس . ومن أهم مؤلفاته رسالة في تحقيق أقدار الاتصالات (٣٦٣) . وكذلك نبغ في هذا العلم أبو الوفاء البوزجاني (٣٦٤) ، وأبو اسحق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون العراقي (٣٦٥) .

- التاريخ :

يجعل ابن خلدون التاريخ علماً ، ويعرفه تعريفاً طويلاً ، واضح العبارة ، جاء فيه : (إن التاريخ يوقدنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك من يروم في أحوال الدين والدنيا) (٣٦٦) .

حين بدأ العرب بكتابه تاريخهم وجدوا أمامهم مصادر هامة تمثل في القرآن الكريم وسنة الرسول والشعر والروايات . فكتبوا أول الأمر في سيرة الرسول ومعاذه . وكان موطن هذه الدراسة المدينة (٣٦٧) . ولا نجد في غيرها من المدن

(٣٦٨) - عبد الحليم منتظر : التراث العلمي العربي في الميزان ، مجلة الهلال ، العدد ٤ سنة ٩٧٣
 (٣٦٩) - أحمد شلبي : دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ٧٠ - احمد شوكت الشطي : مجموعة

ابحاث عن تاريخ العلوم الرياضية ، ص ٣٥ - ٣٦ - طوقان : المرجع السابق ، ص ٢٤٦

(٣٦٤) - الدوميلي : العلم عند العرب ، ص ٢١١

(٣٦٥) - ابن القسطنطي : تاريخ الحكماء ، ص ٧٥

(٣٦٦) - المقنية ، ص ١٢

(٣٦٧) - جب : المرجع السابق ، ص ١٤٧

علماء في المغازي إلا في القرن الثاني الهجري (٣٦٨) . وكان تاج هذه الدراسات كتاب السيرة والمغازي لابن اسحق ، وتهذيب السيرة لابن هشام . ثم نهض ابن سعد بكتابة الطبقات ، الذي أرخ فيها سيرة الرسول وسيرة الصحابة والتابعين . وقد نجا ابن سعد في كتابته لسيرة الرسول منحى احتمال جميع كتب السيرة الذين جاؤوا بعده .

ثم توسيع الكتابة حتى شملت التاريخ بالمفهوم العام . وكان جل جامعي الروايات التاريخية من الفقهاء والمحاذين . وتبدلت في منتصف القرن الثالث ، الكتابة التاريخية بمعناها الواسع ، حيث أصبح التدوين جزءا لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية . وجاءت الكتابة التاريخية بين مواد مستمدة من السيرة النبوية ودراسة تاريخ الأمة الإسلامية (٣٦٩) . فكانت كتب الفتوح والتاريخ العامة وغيرها . فقد ألف البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) كتابه فتوح البلدان الذي يعتبر من المصادر التاريخية الهامة ، وكذلك كتابه انساب الأشراف . والدينوري (ت ٢٧٦ هـ) كتابه الإمامة والسياسة ، وكتابه المعارف ، وكتابه عيون الأخبار ، واليعقوبي (ت ٢٨٢ هـ) كتاب التاريخ المعروف باسمه والذي يعتبر من المصادر التاريخية الهامة . والطبراني (ت ٣١٠ هـ) وكتابه تاريخ الأمم والملوك من أهمات الكتب التاريخية وهو مصدر هام للأحداث التاريخية حتى سنة ٣٠١ هـ ، اعتمد عليه كثير من المؤرخين الذين آتوا بعده . ولاغرط فالطبراني أكثر تحقيقاً من سبقة من المؤرخين .

— الجغرافية :

خلف لنا جغرافيون المسلمين ثروة علمية هامة ، كانت خلاصة مشاهداتهم وتجاربهم التي اكتسبوها من أسفارهم . ومما لا شك أن هذه الثروة لم تكن لو لم تنشأ الرحلات ، وقد ساعد على القيام بهذه الرحلات ونجاحها :

(٣٦٨) — نجيل القاريء في هذا المجال ، إلى ماكتبه هاملتون جب من ص ١٤٣ حتى ١٧٢ — فرانز روزنثال: علم التاريخ عند العرب — عبد العزيز الدورى : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب — حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب — جب : المرجع السابق ، ص ١٥٣

١ - تأمين طرق التجارة تعييناً وأمناً ، فلولا وجود الطرق المعبدة المريحة ،
ولولا سيادة الأمن في هذه الطرق لما كانت الرحلات .

٢ - اتساع نطاق التجارة في العصر العباسي ، وحاجة الحضارة الزاهية في
بغداد إلى متجان الشرق وغيرها ، والربح الكبير الذي كان يحصل عليه التجار من
وراء تجاراتهم ، مهد السبيل أمام الكاشفين والرحالة .

قام عدد من الرحالة المسلمين برحلات كانت على درجة من الأهمية ، لما أسفرت
عنه من كتابة مصادر أصلية تعتبر ثروة كبيرة ، بسبب كونها خلاصة مشاهداتهم
وتجاربهم . ويعتبر ابن خرداذبة الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث
المهجري من أقدم جغرافيي المسلمين ، ولكتابه المسالك والممالك أهمية كبيرة

أما اليعقوبي (ت ٢٨٢ هـ) فقد ترك لنا كتاب البلدان ، بعد أن قام برحلات
طويلة في أرمينية وايران والهند ومصر وبلاد المغرب . وعلى رأس هؤلاء الرحالة
السعودي (ت ٣٤٥ هـ) فقد زار كل أرجاء العالم المعروف في عصره وله كتب كثيرة
ضاع معظمها وعلى رأس كتبه المتداولة ، كتاب مروج الذهب ومعاذن الجواهر ،
وكتاب التنبيه والاشراف . وكذلك فان الهمذاني (ت ٣٣٤ هـ) ألف لنا كتاب صفة
جزيرة العرب . ولا ننسى الاصطخري ، وابن بطلان ، وأبا زيد البلخي وابن حوقل
 وغيرهم .

٥ - الحركة العمرانية :

نشطت الحركة العمرانية في هذه الفترة العباسية ، وأسفر هذا النشاط عن
بناء مدن متعددة في شرقي أراضي الخلافة وغربيها وشماليها في منطقة الشغور ،
وساقتصر على بناء مدینتين فقط هما مدينة بغداد ومدينة سامراء . ويجب ان نذكر
ان تغيرات جوهرية دخلت في أساليب الفن المعماري . منها استعمال الاجر بدلاً من
الحجر ، والاكتاف بدلاً من الاعصدة ، وتفضيل الزخارف الجصية على الزخارف
الحجيرية (٣٧٠) .

(٣٧٠) - أبو صالح الالفي : الفن الاسلامي ، اصوله ، فلسفته ، مدارسه ، دار المعارف بمصر طبعة
ثانية ، ص ١٦٤

كان لابد للخلافة العباسية من بناء عاصمة تليق بعظمتها ، فقرر الخليفة العبسي الثاني أبو جعفر المنصور اتخاذ حاضرة له وسط مناطق خصبة يسهل فيها الاتصال بمناطق الخلافة ، وتتوافر فيها سبل المعيشة (٣٧١) .

خرج الخليفة المنصور بنفسه يرتاد لها موضعًا بالمواصفات المذكورة ، فتنقل بأماكن عديدة ، فقد انحدر إلى جرجرايا ، ثم صاد إلى بغداد ، ثم مضى إلى الموصل ، ثم عاد إلى بغداد فقال : هذا موضع عسكر صالح ، هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء ، يأتينا فيها كل ما في البحر ، وتأتينا الميرة من الجزيرة وارمينية وما حول ذلك ، وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقة وما حول ذلك . فنزل وضرب عسكره على الصراة ، وخط المدينة ، ووكل بكل ربع قائدا (٣٧٢) . هذه رواية من روایات كثيرة ذكرها المؤرخون حول اختيار مكان عاصمة العباسيين ، ومسا يقال في ذلك أن المنصور بعد أن أعجبه المكان ، أراد أن يتعرف على رأي أهالي المنطقة فيه . فدعى أهل هذه النواحي وسألهم عنها قائلاً : وكيف هي في الحر والبرد والأمطار وغيرها ، فأخبره كل واحد بما عنده من العلم . فلم يكتف بذلك ، بل بعث رجالاً من عنده فباتوا في هذه النواحي وأتواه بأخبارها ، فاستقر أمره عليه (٣٧٣) . كان مكان بغداد قرية قديمة بناها بعض ملوك الفرس ، وتقع على الشاطئ الغربي لنهر دجلة ، في أعلى المكان الذي يلتقي فيه نهر الصراة بدجلة (٣٧٤) .

اختلف المؤرخون كثيراً حول اشتقاء لفظ بغداد ومعناه ، ولكنهم في كل تفسيراتهم لا يخرجون عن تحليلين ، كون الكلمة مركبة ، وأصلها فارسي . وقد سماها المنصور مدينة السلام (٣٧٥) .

(٣٧١) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٣

(٣٧٢) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦١٤

(٣٧٣) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦٦٦ - ٦٦٧

(٣٧٤) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦١٨

(٣٧٥) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ ، من أجل اسمها ومعناه ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ١ ، ص ٤٥٦ - مجلة المورد العراقية ، المجلد الثامن ، العدد الرابع لسنة ١٤٠٠ هـ مقال عن بغداد مركز العلم والثقافة العالمية في القرون الوسطى للدكتور جليل كمال الدين ، ص ٢٤٧

أمر المنصور باحضار المهندسين والبانيين والفعلة والصناع من التجاريين والحدادين من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط . وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالمهندسة ، فجمعهم وتقديم اليهم ان يشرفوا على البناء (٣٧٦) .

وضع المنصور أساس مدينة بغداد في الوقت الذي اختاره المنجمون . بعد ان تأكد من رسماها . فقد أمر أن تخط طريق المدينة بالرماد ، ثم دخل من موضع كل باب ، ومر في طرقات المدينة ورحا بها وهي مخطوطة بالرماد ، ثم امر ان يوضع على تلك الخطوط حب القطن ، ويصب عليه النفط ، وتوقد فيه النار ، فنظر اليه والنار تشتعل ، فوقف على رسم مدینته الجديدة (٣٧٧) .

كان البدء في حفر الاساس في سنة ١٤٥ هـ ، ووضع المنصور بيده أول لبنة قائلًا : بسم الله والحمد لله ، والارض لله يورثها من يشاء من عباده وانعاقبة للمتقين . ثم قال لرجاله : ابنوا على بركة الله (٣٧٨) . وشرع العمال في بناء سورها . وكان السور ضاعفا ، الاول داخلي عرضه من أسفله خمسون ذراعا ومن أعلىه عشرون ذراعا . والآخر خارجي ارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه كعرض السور الداخلي . يحيط به من الخارج خندق عميق أجري فيه الماء من القناة التي تأخذ من نهر كرخايا . وعلى السور ابراج سماكة كل منها خمسة أذرع . وبين السورين ستون ذراعا تسمى الفصيل (٣٧٩) .

كان للمدينة أربعة أبواب ، باب خراسان ، وباب البصرة ، وباب الكوفة ،

(٣٧٦) - ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٥٨ - مجلة المورد ، العدد السابق ، مقال عن تخطيط مدينة بغداد للدكتور صبري فارس الهيتي ، ص ١٠

(٣٧٧) - مجلة المورد ، العدد والمقال السابق ، ص ١٠ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٩

(٣٧٨) - ياقوت الحموي : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٤٥٨

(٣٧٩) - الطبری : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ٦١٩ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٧٠ - مجلة المورد : العدد والمقال السابق ، ص ١٠

وباب الشام . وكان بين البابين دهليز ورحبة توصل إلى الفصيل الدائر بين السورين ، ويسمى الأول باب الفصيل والثاني باب المدينة (٣٨٠) .

كان قطر مدينة بغداد من باب خراسان إلى باب الكوفة ٢٢٠٠ ذراع . وقد بني المنصور قصره الذي يعرف باسم قصر الذهب وجامعته في وسط المدينة المدورة ، أي في مركزها . حيث يتفرع عن هذا المركز أربعة شوارع رئيسية منتظمة متوجهة خارج المدينة على شكل محاور الدائرة حتى تنتهي إلى الخندق (٣٨١) . ومد إليها قناتين من الماء ، أحدهما من نهر دجلة ، والثانية من نهر كرخايا ، استخدمها لتوزيع الماء في الشوارع والدروب والارباض (٣٨٢) . ثم تطورت العاصمة ببناء ضاحيتي الرصافة في الشرق (٣٨٣) والكرخ في الغرب . فجعلت الأولى بمثابة ثكنات للجيش في البداية ، ولكنها مالتا أن توسيع وظهرت فيها الحدائق والمنتزهات والميا狄ن الواسعة والمباني الفخمة . والثانية بمثابة اسواق للمدينة (٣٨٤) .

عرف الجانب الغربي لبغداد في العصور الإسلامية باسم الروراء . وقد اختلف في سبب هذه التسمية . فقيل أنها سميت كذلك لازورار قبلتها . كما قيل أن المنصور لما عمرها ، لم يجعل الأبواب الداخلية على سمت الأبواب الخارجية . وقيل أيضاً لازورار نهر دجلة عند مروره بها ، أو لأنحراف محاريب مساجدها . على حين يسمى الجانب الشرقي الروحاء ، لأنبساط مجرى دجلة عنده (٣٨٥) . وقد سميت أيضاً المدينة المدورة (٣٨٦) .

عني المنصور بنظافة مدنته عناية كبيرة . فكانت تكنس شوارعها وروابتها في

(٣٨٠) - حسن أبراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٧١ - مجلة المورد ، العدد والمقابل السابق ، ص ١٠ .

(٣٨١) - حسن أبراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٣٨٢) - ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٦٠ .

(٣٨٣) - انظر عن بناء الرصافة : المورد ، ص ١٤ - ١٦ .

(٣٨٤) - انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦٥٣ - ٦٥٤ .

(٣٨٥) - حسن أبراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٧ - مجلة المورد ، ص ١١ .

(٣٨٦) - الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦٥١ .

كل يوم ، ويحمل التراب خارجها ^(٣٨٧) . وكان اهتمام المنصور بها يتناسب مع النعمات الكبيرة التي افاقت في سبيل اشادة مثل هذا البناء الضخم ، وعلى الرغم من اختلاف الروايات في تقدير تكاليف البناء ، فإن الارجح ان تكاليفها بلغت ١٨ مليون دينار من الذهب ^(٣٨٨) ، ويجب ان لا نظر الى هذا الرقم بضوء قيمته الشرائية الحالية ، بل حسب قيمته في عهد المنصور ، حين كان ثمن الكبش درهما واحدا ^(٣٨٩) .

ب - مدينة سامراء :

انفق المؤرخون على سبب قيام المعتصم ببناء مدينة سامراء ، وملخصها ان أهالي بغداد شكوا الى المعتصم من عنت الاتراك وعسفهم ، وهدوده بقتاله بسهام السحر ، فأعلن لهم المنصور ، بأنه لا طاقة له على قتالهم ، وقرر اتخاذ عاصمة جديدة له يسكن بها مع جنده . فقرر اتخاذ مدينة سامراء ^{*}

كان موضع سامراء قبل بنائها مرتدًا من قبل خلقاء العباسين ، وبقال ان ابا العباس شرع ببناء مدينة له في منطقة لم يتح لها الظهور ، ثم بني الرشيد فيها قصرا وحضر عندها نهرا سماه القاطول . ثم بني المعتصم في ذلك المكان أيضا قصرا أعطاه لقائده التركى أشناس . وقيل ان هذا المكان كان عامرا في العصور القديمة ، وكان فيه مدينة لسام بن نوح . وقيل أنها كانت مدينة عتيقة من مدن الفرس ^(٣٩٠) .

تقع سامراء على نهر القاطول على مسافة مائة كيلو متر عن شمال بغداد بينها وبين تكريت شرقى نهر دجلة . أما أسمها فيقال أنها سميت باسم سر من رأى ، فخففها الناس و قالوا سامراء ^(٣٩١) . شرع المنصور في تخطيط حاضرته الجديدة سنة ٢٢١ هـ ، فأحضر العمال والصناع وأرباب المهن من سائر الامصار الاسلامية لهذه المهمة . فوضع أساس قصره ، وجعل للاتراك قطائع خاصة بهم ، ولعلمائه من

(٣٨٧) - ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٦٠

(٣٨٨) - انظر حسن ابراهيم حسن : الرجوع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٧٩ نقلًا عن الطبرى .

(٣٨٩) - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ١ ، ٤٥٩

(٣٩٠) - انظر عن ذلك ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ - ١٧٣

(٣٩١) - ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٣

أهل خراسان ومن المغاربة وأفراد للتجار وأرباب الحرف والصناعات أسوقا خاصة وبنى فيها مسجدا جامعا فخما ، واشتق من دجله قناتين أدخلهما المدينة ، وجعلهما تمران من الجامع ، وتدخلان شوارع سامراء ^(٣٩٢) .

نقل المعتصم الى مدنته الاشجار والشمار ^(٣٩٣) وبنى بها عددا من القصور الجليلة ، وكذلك فعل الخليفة المتوكل ، ومن أشهر هذه القصور ، القصر المعروف بالسرور ، الذي أفق المتوكل على بنائه ثلاثين مليون درهم ، وقصر المختار الذي بلغت تكاليفه خمسة ملايين درهم ، وقصر الوحيد وتکاليفه مليونا درهم ، والجعفري عشرة ملايين درهم ، والغريب أيضا عشرة آلاف درهم ، ويعد ياقوت الحموي القصور حتى تبلغ سبعة عشر قصرا ^(٣٩٤) .

يرى ياقوت الحموي بأن سر من رأى ما زالت في علو وعمارة منذ أيام المعتصم حتى آخر أيام المتصر بن المتوكل ، ثم بدأت بالتراجع منذ عهد المستعين حين قويت شوكة الاتراك ، واستبدوا بالملك والتولية والعزل ، بالإضافة الى الخلاف بين رؤسائهم . وبقيت كذلك حتى غادرها الخليفة العتيد بالله الى بغداد . فبدأ الغراب يمتد اليها ^(٣٩٥) ، ولم يبق فيها الا موضع المشهد الذي ترى الشيعة ان به سرداد القائم المهدى ، ومحلة اخرى بعيدة عنها يقال لها كرخ سامراء ^(٣٩٦) .

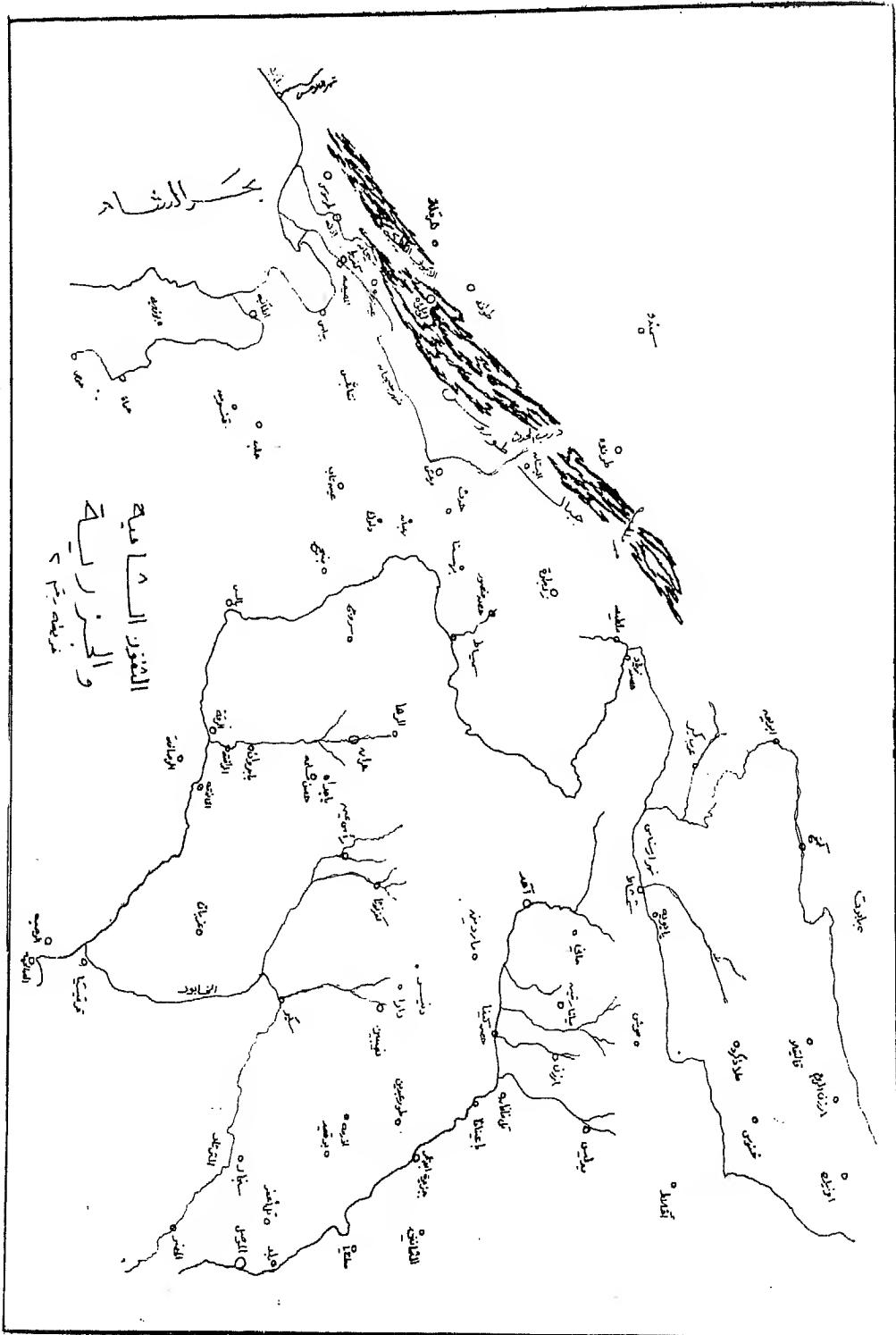
(٣٩٢) - ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٥

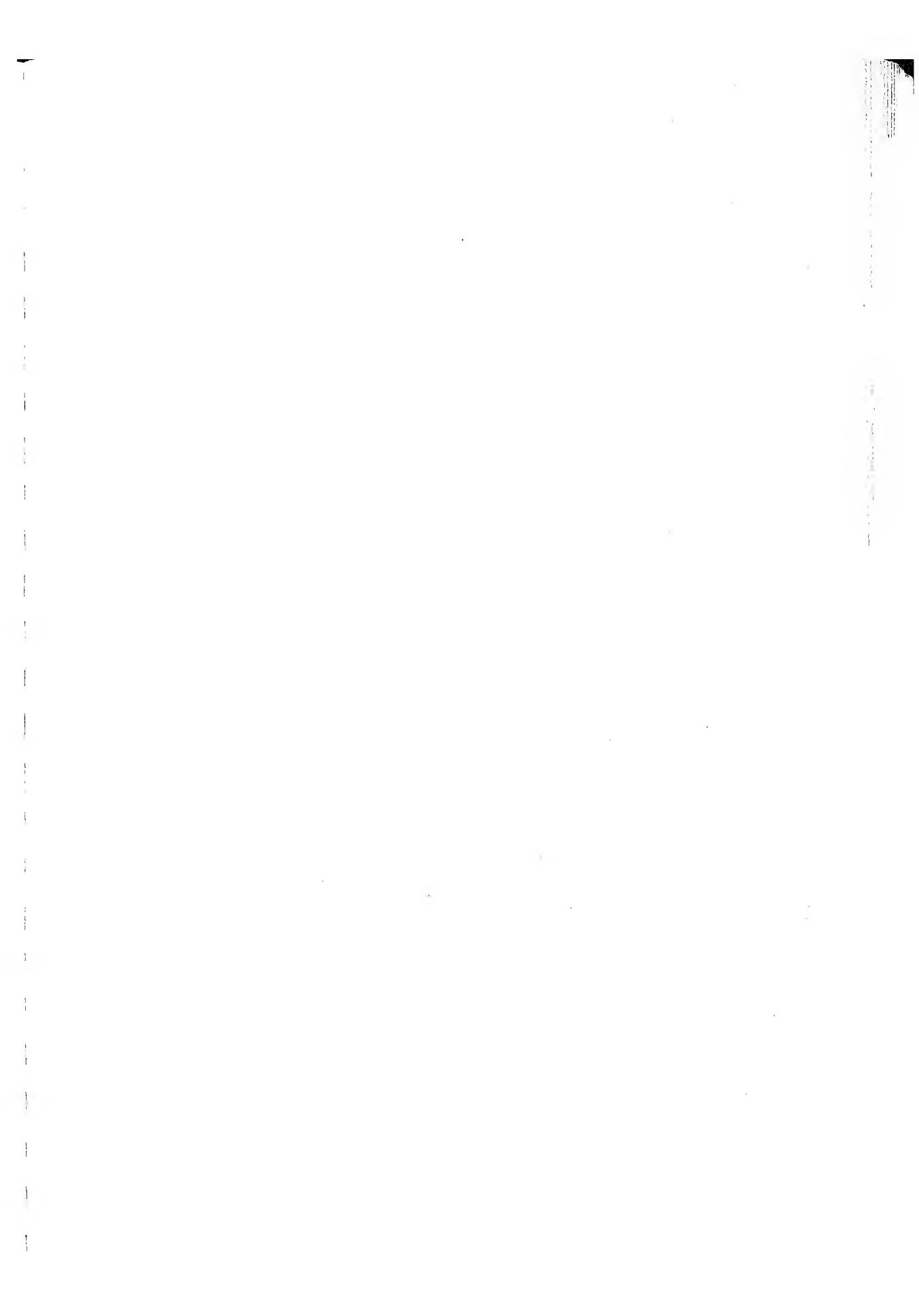
(٣٩٣) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٨١

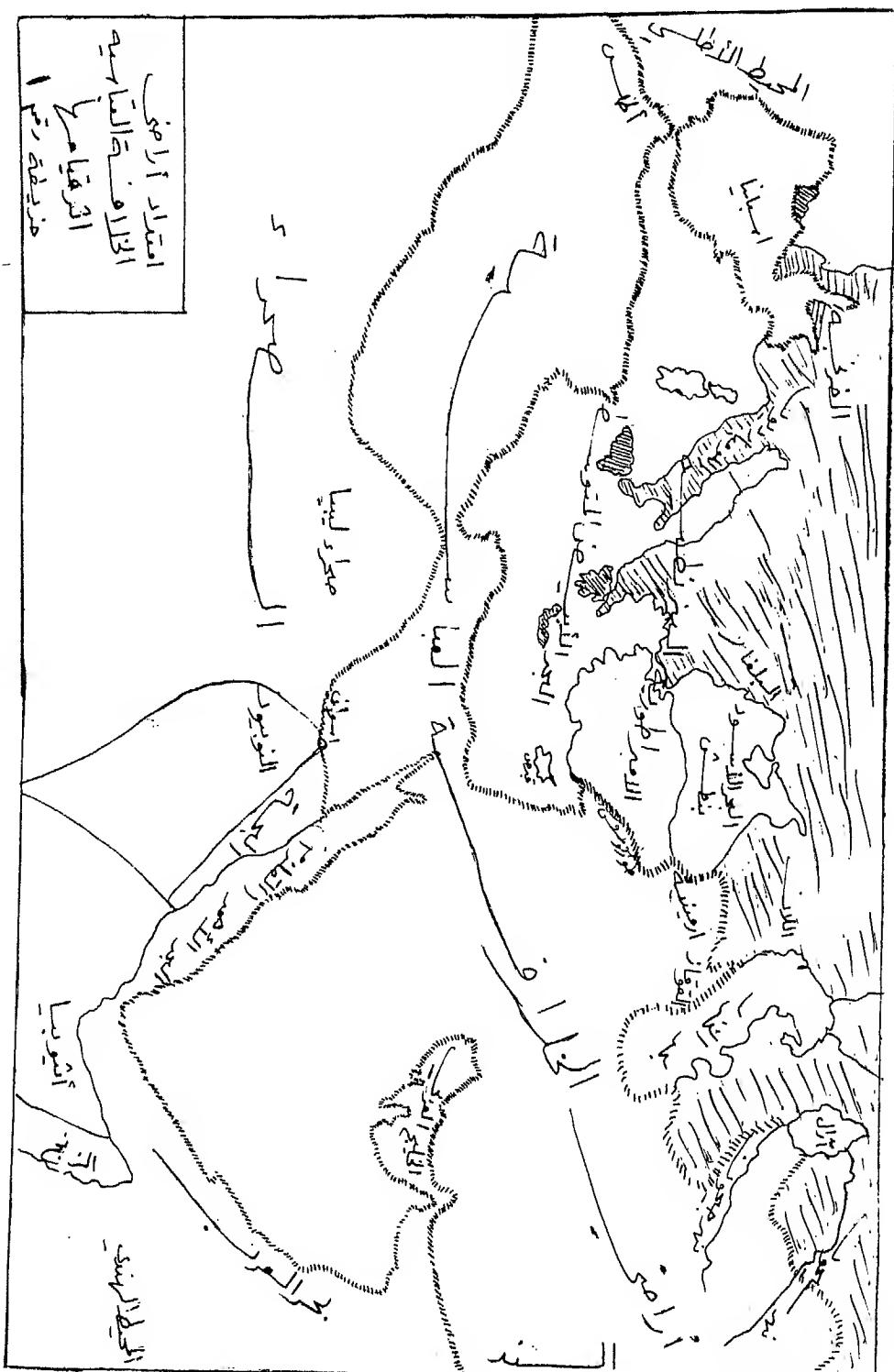
(٣٩٤) - ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ - ١٧٥

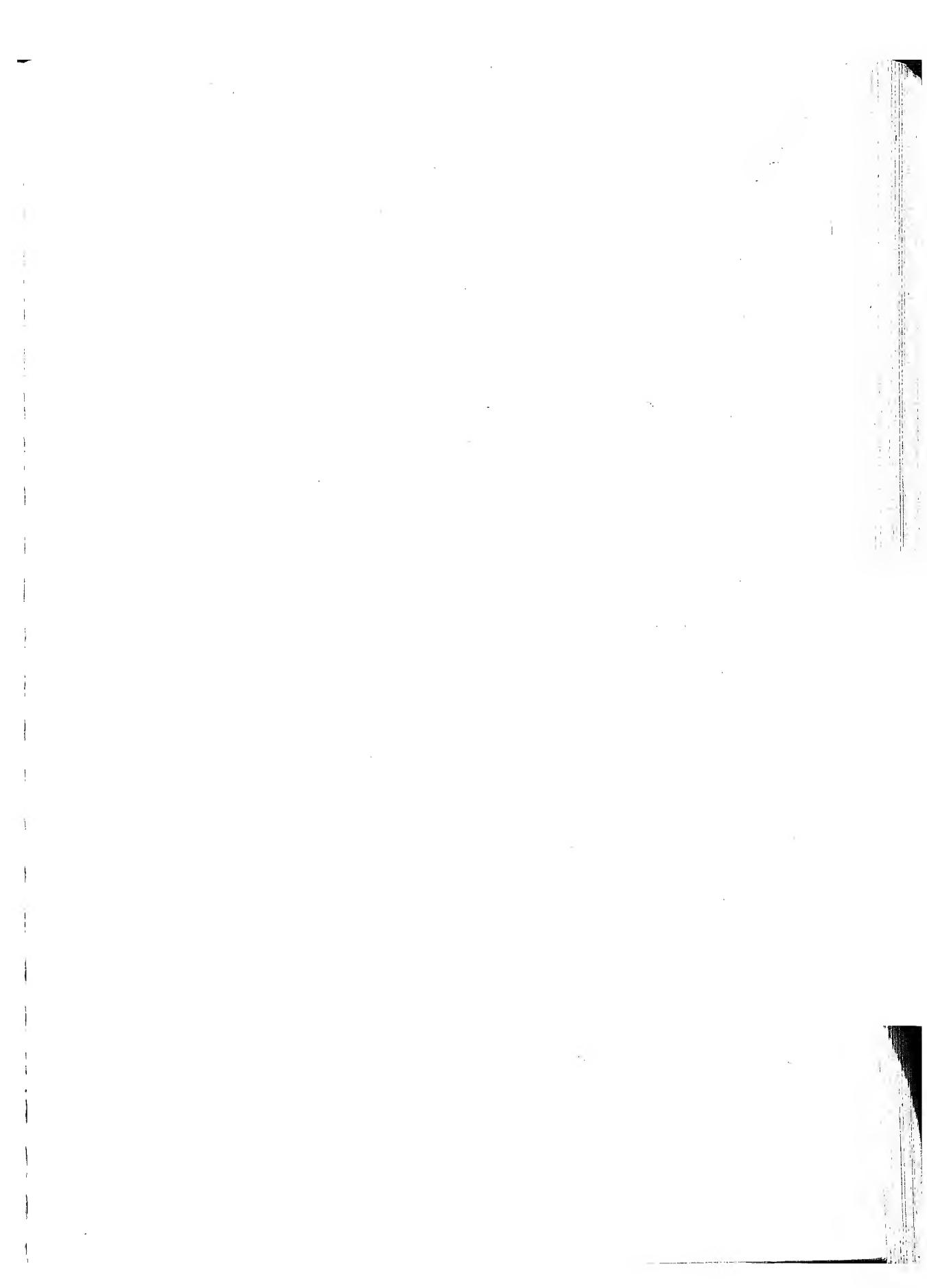
(٣٩٥) - ياقوت الدهوي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٦

(٣٩٦) - ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٧









المصادر والمراجع

أ - المصادر الخطية

ب - المصادر المطبوعة

ج - المراجع العربية

د - المراجع الوربية

هـ - الدوريات

١ - المصادر الخطية

- ١ - ابن ظافر الأزدي (ت ٦٢٣ هـ) الدول المنقطعة او اخبار الزمان في تاريخبني العباس ، مخطوطة مصورة بدار الكتب رقم ٨٩٠ تاريخ .
- ٢ - سيرس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ) زبدة الفكر في تاريخ الهجرة ، مخطوطة مصورة بجامعة القاهرة رقم ٥٤٠٢٦ - ٥٤٠٢٧ .
- ٣ - الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) مخطوطة تاريخ الاسلام بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .
- ٤ - ابن شداد (ت ٦٨٤ هـ) الالاقات الخطيرة في ذكر اماء الشام والجزيرة ، مخطوطة مصورة بجامعة الدول العربية رقم ٤٣ تاريخ .
- ٥ - ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) تاريخ دمشق او التاريخ الكبير ، مخطوطة بالكتبة الظاهرية بدمشق تسعه عشر جزءاً تبدأ من رقم ٣٣٦٦ حتى ٣٣٨٤ .
- ٦ - ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) مسائل الابصار في ممالك الامصار ، مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ تاريخ و ٥٥٩ معارف عامة .
- ٧ - العيني : (ت ٨٥٥ هـ) عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ تاريخ و ٥٥٩ معارف عامة .
- ٨ - ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ) بقية الطلب في تاريخ حلب ، مخطوطة مصورة عن نسخة احمد الثالث، جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات رقم ٩٠ تاريخ .
- ٩ - المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) المقتفي في تاريخ مصر والواردين اليها ، نسخة مصورة عن مجلدة باريس في مكتبة الدكتور سهيل زكار .
- ١٠ - التويري : (ت ٧٣٢ هـ) : نهاية الارب في فنون الادب ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

ب - المصادر المطبوعة

- ١ - ابن الأثير (ت ٦٣٠) : الكامل في التاريخ ، طبعة المنيرية ١٣٥٧ هـ ، وطبعه دار صادر بيروت ١٩٥٧ م .
- ٢ - أبو زكريا الأزدي (ت ٣٣٤ هـ) : تاريخ الموصل ، تحقيق دكتور علي حبيب ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٦٧ .
- ٣ - ابن أبي أصيحة (ت ٦٦٧ هـ) : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ .
- ٤ - ابن تغري بردى الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الطبعة الأولى دار الكتب سنة ١٣٥١ هـ .
- ٥ - ابن سعيد الاندلسي (ت ٦٧٣ هـ) : المغرب في حل المقرب ، عن بشرة زكي محمد حسن ، وشوقي ضيف وسيدة كاشف . الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥٣ م .
- ٦ - الانطاكي (ت ٤٥٨ هـ) : صلة كتاب اوتيخا المسماى التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، من سلسلة Patrologia Orientis طبعة باريس ١٩٣٢ م .
- ٧ - الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) : الأغاني ، طبعة بولاق .
- ٨ - الاشعري : مقالات المسلمين ، القاهرة ١٩٥٠ .
- ٩ - الاصطخري : (ت ٣٤٠ هـ) صور الاقاليم ، طبعة ليدن ١٩٦٧ .
- ١٠ - البحيري (ت ٢٨٤ هـ) : ديوان البحيري ، مطبعة الجواب القسطنطينية ، سنة ١٣٠٠ .
- ١١ - البيروني (ت ٤٤٠ هـ) : الآثار الباقية من القرون الخالية ، ليبرغ ١٩٢٣
- ١٢ - سعيد بن بطريق (ت ٣٢٨ هـ) : التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، العصر العباسي م - ٤١٧ - ٢٧

وليه تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ، طبعة بيروت ، مطبعة الاباء اليسوعيين
سنة ١٩٠٩ .

١٣ - ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) : تحفة النثار وعجائب الاسفار ، الطبعة الاولى
المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٢ هـ .

١٤ - الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، مطبعة
السعادة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

١٥ - ابن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٨ هـ) : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنته
والبقاء ، تحقيق وتعليق علي محمد الباووي ، دار احياء الكتب العربية ،
عيسي البابي الحلبي وشرکاه الطبعة الاولى ١٩٥٤ م .

١٦ - البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) : الفرق بين الفرق ، علق عليه محمد بدر ، طبعة
مصر ١٣٢٨ ، وطبعه دار الافاق الجديدة ، بيروت .

١٧ - ابن الساعي البغدادي (ت ٦٧٤ هـ) : اخبار الخلفاء ، او مختصر اخبار
الخلفاء ، المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣٠٩ هـ .

١٨ - البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان ، طبعة بريل ١٨٦٦ هـ .

١٩ - عبد القادر بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، طبعة دمشق ١٣٣١ هـ

٢٠ - البلوي (ت في القرن الرابع الهجري) : سيرة احمد بن طولون ، تحقيق محمد
كرد علي ، نشر المكتبة العربية في دمشق ، مطبعة الترقى ١٣٥٨ .

٢١ - التنوخي (ت ٣٨٤ هـ) : جامع التواریخ المسمی شوار المحاضرة واخبار
المذاكرة ، تصحيح مرجلیوث مطبعة أمین هندیه
بمصر ١٩٢١ م

٢٢ - _____ : المستجاد من فعّلات الاجواد ، تحقيق ونشر
محمد كرد علي ، مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٦ .

٢٣ - _____ : الفرج بعد الشدة ، جزءان ، مطبعة الهلال
بالفجالة بمصر سنة ١٩٠٤

٢٤ - الشعالي (ت ٤٢٩ هـ) : يتيمة الدهر ، مطبعة الصاوي ، الطبعة الاولى
١٣٥٢ وطبعه دار الكتب العلمية

- ٤٥ - : لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الابياري ،
وحسن كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية،
عيسيى البابى وشركاه سنة ١٩٦٠
- ٤٦ - بنiamin التطيلي (ت ٥٦٩ هـ) : الرحلة ، ترجمها عن العبرية عزرا حداد ،
المطبعة الشرقية بغداد ١٩٤٥ م .
- ٤٧ - الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) : البيان والتبيين وأهم الرسائل ، المطبعة الكاثوليكية
بيروت لبنان ١٩٥٩ ، وطبعه دار الكتب العلمية
بيروت
- ٤٨ - : فضائل الاتراك وما اختصوا به من الشجاعة وعلو
الهمة وحسن البلاء في خدمة الاسلام ، المطبعة
العمومية بمصر ١٨٩٨ م
- ٤٩ - : المحسن والاضداد ، الطبعة الاولى ، مطبعة
الفتوح الادبية بمصر سنة ١٣٣٢ هـ
- ٥٠ - : رسائل الجاحظ ، نشر فان فلوتن
- ٥١ - الجهشياري (ت ٣٣١ هـ) : الوزراء والكتاب ، جقهه ووضع فهارسه مصطفى
السقا ، وابراهيم الابياري والشلبي ، مطبعة البابى ، القاهرة ١٣٥٧ هـ .
- ٥٢ - ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) المنظم في تاريخ الملوك والامم ، طبعة حيدر اباد
م ١٣٥٩ .
- ٥٣ - قدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) : نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، وهو
يلى كتاب ابن خرداذبة المسالك والممالك ، طبعة ليدن ١٨٨٩ .
- ٥٤ - ابن جلجل (ت بعد سنة ٣٨٤ هـ) : طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد
سيد ، المعهد العلمي الفرنسي القاهرة ١٩٠٨ م
- ٥٥ - ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) : معجم الادباء ، نشر مرغليوث ، مطبوعات دار
المأمون طبعة ١٩٣٦ وطبعه دار احياء
التراث العربي بيروت

٤٦ - : معجم البلدان الطبعة الاولى مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٤ هـ ، وطبعه لايزلغ ١٨٦٧ م ، وطبعه دار صادر بيروت

٤٧ - عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز على مارواه الامام مالك بن انس وأصحابه ، نشر وتوزيع مكتبة ربيع بحلب .

٤٨ - ابن حوقل (ت ٤٨٠ هـ) صورة الارض ، ليدن .

٤٩ - ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) الفصل في الملل والنحل ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني المطبعة الادبية ، القاهرة ١٣١٧ هـ .

٤٠ - ابو فراس الحمداني (ت ٣٥٧ هـ) ديوان ابي فراس الحمداني ، تحقيق سامي الدهان ، مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٤٤ م .

٤١ - ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : مقدمة ، منشورات الاعلمي بيروت ١٩٧١ ، ونشرة دار الشعب .

٤٢ - : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بولاق ١٢٨٤ ، ومؤسسة الاعلمي بيروت

٤٣ - ابن خرداذبه (ت تقربيا سنة ٣٠٠) المسالك والممالك ، ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لابي الفرج قدامة بن جعفر ، طبعة ليدن ١٨٨٩ م .

٤٤ - ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) : وفيات الاعيان ، وأنباء الزمان ، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة العربية مصر ١٩٤٨ م وطبعه دار صادر بيروت .

٤٥ - الخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ) مفاتيح العلوم ، المطبعة المنيرية القاهرة .

٤٦ - حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، استانبول ١٩٤١ .

٤٧ - الدواداري (ت في القرن الثامن بعد سنة ٧٣٦ هـ) : الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الفرق ، طبعة القاهرة ١٩٦١ .

- ٤٨ - ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) : المعرف ، تحقيق ثروت عكاشه ، الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ١٩٦٩
- ٤٩ - _____ : الامامة والسياسية، مطبعة النيل ١٩٠٤
- ٥٠ - _____ : عيون الاخبار ، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب ، طبعة ١٩٦٣ م
- ٥١ - ابو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢ او ٢٩٠ هـ) : الاخبار الطوال ، طبعة ليدن ١٨٨٨ م
- ٥٢ - الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : دول الاسلام ، طبعة حيدر اباد سنة ١٣٦٥ هـ وطبعة الهيئة المصرية للكتاب .
- ٥٣ - ظهير الدين الروذاري (ت ٤٨٨ هـ) ذيل تجارب الامم ، طبعة القاهرة ١٩١٤ م
- ٥٤ - ابن رسته (ت بعد ٢٩٠) الاعلاق النفيضة ، ليدن ١٨٩١ م
- ٥٥ - الرعي (ت ٤٤٤ هـ) فضائل الشام ودمشق ، تحقيق المنجد مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٠ م
- ٥٦ - ابن عبد ربه (ت ٣٢٧ هـ) العقد الفريد ، مطبعة الواقع المصرية ، طبعة سنة ١٢٩٣ هـ وطبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٥ م
- ٥٧ - السيوطي (ت ٩١١ هـ) : تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين ، وبها منه كتاب آثار الاول في ترتيب الدول طبعة المطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣٠٥ م
- ٥٨ - _____ : حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، طبعة المطبعة الشرفية ١٣٢٧ هـ
- ٥٩ - ثابت بن سنان وابن العديم : تاريخ اخبار القرامطة ، وترجمة الحسن الاعصم القرمطي ، تحقيق سهيل زكار ، طبعة دار الامانة بيروت ١٩٧١ م
- ٦٠ - الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) الملل والنحل على هامش ابن حزم الفصل في الملل والنحل ، المطبعة الادبية بمصر سنة ١٣١٧ هـ
- ٦١ - ابن الشحنه محب الدين ابو الفضل محمد (ت ٨٩٠ هـ) : الدر المتنبب في تاريخ مملكته حلب ، طبعة بيروت ١٩٠٩

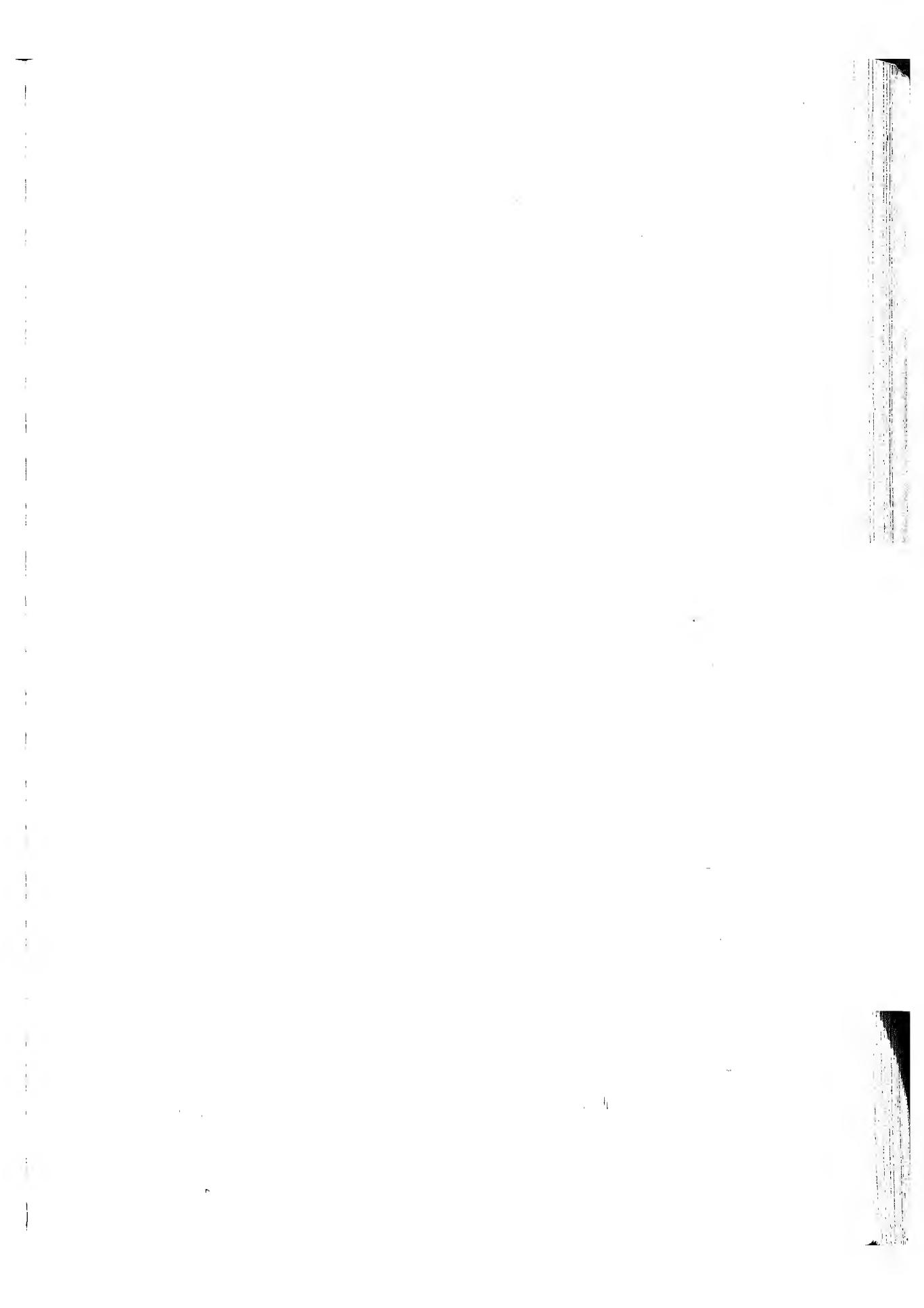
- ٦٢ - الشابستى (ت ٣٨٨ هـ) : الديارات تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٥١ .
- ٦٣ - الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) : أمراء دمشق في الاسلام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، طبعة دمشق ١٩٥٥ م .
- ٦٤ - الصولى (ت ٣٣٥ هـ) أخبار الراضي بالله ، والمتقي لله ، وهو جزء من كتاب الاوراق ، مطبعة الصاوي ، درب الجماميز ، مصر ١٩٣٥ وطبعة دار المسيرة بيروت .
- ٦٥ - الصابىء (ت ٤٤٨ هـ) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه ١٩٥٨ م .
- ٦٦ - الطبرى (ت ٣١٠ هـ) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٦٦ .
- ٦٧ - ابن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ) الفخرى في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار بيروت ١٩٦٦ م .
- ٦٨ - ابن طيفور (ت ٢٨٠ هـ) تاريخ بغداد ، طبعة ليزبغ ١٩٠٨ .
- ٦٩ - ابن طولون (ت ٩٥٣ هـ) : قضاة دمشق ، الشفر البسام في ذكر من ولی قضاء الشام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٦ م .
- ٧٠ - ابن العمید (ت ٦٧٢ هـ) تاريخ المسلمين ، طبعة ليدن ١٠٣٤ هـ .
- ٧١ - ابن العبرى (ت ٦٨٤ أو ٦٨٥ هـ) تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية للبلاد اليسوعيين بيروت ١٨٩٠ .
- ٧٢ - ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) : اثار الاول في ترتيب الدول وهو بهامش تاريخ السيوطي مطبعة مصر ١٣٠٥ م .
- ٧٣ - ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ) : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، طبعة المعهد الفرنسي ١٩٥١ م .
- ٧٤ - الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) نصرة مذاهب الزيدية ، تحقيق الدكتور ناجي حسن ، مطبعة الجامعة بغداد .

- ٧٥ - الامری (ت ٧٤٩ هـ) : مسالك الابصار في ممالك الامصار ، الجزء الاول ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م .
- ٧٦ - الغزالی (ت ٥٠٥ هـ) احياء علوم الدين ، اربعة اجزاء القاهرة ١٩٣٩ م .
- ٧٧ - ابن عساکر (ت ٥٧٥ هـ) : خطط دمشق ، المجلدة الاولى والثانية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .
- ٧٨ - ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ، تحقيق سامي الدهان ، الطبعة الثانية .
- ٧٩ - أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ) : تاريخ أبي الفداء ، مطبعة القدسية ١٢٨٦ هـ ، وطبعة دار المعرفة بيروت .
- ٨٠ - ابن الفقيه (ت ٢٩٠ هـ) مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ١٩٦٧ م .
- ٨١ - القفطي (ت ٦٤٦ هـ) اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ليزوج ١٣٢٠ هـ .
- ٨٢ - القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) : صبح الاعشى في صناعة الاعشاء ، ١٤ جزءا ، المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٣٣٥ هـ .
- ٨٣ - ابن دحية الكثبي (ت ٦٣٣ هـ) كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بنى العباس ، تصحیح عباس العزاوي ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٦٥ هـ .
- ٨٤ - الكندي (ت ٣٥٠ هـ) الولاة وكتب القضاة ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ .
- ٨٥ - ابن كثیر (ت ٧٧٤ هـ) : البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة في مصر
- ٨٦ - المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، طبعة بولاق ١٢٨٣ هـ وطبعة مطبعة السعادة بمصر تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ١٩٦٤
- ٨٧ - التنبیه والاشراف ، دار الصاوي للطبع والنشر ١٩٣٨ وطبعة دار التراث بيروت
- ٨٨ - بسكويه (ت ٤٢١ هـ) : تجارب الایم ، مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر ١٩١٤ .
- ٨٩ - مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، الجزء الاول ، والجزء الثالث ، والرابع بقسميه الاول والثاني .

- ٩٠ - المقرizi (ت ٨٤٥ هـ) : اتعاظ الجنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء نشر الشيال ، طبعة دار الفكر العربي ١٩٤٨ م ، وطبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٩٦٧ م
- ٩١ - _____ : الموعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٤ اجزاء ، مطبعة النيل بمصر ١٣٢٤ هـ
- ٩٢ - _____ : اغاثة الامة بكشف الغمة ، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦
- ٩٣ - _____ : النزاع والتناحص فيما بينبني أمينة وبني هاشم ، المطبعة الابراهيمية ١٩٣٧
- ٩٤ - المقدسي مطهر بن طاهر (من علماء القرن الرابع) : البدء والتاريخ المنسوب الى ابي زيد احمد بن سهل البلاخي ، مكتبة المشنی بغداد ، طبعة مدينة شالون بمطبعة برطوند سنة ١٩١٩ م
- ٩٥ - المقدسي شمس الدين ابو عبدالله المعروف بالبشاري (ت ٣٨٧ هـ) : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، طبعة ليدن ١٩٠٦ .
- ٩٦ - ابن العماد الحنبلي : كتاب الفتوة بغداد ١٩٦٠ .
- ٩٧ - الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) الاحكام السلطانية ، طبعة مصر ١٢٩٨ .
- ٩٨ - المقربي (ت ١٠٤١ هـ) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٩٩ - ابن المعتر : ديوان ابن المعتر
- ١٠٠ - النرشخي : تاريخ بخارى ترجمة عربية القاهرة ١٩٦٥ .
- ١٠١ - القاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ) : افتتاح الدعوة ، تحقيق فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع.
- ١٠٢ - _____ : المجالس والمسائرات تحقيق الحبيب الفقي، وابراهيم شبوح ، ومحمد اليعلاوي،

طبع المطبعة الرسمية للجمهورية
التونسية ١٩٧٨

- ١٠٣ - النويري (ت ٧٣٢ هـ) : نهاية الارب في فنون العرب ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥ .
- ١٠٤ - ابن النديم (ت ٣٧٧ هـ) الفهرست ، المطبعة الرحمنية بمصر ١٣٤٨ هـ .
- ١٠٥ - النيسابوري : استثار الامام ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني مايو ١٩٣٦ ، لايغانوف .
- ١٠٦ - الهمذاني (ت ٥٢١ هـ) تكملة تاريخ الطبرى ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦١ م .
- ١٠٧ - ابن الوردي (ت ٧٥٠ هـ) : تاريخه ، المطبعة الوهبية ١٢٨٥ هـ .
- ١٠٨ - اليعقوبي (ت بعد ٧٩٢ هـ) : تاريخ اليعقوبي ، مطبعة النجف ١٣٥٨ هـ
- ١٠٩ - ————— : البلدان مع كتاب الاعلاف النفسية لابن رسته ، ليدن ١٨٩١
- ١١٠ - محمد بن محمد اليماني : سيرة جعفر ، مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، المجلد الرابع الجزء الثاني ، لايغانوف .
- ١١١ - ابو يوسف (ت ١٩٢ هـ) : كتاب الخراج ، الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣٠٢ هـ .



ج - المراجع العربية

- ١ - أحمد أمين : ظهر الاسلام ، ٤ أجزاء ، طبعة القاهرة ١٩٤٥
- ٢ - ——— : ضحى الاسلام ، الطبعة السابعة مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٦
- ٣ - ——— : فجر الاسلام ، الطبعة العاشرة ١٩٦٥
- ٤ - أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى ، القاهرة ١٩٦٠
- ٥ - عواد مجید الاظمي : تراث العرب العماني في فلسطين في ظل الحكم الاسلامي (المجلة التاريخية العراقية للتاريخ والآثار العدد الثالث سنة ١٩٧٤ م .
- ٦ - ابو صالح الالفي : الفن الاسلامي ، اصوله فلسنته مدارسه ، دار المعارف بمصر ، طبعة ثانية .
- ٧ - احمد بدر : دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، جزء ١ ، طبعة دمشق ١٩٦٩ م
- ٨ - مصطفى طه بدر : مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- ٩ - موسى الوف البعلبكي : تاريخ بعلبك ، بيروت ١٩٢٦ .
- ١٠ - دي بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية نقله الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٣٨ .
- ١١ - أمينة بيطار : الحياة السياسية في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية ، حتى الفتح الفاطمي
- ١٢ - ——— : موقف المقبائل العربية في الشام والعراق من الدولة الفاطمية
- ١٣ - عارف تامر : القرامطة اصلهم نشأتهم تاريخهم حروبهم ، طبعة دار الكاتب العربي بيروت .

- ١٤ - عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي ، الامبراطور يوحنا تريموكس و سياسته الشرقية طبعة ١٩٦٦
- ١٥ - ————— : الامبراطور تقوه فوكاس واسترجاع الاراضي المقدسة ، طبعة الاسكندرية ١٩٥٩ م
- ١٦ - ترثون : اهل الديمة في الاسلام ، ترجمة حسن حبشي ، طبع ونشر دار الفكر العربي ١٩٤٩ .
- ١٧ - هاملتون جب : دراسات في حضارة الاسلام : دار العلم للملايين بيروت .
- ١٨ - محمد صديق الجيلاني : المزاول الشمسي ، المزاول الشمسي ، مجلة التربية الاسلامية ، العدد ١٢ .
- ١٩ - جولد تسيهير : المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ، ترجمة علي حسن عبد القادر ، القاهرة ١٩٤٤ م
- ٢٠ - بيتشوف الجermanي : تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء ، بيروت ١٨٨٠ م .
- ٢١ - فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٥٩ م
- ٢٢ - ————— : لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور حتى أيامنا ، ترجمة انيس فريحة ، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، نيويورك - بيروت ١٩٥٩
- ٢٣ - ————— : تاريخ العرب ، ٣ أجزاء ، طبعة دار الكشاف للنشر ، القاهرة طبعة اولى ١٩٤٨
- ٢٤ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٦٤
- ٢٥ - ————— : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤
- ٢٦ - حسن ابراهيم حسن ، وطه شرف : عبيد الله المهدي ، ائم الشيعة الاسماعيلية ، مؤسس الدولة الفاطمية ، الازهر ١٩٤٧ م .
- ٢٧ - ذكي محمد حسن : فنون الاسلام ، الطبعة الاولى ١٩٤٨ م .

- ٢٨ - خاشع المعاشيدى : دولة بنى عقيل في الموصل من سنة ٣٨٠ - ٤٨٩ هـ ، مطبعة شفيق بغداد سنة ١٩٦٨ م .
- ٢٩ - مجید خدوری : الصلات الدبلوماسية بين هارون الرشید وشارلماں ، بغداد ١٩٣٩ م .
- ٣٠ - دی خویه : القرامطة نشأتهم دولتهم ، وعلاقاتهم بالفاطميين ، ترجمة وتحقيق حسني زينة .
- ٣١ - زهدي الداية : هارون الرشید وشارلماں ، مجلة الهلال ١٩٣٢ م .
- ٣٢ - احمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، طبعة مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ١٣٣٠ هـ .
- ٣٣ - الدوری : تاريخ العراق الاقتصادي .
- ٣٤ - ———: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب
- ٣٥ - ———: نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية بغداد ١٩٧٠ .
- ٣٦ - ———: دراسات في العصور العباسية المتأخرة
- ٣٧ - يوسف الياس الدبس : تاريخ سوريا ، مطبعة بيروت العمومية سنة ١٩٠٠ م
- ٣٨ - فرانز روزنثال : عام التاريخ عند العرب ، ترجمة صالح احمد العلي ، مكتبة المثنى ١٩٦٣ م .
- ٣٩ - ثابت اسماعيل الرواى : العراق في العصر الاموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، مطبعة الارشاد بغداد ١٩٦٥ م .
- ٤٠ - احمد فريد الرفاعي : عصر المؤمن ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٦ .
- ٤١ - رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاوید ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م .
- ٤٢ - اسد رستم : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، طبعة بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٥٦ م .
- ٤٣ - محمد ضياء الدين الرئيس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م دار المعارف بمصر .

- ٤٤ - مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، مطبعة الزهراء بغداد ١٩٧٠ م ١٩٧٥ م
- ٤٥ - زكار : تاريخ العرب والاسلام ، دار الفكر بيروت ١٩٧٥ م
- ٤٦ - جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، طبعة مطبعة الهلال ، طبعة رابعة ١٩٢٦ م
- ٤٧ - وصفي زكريا : عشائر الشام ، طبعة دمشق ١٩٤٥ م
- ٤٨ - الزركلي : الاعلام ، مطبعة كوستانتسوماس وشركاه سنة ١٩٥٥ م
- ٤٩ - خليل داود الزور : الحياة العلمية في الشام في القرن الاول والثاني الهجري ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧١ م
- ٥٠ - عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ ، مطبع رمسيس بالاسكندرية طبعة ١٩٦٧ م
- ٥١ - محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر وسياساتها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، مطبعة دار الفكر ١٩٦٥ - ١٩٦٦
- ٥٢ - —————— : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ، الطبعة الثانية ١٩٦٧
- ٥٣ - —————— : سياسة الفاطميين الخارجية ، طبعة دار الفكر العربي ١٩٦٧
- ٥٤ - —————— : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة ، طبعة دار الفكر العربي ١٩٦٤
- ٥٥ - —————— : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، دار الفكر العربي ١٩٦٤
- ٥٦ - حسام قوام السامرائي : المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧ - ٣٣٤ ، مكتبة دار الفتح بدمشق .
- ٥٧ - كي ل سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٧ م

- ٥٨ - حورية عبده سلام : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير .
- ٥٩ - عبد الفتاح السريجاوي : النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية ، الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٥٤ م .
- ٦٠ - مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا .
- ٦١ - مصطفى الشكرمة : معالم الحضارة الإسلامية ، دار العلم للملايين .
- ٦٢ - احمد شلبي : دراسات في الحضارة الإسلامية .
- ٦٣ - احمد شوكت الشطي : العرب والطب ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٠ م .
- ٦٤ - ليلى صباح : معالم العصر العباسى .
- ٦٥ - احمد زكي صفت : عمر بن عبد العزيز ، من سلسلة اقرأ ، دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٣ م .
- ٦٦ - الطباخ : اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ، طبعة حلب الاولى ، ١٩٢٥ م .
- ٦٧ - طوقان . تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٦٨ - عباس العزاوي : تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقته بالاقطارات الإسلامية والعربية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٨ م .
- ٦٩ - حسين قاسم العزيز : دور المراكز الثقافية في تفاعل العرب والمسلمين الحضاري ، بغداد ١٩٧٤ م .
- ٧٠ - ابراهيم احمد العدوبي : الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط ، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٧
- ٧١ - ————— : الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥١ م .
- ٧٢ - ————— : الامويون والبيزنطيون ، الدار القومية للطباعة والنشر ، طبعة ثانية .

- ٧٣ - نبيه العاقل : دراسات في تاريخ بنى أمية جامعة دمشق - ٧٥ - ٧٦
- ٧٤ - —————: عصر الرسول والراشدين ، جامعة دمشق - ٧٥ - ٧٦
- ٧٥ - فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، دار القلم للطباعة بيروت
- ٧٦ - —————: العباسيون الأوائل ، طبعة دمشق ١٩٧٣
- ٧٧ - —————: طبيعة الدعوة العباسية ، الطبعة الأولى ، دار الارشاد
بيروت ١٩٧٠
- ٧٨ - سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ،
- ٧٩ - محمد عبد الفتاح عاليان : قرامة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ،
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م .
- ٨٠ - محمد كرد علي : خطط الشام ، دمشق ١٩٢٥ وطبعه دار العلم للملايين بيروت
- ٨١ - ————— : الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة دار الكتب المصرية ،
طبعه ١٩٣٦
- ٨٢ - ————— : الادارة الاسلامية في عز العرب ، مطبعة مصر ١٩٣٤ م
- ٨٣ - عارف العارف : الحرم المقدسي : مطبعة دار الايتام الاسلامية الصناعية
بالقدس ١٩٤٧ م .
- ٨٤ - عاشر : الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٧١ م .
- ٨٥ - فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ، بين الاحتلال العربي والاتصال
الحضاري ، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٧ م .
- ٨٦ - يوسف العشن : الخلافة العباسية ، دمشق دار الكتاب .
- ٨٧ - احمد عيسى : آلات الطب والجراحة عند العرب ، مطبعة مصر ، القاهرة .
- ٨٨ - يوسف غنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، مطبعة الفرات بغداد
١٩٢٤ م .
- ٨٩ - عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ،
بيروت ١٩٧٢ م .
- ٩٠ - يوليوس فلهاوزن : احزاب المعارضة في صدر الاسلام ، ترجمة بدوي : الطبعه
الثانية .

- ٩١ - فان فلوتن : السيادة العربية في عهد بنى أمية ، مطبعة السعادة ١٩٣٤ م ،
- ٩٢ - فازيليف : العرب والروم ، ترجمة شعيرة ، طبعة دار الفكر العربي .
- ٩٣ - فرات فائق : أبو بكر الرازي حياته وما ثر ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٣ م .
- ٩٤ - عمر رضا كحاله : معجم القبائل العربية ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ م
- ٩٥ - ————— : معجم المؤلفين ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٩٥٩ م
- ٩٦ - كلود كاهين : العرب والشعوب الإسلامية . ترجمة بدر الدين القاسم ، بيروت دار الحقيقة ١٩٧٢ م
- ٩٧ - سيدة كاشف : مصر في عهد الاخشidiين ، طبعة جامعة فؤاد الاول ، القاهرة ١٩٥٠.
- ٩٨ - ————— : أحمد بن طولون : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥
- ٩٩ - شاكر مصطفى : في التاريخ العباسي : مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٩٥٧ م
- ١٠٠ - عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، طبعة الانجلو المصرية ١٩٥٧ م
- ١٠١ - محمد جواد مفني : الشيعة والحاكمون : منشورات المكتبة الاهلية بيروت.
- ١٠٢ - آدم ميتز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ م .
- ١٠٣ - صلاح الدين المنجد : مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحلة المسلمين طبعة دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٦٧ م
- ١٠٤ - ————— : بين الخلفاء والخلفاء ، طبعة دار الحياة ١٩٥٧ م
- ١٠٥ - حسن محمود وأحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربي ١٩٦٦ م
- ١٠٦ - حسن محمود : مصر الاسلامية ، العصر الطولوني ، مكتبة النهضة العربية ١٩٦٠ م

- ١٠٧ - مشرفة : القضاء في الإسلام . شركة الشرق الأوسط ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ م
- ١٠٨ - الماحي : مقدمة في تاريخ العلم العربي ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٥٩ م .
- ١٠٩ - ناجي معروف : المراصد الفلكية ببغداد .
- ١١٠ - عبد الحليم منتصر : التراث العلمي العربي في الميزان ، مجلة الهلال ، العدد ٤ . سنة ٩٧٣ .
- ١١١ - عجاج نويهض : أبو جعفر المنصور ، مطبع دار الصحافة بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٢ م .
- ١١٢ - جميل نخله : حضارة الإسلام في دار الإسلام .
- ١١٣ - تللينو : علم الفلك تاریخه عند العرب في القرون الوسطى ، روما ١٩١١ م .
- ١١٤ - حسنين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، النهضة المصرية .
- ١١٥ - هاري وهازارد : أطلس التاريخ الإسلامي ، ترجمة وتحقيق خورشيد وزيادة وغيرهم .
- ١١٦ - زيفريد هوتكه : شمس العرب تسقط على الغرب .
- ١١٧ - هيوارث : مادة الاسماعيلية ، دائرة المعارف الإسلامية .
- ١١٨ - جورج ينبي : تاريخ سورية ، طبعة بيروت ، المطبعة الأدبية ١٨٨١ م .

هـ - الدوريات العربية والأوروبية

١ - دائرة المعارف الإسلامية .

٢ - المجلة التاريخية العراقية للتاريخ والآثار .

٣ - مجلة المؤرخ العربي .

٤ - مجلة المجمع العربي بدمشق .

٥ - مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية .

٦ - مجلة معهد المخطوطات العربية .

٧ - مجلة المقتطف .

٨ - مجلة التربية الإسلامية .

٩ - مجلة الهلال .

١٠ - مجلة المورد العراقية .

Encyclopedia of Islam - ١١

د - المراجع الأجنبية

- 1 — L. BERNARD : The Arab in History.
- 2 — CANARD : Histoire de la Daynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie; A leger 1951.
- 3 — _____ : Le expéditions des Arabes Contre Constantinople dans L'Histoire et dans la légende 1926.
- 4 — _____ : Sayf Al Dawla. Recueil de textes relatifs à Lémir Sayf Al Dawla le Hamdanide A leger 1934.
- 5 — _____ : Une Lettre de Muhammad Ibn Tugj Al Ikshid A leger 1936.
- 6 — CLAUDE CAHEN : Les Syrie du nord; à Lepoque de Croisades et la principauté Franque D, Antioche; Paris 1940.
- 7 — Cambridge Mediaeval History~ Vol. IV.
- 8 — JUWAYNI : TA'RIKH -1- JAHN - GUSHAY... Being a facsimile of a Manuscript dated A.H. 690 with an introduction by Sir Denison Ross; Vol. III; London 1931.
- 9 — LE STRANGE : Palestine Under The Moslems~ London, 1890.
- 10— _____ : Baghdad during the Abbassid Caliphate., London 1924.
- 11— LANE POOL : Catalogue of the Collection of Arabic Coins preserved in : the Khedivial Library at Cairo; London 1897.
- 12— _____ : The History of Egypt in the Middle Ages; London, 1901.
- 13— _____ : The Mohammanan Dynasties.
- 14 — MARMARDJI : Textes Geographique sur Palestine; Paris 1951.
- 15 — MUIR : The Caliphate; Its Rise Decline and Fall; Beirut 1963.
- 16— SAUVAGET : Les Perles Choisies D,Ebn Achihna; Tome I; Beyrouth, 1933.
- 17— SCANLON (G) : Leadership in Qarmatian sect (in Bulletin De L'institut Français D,Archéologie Orientale; Tome LIX; 1960).
- 18 — WIET : L,Egypte Arabe; Paris.
- 19— ZAKY HASSAN : Les Tulunides. Etude de L,Egypte Musulmane à la fin du IX^e Siècle; Paris 1933.

الفهرس

دراسات في تاريخ العصر العباسي من سنة ١٣٢ - ٣٤٤ هـ

الباب الاول :

تمهيد

أ - الاوضاع العامة للخلافة الاسلامية ، والعالم المحيط بها	
اثر قيام الخلافة العباسية	١
ب - عوامل سقوط الخلافة الاموية	٥
الدعوة العباسية	١٧
ا - المرحلة السرية	١٧
٢ - المرحلة العلنية ، ومراحل حروب الدعوة	٣١
٣ - المرحلة الاولى : فتح خراسان	٣٥
ب - المرحلة الثانية : فتح العراق	٣٦
ج - المرحلة الثالثة : معركة الزاب	٣٧
د - المرحلة الرابعة : فتح الشام	٣٩
٤ - اعلان الخلافة العباسية ومميزاتها	٤٧
الباب الثاني :	٥٩
- الدور العباسي الاول	٥٩
- مميزات هذا الدور	٦٥
الفصل الاول : توطيد وثبتت اركان الحكم العباسي	٦٧
١ - الموقف العدائی المتبادل بين العباسيین وبني أمیة وانصارهم	٦٧

٦٨	- سياسة العباسيين تجاه الامويين
٧١	- سياسة العباسيين تجاه القبائل العربية والمدن الشامية ..
٧٥	١ - ثورة نصر بن شبيث العقلبي
٧٩	٢ - ثورة اجناد الشام و موقف العباسيين منها
٧٩	- ثورة حوران وال بشنية / ثورة حبيب بن مرة المري ..
٨٠	- ثورة قنسرين وحلب / أبو الورد الكلابي والسفياني ..
٨٣	- ثورة الجزيرة / اسحق بن مسلم العقيلي
٨٤	- ثورات دمشق
٨٩	- ثورات لبنان وحمص / أهل الدهة
٩٢	- ثورة فلسطين والأردن / المبرقع اليماني
٩٤	٢ - الصراع بين أفراد الأسرة العباسية
٩٥	- الصراع بين عبد الله بن علي وال الخليفة المنصور
٩٨	- الصراع بين الخليفة المنصور والمهدى ، وعيسى بن موسى ..
٩٩	- الصراع بين الاخرين المادى والرشيد
١٠٠	- الصراع بين الاخرين الامين والمأمون ونتائج هذا الصراع ..
١٠٩	- الصراع بين المأمون وابراهيم بن المهدى
١٠٩	- الصراع بين المعتصم وابن أخيه العباس
١١٠	٣ - حركات الخوارج في الدور العباسى الاول
١١٧	٤ - حركات الشيعة في الدور العباسى الاول
١١٨	- ثورة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم
١٢٥	- ثورة الحسين بن علي بن الحسن
١٢٦	- ثورة ادريس بن عبد الله وأخيه يحيى
١٢٨	- نهاية موسى الكاظم بن جعفر الصادق
١٢٩	- العلويون في عهد المأمون

١٣٢	- نهاية محمد بن القاسم
١٣٣	٥ - الصراع بين العرب والموالي
١٣٥	- الصراع السلمي
١٣٥	٦ - الصراع بين المنصور وأبي مسلم
١٣٩	ب - الصراع بين الخلفاء والوزراء
١٥٤	ج - الشعوبية
١٥٧	د - الزندقة
١٦٣	- الصراعسلح بين العباسيين والموالي
١٦٣	- ثورة الرواندية
١٦٦	ب - المقنع الخراساني
١٦٩	ج - بابك الخرمي
١٧٢	د - ثورة أستاذ سيس
١٧٣	الفصل الثاني : الاوضاع العامة في شمال افريقيا والأندلس
١٧٣	١ - الاوضاع في مصر وبلاد النوبة
١٨٢	٢ - الاوضاع العامة في بلاد المغرب
١٨٤	٣ - الاوضاع في الاندلس
١٨٧	الفصل الثالث :
١٨٧	- العلاقات الخارجية
١٨٧	١ - العلاقات مع البيزنطيين
٢١٧	٢ - العلاقات مع الفرنجة (الكارولنجيين)
٢٢١	الباب الثالث :
٢٢١	- عصر سيطرة الاتراك - ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ
٢٢١	مقدمة : صفات عصر الاتراك

الفصل الأول : عصر سيطرة الاتراك	٢٤٣
١ - ظهور العنصر التركي في بلاد الخلافة الاسلامية	٢٢٣
٢ - الصراع حول السلطة في عصر النفوذ التركي	٢٢٧
الفصل الثاني :	٢٤٣
الصراع الاجتماعي والسياسي والديني - المذاهب الاسلامية	٢٤٣
١ - حركة الزنج	٢٤٤
٢ - حركة القرامطة	٢٤٨
٣ - ظهور قرامطة العراق والشام	٢٤٨
ب - قرامطة البحرين	٢٥١
ج - الوضع الاجتماعي عند القرامطة	٢٥٤
٤ - التيارات السننية والشيعية :	٢٥٦
- المذاهب الشيعية	٢٥٧
١ - الامامية الاثنا عشرية	٢٥٨
ب - الاسماعيلية	٢٦١
ج - الزيدية	٢٦٧
- السنة	٢٦٩
- التصوف	٢٧٢
الفصل الثالث	٢٧٧
تفكك وحدة الخلافة الاسلامية	٢٧٧
- الدول الفارسية	٢٨٠
أ - الدولة الطاهرية	٢٨٠
ب - الدولة الصفوية	٢٨١
ج - الدولة السامانية	٢٨٦
- الدول التركية :	٢٩٠

٢ - الدولة الطولونية في مصر والشام	٢٩٠
- تأسيس الدولة	٢٩٠
- علاقة الطولونيين بالخلافة العباسية	٢٩٢
- جيش وهارون ابنا خمارويه	٩٢٨
- نهاية الدولة الطولونية	٣٠٠
ب - الدولة الاخشيدية في مصر والشام	٣٠١

الفصل الرابع :

العلاقات العربية البيزنطية	٣١١
---	-----

١ - العباسيون يتولون الدفاع عن الشفور	٣١١
--	-----

٢ - الطولونيون والبيزنطيون	٣١٣
---	-----

٣ - العباسيون والبيزنطيون - أحوال الشفور بين الامارتين الطولونية والاخشيدية	٣١٥
---	-----

٤ - الاخشيديون والبيزنطيون	٣١٨
---	-----

الباب الرابع :

أهم مظاهر الحضارة العربية الاسلامية من سنة ١٣٢ - ٥٣٤هـ	٣٢١
---	-----

١ - نظام الحكم	٣٢٢
-------------------------------	-----

٤ - النظام السياسي	٣٢٢
-----------------------------------	-----

- الخلافة	٣٢٢
--------------------------	-----

- الوزارة	٣٢٣
--------------------------	-----

- الكتابة والحجابة	٣٢٤
-----------------------------------	-----

ب - النظام الاداري	٣٢٦
-----------------------------------	-----

- الولايات والولاة	٣٢٧
-----------------------------------	-----

- الدواوين	٣٢٩
---------------------------	-----

ج - النظام العسكري: الجيش	٣٣٢
--	-----

٣٣٧	د - النظام المالي
٣٤٠	ه - النظام القضائي
٣٤٠	- القاضي
٣٤٣	- النظر في المظالم
٣٤٥	- الحسبة
٣٤٧	٢ - الحياة الاجتماعية
٣٤٨	- عناصر السكان
٣٤٨	أ - العناصر الجنسية والرقم
٣٥٢	ب - الطوائف الدينية
٣٥٤	- الطبقات الاجتماعية
٣٥٩	٣ - الحياة الاقتصادية
٣٦٠	- الزراعة
٣٦٤	ب - الصناعة
٣٦٨	ج - التجارة
٣٧٤	٤ - الحياة الفكرية
٣٧٧	أ - العلوم الدينية
٣٧٧	- علم القراءات
٣٧٧	- التفسير
٣٧٨	- الحديث
٣٧٩	- الفقه
٣٨٠	- علم الكلام : المعتزلة
٣٨٦	ب - علوم اللغة العربية
٣٨٦	- النحو
٣٨٨	- الادب :

٣٨٨	١ - الشعر
٣٩١	٢ - النثر
٣٩٢	ج - العلوم التجريبية :
٣٩٢	- الترجمة
٣٩٤	- الفلسفة
٣٩٥	- الطب
٣٩٨	- علم الفلك والنجموم
٤٠١	- علم الرياضيات
٤٠٣	- التاريخ
٤٠٤	- الجغرافية
٤٠٥	ه - الحركة العمريانية
٤٠٥	- بناء بغداد
٤٠٩	ب - بناء سامراء
٤١١	- الخرائط
٤١٥	- المصادر



2000-0000

1947



صدر بإشراف لجنة الإنجاز

طبعة جامعة دمشق

سعر البيع للطالب ١٣٠ ل.س.